

شبهات و دلائل في الاسلام



د. بشير عبد الله المساري

د. بشير عبد الله المساري

شُبُهَات وَرُدُود

1444هـ - 2023م

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المحتويات

9	مقدمة.....
11	قضايا العقيدة
13	أ-من خلق الخالق؟.....
16	ب-هل الطبيعة هي التي خلقت الأشياء؟.....
19	ج-هل خلق الله الخلق ثم انصرف عنه؟.....
21	د- دليل وجود يوم آخر بعد الحياة الدنيا.....
24	هل الله ثالث ثلاثة؟.....
28	الذات الإلهية بين التجسيم والتعطيل.....
31	لا وساطة بين العبد وربه.....
34	اختلاف الناس عند مجيء البيئات.....
37	سجود الملائكة لأدم.....
43	دخول أهل الكتاب الجنة.....
50	حقيقة عذاب القبر.....
55	الرد على شبهات (علي البخيتي) في زلزال تركيا وسوريا.....
62	لماذا يعذب الله عباده العذاب العظيم؟.....
65	عدم إجابة الدعاء.....
67	قضايا القرآن الكريم
69	المُحكّم والمتشابه في القرآن.....
72	التعارض الظاهري في بعض آيات القرآن الكريم.....
74	الجبر والاختيار في أفعال الإنسان.....
78	مسألة القضاء والقدر.....
80	اختلاف الناس يوم القيامة في مدة مكوثهم في الدنيا.....
83	القرآن لغة المحبة لا الكراهية.....
88	الإرهاب في القرآن الكريم.....
93	فرية التناقض في القرآن الكريم.....

- 104 القول بوجود تعارض بين القرآن والسنة
- 111 التقية في القرآن الكريم
- 114 قتل الخضر الغلام في سورة الكهف
- 116 هل تغرب الشمس في عين حمئة؟
- 119 الإسراء والمعراج
- 125 **قضايا النبوة والسنة الشريفة**
- 127 إثبات نبوة الأنبياء عقليا
- 136 هل حث القرآن على اتباع السنة؟
- 144 شبهة عجمية البخاري ومسلم وتأخرهما عن عهد النبوة
- 149 هل في البخاري أحاديث ذات إحياءات جنسية؟
- 167 كثرة روايات أبي هريرة وقلة روايات علي
- 172 هل كان العرب يستحقون الرسالة المحمدية؟
- 176 أين أنبياء الصين واليابان وكوريا .. إلخ؟
- 178 هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب؟
- 181 ادعاء النبوة والمهدية
- 184 كرامات الأئمة والأولياء ومعجزاتهم
- 187 **قضايا الصحابة وأهل البيت**
- 188 أخطاء الصحابة والخلفاء الراشدين
- 196 هل آيات النفاق نزلت في الصحابة؟
- 204 هل ارتد الصحابة بعد رسول الله؟
- 211 الرد على الدكتور أحمد مطهر الشامي في دعوى ارتداد الصحابة
- 217 الطعن في أم المؤمنين عائشة
- 221 قذوات المسلمين
- 226 القول باصطفاء (أهل البيت)
- 242 حقيقة اختصاص أقرباء النبي بالمودة
- 246 ما اختص به أقرباء النبي دون سائر المسلمين

- 249 موقف الإسلام من الطبقية
- 255 تأصيل المساواة في الإسلام
- 261 مسألة مقامات أئمة أهل البيت
- 264 الفرق بين (أهل البيت) و(آل محمد) (أ-ج)
- 270 الفرق بين أهل البيت وآل محمد (ب-ج)
- 274 الفرق بين أهل البيت وآل محمد (ج-ج)
- 279 نظرية الاصطفاء عند البخيتي
- 289 تصنيف المسلمين بين حسينيين ويزيديين
- 292 الباطنية الدين الموازي
- 301 **قضايا المرأة**
- 303 المرأة والرجل في القرآن الكريم
- 307 قضية القوامة والعصمة بيد الرجل
- 314 ادعاء ذكورية الخطاب القرآني
- 317 مساواة المرأة بالرجل
- 320 مشاركة المرأة الرجل في العمل
- 324 توريث الذكر مثل حظ الأنثيين
- 333 زواج النبي بإحدى عشرة امرأة
- 339 **قضايا السياسة والفكر**
- 341 ولاية الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
- 346 هل المسلمون أشرار والغرب أخيار؟
- 352 هل الإسلام دين سلام أم دين عنف؟
- 357 هل الفتوحات الإسلامية غزو؟
- 363 هل نفعت العرب ثقافة التدين؟
- 366 هل الإسلام سبب تخلف المسلمين؟
- 370 سبب تخلف العرب وتقدم الغرب
- 373 نظام التفكير العربي

- 378 حكم المسلمين بالعلمانية
- 381 أرض فلسطين ملك من؟
- 387 **قضايا فقهية**
- 389 هل الضم يبطل الصلاة وهل التأمين بمعنى آمن؟
- 394 وقت الإفطار عند الصيام
- 397 حوار حول مشروعية صلاة التراويح جماعة
- 401 الحجاب بدون تغطية الوجه هل هو الأصل؟
- 404 نقاب المرأة المسلمة في بلاد الغرب
- 407 مسألة علاج نشوز الزوجة بضربها
- 413 الصوم في المناطق التي لا تغيب عنها الشمس
- 415 في حد شارب الخمر والزاني والمرتد
- 419 هل فروض الصلاة ثلاث صلوات في اليوم لا غير؟

مقدمة

الحمد لله جزيل الحمد والشكر لله جزيل الشكر والثناء والصلاة والسلام على رسول الله معلم البشرية وهاديها إلى صراط مستقيم وبعد:

لقد شهد هذا العصر إحدى أهم الحلقات في سلسلة الحروب المتصلة ضد الهوية الإسلامية، حيث تعرضت لشلال متدفق من الشبهات يجمعها واحدية المصدر وواحدية الهدف .. أما المصدر فهو العدو الحضاري المعهود، وأما واحدية الهدف فهو تفرغ الإسلام من روح رسالته كمنهج حياة، وتطويع المسلمين لواقع الاستلحاق لقطبي الاحتلال الرومي والفراسي القديم الجديد، الذي وجد في الإسلام المحرك الأول لروح المقاومة وروح المبادرة في نشر تعاليمه التي تضيق الخناق على ثقافته وتعطي البديل الإنساني المتكامل، وبتصورات تنسم بالسمو والنبيل مخالفة لفلسفة تسيد الرجل الآري العنصري ضحية وهم التفوق.

ولقد تم في الداخل شراء أقلام رخيصة للأسف تحترف المتاجرة بشرف الكلمة، وتقايض الذات بالملذات، مع دفع ضريبة الكرامة والتخلي عن عضوية الانتماء، من أسماء عربية .. سامي، إبراهيم، أحمد، أمجد، وحسين .. الخ وطابور طويل من الذين تسير قلوبهم في شوارعنا وتهيم قلوبهم في شوارع الاغتراب وأرصفة النخاسة، هذه الأقلام حملت على عاتقها نفث سموم أسيادها وإطلاق شبهات من خلال تقم ما تراها مطاعن في التاريخ والدين، حيث تنعم كل الديانات بحرية ممارسة كل الخرافات سوى دين الله فقد انبرى له دعاة على أبواب جهنم، من استجاب لهم قذفوه فيها.

وفي الواقع لا يستطيع جهد فرد أن يلم بكل تلك الإطلاقات من الشبهات التي شملت الأسس والتصورات والتاريخ ويرد عليها جملة، فتلك تتجاوز مقدور الأفراد إلى جهود مؤسسات، ولكن ما وقع في يدي وشاعت كمرض

فكري أدليت فيها بدلوي ورديت عليها في هذا الجهد المتواضع، كما أن هناك عمالقة فكر إسلامي تصدوا للكثير منها قبلي وفي كتب متاحة للجميع.

شملت المحاور الرد على منبوشات محلية مذهبية، ومصنوعات شبيهة داخلية وخارجية، كالتهجم على العقيدة، والقرآن، والسنة، والتاريخ، والعرب والمسلمين، والأسرة.. الخ فخرج الكتاب (شبهات وردود في الإسلام) كحصيلة مواجه فكرية لما استجد في الباب وعلى مدار نحو عشر سنوات ليعالج أمراضا فكرية وإن بجهد المقل، وكان زادي فيه استدراك العناية الإلهية بتجليات هي محط الرجاء، وموضع البركة والتعويل . . سائلا الله عز وجل أن ينفذ به من تخطفتهم كلاليب الشبهات، وسقطوا في فخاخ الجهل، وأن يسد به ثغرة لم تُسدَّ، ويشغل به فراغا لم يُشغل إنه بر رحيم.

وبالله التوفيق

المؤلف

د. بشير المصاري

أولاً- شبهات وردود في:

قضايا العقيدة

الشبهة (1)

أمن خلق الخالق؟

أ- أليسا أن القول بأن كل شيء مخلوق يقتضي أن يكون الخالق مخلوقا أيضا؟

أجبت على صديقي الملحد بالقول:

- هل الأقرب إلى العلم والعقل والمنطق أن يكون هذا الوجود قد جاء من خالق خلقه أم جاء من العدم؟ .. قال:
- بل من العدم .. قلت:
- وهل العلم الطبيعي القائم على الملاحظة والتجريب يقول إن اللاشيء يمكن أن يأتي بشيء، واللاوجود يمكن أن يأتي بوجود؟ .. هل هذا يقره العلم؟
- لا. حقائق العلم التجريبي لاتقول بأن موجودا ماديا يمكن أن يأتي من العدم المحض .. فالعدم لا فعل له.

- فلماذا تفرون من حقيقة وجود الخالق، لماذا تلجؤون إلى الخرافة وتسدون فعل الشيء إلى غير شيء وأنتم تدعون العلمية؟ .. ليس بعاقل من يجد قصرا مشيدا جميلا في الصحراء فيه حُسن الإتقان، وبراعة التصميم ثم يقول إنه نشأ من العدم لأنه يجهل مهندسه، فهذا الادعاء ضد المنطق ضد قواعد العلم وضرب من الجنون .. وأنت لو نزلت على رأسك ضربة عصا أو تعرضت للسرقه لن تقول إن ذلك قد يأتي بفعل الصدفة بل ستبحث عن فاعل ولن تتنازل عن وجود فاعل .. لذلك المؤمنون حين يؤمنون بفاعل أول لبناء الكون هم وحدهم العقلاء .. وغيرهم مجانين.

- مهلا. أنتم معاشر المؤمنين تميلون إلى التفسير المريح وهو أن هناك قوة مركزية خلقت الخلق وانتهى .. وتسون أن السؤال لايرتفع بهذه البساطة فلايزال وراء السؤال سؤال .. وهو إذا كان لكل شيء خالق فمن خلق الخالق؟.

- سؤال من خلق الخالق سؤال ساذج وخطأ علمي .. فالخالق لا يكون مخلوقا في نفس الوقت؛ لأنه العلة الأولى للوجود، والتسلسل الرقمي أو الهرمي لا بد عقلا ومنطقا أن يبدأ بأول ليس قبله شيء، فلايصح أن يقال ما الرقم الذي قبل الرقم (1) .. ولا من الفائز الذي قبل الفائز الأول .. ولا من المسؤول الذي فوق المسؤول الأول .. ولا من سبق المتسابق الأول .. ولو أصغينا لسؤال من خلق الخالق؟ فلن يكون هناك خلق البتة .. مثال ذلك لو أخذ شرطي القضاء بندقيته ليقتل القاتل حدا، ثم قيل له من أمرك بتنفيذ الحكم؟ فقال: القاضي. ثم سئل القاضي أيضا من أمرك بتنفيذ الحكم؟ فقال مجلس القضاء الأعلى .. ثم سئل مجلس القضاء

من أمرك بتنفيذ الحكم؟ وقال: سلطان البلاد .. بعد ذلك لا يصح أن يقال لسلطان البلاد من أمرك بتنفيذ الحكم؟ لأنه لاسلطان فوقه وإذا أصررنا على انتظار سلطة أعلى منه فوقها سلطة أعلى منها في دائرة مغلقة لانهاية لها فلن ينفذ حكم الإعدام .. وكذلك إذا أصررنا على طرح سؤال من خلق الخالق؟ ومن خلق الذي خلق الخالق؟ فإنما نفترض عدم وجود خلق من أساسه .. فالله واجب الوجود عقلا ومنطقا.

وربنا يسأل : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) (1) إذا كان الإنسان أرقى مخلوق في الوجود فهل جاء هو من غير موجد؟ وهل يستطيع هذا الكائن اليوم وهو يعيش أعلى درجات الذكاء البشري هل يستطيع أن يخلق شيئا من العدم، كل الشواهد العلمية والأدلة المنطقية تقول إن هذا محال .. ونفس الشواهد العلمية والأدلة المنطقية تقول إن مخلوقا واحدا في الوجود لا يمكن أن يأتي من غير خالق من أصغر مكوناته إلى أكبرها.

- لماذا لا يعطينا القول بأزلية الكون عن افتراض وجود مُوجِدٍ .. وتريحنا من الإله القوة المتحكمة؟.

- بهذا تكون تخليت عن فكرة صدفة الحدوث، ورجعت إلى نظرية الأزلية التي أراد بها الملحدون التدليل على أن الكون وجد هكذا منذ الأزل فلا يحتاج إلى فاعل، لكن هذه النظرية يا صديقي نسفتها أحدث نظرية وهي نظرية نشأة الكون الذي أرخ العلماء لبدائته بنحو 13 مليار سنة، وتُعرف بنظرية بالانفجار العظيم (بالإنجليزية: Big Bang) .. فكل شيء من الذرة وما دونها إلى المجرة وما فوقها تقول إن الكون محدث (بتحول الطاقة والحركة) إذن كل شيء يقول إنه وُجد في لحظة ما بفعل فاعل .. فلا بد من العلة الأولى التي أنشأت وأبدعت وإلا لكان تفكيرنا عبثيا، ولانتهت القواعد المنطقية إلى أصل فوضوي غير منطقي، وعلماء الطبيعة يعقلنون كل الأحداث، فلا شيء في الوجود يدل على فوضى بل على كمال دقة وغاية إحكام .. فمن أودعه ومن أبدعه؟.

- ولماذا لا نبسط المسألة ونقول إن كل شيء قد خلق نفسه بطريقة لا نعلمها؟

- الرد على هذا من وجهين:

- أولا أنت كمن يفترض أن كل شيء قد وُجد قبل أن يكون موجودا لكي يخلق نفسه وهذا شيء مضحك، فالخالق لا يكون معدوما بل هو الأول الذي ليس قبله شيء.

- ثانيا سبحان ربي حين قال: (ومن كل شيء خلقنا زوجين) إن قانون الزوجية العام يرفض هذا التصور تماما، فالحيوانات كما النباتات كما الجمادات، كل عنصر من أفرادها غير مستقل بذاته حتى يكون خالقا، بل وجوده متوقف على وجود طرف آخر يكمله، فالأنثى مفتقرة

إلى طرف آخر يكملها وهو الذكر، والذكر عاجز عن البقاء بدون الأنثى .. ووجود السالب في الذرة يكمله الموجب والعكس، فهما مختلفان ومؤتلفان وهكذا دواليك .. فلو أن أحد القطبين من هذه المخلوقات قد خلق نفسه لخلقها كاملة، دون ربط وجوده بوجود آخر، والوجود كله قائم على الافتقار، ولا يوجد من المخلوقات طرف كامل بذاته، فكيف يخلق وجودا من ليس وجوده أصلا بيده .. ولقد وجد في الذكر جهاز إرسال وفي الأنثى جهاز استقبال ليتم التزاوج من الطرفين فحتى استمرار النسل مشترك وليس بيد واحد منهما .. وهذا يعني بالضرورة أن طرفا ثالثا قد ركبهما ليكتملا وجودا واحدا .. على أنه يشترط في خالقهما ألا يكون له طرفا معادلا وإلا لكان هو أيضا مفتقرا عاجزا ولا يخلق .. بل يجب فيه أن يكون كاملا متقردا واحدا فردا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .. وهو الله تعالى.

- فأنقل إن الطبيعة قد خلقت الأشياء؟

- فأنت تعني بالطبيعة العالم المادي الفيزيائي وقد سبق أن قلنا إنه محدث وإنه لا بد من العلة الأولى لتفسير خلق الأشياء، ثم يا صديقي كيف يخلق العاجز أكمل منه؟ كيف لمادة خرساء صماء لا حياة فيها ولا عقل ولا مشاعر كيف لها أن تخلق إنسانا حيا عاقلا شاعرا .. وفاقده الشيء لا يعطيه .. إننا لننكر أن الطائفة الجماد يمكن أن تصنعها الطبيعة فكيف تصنع إنسانا يضحك ويبكي ويسعد ويفكر ويخترع ويتنازل ويسخر الطبيعة لنفسه ويقهرها لسلطانه دون أن تمتنع .. فأى مأزق في تصور كهذا الذي يكون فيه الخالق أقل شأنًا من المخلوق .. خالق مقهور لا حول له ولا قوة .. ثم تأمل لو بحثت عن أجهزة الإنسان لحار في دقة خلقها العقل، فهل خلقت من غير شيء أم هل خلقها الإنسان؟ قال تعالى : (أم خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) (1).

.. انظر إلى أبسط الأشياء وهو جهاز الاستشعار حين تخرج الفضلات إلى الاثنا عشر كيف تجد جهاز تنبيه يشعرك لكي تذهب لقضاء الحاجة .. كيف عرفت الطبيعة أن الإنسان يحتاج إلى هذا الجهاز؟ .. وما أدراكا بعملية الهضم؟ .. غير آلاف الآيات الإعجازية التي تقول عقلا ومنطقا وعلمًا أن لها خالقا عظيما قادرا سبحانه.

(يتبع).



الشبهة (2)

ب- هل الطبيعة هي التي خلقت الأشياء؟

يقول صديقي:

- أأست ترى الديدان تتكون على الجيف والطعام المتعفن ولم تكن موجودة من قبل؟ .. وترى الأشجار والأعشاب تظهر في صحراء كانت قاحلة كلما نزل المطر؟ .. إنه لدليل مشاهد أن الطبيعة أوجدتها.

- هذا تصور سطحي وتفكير مبسط، فالعلم الحديث يرفض وجود مخلوق من لاشيء كما سبق .. فلو وجدت في وسط صخرة صماء كائنات صغيرة حية فلا يمكن تفسير الكائن الحي علميا إلا بتسلل بويضات مجهرية لاترى بالعين المجردة، عن طريق تسرب الماء أو الرطوبة أو ما شابه ذلك، أما تلك الديدان التي تظهر على الجيف ببساطة هي تلك الجراثيم والمكروبات غير الضارة التي كانت بجوف الحي فتصبح دودا بعد موته وتوقف جهاز المناعة .. كذلك على الطعام المتعفن تضع الذباب يرقاتها فتظهر على شكل دود .. ومثل ذلك ظهور الأشجار والأعشاب بعد سقوط المطر على صحراء من بذور كانت مودعة في التربة أو ساققتها الرياح أو السيول .. وحوصلة الموضوع لا يوجد شيء علميا يظهر من لاشيء على الإطلاق .. ولك أن تجرب هذا بنفسك أحضر إناء نظيفا واحكم إغلاقه ثم اتركه عقودا وافتحه، هل ستجد ظهور كائنات حية فيه؟ بالقطع لا.

- صديقي المؤمن كأنما أوشكت أن تسد عليّ منافذ الحجج .. هل تستطيع أن تقول لي أين هذا الإله إذا كان موجودا؟ .. لماذا لم يظهر علينا ويحسم الجدل؟

- قبل أن أجيبك هل اقتنعت أولا أن هذا الكون المليء بالآيات الإعجازية من دقة تنظيم .. وعظيم إبداع تجعل القول بوجوده عن طريق عبث الوجود كلاما عدما خرافيا يتصادم مع لغة العلم والعقل؟ أم لم تقتنع بذلك بعد؟

- من منطلق احترام العلم وقاعدة السببية سأقول إنك في ذلك تقول الحق، والآن أجبني .. لماذا لم يظهر علينا هذا الخالق؟

-أرأيت لو دلت الشواهد والآثار والروايات على وجود بلد لم تزره ولم تره من قبل، هل كنت سترفض الإيمان به حتى تزره؟ .. هل تجرؤ على نفي وجود أميركا مثلا لأنك فقط شاهدت آثارها ولم تزرها؟ .. ستوصم بالجنون والتخلف، بل لن تجرؤ على إنكار وجود

فيلسوف قديم سمعت به مجرد السماع ولم يقع كتاب من كتبه في يدك مثل أفلاطون؛ لأنك اكتفيت بكلام بعض الرواة عنه؟ وأنت تؤمن بالجانبية لوجود آثارها ولم ترها، وتؤمن بالطاقة الكهربائية ولا تعرف ماهيتها لكنك فقط تجد آثارها، وتؤمن بصانع الهاتف ولم تره لكنه يستحيل ألا يكون له صانع، ولو أنكرت ذلك لكنك لكنت مجالا للتندر والسخرية .. في حين من يقول إن هناك خالقا لوجود أثر خلقه الإعجازية تعكسون الموقف ويصبح عندكم مجالا للتندر والسخرية .. يعني علميون حتى إذا وصلتكم إلى الخالق تحولتم إلى خرافيين عديمين وقتلتم جاء الشيء من لا شيء، وجاء الإبداع من الفوضى .. (قتل الإنسان ما أكفره).

- حسنا .. لكن سؤالي لا يزال قائما .. فلنقل إن الخالق موجود .. فلماذا يحتجب عنا؟

- لأن طبيعة مهمة الخلق يا صديقي مرتبط بالإيمان بالغيب الذي يترتب عليه ثواب وعقاب، قال تعالى في المؤمنين: (الذين يؤمنون بالغيب) وقال: (ليعلم الله من يخافه بالغيب). ودعني أجلي لك الأمر أكثر .. إن الذي أبدع الخلق ليعلم أن الإنسان سيسأل عن تلك القوة الميتافيزيقية التي أوجدها، لذلك أرسل الرسل ليس بمجرد الكتب كما لو وقع كتاب في يدك عن الخليل بن أحمد مثلا ستكتفي به لتؤمن بوجوده، بل أمدهم بنفس شواهد النقرد وبنفس الإعجاز في الخلق ليكتفوا بها عن رؤيته، فماذا ستزيد رؤيته في إيمانهم قال سيدنا علي رضي الله عنه "لو كشف لي حجب الغيب ما ازداد إيماني" لأنه بلغ الذروة في الإيمان .. من هنا أمد الله الأنبياء بالمعجزات التي تقول إن الذي خلق كل شيء بطريقة إعجازية هو الذي أرسل الرسل بالمعجزات نفسها التي نراها ونسأل عن مسببها والتي لا قدرة لمخلوق على فعلها .. فمن يتساءل عن من أوجد الشيء من العدم أخرج الله له من لا شيء ناقدة صالح عليه السلام حية تأكل وتشرب وتحلب.

ومن يتساءل عن عودة الموتى أحياء بعد الموت، أحياء له على يد عيسى عليه السلام أناسا موتى تحللت أجسادهم ..

ومن يتساءل عن خلق النواميس الضابطة للكون والحياة فقد خرقها له من أودع سره فيها فأبطل القوانين التي أودعها، أبطل قانون الإحراق بالنار وجعلها بردا وسلاما على إبراهيم .. وأبطل خواص الجماد وجعل عصي موسى الجامدة حية تسعى .. الخ فمن فعل كل ذلك هو الذي خلق كل شيء بطريقة معجزة وبهذا ينتهي السؤال.

- عذرا شيخ هذه أخبار لا شأننا بها نريد أن نعاين نحن مثل هذه الخوارق، ما لنا وللأقوام الماضية؟.

- اعلم هداك الله أنه لما كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) آخر الأنبياء والمرسلين، جعل معجزته متصلة إلى يومنا هذا؛ ولأنه سيدعي علماء الطبيعة من فيزيائيين وأحياء وعلم فلك الذين وقع أغلبهم ضحايا غرور العلم في عصرنا الحاضر أقول لأنهم سيدعون أنهم وحدهم مصدر تفسير الخلق وأنه لا خالق لهذا الكون فقد جاءت الكثير من مكتشفاتهم الكبرى في الكتاب المشهود خبرا ماضيا في الكتاب المقروء وفي مئات الآيات .. من أطوار خلق الأجنة في الرحم .. إلى بدء خلق الكون وطيه .. إلى مرج البحار .. إلى نشوء السحاب الثقال .. إلى الذرة وما هو أصغر من ذلك كما سموه (الكوارك) إلى إلى .. وبمثل ذلك جاءت السنة النبوية لتقول من يتساءل عن من خلقها هو من تحدث عنها وأشار إليها قبل أن يكتشفها الناس .. وإنما لتحدث عن حقائق قرآنية مستندها النص الناطق بالحقائق، المقرون بالتحدي للتدليل على وجود الخالق لا للتدليل على وجودنا نحن كما يقول العلمانيون وجميع اللادينيين، وإنيك لو اجد هذا في مئات الآيات القرآنية يطول المقام بذكرها هنا ثم لا تكاد تجد تناقضا البتة بين نص قطعي الورود والدلالة مع حقيقة علمية ثابتة، فالذي خلق الكتاب المنظور هو الذي أنزل الكتاب المسطور فكيف يخطئ، ثم إنك لو اجد هذه الآيات الإعجازية مقرونة بالتحدي كما سبق قال تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (1).

(يتبع).



الشبهة (3)

ج- هل خلق الله الخلق ثم انصرف عنه؟

يقول صديقي الملحد:

- فننقل يا صديقي إن الخالق لهذا الكون قد خلقه وتركه وانصرف عنه لشؤونه، لنستقل نحن بشؤوننا وبالتالي لا هدف من الخلق ولا عبادة كما تقولون ولا علاقة للحياة بما بعد الموت .. أليس هذا أوفق؟

- قطعاً ليس هذا أوفق وما هو بمنطق، وكمثال لو أن أحداً أنشأ مصنعا للهواتف الذكية عالية الجودة والدقة والأداء، ثم كلما أنتج كمية منها قام بشحنها بالطاقة ليكبها بعد ذلك في حفرة سماها مقبرة الهواتف، و أرأيت لو أن آخر يزرع بساتين فواكه فيروبيها بالماء ويغذيها بعناصر التربة، حتى إذا استوى نضج ثمرها أمر بقطعها وحرقتها فهل تقبل تصرفاً غريباً كهذا؟ .. إن تصرفاً كهذا لهو تصرف عبثي مجنون، وسيكون صاحبه في ميزان العقل والمنطق كائناً غير سوي، فالغاية من الهواتف ليس مجرد الشحن ولا الغاية من غرس الشجر مجرد الري ومدّها بعناصر النماء، فهذه المنتفعات التي سخرها الله للإنسان لا بد أن تؤدي بوجودها غاية لصالح الإنسان الذي أوجدها، وكل ما حولك لوجوده هدف، الساعة لها هدف .. والسيارة لها هدف .. والنعل الذي تلبسه له هدف، فكيف لا يكون لك هدف؟ .. فالله تعالى لم يخلق الإنسان بهذا الكمال والتقويم الحسن والعقل المهيأ للتكليف لمجرد الأكل والشرب والتنازل ليكب بعد ذلك في مقبرة الوجود بلا مغزى ولا معنى، فهذا في حق الله عبث : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) (1) .. واللعب في حق الله محال: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ) (2).

- فما هي الغاية يا مولانا من خلقنا إن لم تكن هي التنعم بالأكل والشرب وإشباع الذات بالملذات؟

- الغرائز مجرد دافع بهيمي ووسيلة بقاء لغاية عليا حددها المولى في كتابه وهي عبادته: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (3).

1 - [المؤمنون : 115].

2 - [الأنبياء : 16].

3 - [الذاريات : 56].

- وما حاجته إلى عبادتنا إذا كان هو لا ينتفع بعبادتنا كما ننتفع نحن بالهاتف والثر كما ذكرت .. لماذا نعبده إذا؟

- الله تعالى لا ينتفع بعبادتنا، فقد قال "ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيء" (صحيح مسلم) وهو القائل جلت عظمته: (يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (1) فنحن المفتقرون إليه لا هو، فلاتضره معصية العاصي ولا تنفعه طاعة المطيع .. لكن وهو صاحب نعمة الإيجاد، والإمداد، والإرشاد اسمه (الإله) أي المعبود، يخلق العباد ليشكروه بالعبادة لا ليكفروه بالنكران، فهذا يقود غاية الخلق أيضا إلى مجرد العبث وذلك في حق الله محال. والله المثل الأعلى أنت لا تتجب أطفالا إلا رغبة في طاعتهم إياك لا لتلقيهم إلى الشارع بلاهدف، أو ليكونوا عصاة لك، فالله لم يخلق البشر بلا غاية أو لتكون الدنيا غايتهم أو الأنداد معبودهم.

وانطلاقا من حديث موجبات الشكر للمنع هاهم الخلق يعبد بعضهم بعضا حين يظنون أن منفعة كسبية ما ستتحقق بالطاعة العمياء لهذا أو ذك، فكيف لو كان بيد أحدهم نعمة البصر أو السمع مثلا كيف لو قاىض بهما لتكون العبادة والطاعة له؟ من ذا الذي سيمتتع عن ذلك؟ بل هاهم الكثير من الناس يعبدون الأوثان والأشجار والأحجار والأبقار ظنا منهم أنها قد تجلب لهم النفع أو تدفع عنهم الضر .. فكيف بالذي بيده تقليب القلوب وتنفيس الأنفاس وتنظيم الأجهزة على مدار اللحظة، كيف لا يعبد من هو مفتقر إليه في كل شؤون حياته .. لذلك الصلاة لله تبدأ بتكرار (الحمد لله رب العالمين) بذكر الشكر له على نعمه .. هذا هو الالتزام الأمين والطبيعي لأداء حق الخالق من المخلوق.

- لكنه كما تقولون قد خلق البهائم ورزقها مع أنه لم يطلب منها عبادته .. لماذا نحن البشر بالذات؟.

- من قال إنها لاتعبد خالقها بالطريقة التي لا نعلمها (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) لكن عبادة الإنسان لله راقية؛ لأنه خلقه في أحسن تقويم، أي أرقى من البهائم لذلك يوم القيامة تصير البهائم ترابا لأنها لم تمنح عقلا ليكون مناط التكليف، وسيبقى الإنسان المكلف للحساب ثم إما إلى الجنة وإما إلى النار، بمعنى أن سمو خلقه لا يجعل العدم في حقه ممكنا بل سيظل موجودا على كل الوجوه.
(يتبع).



الشبهة (4)

د- دليل وجود يوم آخر بعد الحياة الدنيا

يتابع الرجل الملحد أسئلته بقوله:

- إن وجود حياة بعد الحياة الدنيا ووجود ثواب وعقاب مجرد وهم وتهديد لتخويف الناس بهدف التحكم في حياتهم ولا دليل على وجوده .. أليس كذلك؟!

- كيف تتكر شيئاً أنت تأتيه كل يوم ولا تستطيع منه فكاكاً؟

- كيف؟ لم أفهم.

- أنت كل يوم يتوفاك الله حين تستسلم لسلطان النوم دون مقاومة منك، وحين تذهب إلى عالم آخر في نومك لا يبقى على سريرك سوى جثة هامة، لا تسمع .. لا ترى .. لا تحس .. ولا تعي بمن حولك كالميت، ثم يبعثك الله من نومك في النهار كما يبعثنا يوم القيامة، إنها ممارسة يومية جعلها الله لنا رسالة على حقيقة المعاد قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (1) .. وإنما يبقى جزء من الروح عند النوم ممسكا بالجسد ثم يعود ما انشطر منها بإذن الله ليمنح الإنسان فرصة أخرى للاستقامة في الحياة، قال جل ثناؤه: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (2).

- لكن العلم الحديث وعلماء الطبيعة لا يقرون بهذا الربط الذي تتحدث عنه.

- عن أي علم وعن أي علماء تتحدث؟ علماء الطبيعة للأسف باتوا ضحايا جنون العظمة، ويظنون أن الحديث عن الغيب حديث (ميتافيزيقا) يقدر في العلم التجريبي، مع أن الحديث عن العودة بعد الموت نتيجة عملية بحثية كما ذكرت لك، وكما يقرره قانون البدء والإعادة، فالأشياء تتحول كما يموت الإنسان وتعود كما يبعث، فأنت ترى الماء يصعد بخارا إلى طبقات الجو العليا ليتساقط ماء من جديد .. والأكسجين الذي تحول إلى ثاني أكسيد

1 - [الأنعام : ٦٠].

2 - [الزمر : ٤٢].

الكربون تمتصه الأشجار لتعيده أكسجيناً من جديد .. ومكونات المادة من الذرة إلى المجرة تبدأ حركتها ثم تعود في دورات مكتملة، الشمس تذهب لتعود من جديد .. ومكونات الذرة خاضعة لقانون البدء والإعادة .. والكون كله الذي كان مجتمعا وتعرض للفتق سيُطوى ويعود كما كان مجتمعا من جديد .. والشجرة تخرج منها بذرة ميتة لتعود حية من جديد .. ويخرج من الدجاجة بيضة ميتة ليخرج منها كائنا حيا من جديد، فالذي يفعل كل ذلك هو القادر على أن يعيدنا أحياء من بذور أجسادنا، قال تعالى: (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) نفس القانون (وكذلك تخرجون) .. إنه إنسان شامل قال تعالى : (كما بدأنا أول خلق نعيده) وقال: (إنه هو يبدئ ويعيد) (الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون) (إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ...). فلماذا فقط الإنسان في نظركم يأتي مرورا وينتهي طيفا عابرا وهو أكرم على الله من كل هذه الكائنات الخاضعة لتدوير الوجود؟ كيف تبدأ الأشياء كلها حركة وجودها وتعيد ويفنى الإنسان دون رجعة؟ هذا لعمر ك في القياس عجيب.

- إذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يعيدنا إلى الدنيا أو يتركنا عليها بدون موت ويحاسبنا ويكتب لنا الخلود فيها كما تقولون وانتهى الأمر؟

- أنت كمن يقول ولماذا خلقنا في بطون أمهاتنا ثم أخرجنا منها إلى عالم آخر .. أيها الرفيق الملحد هداك الله وأزال منك حظ الشيطان وسلطان الهوى أنت وأمثالك .. إن الذي خلقنا في بطون أمهاتنا وأودع فينا خصائص لاتصلح للعيش في بطن الأم التي خلق فيها السمع والبصر واليدين والرجلين والأجهزة لا نستعملها في حياة ضيقة فقيرة مظلمة فليس من وراء الحواس في الرحم نفع، بل خلقها الله لحياة أوسع وهي الدنيا، كذلك خلق الله الإنسان حياة أكمل تليق بدرجة سموه .. وقدر طموحاته .. وسعة رجائه التي لاتتسع لها الدنيا الضيقة الفقيرة المليئة بالتدافع والمظالم .. فالدنيا الفقيرة لاتستطيع أن تعطي نعما خالدا لعشرات المليارات من البشر عبر آلاف السنين، وكما أن رحم الأم لم يكن لاتستطيع مواجهة احتياجات فرد من الطعام والشراب فلايمكن لهذا الكويكب الصغير أن يتسع لبناء حتى سجون لمئات الملايين من العصاة والظلمة عبر تعاقب القرون الذين مارسوا الطغيان والإبادات الجماعية .. وإن الله ليكافئ العبد المؤمن في الآخرة بملكية خاصة (جنة عرضها كعرض السماء والأرض) (وفيها ما تشتهي الأنفس) هل تستطيع الدنيا أن تعطيك ملكا كهذا فيه لما تشتهي نفسك { بلا حدود ولا انقطاع؟ .. وإنك لترى في الدنيا فردا مستقيما غادر الدنيا والفقير يحيط به من كل مكان .. أو ضعيفا يموت قهرا من جور الأقوياء وسطوة الطواغيت ثم

يغادرها بلا عدالة ولا إنصاف .. وترى في المقابل شيطاننا في شكل إنسان ظالما متهتكا يرفل في حلل النعيم، ويمسك الدنيا من أطرافها ثم يموت بلا حساب ولا عقاب .. أفتري الذي أحكم فصول حياة الإنسان بتلك الدرجة من الدقة والانسجام يترك آخر فصل من فصول مسرح الحياة ينتهي بلا ربط وتطوى الأحداث بلا عدالة ولا نظام؟ .. كيف يذهب أعظم مخلوق خبط عشواء هكذا فلا يلقي المحسن جزاء إحسانه ولا المسيء جزاء إساءته؟! إن هذا في الضمير والعقل والمنطق أبدا لا يكون.



الشبهة (5)

هل الله ثالث ثلاثة؟

- قلت لصديقي المسيحي: هل تحب أن يكون إلهك حيا أو ميتا؟

- قال: بل حيا كيف أعبد ميتا؟ قلت له:

- لكن إلهكم الذي تعبدونه قد مات على الصليب كما تزعمون يعني صار في حكم الميت. فقال:

- بل إن الأب قد ضحى بابنه يسوع ليكفر خطايا البشر التي توارثوها من خطيئة أبيهم آدم، وفي هذا رمزية محبة وتضحية. فقلت:

- كيف يعالج الرب الخطأ بخطأ؟ وكيف يحمل عيسى وزر غيره؟ ولماذا لم يغفر الإله لآدم أو يعاقبه وكفى؟ هل لو أخطأ في حقك أبناء الجيران تذهب أنت لتعاقب ابنك البريء محبة في أبناء الجيران؟ إن هذا لا يستقيم.

وسؤال آخر:

- هل تحب أن يكون إلهك واحدا أم نظام واحد في ثلاثة؟

- هو عندنا واحد ولكن من ثلاثة أقانيم. قلت:

- إلهكم يا صديقي ليس فقط مشكلة عقلية بل مشكلة رياضية كيف يكون $1=1+1+1$ ؟

- ألسنت تجد في حبة التفاح بذرتين زائدا التفاحة يساوي ثلاثة .. أليس كذلك؟

- لا يا صديقي لا تخلط بين العَرَض والجوهر .. البذور لا تشكل ثلثي التفاحة بل هي

عرض مصاحب، مثلما يصاحب حبة البرتقال أكثر من ثلاثة بذور، ويصاحب حبة التمر نواة

واحدة، ويصاحب الأم جنين أو أكثر، لكن الجنين ليس نصف الأم ولا جزءا من تكوينها بل

هو ناتج عنها لا أصل فيها، أما الأقنومات الثلاثة عندكم فهي ثلاثة جواهر مختلفة تشكل واحدا

يعني ناتج ثلاثة ذوات تساوي ذاتا واحدة .. ثم إن الأب يُعبد والابن يُعبد في حين روح القدس

الذي لم تحسم هويته، يعبد فقط ضمن الفريق مع أنهم متساوون في المنزلة .. مسألة لا تحل

لا عقليا ولا رياضيا ولا حتى تناسبا .. شيء محير! عذرا.

- لكن ألا ترى أن وجود ناسوت إلى جانب اللاهوت أفضل للإنسان من إله متفرد؟

- يعني أنت ترى أن يكون للبشر ممثل داخل الله أو مقاسم الله في تكوينه، هذا أشبه بحورية البحر الشكل الأسطوري الذي رأسها رأس إنسان وبقيتها سمكة، ثم كيف اندمجتم - المسيحيين - مع مشهد الإله التشكيلية، ونسيتم أن عيسى عليه السلام تم التصوير عليه كإله لأول مرة في مجمع نيقية عام 325م أي أنه تم ترقيته من نبي إلى إله برغبة الملك قسطنطين الأول، وإلى الآن لا يستطيع المسيحيون أن يثبتوا على قاعدة: هل عيسى إله، أم هو ابن إله، أم هو واحد من ثلاثة يشكلون المجلس الإلهي؟! ثم الذين يقولون إنه إله، لا يستطيعون أن يجيبوا عن سؤال: من خلق الخلق قبل أو يولد الإله؟! ومن يدير الكون بعد أن صلب الإله (حسب زعمهم)؟! إن الأصل في الأديان أن تأتي بلغة المنطق والحكمة، لا أن تأتي بلغة المجانين وتزيد الناس ضلالا وحيرة.

على أن الذي رقى عيسى إلى مرتبة فوق البشر هو الذي اختصر الأناجيل من 100 إنجيل إلى أربعة أناجيل وبالتصويت أيضا .. وبالتالي التصويت الخطأ الذي حدث لعيسى هو نفس التصويت الخطأ الذي حدث للأناجيل المتداولة اليوم، فلا بد أنه كان هناك أناجيل هي كلام الله وموحدة لله، وكانت أفضل من هذه التي تم انتخابها بالتصويت، ولا بد أن تلك التي تم استبعادها وحرقتها كانت تتكلم بوضوح أن عيسى نبي وليس إله، وأن هناك قساوسة موحدين تم استبعادهم من مجمع نيقية لأنهم عارضوا فكرة التثليث ومنهم (الكاهن آريوس) الذي تبعه جزء من المسيحيين سمو بالأريسيين بعد ذلك وتم اضطهادهم والتنكيل بهم حتى انقرضوا وانقرضت عقيدتهم ..

سؤال آخر هل كان عيسى يعبد الله أم يعبد نفسه؟

- بل يعبد الله.

- فكيف تخالفونه وتتبعون رغبة الملك قسطنطين الأول الذي كان وثنيا ثم تمسح وهم أجداده بصلب عيسى وقتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام كما ذكر، وأراد هو أن يكفر عن خطيئة أسلافه بترقية عيسى من نبي إلى إله، ليبقى جزء من وثنية الرومان ممتدة في شخص عيسى، وتخالفون جميع الأنبياء وكل الأمم التي سبقت عيسى عليه السلام فما كانت تعبد سوى إله واحد وهو الله تعالى ولا يعرفون عيسى الابن الإله نعم لم تعبد الأنبياء ولا الأمم السابقة عيسى، وعليه يترتب السؤال: هل ستذهب الأنبياء بتوحيدها الخالق وحده إلى النار أم إلى الجنة؟

- بل ستذهب إلى الجنة.

- سبحان الله مع أنها لم تبعد عيسى ولم تقر له بألوهية ولا بهذه النبوة، فقد كان العالم مخلوقا من قبل مجيء عيسى ولو كان عيسى هو الإله المعبود لقلنا إنه الخالق فكيف يكون الخالق مخلوقا؟ ثم من خلق الخلق قبل خلق عيسى (الإله) فقد كان يجب أن يكون أولا قبل خلق الأشياء.

ثانيا بما أن الأنبياء عبدوا جميعهم الله وحده وبما أن عيسى نفسه وابن خالته يحيى بن زكريا (المعمدان) الذي عاش معه ولم يعبده بل كلهم ما عبدوا سوى الله فكيف تخالفون أنبياء الله الذين فعلوا ما يرضى الله وسيثيبهم بذلك الجنة؟ .. فإذا كانوا على حق فلا بد أنكم على باطل.

- طيب أستم أنتم المسلمين تقولون إن الله يصلي على نبيكم فنحن نصلي للمسيح؟

- عفوا هذا قياس فاسد بسبب خطأ في فهم اللغة، فكلمة الصلاة من المشترك اللفظي مثل كلمة (عين) يراد بها عين الشيء، والعين التي يرى بها، وعين الماء، والصلاة هي صلة، والصلة من الله الرحمة لعباده ولنبيه، والصلاة من العباد لله الدعاء، والصلاة من الملائكة هي الاستغفار للمؤمنين، يقول الله (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ...) أي الله يرحمكم والملائكة تستغفر لكم وليس يصلون لكم وفرق بين أن الله يصلي على النبي وعلى المؤمنين وبين أن الله يصلي للنبي وللمؤمنين تعالى الله عن ذلك كما أننا نصلي على الميت ولا نصلي له.

وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) أي استغفر لهم يا محمد وليس اعبدهم .. فلا تقع يا صديقي في شرك القياس الفاسد.

- فأنتم تقبلون الحجر الأسود أليست هذه وثنية؟

- ليست وثنية بل هي عبادة لله لأن ما فعله نطيع به الله تعالى لأنه أمرنا بذلك، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخاطب الحجر الأسود: " والله إنني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك " فإطاعة أمر الله ورسوله عبادة لله مهما كان غريبا، تماما كما أمر الله تعالى الملائكة أن تسجد لآدم، وهو بذلك يختبر مطلق الطاعة فسجودهم لآدم عبادة لله وليس عبادة لآدم لأن الأمر صادر من الله لا من آدم .. رأيت لو أمرك أبوك

بخدمة فلانا من الناس وأنت تكرهه قد تخدمه ولكن طاعة لوالديك لا طاعة لمن تكرهه.

وعلى هذا نجيب على شبهتكم في الصلاة لله نحو الكعبة يقول بعضكم إنها وثنية وصلاة للكعبة، ونفس الجواب السابق نحن نصلي باتجاهها لا نصلي لها طاعة لله لا اعتقادا فيها بشيء، مثلما أن قبلتكم أنتم واليهود نحو القدس، ومثلما كانت القدس قبلة المسلمين الأولى أيضا فقولهم هذا تلبيس وتشبيه على الجهلاء.

- وهل تظن أن دين أصحاب الصحراء أفضل من دين أهل الحضارة؟

- لا ينبغي أن تكون الحضارة المادية دليلا على سلامة الفكر، فلا علاقة للتطور المادي بنوع المعتقد، فاليابان تعبد الأصنام وهي درجة أولى في التقدم، على أن ثقافة الغرب غير معقولة فقد مزجت الألوان غير المنطقية فكريا فالذين حملوا عيسى خطيئة آدم هم الذين يكرمون اليوم القاتل بإعفائه من القصاص ويحملون المقتول جريرة ذنب المجرم؛ لأنه أخطأ فيتحملها كما حملوا عيسى ذنب آدم في الأكل من الشجرة، والذين جمعوا بين الخالق، المخلوق في إله واحد هم الذين خلطوا بين الذكر والأنثى في الاختصاصات، وزوجوا الأنثى بالأنثى، والذكر بالذكر .. ويعقدون للبشر على الحيوان .. وهم الذين يعشقون ترديد: (المجد لله في المعالي وعلى الأرض المسرة) ويتغنون بمقولة: (من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الخد الأيسر) وفي ذات الوقت يتعشقون العنف حتى اشتهروا بالمصارعة بين البشر والبشر .. وبين البشر والحيوان .. وهم الذين اخترعوا أسلحة الدمار الشامل لإبادة البشرية، وهم الذين يتباكون على حقوق الإنسان ويرسلون للمستبدين آلات التعذيب وشركات الموت لقمع الشعوب، فالخاط يا صديقي سمة حضارة الغرب ولم يتوقف على الجمع في التصور العفائدي بل والتصور الإنساني والقانوني والسلوكي، فلا يغرنك بريق الماديات الخادعة.



الشبهة (6)

الذات الإلهية بين التجسيم والتعطيل

- أنتم تقولون إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة وتقولون إن الله يدا ويتكلم ويسمع
أليس في هذا تجسيم بالبشر وعدم تنزيه الله عن صفات العباد؟

الجواب:

إن الله الذي خلق الزمان والمكان وصفات البشر وأفعالهم وقوانينهم لم يقيد نفسه بها فهو
تعالى فوق النواميس الأرضية والقوانين البشرية.. وبالتالي عندما ينسب إلى ذاته ما هو من
أفعال البشر وصفاتهم فليس علينا بالضرورة أنسننتها ثم اللجوء إلى تأويلها وصرفها عن
وجهها خوفاً من تشبيهه الله بخلقه، فمثلاً تزمين الأفعال البشرية وظروف مكانها هي ظروف
للمخلوقين لا للخالق، فإذا قرأنا بعض النصوص المخالفة لظروف زماننا نحو قول الله: (وكان
الله بكل شيء عليماً) فلا يعني أن الله قد قيد علمه المطلق بزمن الماضي لأن صيغة الفعل
عندنا ماضٍ، وإذا قرأنا: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ
فَأَخْلَفْتُكُمْ...)⁽¹⁾ في حديث الآخرة لسنا بحاجة إلى أن نقول أراد الله سيقول الشيطان لما
يقضي الله الأمر يوم القيامة .. والقرآن الكريم نزل من اللوح المحفوظ إلى البيت المعمور في
السماء الدنيا كاملاً قبل وقوع كل الأحداث والحوارات (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ)⁽²⁾ فالله عالم بما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وكذلك ما لم ندرکه من حديث المكانية مع الله نحو قوله: (أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ...)⁽³⁾
لماذا نجعل (في) للمولى تعالى مثلها للإنسان فنضطر إلى تأويلها ب(على) خوفاً من احتواء
الظرفية كما تحوي أجرام المخلوقين، فالله قال إنه في السماء نسلم بذلك والظرفية والاحتوائية
والجاذبية وقانون الكتلة قوانين بشرية .. ومنه (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ

¹ - [إبراهيم : 22].

² - [الدخان : 3].

³ - [الملك : 16].

فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ... (1) (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ ... (2) لا موجب لصرف منطوقها إلى معنى لم يقله الله مثل أنه أراد (قدرة الله فوق قدرتهم) و(استولى على العرش) لسنا بحاجة إلى تحريف كلام الله وقهر المعنى بمعنى بعيد أحيانا بحجة الخوف من أن تأخذ الآية معناها البشري فنفيها يعد تعطيلاً لصفات الله ونفياً لأفعاله .. فالله جل في علاه ليس بشراً ولا كالبشر.. نقرأ الآيات كما هي دون تخوض بحجة تنزيه الله والذي يقول إن قوانين المخلوق سارية على الخالق فهو قاصر النظر.

وهذا ما أوقع المعتزلة في إشكالية فقالوا في قوله تعالى: (... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) (3) أن موسى هو الذي كلم الله، من أجل تنزيهه عن أفعال البشر، وقالوا لفظ الجلالة منصوبة على التعظيم وموسى فاعل، إذ افترضوا لو كان بمعنى أن الله هو الذي كلم موسى أن يكون له لسان وشفنتين وجهاز نطق كالإنسان .. ومن قال هذا ومن أوجبه؟ ولما سئلوا عن قوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ...) (4) لم يحيروا جواباً. وعليه سيقنضي قول الله: (وجاء ربك والملك صفا صفا) أن يكون له أقدام بنظرهم يمشي كالإنسان تعالى الله عن ذلك.. الخ.

وللأسف أن هذا التنزيه المزعوم هو عين التشبيه لأنهم يستدعون الذات الإلهية في صورة الإنسان، ونشاط الإنسان، وأفعال الإنسان، ثم يرفضونه وهذا ناتج عن أنهم ما قدروا الله حق قدره.

والأعجب من ذلك أن الأثناعشرية يتفاخرون بأنهم منزهة وأهل السنة مجسمة بقول أهل السنة إن الله استوى على العرش استواء يليق بحلاله، مع أنهم يقولون أي أهل السنة: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة" كما روي عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله ويأخذون على أهل السنة أنهم يقولون ما يروونه عن أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ينزل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير فينادي: هل من

1 - [الفتح : 10].

2 - [الأعراف : 54].

3 - [النساء : 164].

4 - [الأعراف : 143].

سائل فأعطيته؟ هل من مستغفر فأغفر له" هذا كلام الشيعة الاثنا عشرية الذين أصلاً لم يعد الله وجود في حياتهم، حيث يسندون أفعال الخالق وصفاته للمخلوقين فواقعهم أصلاً وثني.

وبسبب هذه العلة العلية والحجة الكلية أسندوا صفات القدرة للأئمة وعطوا الله من صفاته وقالوا لا يصح أن يوصف بأنه عالم ولا جاهل، ولا قريب ولا بعيد ولا أنه يسمع أو لا يسمع .. فإذا كان الله لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم فمن يسمع ويبصر.. إلخ؟ من الواضح أنه الإمام هو الذي حل محل الله لذلك يدورون حول الإمام ويطلبون منه جلب النفع ودفْع الضرر .. وصار المولى تعالى باسم التنزيه أشبه بالوهم .. وضربوا بذلك بنصوص القرآن عرض الحائط، كأنما يعدّلون على الله كلامه ويصوبون له وصف ذاته؟! يكفرون بآيات الله بحجة تنزيه الله عن التشبيه .. أمر عجيب!

والمخرج من غائلة قلب كلام الله أن يقال: هكذا تحدث الله عن نفسه، والله فوق الزمان والمكان، وفوق النواميس، وفوق صفات البشر (... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)¹ نقول (ربنا آما بما أنزلت) بدون أن تتدخل عقولنا في تكييف وتوصيف وتحميل النصوص ما لا تحتمل، وتقويل الله ما لم يقل، وإلا أصبح عندنا قرآن ظاهر وقرآن مترجم بمعان أخرى بعيدة .. والله أعلى وأعلم.



الشبهة (7)

لا وساطة بين العبد وربّه

- إذا كان للحاكم أو المسؤول مدير مكتب بينه وبين العامة للدخول والاستئذان وطلب الحوائج فإله أعلى مقاما ويلزم أن يكون له وكلاء ووسائط من عينة خاصة .. ما قولكم؟.

الجواب:

كيف تسوي بين إله يسمع الجميع في وقت واحد، ويقضي للجميع في وقت واحد، وأقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، وبين مخلوق ضعيف لا يستطيع أن يسمع لاثنين في آن، فمدير المكتب دليل ضعف وعجز وقصور بشري لا دليل عظمة .. فكيف نسوي صاحب المطلقات بمخلوق ضعيف؟

وإذا كان الحديث عن وكلاء تشريع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن بين يدي المسلم كل توجيهات الله في كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم فلا يحتاج لوسيط أبدا .. فلا اختصاص بعلم ديني ولا تكويني لأحد، ولا أسرار تشريعية بين الله وبين أحد من خلقه .. إلا أن يقال بأن العامة بحاجة لعلم العلماء فنعم. أما اختصاص جيني أو بواسطة أسرار خاصة واجتباء خاص فلا وجود لهذا النوع بعد ختم الرسالة المحمدية إذ محال على الله أن يجعل لتعاليم دينه مغاليق مفاتيحها بيد حراس وسدنة وحفظة مخصوصين .. إذا غابوا غاب الدين وإذا حضروا حضر الدين .. وإن جهلوا جهل بجهلهم الناس .. وإذا خلا منهم زمان أو مكان بقيت مفاتيح الشرائع وتفسير القرآن مغلقة بأيديهم لأن الأرض خلت منهم .. فهذه خرافات انتحلها أهل الأهواء الذين أخذوا الدين بالتبعية والإلحاق، وألبسوه رداء الكهانة فنالوا من يسره وسماحته.

ومنهم من افترى على الله كذبا وزين لهم الشيطان أعمالهم فقالوا إن لكل معنى ظاهر في القرآن معنى باطنا لا يعلمه إلا الأئمة فحرفوا الكلم عن مواضعه، وبطلت بذلك أحكام الدين البينة، فقالوا إن الله أراد منها باطنها وإنما جعل ظاهرها للعوام وجعل باطنها للخواص فضلوا بذلك وأضلوا، نعم ربما كان للآية في المتشابهات معان كثيرة مترادفة لا يتناقض باطنها مع ظاهرها ولا تتعارض مع قواعد اللغة بل هي معان إضافية محتملة مثلما نجد في الآيات العلمية الإعجازية التي وجدت للآية معاني معاصرة مثل رتق السموات والأرض وفتقهما وصار من معانيها نظرية النسوء .. أما نحو قولهم إن معنى (مرج البحرين يلتقيان) هما علي وفاطمة بدون قرينة يصرفها عن معناها الأصلي فهو تزوير وغش وافتراء على الله وتحريف

الكلم عن مواضعها لهدم معاني القرآن وجعله غرضاً لأهل الأهواء فليس صعباً على آخر أن يربط معنى الآية برجل آخر وزوجته أو أم رجل آخر وأبيه وهلم جر .. ثم انظر كيف يجر تعسف التأويل إلى تناقضات مضحكة فمن منهما مع هذا التأويل عذب فرات ومن منهما ملح أجاج أي شديد الملوحة غير مستساغ؟

إن الله لن يحاسب الله العباد على تأويلات لا يدعمها عقل ولا نقل كيف وهو يقول: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ⁽¹⁾).

لقد ذكر الله في الآية أنه قد بين للناس ما يتقون؛ لئلا يضلوا، أي لئلا يتسبب خلوه ببيانه للناس في إضلالهم بجهلهم ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات .. وقد بدأت الآية بـ(ما) النافية التي تفيد الجحد، أي إنكار حدوث ترك الناس بلا تبيين من المولى تعالى، فمن أراد أن يستنبط دلالات القرآن وأحكامه أمكنه ذلك، وإن كان من عامة الناس ومواليهم بشروط الاستنباط قال تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)⁽²⁾ وإن لم تكن الآيات مجال التدبر محكمة، قطعية الدلالة فالعلم هو طريق الخوض في كشف ما تشابه منها وليس التخريف واتباع الظن.

والعلم للخلق متاح؛ لكن لأن الكثير من الناس لا يستطيعون التفرغ لتحصيله فقد حث الله على أن يُندب إليه نفر منهم فقال: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)⁽³⁾ والمعنى أن تحصيل العلم غير متيسر لكل الناس؛ لأن منهم من سينصرف إلى مشاغل أخرى، فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة .. وجاءت كلمة (فرقة) و(طائفة) تكرتين لتصدقا على كل فرقة وعلى كل طائفة بلا تقييد .. والآية تشير إلى أن العلم يكون بالسعي والنفرة وليس بالوراثة كيف وهو يقول: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)⁽⁴⁾ كل الناس ولدوا من العلم أصفارا حتى يتعلموا .. ولأن الله عذر غير المستطيعين في السعي لكسب العلم قال: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)⁽⁵⁾ مطلق أهل العلم أيا كانوا .. أما العلم (اللذني)

1 - [التوبة : 115].

2 - [محمد : 24].

3 - [التوبة : 122].

4 - [النحل : 78].

5 - [النحل : 43].

فاختصاص توقيفي على الأنبياء، وما نص عليه القرآن من خوارق العادات مقيدة بأصحابها ولايقاس عليه، وإلا ادعى بالقياس الفاسد من شاء ما شاء.

وبدلاً من اختصاص وسائل ووكلاء يسر الله على عباده جميعاً قراءة القرآن وتدبره فقال: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) (1) أي هل من متعظ؟ و(من) الزائدة تفيد تأكيد عموم الجنس، أي هل من إنسان مدكر أي إنسان، ولا وجود في كل كتاب الله حديث عن ناس اختصهم الله بتفسير كتابه واستنباط أحكامه ولا ينبغي أن يكون ذلك لأن الله سيحاسب الناس على ما تصل إليه عقولهم لا على ما تدركه عقول غيرهم قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (2) الخطاب لأفواج الأمم عامتهم وخاصتهم يسألهم الله يوم القيامة إن كانوا لم يحيطوا بآيات الله علماً سؤال يفيد التوبيخ على إهمال فهم علمه القريب من الفهم .. ولو كان أمر فهم آيات الله وعلم أحكامها خاصاً بأناس بأعيانهم لما سئلوا هذا السؤال فالله لا يظلم الناس شيئاً.

وقال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (3) الضمير لجميع الناس .. إنها آيات واضحة وعشرات أخرى من أمثالها لا تدع مجالاً للعب بكتاب الله .. على أن فكرة الوسائط والكهنة فكرة وثنية، جاءت من سدنة المعابد الذين يتاجرون بأصحاب العواطف الدينية ليزينوا لهم أعمالهم ويأخذوا أموالهم باسم الآلهة الخرساء التي لا تنفع ولا تضر.



1 - [القمر : 17].

2 - [النمل : 85].

3 - [ص : 29].

الشبهة (8)

اختلاف الناس عند مجيء البينات

- أليس الأصل أن البينات تجمع الناس، فلماذا يختلف الناس كلما جاءتهم البينات وطبقا لما ورد في آيات القرآن؟

الجواب:

قال جل ثناؤه : (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ) (1). وتأمل جيدا أيضا في هذه الآيات: (... وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات (... (2) (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ...) (3) (... فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ...) (4) (... فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ...) (5).

هناك آيات قد تستعصي على فهم القارئ المتعجل مثل الآيات السالف ذكرها، إذ المتبادر إلى الذهن أن الناس يختلفون بسبب الجهل وقصور إدراكهم عن بلوغ الحق والتباسة بالباطل، حتى إذا استبان لهم رفع الخلاف ووقع الاتفاق، لكننا نجد في غير موضع أن القرآن يقرر العكس أنهم يختلفون حينما تأتيهم البينات، صحيح أن غالبها في أهل الكتاب ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .. ومما عابته قريش على الإسلام أنه جاء وهم متفقون فلما جاء فرق بين الأخ وأخيه والزوج وزوجه، حتى تواتبت البطون وتداعت العشائر ولم يبق بيت إلا وفيها انقسام.

وتأصيل ذلك: إن من تفرّد هذا الكتاب العزيز أنه يصف الأحداث كما هي، مع أنها قد تكون مظنة للفهم الخاطئ إذ كيف يكون الحق سببا في اختلاف الناس؟ غير أنه يخاطب المتدبرين وما يعقل بعض الآيات إلا العالمون.

إن الاتفاق قبل مجيء الرسالات إن وجد، فذلك لأن الشيطان والدنيا والنفس والهوى في حالة تصالح مع رضا الناس، وفي حالة فراغ نسبي من الاشتغال في الإغواء، إذ لا يتنازع

1 - [البينة : 4].

2 - [البقرة : 213].

3 - [الشورى : 14].

4 - [يونس : 93].

5 - [الجاثية : 17].

أهل الغي على غوايتهم وإن ظهر من تحريش فهو على مصالح جانبية، فهناك ضوابط تم الاتفاق عليها وإن كانت خاطئة إلا أن هذه الضوابط المرعية وفرت الاستقرار .

ويبقى العقل السليم والفطرة السليمة، أمام الانحراف كعبادة الحجر، أو البقر، أو الشجر، أو البشر مصيرتين بالسلطة التنفيذية وهو الميل للهوى ودواعي الغريزة .. والعقل سلطة تشريعية يصدر الأحكام وتقف هنا مهمته، بينما حلقة التنفيذ بيد الهوى والعواطف، فوق أن العقل والفطرة السليمة تنتظران الهداية الإرشادية وهي الوحي لتأكيد صوابية الحكم على الأشياء .. حتى إذا جاءت الهداية السماوية آمن بها العقل وأيدتها الفطرة، وبدأ التنازع يشتد مع رباعي الشر السابق لأن محل النزاع هنا ليس التدافع على مصالح دنيوية بل على تصورات جديدة تتطلب إحداث انقلاب واسع على القوانين السائدة، وفيها حدود كابحة للهوى سادة مسالك الغواية، وفيها رفع لأهل الطهارة بطهرهم وأهل الرسالة برسالتهم وخفض لأهل الهوى بغوايتهم، فيكون وراء الخلاف معركة مفصلية فتثور النفس الأمارة بالسوء أمام المستجد الذي غير مسارها، ويصعب عليها الالتزام بالعبادات على حساب العادات، ويرفض البعض قبول الرسالة بسبب صاحبها كما رفضها اليهود حسدا من عند أنفسهم؛ لأن الذي جاء بها ليس منهم، ويكون ظهير هؤلاء الشيطان فتتشب المعركة بين الحق والباطل، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، وينقسم الناس انقساماً مصيرياً يترتب عليه بقاء منهج وتدمير آخر .. ولذلك كثيراً ما فسرت الآيات سبب الاختلاف بعامل (البغي) (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) إذن فسرت الآيات أن السبب هو البغي لا أن البينات أو العلم هو سبب الاختلاف، فالبيانات دلت على أن الحق مع الرسل، لكن أكثر الناس لا يريدون الإيمان به (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين).

إذن ليس ظهور الحق عند المعاندين عاملاً لإنهاء الخلاف مهما كان أبلجاً، بل عاملاً لاشتداده، ومتى حدث للإنسان إغلاق على موقف باطل لاتنفع معه البيئات ولا كل المعجزات مهما كانت (وقالوا مهما تأتانا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) (ولقد أرينا آياتنا كلها فكذب وأبى) فسيظل أهل الباطل في حالة حرب مع أهل الحق مادامت راية أهل الحق مرفوعة وكلمتهم مسموعة، ثائرين في وجوههم حتى لو هددوا بالعذاب (... فَأَتَيْنَا بِمَا تَعَدْنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ)⁽¹⁾ (... فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)⁽²⁾.

1 - [الأعراف : 70].

2 - [الأنفال : 32].

ولا تطيب نفوس أهل الباطل في التعايش مع الحق لأن ذلك يجعلهم في حكم الواقع خاطئين، ويكرهون أن يروا من يرى نفسه أظهر وحقته أظهر: (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرَيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ) (1).

فضلا عن أن الكثير من المنافع ستتحول، فهناك السدنة، والكهان، ومدعي احتكار الحقيقة، كل هؤلاء ستضيع مصالحهم، فيرفضون الحق وأهله .. وبالتالي ليس نبع الخلاف هو مجيء الحق وأهله، بل هو رفض أهل الباطل للحق، ورفض الشيطان وحزبه، والنفوس والهوى.



الشبهة (9)

سجود الملائكة لآدم

- كيف يأمر الله الملائكة أن تسجد لآدم وهم يعبدون الله من آمام السنين وادم لم يسجد لله سجدة واحدة قط؟

الجواب:

قال المولى تعالى : (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)⁽¹⁾ مسألة سجود الملائكة لآدم مما حارت تجاهه العقول وربما تخوَّض أهل الأهواء فيه .. وقاسوا به قياسات فاسدة .. فأجازوا جواز تعظيم المخلوق كالخالق سبحانه مستدلين بسجود الملائكة لآدم .. وشرَّق بعض الجادين في تفسيره وعرَّب .. منهم من اقترب من السر الكامن ومنهم من اكتفى منها بعلم الظاهر .

وما توصل إليه بحثي حول الموضوع - والله تعالى أعلم- هو أن لذلك مقتضيات ترتبط بطبيعة استخلاف الله للإنسان في الأرض، وهي من عظمة المهمة درجة بحيث لا يملك للعقل سوى أن ينحني إجلالا للخالق سبحانه .. وترتبط كذلك بابتلاء الله لملائكته بمطلق الطاعة غير المقيدة بقيد ولا مشروطة بشرط .. أيا كانت في تصورهم غريبة وعجيبة .. لقد أخبر الله تعالى الملائكة أنه سيستخلف خليفة له في الأرض، فقالوا في أنفسهم فليخلق الله ما يشاء، فلن يخلق خلقا أكرم عليه منا .. لماذا بمنظورهم؟

1 - لأنهم سيفضلون على هذا الخليفة بالطاعة .. فهم يعبدون الله منذ آمام آمام السنين وادم مخلوق جديد.

2- لأن عمرهم الطويل جدا قد أكسبهم علما ومعرفة أشياء لن تصل إلى هذا المخلوق القادم إلا بعد قطع آمام طويلة.

3 - أن طبيعة عنصر الطين الذي خلق منه آدم يقل قيمة عن عنصر النور المحض المنزهة عن كثافة الأجساد .. لكن الملائكة لم تحتاج به؛ لأن ميزان التكريم عند الله إنما هو في التقوى والعلم (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات).

أما احتجاجها بالطاعة فقد قالت: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) (1) أي نحن أفضل منه بالطاعة، ولكنهم لم يصرحوا بالأفضلية بل كتّموا ذلك في نفوسهم وهو قوله تعالى فيهم: (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) (2) أي من حديث أنفسكم بتفوقكم على من عداكم من المخلوقات.

أما إبليس فقد صرح بأفضلية النار على الطين، ولم يحاجج بالطاعة، ولم يكن مصيبا في ادعاء أفضلية النار على الطين، إذ يمكن أن تتحول المادة إلى طاقة ولا تفاضل بين العنصرين .. على أن الإنسان أفضل من الجن؛ لأن في الإنسان عنصرا علويا (ونفخت فيه من روحي) ولذلك تأتي الأنبياء والرسول من الإنسان لا من الجن بهذا الفضل، إضافة إلى أنها معنية بالاستخلاف .. ولقد أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم بعد تمام خلقه سجود تحية واعتراف بفضله، التي جاءت من فضل المهمة التي أسندت إليه - كما سيأتي - وهو سجود تكريم لا سجود عبادة، وربما بقياسنا البشري القاصر كانت الملائكة وإبليس أجدر بهذا السجود من آدم .. فيأمر الله آدم بما أخلصوا له من العبادة والطاعة أن يكرمهم بسجوده لهم، اعترافا منه بسبق طاعتهم لله وفضل قريهم من الله، لكن الذي حدث هو العكس .. فلماذا أمر الله الملائكة وإبليس بالسجود لآدم؟

أولا- لقد أمرهم بالسجود لآدم ابتلاء واختبارا وتمحيصا للطاعة (المطلقة) القائمة على الاختيار العقلي الذي رأوا بعقولهم أنهم الأكرم، ولم يكن يكفي دليلا على الطاعة المطلقة كونهم يسبحون الله ويقدمون بالطاعة القهرية التي فطروا عليها .. فلا بد من اختبار عبادتهم إذن .. هل هي قائمة على الطاعة الاختيارية المريدة أيضا؟ أم على الطاعة القهرية والجبر وحسب؟ وهل هي قائمة على الطاعة المطلقة أم المشروطة بحيث لو لم تستسيغها عقولهم ردوا أمر الله؟ .. فأى طاعة مشروطة لا يقبلها الله .. فلا راد لقضاء الله .. ولا معقب لحكمه مهما بدا غريبا لمحدود تقدير عقولهم، ولقد كانت عبادة إبليس مشروطة بأن لا تتعارض مع موقفه ولذلك فشل في الامتحان، فقال الله: (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ...) (3) فالقضية قضية أمر يقابله طاعة، لكن إبليس لم يلتفت إلى هذا الاختبار وبحث عن مواعمة مقام نفسه، هل هذا المخلوق الجديد يستحق أن يتنازل له أم لا؟ والمسألة قد تتكرر في سر أوامر الله في مواضع للعقل فيها سؤال مثل تقبيل الحجر الأسود والصلاة في مقام إبراهيم، فالتسليم لله هي

1 - [البقرة : 30].

2 - [البقرة : 33].

3 - [الأعراف : 12].

طاعة له لا تقديسا لمن أراد تكريمه، وعلى هذه المنهجية يقول الله على لسان سيدنا محمد: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) (1) على فرض أن الله أمرنا بعبادة عيسى أو اتخذ ولدا - سبحانه وأنى يكون له ولد - فحن بموجب الطاعة سنطيع أمر الله والعبادة هي عبادة أوامر ونواه، ولذلك قال عدي بن حاتم عندما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم: (اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (2) قال فقلت له: أنا لسنا نعبدهم قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ ويحلون ما حرم الله فتحلوناه؟ فقلت: بلى. قال: فتلك عبادتهم (3).

ثانيا- لأن طبيعة استخلاف الخالق لأحد مخلوقاته في جزء من كونه مهمة تكريم وتشريف عالية القدر، قال علماءنا "استخلاف الله لآدم في الأرض يعني تملكه إياها والتصرف فيها بالحق" فلئن تميزت الملائكة بميزات العبادة القهرية فإن الاستخلاف يعني القدرة على التصرف الحر، كجزء من صفات قدرة صاحب التفويض لمن فوضه في التصرف في ما يطاله من الكون ومنحه السيادة عليه؛ فقد أعطي آدم عليه السلام مفاتيح علم الكون المحيط به جميعا، وكشف أسراره وتوظيفها جميعا لما يريد، وصار قادرا على تطويع أي شيء فيه قال تعالى: (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه) (4) .. فهو متروك له علم ما هو نافع وما هو ضار .. وعلم الخير والشر .. والحق والباطل .. والفضيلة والرذيلة .. وتلك هي الأسماء التي علمها الله لآدم، وهو تعليم تأهيل وإلهام كما اختاره بعض أهل العلم؛ ليكون قادرا على التصرف فيها وليس بالضرورة تعليم تلقين .. ولأنه لم يسبق آدم معلم فيأخذ منه لغته وشرائعه وينقلها إلى غيره كونه نبيا ويعلمه أسماء مفردات الحياة ليبدأ في عمارتها فلم يكن سوى الله تعالى يعلمه .. والله يقول: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَّا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ...) (5) فكل إنسان جديد يخلق جاهلا لكنه يجد قبله من يعلمه أما آدم فمعلمه الأول هو الله تعالى.

من هنا فالإنسان كائن معرفي لذلك تعبدّه الله في النظر في مخلوقات السماوات والأرض فكان معرفتها وتسخيرها ضمن مهمة الاستخلاف وهذا سر تعليم الله لآدم علم

1 - [الزخرف : 81].

2 - [التوبة : 31].

3 - رواه الترمذي.

4 - [الجاثية : 13].

5 - [النحل 78].

مكونات الكون وأسراره وهذه درجة سامية، في حين أن الملائكة مخلوقات تمحضت للعبادة والتسبيح، فعلمها محدود بطبيعة محدودية التكليف وهو علم جبري (لا علم لنا إلا ما علمتنا)، فلا علم متصل بإعمار، ولا تدبير، ولا طعام، ولا شراب، ولا صحة، ولا توازن غذائي، ولا العلم النافع من الضار، والخير من الشر، والحق من الباطل .. إلخ فيقتضي تعلمه .. وبذلك يكون قد تميز آدم على الملائكة، بعلم متعدد الأغراض قال الله: (وعلم آدم الأسماء كلها) أودع فيه علم كل شيء من عالم الشهادة، وقال (كلها) لأنه يحتاجها لمهمة الاستخلاف وما يتطلب هذه المهمة، فأراد الله تعالى أن يظهر تفوق آدم عليهم بخاصية العلم الأوسع الذي هو أحد مصادر التكريم، فقال لهم: (انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) أي بهذه النواميس والأسماء والمسميات التي تقتضيه مهمة أعلى من مجرد علوم العبادة القهرية (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (1) .. فعجزت الملائكة عن معرفتها فقال الله لآدم: (أنبئهم بأسمائهم) أي أسماء هذه المخلوقات وقوانين مسرح الحياة التي سيكون خليفته فيها: (فلما أنبأهم بأسمائهم قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) (2) .. فقال الله لهم: (ألم أقل لكم أنني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون).

إن المولى تعالى بهذا قد وضح مراده من خلق آدم ومبرر وجوده وهو الاستخلاف (إني جاعل في الأرض خليفة) ، فهي مهمة جديدة على عبادة الكائنات التي تعبد به بقوة قدرية غير متحولة .. بل عبادة تقتضي الاختيار المتحرر من الجبر، ومن ضمن حرية الاختيار اختيار طريق الجنة بطاعة الله أو اختيار طريق النار بمعصيته (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) .. ثم إن الله أمرهم بالسجود لآدم فسجدوا فتحقق لهم صفة الطاعة المطلقة دون اعتراض، تساوقا مع تقديراتهم الخاطئة .. أما إبليس فلئن أدرك قدر آدم في مهمة الاستخلاف فقد رفض السجود استجابة لعقله وشعوره بتفوق العنصر ورأى أن التفوق يجب أن يكون في أصل الخلق لا أصل المهمة وشرفها، ورفض الطاعة المطلقة لله: (قال أسجد لما خلقت طينا) (3) (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) (4) .. وبهذا الشعور الاستعلائي فشل في إثبات مطلق الطاعة لله، واعتد بذاته عن الطاعة لذات الله، وانساق مع باعث الأنا لا مع الامتثال المجرد من حسابات الذات.

1 - [البقرة : 31].

2 - [البقرة : 32].

3 - [الإسراء : 61].

4 - [ص : 76].

وعود على بدء فقد وجدنا أن التكريم للإنسان نوعان، عام وخاص .. أما العام فهو يتصل بمهمة الاستخلاف الذي هو عبادة أوسع واختيارية لا قهرية .. وهي أفضل من القهر فالملائكة تدخل مع الجماد والحيوان في الطاعة المستسلمة قال الله: (ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ...) (1) .. لذلك فالمطيع لله من بني آدم أفضل من كل الكائنات ومنهم الملائكة، قال تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) لأنه ولد مخيرا بترك الطاعة لله لكنه اختارها اختيارا ذاتيا بناء على المقدمات الموجبة، والقناعات المفضية، فاستحق آدم بهذا أن يكون أعلى مقاما من غيره .. أما التكريم الخاص فهو بين البشر بعضهم ببعض، فالأكرم فيهم عند الله هو الأتقى له، والتقى العالم خير من التقى الجاهل؛ لأن من شأن العلم أن يوصل صاحبه إلى معرفة الخالق سبحانه، ومن يعبد الله عارفا به خير ممن يعبده فهرا جاهلا بمقتضيات العبادة، ولقد كان تفوق آدم على الملائكة بالعلم وكان أحد مبررات تكريم الله له بسجود الملائكة كما سبق، نظرا لمقام العلم الذي هو عبادة مستقلة، وبه يصل المخلوق إلى خالقه قال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (2) (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (3).

وبالعلم وقيمته شرف حتى الكلب، فالكلب المعلم في الإسلام شرف على الكلب غير المعلم فجعل صيد الكلب المعلم حلالا وجعل صيد الكلب غير المعلم حراما وكلاهما كلب، إلا أن الكلب المعلم شرف بشرف العلم.

ويمكن حوصلة ما سبق ونقول إن نقاط التكريم المستحقة للإنسان تمثلت في:

- الاستخلاف، وفيه معنى التفويض.
- التسخير فجعله سيد على الكون أو بالمصطلح الشرعي مؤتمن عليه.
- القدرة على اكتساب المعرفة (العلم).
- الاختيار فهو طلق الحرية غير مجبر، فإن رضي بما رضي الله دخل الجنة وإن كره ما رضي الله دخل النار.
- الأخلاق فهو كائن أخلاقي وهذه النقطة تحتاج لمزيد من التوضيح وهي أن الله أودع فيه الفطرة التي تحسن الحسن وتقبح القبيح حتى جعلها الله الفطرة مقابل الدين فقال: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ

1 - الآية [الحج : 18].

2 - [الزمر : 9].

3 - [المجادلة : 11].

الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ⁽¹⁾ فبدأ بالدين ثم الفطرة وانتهى بالدين كأنها هي مكنون قيم الدين، فغاية الدين هو إقامة العدل على الظلم والخير على الشر والفضيلة على الرذيلة .. إلخ والناس مؤمنهم وكافرهم مجتمعون عليها، وليس كذلك بقية الكائنات لذا فضل الله الإنسان عليها.



الشبهة (10)

دخول أهل الكتاب الجنة

- لماذا لا يدخل اليهود والنصارى الجنة والله يذكر أن اليهود والنصارى والصابئين لهم أجرهم عند ربهم؟

الجواب:

هي شبهة تتردد وسؤال يتداول بين الناس من حين إلى آخر .. توسع بعضهم فيه وذهبوا فيه مذاهب شتى، وليس مما يشكل الإجابة عليه، ولكنه من ضمن أسئلة جدلية تم إسقاطها بهدف إثارة البلبلة والتشويش العقيدي، يجادل فيه البعض بظاهر من القول .. وبعضهم شرعوا لهم فيه من الدين ما لم يأذن به الله باسم تحديث الرؤى، وتجديد المواقف، وإزالة المفاهيم المغلوطة.

وعلى كل لو لم ير أتباع كل ديانة أنهم على حق، وأن الجنة هي من حقهم وحدهم، وأن الآخرين كفار لما بقي لهم دين مستقل، فإذا كان من ضمن إيمان المسلمين أن أهل الكتاب سيدخلون الجنة وأن دينهم حق لا باطل إذن لماذا أرسل النبي محمد بشريعة ناسخة كما قال الله: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) ولماذا أنزل القرآن؟ ولو كان اليهود والنصارى يؤمنون بأن المسلمين على حق وأنهم سيدخلون الجنة فما بقاؤهم على طقوس نسخت برسالة النبي الخاتم؟

لكن أصحاب الرأي (التنويري) الذين تم تنويرهم بنشيد المحبة وأغنية التسامح، ضمن مشروع التبعية والاستلحاق يقولون إن هذا تكفير لا يصح ومجاف للتسامح، وإن أصحاب الديانات السماوية كلهم في الجنة مستدلين بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (1).

وآيات أخرى من مثل: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ...) (2) (وسياتي تفصيل الإجابة عليها بعون المولى).

1 - [البقرة 62].

2 - [المائدة 68].

ونلزمهم الحجة بأن المسلمين يؤمنون أن الديانة اليهودية والنصرانية ديانتان سماويتان .. وأن عيسى وموسى نبيان ورسولان .. وأن التوراة والإنجيل كتابان منزلان من عند الله، صحيح أن المسلمين يقولون إنها منسوخة بدين الإسلام وأن دخول الجنة لا يكون إلا بالإيمان بجميع الديانات السماوية، فهل يستطيع الليبراليون أن يقنعوا اليهود والنصارى بالإسلام ونبي الإسلام من طرفهم؟ فهم يقولون إن المسلمين كفار، ودينهم باطل، ونبيهم كذاب، وقرآنهم مختلق، فكيف يدخل جنة الله من يكفر بدين الله ورسول الله وكتاب الله؟

وتحضرني هنا ما نسب إلى الخديوي إسماعيل أحد أحفاد محمد علي باشا في مصر، عندما دخل عليه شيخ الأزهر، وبابا النصارى، وحاخام اليهود. قال لهم:

- الآن كل واحد يخبرني من منكم سيدخل الجنة؟. قال البابا:

- نحن من سيدخل الجنة وغيرنا في النار. وقال الحاخام:

- بل اليهود من سيدخل الجنة وغيرهم في النار. فقال الخديوي:

- وما تقول يا شيخ الأزهر؟ قال شيخ الأزهر:

- إن كان اليهود سيدخلون الجنة، فسندخل معهم لأننا نؤمن بموسى والتوراة، وإن كان

النصارى سيدخلون الجنة فسندخل معهم لأننا نؤمن بعيسى والإنجيل، وإن كنا سندخل نحن الجنة، فلن يدخلوا معنا لأنهم لا يؤمنون بمحمد ولا بالقرآن.

وقبل الرد على أدلتهم نؤكد من القرآن الذي يستدلون به، أن اليهود والنصارى من بعد مجيء الرسالة المحمدية من لم يؤمن منهم بالله ورسوله وقد بلغه دين الإسلام، وأقيمت عليه الحجة فحكمه في دين الله كافر وهو في جهنم ولن يدخل الجنة .. لسنا نحن الذين نملك مفاتيحها بل الله قال ذلك.

ولآن لنا نقاش قول من قال بدخول أهل الكتاب الجنة وموقف الإسلام من ذلك كرد فعل تأصيلي لا أكثر.

1- هم في جهنم لا في الجنة لأنهم كفار ومشركون بالله، كيف يدخل الجنة كافر بوحداية الله، يؤمن بالتثليث ويقول عيسى ابن الله وعزير ابن الله قال الله: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ...) (1). وقال تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (2).

تأمل جيدا (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ).

1 - [المائدة : 73].

2 - [المائدة : 72].

2- هم في جهنم لا في الجنة؛ لأنهم لم يؤمنوا بواحد من أنبياء الله، وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث بالحق: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...) (1) فمن لم يؤمن به فهو في النار قال الله: (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) (2) قال (ورسوله) فلا يكفيه الإيمان بالله وعدم الإيمان بأحد رسله، ذلك أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعث لكل الناس (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (3) (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) (4) ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » (5).

وجاء النبي الخاتم ناسخا لشريعة من سبق، وليس مرسلًا إلى قومه وحسب، بل جاء بالشريعة الحق التي أمر الله أهل الكتاب باتباعها أيضا فقال: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) قال يتبعون ولم يقل يؤمنون بنبوته وحسب؟ وحدد صفته بدقة والنبوءات (الذي يجدونه مكتوبا عندهم) وفي آية (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) (6) يتبعونه فيماذا؟ قال: (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم) يعني ناسخ للشريعة الموسوية .. وهل هذا يكفي؟ لا. بل قال (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه) أي لا بد أن يوقروه ويحترموا وينصروه؛ لأنه مرسل من الله وليس كذابا فيسيئوا إليه ويشتموه، كما يفعلون وأيضا: (واتبعوا النور الذي أنزل معه) توكيد الاتباع وليس مجرد الإيمان به وبدينه .. ما لهؤلاء إن اتبعوه؟ قال: (أولئك هم المفلحون) (7) وغيرهم بالنتيجة إن لم يؤمنوا به فهم خاسرون.

وأي مسلم لا يؤمن بموسى أو يعيسى أو لايؤمن بالتوراة ولا بالإنجيل، هو أيضا كافر (أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسله) (8) ومن فرق بينهم فقد كفر قال الله: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

1 - [البقرة 119].

2 - [الفتح 13].

3 - [سبأ : 28].

4 - [الأعراف : 158].

5 - (رواه مسلم).

6 - [الصف : 6].

7 - [الأعراف 157].

8 - [البقرة : 285].

وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (1).

وهذه هي العدالة .. هم يكفرون المسلمين تكفيرا عنصريا، لكن تكفير المسلمين لهم مبني على ضوابط الطاعة لأوامر الله الذي أمر باتباع جميع الأنبياء، وقد بشرهم في كتبهم بمحمد وأمرهم باتباعه.

3- هم في جهنم لا في الجنة لأنهم لم يتبعوا الإسلام (دين الحق) حيث جعل الله تعالى هداية اليهود والنصارى معلقة بدخولهم في الإسلام، فقال: (وقل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا) (2) فإن لم يسلموا لم يهتدوا بالنتيجة .. كون المراد بالإسلام هاهنا المعنى الاصطلاحي، أي الدين الخاص بمحمد، وليس بمعنى الدين العام أي الاستسلام، دليله قول الله في أهل الكتاب في [سورة البقرة:137] (فإن آمنوا بمثل آمنتكم به فقد اهتدوا) أي إذا آمنوا بمثل إيمان أتباع محمد أي بالإسلام فقد اهتدوا وقال: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ ۗ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (3) أي هو في جهنم من يعادي محمدا ويتبع غير سبيل المؤمنين.

4- هم في جهنم لا في الجنة لعدم اتباع القرآن الكتاب (الحق) المصدق لما بين يديه من الكتاب (ومهيمننا عليه) .. (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَبِيلًا وَأَصْلَحَ بِهِمْ) (4) وقال: (... وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقَّ ... (5)).

وفي سورة المائدة: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله) (6).

قوله: (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) أي معترفا بكونه كتابا سماويا، لا كشرعية انتهت ونسخت بشرعية الإسلام .. و(هو الحق) هو الحق الثابت وغيره باطل لأنه منسوخ. لذلك دعا إلى قتالهم طالما لا يقيمون شرعية الإسلام ولا يدينون دين الحق كدول مستهدفة للدين؟ معلنة الحرب: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا

1 - [النساء : 150].

2 - [آل عمران : 20].

3 - [النساء : 115].

4 - [محمد : 2].

5 - [الرعد : 1].

6 - [المائدة : 48].

حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ⁽¹⁾ ولكن بفقهاء الجهاد وطرقه وحدوده وضوابطه وفي وجه المعتدين.

5- كيف يكون اليهود في الجنة وقد لعنهم الله .. وغضب عليهم .. وضرب عليهم الذلة والمسكنة .. وجعل منهم القردة والخنازير وباؤوا بغضب من الله .. وذلك لقتلهم الأنبياء .. وقولهم: (إن الله فقير ونحن أغنياء)⁽²⁾ .. وقالوا: (يد الله مغلولة)⁽³⁾ .. (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)⁽⁴⁾ .. (أرنا الله جهرة)⁽⁵⁾ (وَبِكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) (6) (... كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ^٥ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا^٦ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)⁽⁷⁾.

** الرد على أدلتهم:

الصحيح أن الله إنما يتحدث في الآية التي يستدلون بها على من آمن بالله قبل الشريعة الناسخة، وليس بعد ظهور الرسالة، أو أنها تتحدث عن كانوا من أهل هذه الملل ثم آمنوا بالنبي محمد كعبد الله بن سلام وإنما سماهم يهودا ونصارى وصابئين مع أنهم قد أسلموا باعتبار ما كان، وهذا استعمال مجازي وارد في القرآن.

وأما ما ورد في القرآن أن منهم من يؤمن بالله ويتلون كتابه فهو على وجهين:

- يؤمن بما فيه من البشارة بمحمد وما جاء من الآيات التشريعية الموافقة لشريعة الإسلام، وعدم كتمها وهو المقصود بمطالبتهم أن يقيموا التوراة وأن فيها حكم الله .. أي فيها ما يدل على أن القرآن من عند الله وأن مصدر الدين واحد، وفيها حكم الله في التصييص على النبي الخاتم، ولا يعني بهذه الآية الاكتفاء بدينهم وكتابهم وشريعتهم، ولقد جاء ذكر النبي الخاتم في أنجيل وأسفار كثيرة بصيغ وصفات تقود إلى علامات لا تتعداه إلى غيره ففي سفر حبقوق: "الله جاء من تيماء والقدوس من جبل فاران" (3:3) تيما منطقة شمال المدينة المنور والقدوس الرسول وفاران المراد بها مكة.

1 - [التوبة : 29].

2 - [آل عمران : 181].

3 - [المائدة : 64].

4 - [المائدة : 24].

5 - [النساء : 153].

6 - [النساء : 156].

7 - [المائدة : 64].

وفي سفر التكوين: "الترفع البرية ومدنها صوتها. الديار التي سكنها قيذار لتترنم سكان سالع من الجبال ليهتفوا" (25:13) قيذار الابن الثاني لإسماعيل عليه السلام الذي جاء من نسله محمد، والتوافق يجعل المراد بجبال سالع هو جبل سلع في المدينة المنورة محل هجرة النبي عليه الصلاة والسلام.

وفي سفر أشعيا: "هاتوا ماء لملاقة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزة" (12:14) العطشان الهارب هو النبي صلى الله عليه وسلم حين هجرته إلى المدينة والمراد بتيماء منطقة وحيدة تقع شمال المدينة.

وفي إنجيل يوحنا (14:16) عن عيسى عليه السلام لقومه: "وأنا أطلب من الآب فيعطيك معزيا آخر ليملك معكم إلى الأبد" المراد بالمعزي النبي محمد يملك معكم إلى الأبد هي الرسالة الخاتمة.

ومن بشارات سفر الرؤيا: "ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا بجواد أبيض والراكب عليه يدعى الأمين الصادق الذي يحكم بالعدل ويحارب" (آية 11) ولم يسم أحد من الأنبياء بالنبي الصادق سوى محمد صلى الله عليه وسلم.

وجاء في سفر نشيد الإنشاد الآية (16) وبعض الأسفار اسم (محمد) باللغة العبرية وكلمة (بم) كلمة مدحية⁽¹⁾.

هذه هي الآيات التي طلب الله من اليهود والنصارى إقامتها ولو أقاموها لدخلوا الإسلام ولأكلوا من فوقهم ومن تحتهم أرجلهم.

أما أنه أضافهم إلى أهل الكتاب ولم يضيفهم إلى الإسلام في نحو قوله: (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) فذلك باعتبار ما كان .. وله نظائر منه (... فَاَمَّنْتُ طَائِفَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ...⁽²⁾) نسب إيمانهم وكفرهم إلى الأصل، والمراد من أسلم منهم كعبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيد، وأسيد بن سعيد، وأسيد بن عبيد. ومنه (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه)⁽³⁾ فنسب هذا الرجل الموسوي في الدين إلى آل فرعون في النسب باعتبار الأصل، وأضافه إلى آل فرعون لأهمية أن يكون من عشيرة الملك من يشهد بالحق ويشهد بكفر قريبه.

1 - النصوص الواردة عن موسوعة الويكيبيديا العالمية.

2 - [الصف 14].

3 - [غافر : 28].

*الترحم على الكافر:

بعض العلماء المحدثين ذهب إلى القول بدون روية إلى جواز الترحم على الكافر الجيد معلوم الفضل والخصال الحميدة، وأن الرحمة ستعني التخفيف عنه من العذاب:
والجواب: أولاً- لا ينتظر غير المسلمين من المسلمين التكرم عليهم بالترحم لأنهم أصلاً يرون المسلمين كفاراً فكيف يتقبلون هذه المجاملة بالترحيب؟ فلو لم يؤمنوا أنهم أفضل من المسلمين وأن المسلمين هم الذي سيذهبون إلى النار لكانوا آمنوا.

ثانياً- التخفيف عن الجيدين من الكفار في عقيدة المسلمين لا تعني رحمتهم، إذ من رحمه الله أدخله الله الجنة قال تعالى: (مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ...) (1) ثم إن الجنة أصلاً مترتبة على الرحمة لا على الغفران وحده ولا التوبة فهي أخص منهما حتى للمؤمن لذلك نجد الغفران والتوبة ثم الرحمة (غفور رحيم) و (تواب رحيم) فليس العفو ولا التوبة ولا العمل استحقاق للجنة بل رحمة الله، ومن رحمه الله لا يعذبه فلا يجتمعان، والرحمة مكتوبة للمؤمنين وحسب قال تعالى: (... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) (2) وكانت الرحمة هي الفوز العظيم قال تعالى: (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (3) والرحمة هي الجنة: (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (4) أما الكافر فيأيس بعمله يوم القيامة من رحمة الله: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (5).

أما التخفيف عن الكافر المحسن فلا يكون بالرحمة بل بالعدل فالله يقول (ليسوا سواء) ويترتب عليه أن الجزاء لا يكون سواء لذلك جهنم على دركات والجنة على درجات، وهذا أساسه العدل، أما الرحمة فشيء آخر هي مطمع المؤمن وحسب.



1 - [الأنعام : 16].

2 - [الأعراف : 156].

3 - [غافر : 9].

4 - [آل عمران : 107].

5 - [العنكبوت : 23].

الشبهة (11)

حقيقة عذاب القبر

- يقول الموظف حالياً لنشر الشبهات المستشار سابقاً وضابط المخابرات المصرية أحمد ماهر بعد تصحيح أخطائه الإملائية : "ولا يذكر القرآن شيئاً اسمه عذاب القبر . . ويقول إن العذاب مؤجل ليوم القيامة، فيخترع أهل الحديث ما يسمونه عذاب القبر، بل ويلوون معاني عنق آيتين من كتاب الله ليصلوا لمبتغاهم".

الجواب:

نفس المنهج التشكيكي الذي يحمله ماهر وغير ماهر كعلي الكيالي يخرج من مطبخ الشيعة عموماً فالمدرسة واحدة والهدف المشترك يصب لصالح زعزعة الثوابت ونقول وبالله التوفيق:

أولاً- من ذا الذي يقطع بأن القرآن لم يذكر عذاب القبر؟ .. ومن قال إنه من اختراع المحدثين؟ بل إن إنكاره من اختراعكم معشر المحاربين للمسلمات.. والقول بأنه لا يوجد عذاب في القبر أقل ما يقال عنه أنه قول مرجوح وضعيف أمام الأدلة الأوضح والأبرز .. من ذلك:

1- قال تعالى: (وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدواً و عشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب) (1) فبيّن الله تعالى أن آل فرعون يُعرضون على العذاب صباحاً ومساءً مع أنهم قد ماتوا، وأن هذا العذاب قبل يوم القيامة كما يظهر من العطف بالواو التي تفيد المغايرة، وليس هذا العذاب إلا عذاب القبر، وهذه الآية من أصرح الأدلة القرآنية في عذاب القبر.

2- وقال تعالى: (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ...) (2) وهذا خطاب لهم عند الموت، وإخبار لهم أنهم سيذوقون في يومهم عذاب الهون، ولو كان هذا

¹ - [غافر: 45].

² - [الأنعام: 93].

العذاب متأخرا إلى قيام الساعة لما صح أن يقال لهم (اليوم تجزون) فكانت دليلا على إثبات عذاب القبر.

وقال تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (1) فمع قبض الملائكة لأرواحهم يبدأ العذاب بضربهم على وجوههم وأدبارهم ويقال لهم ذوقوا عذاب الحريق.

3- وقال تعالى: (سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) (2) فالعذاب الأول المذكور في الآية الكريمة هو العذاب في الدنيا، والعذاب الثاني هو عذاب القبر، وهاتان هما المرتان السابقة للعذاب العظيم، ثم قال تعالى: (ثم يردون إلى عذاب عظيم) ، وهذا عذاب يوم القيامة.

ثانيا- لا أدري ما مرد هذا الميل نحو تنويم العصاة والكفار في القبر بالذات مع أن الله أخبرنا أن المؤمنين أيضا ينعمون في الجنة قبل يوم الحساب، فلماذا يأخذ الكفار حكما مغايرا قال تعالى في شأن دخول المؤمنين الجنة بعد وفاتهم: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۚ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (3).

وقال الله تعالى في حبيب النجار الذي قتل دوسا بالأقدام من قومه وهو يدعوهم إلى الله: (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۗ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۖ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) (4) قال (قيل ادخل الجنة).

وقال لنا المولى إن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون: (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) (5).

وقال: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (6).

فإذا كان المؤمنون يدخلون الجنة والشهداء في الجنة أحياء غير أموات عند ربهم يرزقون فكيف صح نعيم المؤمنين ولايصح عذاب الكافرين قبل يوم القيامة؟ أين وجه الإنكار

¹ - [الأنفال 50].

² - [التوبة: 101].

³ - [النحل 32].

⁴ - [يس 26-27].

⁵ - [البقرة 154].

⁶ - [آل عمران 169 - 170].

في ذلك؟ .. ولأصحاب هذا الفكر المزاجي .. لماذا تقولون لأولياء أمور قتلاكم إنهم في الجنة الآن قبل قيام القيامة؟ أليسا أنه لا عذاب قبل حساب؟ يقاس عليه لاجزاء قبل استلام الكتاب باليمين والنجاة على الصراط.

ويصرخ علي الكيالي لا عذاب قبل الحساب، كيف يعذب الله أقواما قبل أن يحاسبهم؟ ونحن نسأله إن كان قد مر على آيات تشير إلى نزول العذاب على المجرمين في الدنيا قبل الآخرة، منها الغرق ومنها الصاعقة، ومنها الريح العاتية، ومنها الخسف، ومنها الحجارة، ومنها جعل عاليها سافلها عليهم .. إلخ أليسا هذا أيضا عذاب قبل الحساب؟ الله تعالى سماه عذابا وفي آيات كثيرة منها: (وَكَايُنْ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا) (1) (... وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) (2).

نترك بقية الاستدلالات لما ورد من فتوى للشيخ الدكتور يوسف الرخمي في المسألة من الأحاديث النبوية وكذا الرد على أدلتهم قال: "إثبات عذاب القبر ونعيمة هو عقيدة سائر طوائف أهل السنة والجماعة، ولم ينكره إلا بعض المعتزلة والجهمية والخوارج، وبسبب خلفية الاعتزال التي ينتمي إليها كثير من أتباع المذهب الزيدي دخلت عليهم هذه المخالفة لنصوص الكتاب والسنة في هذه المسألة.

وأما الأدلة من السنة فهي أكثر صراحة ووضوحا، وقد بلغت حدّ التواتر، وهي من الكثرة بحيث لا يمكن إيرادها كلها بهذه العجالة، وهذه إشارة لبعضها:

1- في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة".

2- وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه".

3- وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال".

¹ - [الطلاق : 8].

² - [التوبة : 26].

4- وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فذكر فتنة القبر التي يُفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمون ضجَّةً.

5- وقد امتن الله على الشهداء بأن أجارهم من عذاب القبر؛ كما روى الترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه" إلى غير ذلك من النصوص.

وقد أورد المخالفون شبهات كثيرة تشغيبا على هذه النصوص الصريحة فأوردت أشهرها وأجبت عليها:

1- قوله تعالى: (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يُؤفَّكون)⁽¹⁾. قالوا: كأنهم كانوا نياماً فاستيقظوا من نومهم، فلو أنهم كانوا قد عذبوا في قبورهم لشعروا بذلك.

والجواب عليهم من نفس الآية، وهو قوله: (كذلك كانوا يُؤفَّكون) فلقد كذب الله دعواهم في ذلك، ووصف قولهم بالإفك وهو الكذب، وأنهم (كانوا) أي في الدنيا يكذبون، وهام في الآخرة يكذبون أيضاً.

2- ومن شبههم: قوله تعالى: (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون، قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)⁽²⁾ والشاهد من الآية أنهم لما بُعثوا من قبورهم قالوا: من بعثنا من مرقدنا؛ أي مضجعنا، دلَّ ذلك على أنهم كانوا في نوم ولم يكونوا في عذاب.

والجواب: أن هذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ فإنهم لما رأوا الأهل يوم القيامة كان ما مضى من عذابهم في القبر بالنسبة له كالرقاد والمنام لشدته وهوله.

¹ -[الروم:55].

² -[يس: 51 - 52].

3- ومن شبههم: أن عذاب القبر من مسائل العقيدة والغيب، ولا يقبل فيه إلا نص قطعي لا آحاد.

والجواب: أن هذا باطل، فمسائل العقيدة كغيرها من المسائل يقبل فيه القطعي والآحاد، ومن ادعى التفصيل فعليه بالدليل، ومن جهة أخرى فإنه يجب عليهم على مذهبهم الإيمان بعذاب القبر، فلقد سبقت آيات عذاب القبر من القرآن، والقرآن قطعي من حيث ورود، ودلالاتها بمجموعها قطعي في إثبات عذاب القبر، وأما من السنة فالنصوص ورودا متواترة معنويا في إثبات عذاب القبر لمن له أدنى إمام بعلوم الحديث وطرقه، والمتواتر من أقسام القطع، ودلالاتها قطعية كما هو ظاهر لأحاديها ولمجموعها، فثبت القطع في نصوص الكتاب والسنة دلالة وورودا، لكل منها على حدة ولمجموعها معا.

أقول: أما هل العذاب في القبر واقع على الروح أم على الجسد أم على كليهما؟ أيا كان الأمر فالأهم أن هناك عذاب قبر قبل يوم الحساب .. والمسألة مسألة نصوص وليس آراء مجردة.



الشبهة (12)

الرد على شبهات (علي البخيتي) في زلزال تركيا وسوريا

ظهر علي البخيتي المجرم - بناء على قانون ازدياء الأديان - يشتم الذات الإلهية في مقطع على اليوتيوب، إثر وقوع الزلزال في تركيا وسوريا في 2023/2/6، واصفا المولى تعالى بأنه - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا - قاتل ومجرم، وأنه يستعرض قوته على الأطفال والنساء مع أنه - والضمير يعود إلى الله - يقول إنه رحيم .. وأنه كان عليه أن يقول للناس إن هناك زلزالا سيقع .. ولماذا يطلب من الناس أن تعبده وعنده مليارات المجرات؟ .. واستمر بصفاقة أسلوب وضحالة فكر يلغ بذاءات ضد دين المسلمين، ولأن لهذا المتسكع بعض الضحايا من العوام فقد وجب الرد عليه وعلى النحو التالي:

الجواب:

أولاً- هذا يأتي من ملخص كلام الملحددين حول طبيعة الحياة وقوانينها وهي لماذا وجد في الدنيا ألم، وابتلاء، وزلازل، وبراكين .. إلخ؟ وهي أغنية الملاحدة التي نسمعها دائما ومنهم البخيتي ولماذا لا يكون فيها فقط اتجاه إجباري وهو الخير بلا شر والعدل بلا ظلم .. إلخ ونقول لهم: إن هذا حقا موجود في عالم الملائكة، فهم في وضع الجبر على حياة واحدة، لا شر فيها، وليس لديهم حرية الاختيار؛ لأنه لا تعدد في عالم أحادي الاتجاه، بل طاعة الله في التزام الطريق الإجباري المرسوم .. ولكن بمنطق الملاحدة أيضا سيقولون إن الجبرية تعني إلها متسلطا، ونريد الحرية واستخدام عقولنا ولماذا يخاف من الحرية؟. حسنا! ولكن تحقق الحرية واستخدام العقل لا يكون إلا بوجود تعدد الخيارات في كل شيء، ومنها الخير والشر، والحق والباطل و(اللذة والألم) فكلها واقعة في إطار طبيعة الثنائية الضدية التي تتيح الاختيار وهي التي تشكل طبيعة الحياة قال تعالى: (... وَنَبَلُّوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ...) (1) وقال: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (2) فالدنيا محك اختبار أي الطريقين يريد الإنسان: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (3).

1 - [الأنباء : 35].

2 - [الإنسان : 3].

3 - [الملك : 2].

إن الحياة رواية تحكي صراع الخير والشر، وما من رواية ولا قصة ينسجها الإنسان إلا وفيها جدلية الصراع والتدافع بين الحق والباطل والصدق والكذب، والعدل والظلم، والفضيلة والرذيلة.. إلخ ومن أجل هذه الجدلية نشأت المحاكم، وسُنّت القوانين، وتواضع الناس على محددات يسيرون عليها عند اختلافهم وصراعهم، فكيف يجعل الملحد من الشر الذي هو من خصائص الابتلاء والتكليف في الحياة دليلاً على عدم وجود خالق؟ إن من أبجديات فهم الحياة أنها قائمة على الحرية كما سبق.. والحرية تقتضي الاختيار.. والاختيار يقتضي تعدداً.. والتعدد بني على طريقين متضادين في كل شيء.. هل فهمت أيها الملحد الغبي هذه البديهة؟!

على أن بحرية التفكير الممنوحة يمكن التخفيف من الألم، فكما استخدم الإنسان العقل واخترع الطب لرفع معدل الأمن الصحي يمكن أن يستخدم عقله في رفع معدل الأمن ضد الكوارث الطبيعية، التي هي ضمن قدر الله العام، أي ضمن سنن الحياة المودعة، فكما يعتل الإنسان فإن الأرض تعتل واعتلال الأرض يكون بحجم الأرض.

ولقد بات معروفاً الأماكن الأكثر أنشطة للزلازل، والبراكين، والأعاصير، والفيضانات فلماذا لا يقوم الإنسان بدوره في إنشاء العمران المقاوم للكوارث المحتملة مثلاً والله يقول: (ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة) ويقول في الحفاظ على النفس: (ومن أحيائها فكأنما أحيأ الناس جميعاً) فلزم دفع الأقدار بالأقدار، إذا كانت الزلازل مقدره فدفع أضرارها مقدر أيضاً، فسحق الأطفال ولأبرياء تحت الأنقاض أول من يحاسب عليها المهندسون والمصممون.

لكن البخيتي يحمل الخالق ما كان يجب على المخلوقين ويطالب الخالق أن يفكر للخلق ويخبرهم عما سيصيبهم "لماذا لا يخبر الناس إذا كان عالماً؟" ولو أن الله فعل ذلك لعطل عقول الناس، وسلبهم طاقة البحث والإبداع وعادت الحياة الجبرية.. ففي حين سخر لهم الحياة خاطبهم في مئات الآيات أن يستخدموا عقولهم فيها، ويبدلوا الأسباب ومنه: (وقل اعملوا) (فأتبع سبباً) واحترم الإسلام القدرات العلمية والبحثية (أئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم) (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك...) (وما يعقلها إلا العالمون).

ثانياً - هل الله قاس على الخلق كما وصفه هذا الإناء الفارغ؟

الجواب :

- لولا رحمة الله ما استقرت الأرض بطبيعة خلقها على قرار قط، هذا الكوكب الذي يجري بالناس على مدار اللحظة جعله الله قراراً رغم سرعته وحركته قال تعالى: (أَمَّنْ جَعَلَ

اللَّأَرْضَ قَرَّارًا ... (1) وثبتها بالجبال حتى لا تميد وتضطرب (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) (2) (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) (3) (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم) (4) (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ...) (5) أسأل علماءك الذين وصيت الناس بالاستماع لكلامهم و فقط ما فائدة خلق الجبال؟ لقد ذلها بذلك لعباده فقال: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ...) رغم سيرها وركضها الدائب التي تقطع في كل ثانية 30 كم، ورغم حركة براكينها الداخلية، وتصادم صفائحها، وانزلاقات قشرتها، والناس بينون على ظهرها ناطحات السحاب، والجسور العملاقة، فمن ذلها ووضع الأوتاد يا غاوي إلحاد؟ هل هم علماء الطبيعة؟ وما في يدهم أن يعملوا سوى اكتشاف بعض قوانين أودعها الله فيها ولا يستطيعون لها تحويلا.

- ومن رحمة الله أنها تمر مئات السنين ولا يشعر الناس بغير الأمن والأمان، ثم تحدث هزة هنا أو هناك، وهي بالنسبة للهزات التي تحدث في البحار والمحيطات للتنفيس عن طاقتها ونتيجة تصادم أو تباعد الصفائح لا تكاد تذكر، وهذه طبيعة الحياة قائمة على الثنائية الضدية، ولو شاء الله أن يخلقنا عالما ملائكيا لما أعجزه ذلك، ولكنه طلق التصرف في خلقه، وإن لم يدرك سنن الحياة وقوانينها ملحد مخبول فتلك مشكلة قصور إدراكه.

لقد كانت رحمة الله بالناس عظيمة حتى جاء الإنسان يا بخيتي وأفسدها ولوثها بعوادم السيارات والمصانع، وغاز الميثان والإشعاعات النووية، هل يستطيع الملاحدة نخالات العقول أن يلوموا أمريكا وأوروبا على جرائمهم في حق البيئة التي تسببت في تغيير المناخ والفيضانات والأعاصير والجفاف (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ⁶ هؤلاء يصنعون وجودهم المجهرى باستعراض جرأتهم على الرب الرحيم فقط؛ لأنهم يعلمون أنه يمهل ويغفر حتى يأبوا هم إلا اختيار دخول جهنم حقهم المكفول في اختيار ما يريدون؟ .. وهاهو هذا المزهو بطلاوته وحلاوته يشتم من صورته وهو في بطن أمه، ويتركه ينام ويعيش آمنا ولا دور له في قلب أجهزته وتنفيس أنفاسه، لا دور له سوى استعراض القدرة على إطلاق البذاعات والتجاسر على شتم دين مليار ونصف مسلم وكأحط إسفافا من أولئك الذين يسيئون لرموز المسلمين في الغرب، وإنما يفعل ذلك لأنه يدرك أن الله رب رحيم يمهل عباده لعلهم يثوبون إلى رشدهم. لقد أمن العقوبة فأساء الأدب.

1 - [النمل : 61].

2 - [النازعات : 32].

3 - [النبأ : 7].

4 - [الأنبياء : 31].

5 - [النحل : 15].

6 - [الروم : 41].

إن الملحددين ليحسون أقدار الخلق العارضة ولكنهم لا يحدثوننا عن سحق المجرمين لعشرات الملايين من الأبرياء .. كم قتل طاغية الشام؟ كم قتلت أمريكا في العراق وكم سحقت بأسلحة الدمار البشر والشجر والطفل والمرأة في اليابان وغيرها؟ كم أفنى أسياده من البشر في حربين لا غير؟ والمجرمون لا يرون لقتلاهم قيمة لكن شهداء الله لهم عند الله قيمة وفضل، فمواظك الإنسانية الحنونة التي تعاتب الرب فيها ليس من باب الفرادة والاتحاف، بل من باب عرض مواهب الكفر بالخالق لنيل الإعجاب ممن يديرون ويصفقون.

ثالثاً- رغم كل هذه التدابير الإلهية الحافظة لهذا الكوكب إلا أن الناموس الإلهي يسري على كل نعمة، فهي سارية على قرار الأرض كما هي سارية على نعمة الصحة، فما تدوم اللذة والاستقرار إلا ليعقبها الألم .. طبيعة الحياة الدنيا هكذا، فلا ينجو منها لا مؤمن ولا كافر حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم يبتلى بالإيذاء وبالحصار والتجويح لمدة ثلاث سنوات، ثم في هذا الحصار يقبض الله أحب الناس إليه زوجه خديجة رضي الله عنها التي كانت تواسيه بمالها ودفء حنائها وكذا بموت عمه الذي كان يذب عنه أذى المشركين ثم يبتليه بموت جميع أبنائه في عهده إلا فاطمة رضي الله عنها. ويأتي طاعون عمواس (وباء) فيحصد الصحابة حصداً بعد أن أبلوا بلاء حسناً في تثبيت أركان الدين، وكان ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد الفتوحات العظيمة التي أخزت امبراطوريتي الاستعمار الجاثم على العرب والدول المستضعفة.

فماذا يعني ذلك؟

إن الحياة لا محالة تنتهي بالفناء، فالإنسان ميت في النهاية لكن الفرق هو كيف يموت وإلى أين سيذهب؟ عند الملاحظة أن حياة الإنسان فرصة واحدة لا تتكرر، وهو فيها دابة سائمة تبحث عما يملأ غرائزها، وماله مأل جيفة حمار بلا قيمة ولا هدف ولا مغزى .. أما رحمة الله فقد جعلت من الموت طريقاً إلى مقام الرفعة والفضل والنعيم الخالد، فالميت على فراش الهرم ليس كالميت بأقدار عارضة راضياً بأقدار الله فهذا ينال درجة الشهادة ومنهم الميت بالهدم ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله".

ومن وقعت بهم الكوارث والجوائح والأمراض فإن الأصل أن يوكلهم الله إلى عقولهم في مواجهتها لكن الله يعطي عباده المؤمنين الصابرين (جنتُ عدن يدخلونها ومن صلح من

آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (1).

فاصطفاء المؤمنين بالموت شهداء هو بفسلفة الفكر الإسلامي نعمة وليس قساوة، وأن يموت الإنسان سحفا كما قال هذا الإناء الفارغ، أو غرقا أو حرقا فبقدر البلاء يكون الجزاء، وفي النهاية هو موت، المهم أن من أخذ الله راضيا بما قضى قد نجح في الاختبار، وليس المهم كيف كان الاختبار قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (2).

ولقد رأينا كيف كان الناجون يلهجون بعبارات الرضا والتسليم والخضوع لله، وليس من شك أن من اختارهم الله إلى جواره منهم هو بنفس درجة التسليم فهنيئا لهم هذا المقدم على الله.

نعم من غريب فلسفة الملحدين أنهم يشترطون إيصال النعم إليهم من الله غير منقوصة، وأن يتركهم يختارون عصيانه، وارتكاب الفجور والمحرمات، والفساد في الأرض وإن قتل مثل هتلر، وموسولوني، واستالين يجب أن يساويهم في النتيجة بالصالحين من عباده، وإلا فهو رب غير موجود، إذ كيف يكون ربا رحيفا وهو لايسوي بين الناجحين والفاشلين والمستقيمين والمنحرفين؟ هذا رب قاس .. وجل من هذا قوله: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (3) (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (4).

لقد كان البخيتي إلى قبل خطوتين الناطق الرسمي (باسم الله)، فأصبح الناطق الرسمي باسم الشيطان مرة واحدة؛ لأنه كما يبدو انتظر من الله منصبا أكبر في جماعته، فلم يجد ما اشترط على الخالق فذهب يبحث عن إله آخر يمنحه الامتيازات المطلوبة، ووجده هناك في أرصفة النخاسة حيث تباع المبادئ مقابل دور الأدوات الاستعمالية الرخيصة.

رابعا- من رحمة الله أنه يرسل الآيات تخويفا لعباده، وتحذيرا من التماذي في عصيانه، والفساد في الأرض بتغيير قوانينها التي أودعها الله فيها، حتى لا يفاجؤوا بعذاب أشد يشمل الأرض كلها، من زلازل، وبراكين، وخسف، وأعاصير، فتجتاحهم الجوائح ويتركوا دنياهم في

1 - [الرعد : 23-24].

2 - [البقرة : 155-157].

3 - [القلم : 35-36].

4 - [صد : 28].

لحظات إلى أخرهم ليجدون أعمالهم توزن دون سابق تجربة وإنذار اقرأ سورة (الزلزلة، والقارعة، والواقعة) وغيرها من السور التي تصور مشاهد اليوم الأخير قال تعالى: (... وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) (1) لعلهم يرجعون (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (2).

وعلى صعيد الدنيا فإن الإهمال واللامبالاة قد تقود إلى نتائج أكثر هولاً ورعباً قال تعالى: (ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) (3) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه التحولات الطبيعية كعلامة من علامات الساعة التي تستلزم الحذر منها ففي البخاري عن أبي هريرة: "لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض".

فهذه الرسائل رحمة لأنها تذكير بأوضاع أشد إن تمادوا في فسادهم وإفسادهم .. ولقد كانت الأعاصير في أمريكا تمر مرورا عابرا، ثم أخذت من عام إلى آخر تشتت ضراوة وكان في رسائلها السابقة كفاية للتعاضد.. فالمسألة خضوع للقوانين التي أودعها الله في الطبيعة وليست في أنها تضرب العاصيين وحسب كما يقول العوام فهي تنزل بالجميع، فلو كانت المسألة بهذا التصور لم يكن السوريون المشردون بأذنب من غيرهم.

وعلى صعيد الآخرة فإن من عدل الله أن يري أكابر مجرميها قوته الآخذة بناصية كل شيء قبل أن يتدحرجوا إلى أمهم الهاوية قال جل ذكره: (وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (4) وذلك حتى لا يأتي العبد ويحاجج ربه على شيء لم يخطر على باله ولم يكن ضمن إدراكه فهي من باب إقامة الحجة، ولعذاب الآخرة أشد وأخزى فهذا التحذير من رحمته ومن عدله وليس من قساوته، أيها الملحد المبتدئ الذي يعلم الله ماذا يجب عليه أن يفعل وأنت رأس في السماء وذيل في الماء.

أخيرا يتساءل هذا الغاوي إلحاد لماذا هذا الرب يطلب من العباد أن يعبدوه أليس غنيا بمئات المليارات من المجرات؟

1 - [الإسراء : 59].

2 - [الروم : 41].

3 - [الملك : 16].

4 - [السجدة : 21].

الجواب: أو لا الله غني عن عبادة الناس (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ...) (1) ...
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (2) (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ...) (3) لا
تضره معية العاصي ولا تنفعه طاعة المطيع.

2- نذكرك أن هذا يمليه طبيعة الابتلاء في الدنيا وحرية الاختيار فإما أن تختار عبادة الرحمن والجنة، أو تختار عبادة الشيطان والنار..ومن ذا الذي أجبرك على عبادة الله؟ (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا...).

على أنه شرف للعباد أن يكون ربهم صاحب المطلقات الذي يمدهم كل لحظة بما لا يعد ولا يحد من النعم، فالناس هم المحتاجون إلى الله والله هو الغني (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (4) وأي شرف أشرف من أن يعبد المخلوق خالقا بيده مقاليد كل شيء، المشكلة في أن يعبد متسكعون آلهة بشرية أو يعبدوا الشيطان أو يعبدوا عرضا منتهيا فهنا السؤال.

نسأل الله أن يهدي علي البخيتي الذي أتعب الناس مؤمنا وأتعبهم كافرا .. وأن يمنحه نعمة الإدراك والبصر والبصيرة .. ونسأله تعالى أن يرحم القتلى ويشفي الجرحى ويلطف بعباده .. وهو الهادي إلى سواء السبيل.



1 - [الزمر : 7].

2 - [آل عمران : 97].

3 - [التغابن : 2].

4 - [فاطر : 15].

الشبهة (13)

لماذا يعذب الله عباده العذاب العظيم؟

لماذا يعذب الله الكافر ذلك العذاب العظيم .. أليس الله رؤوف رحيم؟

الجواب:

القاعدة تقول إن الجزاء يكون على قدر العمل، فإذا اتفقنا أن الله عظيم، ونعمه على العبد عظيمة، ودينه دين عظيم، فإذا أقيمت على العبد الحجة وبلغته رسالة الرسل، وعرف آيات الله وآمن بها قلبه ثم كذب بكل ذلك بلسان حاله ولسان مقاله، فقد اختار هو نفسه عذاباً عظيماً .. فعصيان الرب العظيم وجحد النعم العظيمة لا بد أن يكون جزاؤه بنفس قدر فعله وهو العذاب العظيم.

وللتوضيح أكثر فإن من يخون أمته ودولته، فقد تجاسر على الغدر بذي مكانة عظيمة لدى الناس فإن العقوبة الدنيوية الأنسب له هي أعظم عقوبة وقد جعلوها الإعدام كما تفعل الدول والحكومات وربما لو كان ثمة عقوبة أشد منها لطبقوها .. ولو أخذ الخائن عقوبة أخف إذاً لنظر فيها استهانة بمكانة الوطن والأمة، وتصرف ينم عن إهدار واجبات المواطن تجاه وطنه الذي تربي فيه وتغذى من خيراته وهذا خلاف المنطق .. فكيف بمن يكفر عن هوى بمن هو صاحب الإيجاد والإمداد، والإرشاد، كم عسى أن تكون خيرات الوطن على من خانته واستحق بذلك أشد العقوبة؟ أمام فضل الله على العبد هذا الوطن لو شاء لغيره بوطن آخر وعاش فيه وقد لا يخسر شيئاً ذا بال إن لم يربح بتركه.

لكن نعم الله لا تحوّل عنها إن الله الذي خلق هذا الجسد هو أحق بطاعته، خلقه في أحسن تقويم وبأجهزة لا تحد ولا تعد وبعناية لحظية مباشرة ليس للإنسان فيها دور .. فإذا اختار أن يعبد غير خالقه ويشكر غير رازقه فإن عدم تغليب العقوبة في حقه هو استهانة بنعم الله وبمقامه الذي لا يعلوه مقام.

ثانياً- نعم. قال الله: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) لكنه ختم الآية بالإنذار (إننا اعتدنا للظالمين ناراً) فمن اختار الكفر فقد اختار النار ولم يعبأ بطبيعة المآل ومنها العذاب العظيم، وحرية الاختيار صورة من صور تكريم الله للإنسان فلم يخلقه مجبراً كسائر المخلوقات فالكافر عن علم بكفره مثله مثل إبليس الذي اختار أن يعصى الله وهو يعلم بأنه

الخالق وأنه معذبه عذابا عظيما لكنه اختار العصيان وذلك شأنه.. انظر إلى فرعون كيف جاءت تسع آيات إعجازية فكفر بها كلها قال المولى (ولقد أرينا آياتنا كلها فكذب وأبى) لقد اختار أن يستمتع بطيباته في حياته الدنيا عن الآخرة وتكبر على الله كما تكبر إبليس فذلك شأنه كابليس.. ولو أجبر الإنسان على الطاعة لعاد السؤال بصورة معكوسة لماذا يخشى الله من خلقه فيجردهم من حرية اختيار مخالفته أليس غنيا عنهم وعن إيمانهم؟! فليتركهم أحرارا ثم ليضع العقوبة التي يستحقها من يعصيه.

ثالثا- مع أن الله مستحق لعبادة الشكر على ملايين النعم التي تضافرت على إيجاد حياة آمنة ومثالية للإنسان إلا أنه أعد لمن اختار طاعته الثواب العظيم الذي يليق بكرم رب عظيم، ترغيبا لهم وليضيق عليهم مسالك اختيار طريق جهنم وإذا كان ذلك جانب رحمته وفضله فإن جانب عدله يكمن في أنه تكلم في كتابه في المقابل عن خطورة اختيار المال الآخر المفضي إلى النار وفصل الحديث عن العذاب كثيرا جدا وصوره تصويرا مخيفا مرعبا، وعدّد صفاته ومظاهره ومدته وشدته، وحذر من ذلك أشد التحذير، وأن هذه الحياة فرصة لا تتكرر فعلى الإنسان أن يحسن اختياره ويشفق على نفسه من مصير رهيب مفعج فعل ذلك حتى لا يحاجّوه يوم القيامة في حجم الهول الذي يجدونه لو تركه غيبا محضا، فلماذا لم يؤثر كل ذلك في تغيير موقفهم ويختارون ما فيه فوزهم وفلاحهم؟

رابعا- قد يقال إنما يختار الإنسان عصيان ربه لأنه لا يقدر حقيقة ذلك المال فليعطهم إن أدركوا ذلك فرصة العودة لتصحيح موقفهم.

والجواب على ذلك: أن الله قد قال أنه لا عودة بعد حياة الابتلاء، وثانيا قال (...وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (1) أي أن القصة لن تعالج بالتجربة فسينسون كما نسوا نعيم الجنة وقد كان أبوهم فيها، وسينسون كما نسوا الإقرار بوجود الله في عالم الأرواح قبل أن يولدوا قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (2) قد يقال فذلك حدث لم نعد نذكره. والجواب: الحجّة في حضور الوعي حين الإقرار وليس في أنه نسي فكم من الأحداث ينساها الإنسان ولكنه يظل مسؤولا عنها حين فعلها بوعي ولا يسقطها النسيان بالتقادم .. وهذا الإشهاد صورة من صور عدل الله كأنه قال لنا ها أنا موجود ألسنت بربكم،

1 - [الأنعام : 28].

2 - [الأعراف : 172].

فأقروا وقالوا بلى. ومن ذلك أنه تعالى عرض على الإنسان حمل أمانة الطاعة فقبلها بعد أن أبت السماوات والأرض حملها، فقد يقال كان يقتضي عدل الله أن يخيرنا في أن نحمل أمانة الاستخلاف أو نأبى قال الله: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (1) فكل هذه التدابير تجعل عذاب الله استحقاقا ويعزز صفة رحمة الله بعباده وأنه لم يعذبهم إلا بعد أن أخذ عليهم المواثيق بعدم عصيانه.

خامسا- النفس والهوى والشيطان والدنيا نوازع للشر، لو أمن العبد العقوبة لتعاضم الشر أكثر وأكثر، فشدّة عذاب جهنم رادع لكبح جماح شرور الإنسان، ولو علم الشرير أنه عذاب مما يحتمله الإنسان لما آمن أحد بالله.. وهناك من قتل الآلاف ومنهم من قتل مآت الآلاف وتلذذ بالجريمة وتفنن في الفتك بالخلق، وهو فوق هذا يهزأ بمن خلق ويشتمه ويدنس مقدساته كيف يتصور أن مثل هذا يعذب بالقدر الذي لو أفلت منه وعاد إلى عالم الابتلاء لعاد لما كان عليه وأشد لأن الإنسان كما قال الله ظلوم كفار، ولتحدى خالقه مرات ومرات، والله هو الجبار المنتقم لا يستغفل ولا يقهر بل هو الفاهر فوق عبادة، فهو يمهل الظالم ولكن إذا أخذه لم يفله، وبقدر رحمته يكون عذابه (اعلموا أنّ الله شديد العقاب وأنّ الله غفورٌ رحيمٌ) (2) وبين هذا وذلك لا يظلم الناس مثقال ذرة كما قال جل شأنه (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) (3).



1 - [الأحزاب : 72].

2 - [المائدة : 98].

3 - [الزخرف : 76].

الشبهة (14)

عدم إجابة الدعاء

- في القرآن أكثر من آية تؤكد استجابة الله لمن يدعو لكن ما أكثر ما ندعو ولا نجد إجابة؟ كيف تفسرون ذلك؟

الجواب:

ما من دعاء إلا ويستجيب الله للعبد ما لم يكن فيه قطيعة رحم، قال النبي صلى الله عليه وسلم " إن ربكم حيي كريم يستحي أن يرفع العبد يديه فيردهما صفرا لا خير فيهما... " (1) قال تعالى : (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ...) (2) وقال (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (3).
لكن كيف تكون الإجابة؟ هنا السؤال. فليس كل ما يهدف إليه الداعي من الدعاء سيجده بعينه بالضرورة لماذا؟ سنجيب على ذلك في موضعه، أما نوع الإجابة فهي واحدة من ثلاث:

- إما أن يستجاب له في دعائه المعين.
 - أو أن يدفع الله عنه من البلاء بمثله.
 - أو أن يؤجل الله له أجره في ذلك إلى يوم القيامة.
- وفي هذا وردت النصوص.

أما لماذا لا يستجيب الله للعبد عين ما أراد أحيانا فلذلك عدة أسباب:

- إما أن يدعو العبد وهو غير واثق بالله ولا موقن بالإجابة.
- أو أن يدعو بدعاء فيه فساد وقطيعة رحم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما على الأرض من مسلم يدعو بدعوة إلا أعطاه الله إياها، أو كشف عنه من سوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم " (4).

1 - صحيح الألباني.

2 - [النمل : 62].

3 - [غافر : 60].

4 - رواه البيهقي وأحمد وغيرهما.

- أو أن يستعجل الإجابة ويضع القدر موضع الصراف النقدي كلما دعا وجد النتيجة عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد، ما لم يدع بائثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل» قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: «قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»⁽¹⁾.
- أو أن يجعل الدعاء غرضاً لتحصيل الأمانى دون بذل الأسباب؛ لأن الله اشترط الاضطرار فقال: (أم من يجيب المضطر) فمتى بذل العبد الأسباب ولم يتحقق له الخير فالتجأؤه إلى مسبب الأسباب لجوء المضطر وقمين أن يستجاب له.

وهنا يقع الناس في الاشتباه .. كيف لا يستجيب الله لدعاء العالم الإسلامي بأكمله وفي ليلة القدر أن الله ينصرهم على إسرائيل؟ مثلاً، حتى لقد انتهزها بعض المشككين فرصة في خسارة فريق المغرب الرياضي أمام الفريق الفرنسي في تنافس دخله فيه البعد الحضاري والتاريخي وكانت الرغبة كبيرة في وصول الفريق المغربي إلى المباراة النهائية في مونديال قطر عام 2022م ونشط المسلمون في الدعاء غير مدركين أن الله تعبد العباد بالأسباب، ولو كان الدعاء وحده يكفي لم يكن الصحابة ليتعرضوا للابتلاءات، ولا للقتال، ولا للهجرة، كان يكفيهم حملات تضرعات وصلوات خاشعة ودموع ساكبة ويحصلون على الانتصارات المطلوبة.

ويغفل السذج هذا البعد ويتشككون في معية الله ويتساءلون أيعقل أن يجتمع المسلمون على دعاء تسكب فيه العبرات، وتطلق فيه الزفرات، وتعلو التضرعات ثم تكون النتيجة لاشيء؟ .. فأين الله؟ بل السؤال: أين أنتم؟ الله تكفل بنصر من ينصره فبماذا نصرتموه؟ ألم تقرؤوا (وقل اعملوا) (فأتبع سبياً) (اعملوا آل داود شكراً)؟ وغيرها كثير .. نعم اعملوا وادعوا تأت النتيجة .. ولو كان الدعاء وحده يكفي لما غرس الناس شجرة، ولا بنوا مصنعا ولا وضعوا حجرا على أخرى .. ولماذا يعملون وكيفهم حملات الدعاء الجماعي ليحصلوا من الله على ما أرادوا وبكلمة كن فيكون.



ثانياً - شبهات وردود في:

قضايا القرآن الكريم

الشبهة (15)

المُحْكَمُ وَالمُتَشَابِهُ فِي القُرْآنِ

- لماذا لم ينزل القرآن كله محكما كالرياضيات فلا يختلف فيه الناس؟

الجواب:

يقول الله في شأن القرآن الكريم: (... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (1).

هذه الآية الكريمة تحدثنا عن أن في القرآن الكريم متشابهها، وهو هنا بمعنى الاشتباه وليس التماثل، إذ إن الآية تشير إلى حمل أهل الأهواء لها بهدف إفتان الناس في دينهم. مثلما أن في القرآن آيات محكمات وهي التي تحمل وجها واحدا في التأويل، وهذه الآيات تتصل بالفرائض التي سيسأل الله عنها العباد يوم القيامة، كالعقيدة، والصلاة، والصيام، والمواريث، والحقوق والواجبات، قال تعالى: (... وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ...) (2). وأخر متشابهات بمعنى أنها حمالة أوجه كما قال سيدنا علي رضي الله عنه فتحتمل من التأويل غير وجه، وسنجيب بعون المولى عن سر وجود هذه الآيات المتشابهات تاليا، ولماذا لا تكون محكمة كالحقائق العلمية فلا يختلف فيها اثنان؟

هذه الآيات المتشابهة يمكن أن تقرأ من زاويتين، زاوية المؤمنين الذين يبحثون عن ما في دقائق فروقها وغموض إجمالها من أسرار .. وزاوية (الذين في قلوبهم زيغ) وهم الذين يبحثون في الآيات المتشابهة عن محامل توافق أهواءهم كما يدعون، وذلك للتلبيس على الناس وإضلالهم بها، وتوظيفها لمآربهم الذاتية قال الزمخشري رحمه الله في تفسير الآية: "ابتغاء الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم، وابتغاء تأويله وطلب أن يؤلوه التأويل الذي يشتهونه).

وهذا يفسر وجود فرق كلامية ونحل مختلفة أحيانا في الوجةة والتفكير، وكلها تستدل بالقرآن، هذا يستدل بالقرآن، وآخر يحاججه بآيات أخرى معارضة لأدلته.

1 - [آل عمران : 7].

2 - [الأنعام : 119].

ولذلك أمثلة كثيرة منها قول المولى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ...)⁽¹⁾ في مقابل (إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ)⁽²⁾.

وقوله: (... إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ...) ⁽³⁾ في مقابل (... أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ...)⁽⁴⁾.

وقوله: (... اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ...) ⁽⁵⁾ في مقابل (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ...) ⁽⁶⁾.
وقوله: (... يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...) ⁽⁷⁾ (... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ...) ⁽⁸⁾.

وقوله: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) ⁽⁹⁾ في مقابل (وما يعلم تأويله إلا الله) وغير ذلك من الآيات.

لا تذهب بعيدا فتظن أن في الآيات تعارضا حقيقيا، بل تعارضا ظاهريا، وهذا يدلنا على أن تفسير القرآن لا يؤخذ مجزءا على الإطلاق .. وقد ندد الله بهذا الأسلوب أي أخذ الآية المشتبهة والاستدلال بها بمعزل عن مقابلها، قال: (كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)⁽¹⁰⁾ قال الطبري رحمه الله أي "جعلوا القرآن فرقا متفرقة" فقسموه وجعلوه أعضاء مجزأة وأخذوا منه بانتقائية، ومنه يظهر الاختلاف بين الناس، بل ومنه تظهر الفرق الهدامة، لذا يلزم في تفسير المتشابه أن يفسر مستقرا، مستحضرا الأشباه والنظائر لمعرفة سياقاتها وظروفها .. ويؤخذ منه أن الخوض في الآيات المتشابهة هو شأن العلماء الراسخين في العلم الذين ذكرهم الله في نهاية الآية: (...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ...) ⁽¹¹⁾ على قراءة من وصل بالعطف.

1 - [الأنعام : 103].

2 - [القيامة : 23].

3 - [الأعراف : 28].

4 - [الإسراء : 16].

5 - [آل عمران : 102].

6 - [التغابن : 16].

7 - [النحل : 93].

8 - [الكهف : 29].

9 - [القمر : 17].

10 - [الحجر : 90-91].

11 - [آل عمران : 7].

فرغ الاشتباه يكون بإجراء المقارنات بين آيات ظاهرها التعارض، فينظر في سياق كل آية وما فيها من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد .. وما ذكره العلماء من المفسرين وأهل اللغة الخ.

على أن الأمر يتجاوز مسألة التعارض الظاهري إلى تعدد التوجيهات في الآية الواحدة نمثل لذلك بقول الله: (... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (1) هذا حكم خبري يحمل في ظاهره العموم، فيدخل تحته كل من يحكم بغير ما أنزل الله .. فقاضي يقضي بغير الشرع هو بظاهر الآية كافر .. ووالد يجور في القسمة بين أولاده معارضا لنصوص الشرع كافر، وحاكم لا يقيم حدود الله كافر، وهلم جرا .. وانتهى بهذا التأويل الحديث عن العصيان بل كله كفر في كفر .. وبهذا كثرت ظاهرة التكفير .. فأين (فأولئك هم الظالمون) (فأولئك هم الفاسقون) ولماذا تكررت مختلفة في نفس السورة؟.

أما العلماء المحققون فقالوا لا يكفر المسلم بتعطيل أحكام الله وهو مقر بها وإنما تركها تجوزاً أو تأولاً أو جهلاً، إلا أن يؤمن بعدم صلاحيتها مثلاً، معتقداً بطلانها، أو أن يكون حاكماً فيغير حال أهل الإيمان بحال أهل الكفر كأن يأمر بتعليق الصلبان، وتغيير القبلة وتسمية الأبناء بأسماء الكفار .. الخ.

والسؤال هنا لماذا وجدت هذه الآيات المتشابهة التي ذكر الله أنها موجودة في القرآن، وأنها قد تحمل على ظاهرها لفتنة الناس؟.

الجواب: لو نزل القرآن كله محكما كالنتائج العلمية الثابتة لكان فيه إلغاء لنشاط فكرنا، ولكان كل التلقي تفكيراً مركزياً جبرياً لا دور معه للعقل وعبادة التأمل والاستنباط .. فانه احتراماً لقدراتنا العقلية، وتعبداً لنا بإعمال النظر ترك آيات للبحث والاجتهاد وهي تلك التي تحمل معاني مترادفة لا متناقضة، فالاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد.

وثانياً- لو كان لكل آية معنى مغلق لما واكب القرآن حقائق وظروف كل زمان ومكان، فهو بهذا الغموض متجدد العطاء، مترادف المعاني لا تنقضي عجائبه.

(يتبع...)



الشبهة (16)

التعارض الظاهري في بعض آيات القرآن الكريم

- هناك ما يوحي بوجود تناقض في بعض الآيات مع آيات أخرى كيف يكون الجمع بينها؟

الجواب:

نعم هناك آيات كثيرة توحى بوجود تعارض مع بعضها في الدلالة، فضلا عن اتفاق في المعاني واختلاف في ترتيب المباني، وهذا كثير بشكل ملفت نحو (قال الملأ الذين كفروا من قومه ...) و(قال الملأ من قومه الذين كفروا ...) ودراستها تسفر عن فروق دلالية مبهرة مراعية للسياقات المختلفة، غير أن هذا الجانب ليس مجال دراستنا هنا، بل عن ما يظهر من تعارض دلالي حكمي وطبقا لمناهج المفسرين يمكن التمثيل للجمع بينها بنحو التوجيهات التالية:

1- مثل قوله جل ثناؤه: (لا تدرکه الأبصار) وقوله لموسى عليه السلام: (لن تراني) في مقابل: (إلى ربها ناظرة).

أولا الإدراك غير النظر الظاهر، فالإدراك يأخذ معنى الإحاطة بكنه وجوده، وجلال عظمته، وليس هذا للمخلوقين .. يدعم هذا التوجيه قول قوم موسى عليه السلام بعد أن رأهم فرعون وجنوده: (إنا لمدركون) أي سيتمكنون منا، مع أن الرؤية البصرية قد تحققت للطرفين فالإدراك أكثر من الرؤية المجردة، فالله (لا تدرکه الأبصار) بمعناه الواسع منها الإحاطة بكنه ذاته وكمال صفاته، أما النظر الظاهر فنعم.

ثم إن قوله: (لن تراني) حديث متصل بأمر الدنيا كون السياق في حيزها، ذلك أن لكل من الدارين خصائص خلق مختلفة، فنظر الدنيا غير نظر الآخرة قال الله عن الآخرة: (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أي دقيق وقال: (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ...) أي ما أقوى سمعهم وبصرهم يوم يأتوننا يوم القيامة، فبصر الآخرة من الاستعداد لرؤية الخالق غير الدنيا .. فقوله: (إلى ربها ناظرة) نص في الحديث عن النظر إلى الله يوم القيامة، والآية التي قبلها في سورة القيامة تقول: (وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة) قوله (يومئذ) أي يوم القيامة، يؤكد هذا المعنى أيضا قوله عز وجل في الكفار: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) حكم من الله بحجب الكفار عن نعمة النظر إلى سبحات وجهه العلية، وهو ما يعني أن الرؤية نعمة اختص بها الله المؤمنين في ذلك اليوم .. ويعزز مبدأ الرؤية أيضا

الأحاديث النبوية الصحيحة والمتواترة .. ويؤكد ذلك العقل، فالرؤية دليل وجود من نؤمن بوجوده فينتقل الإيمان من علم اليقين إلى عين اليقين، وإذا كان الإيمان بالغيب ابتلاء الدنيا فهو شهادة الآخرة، كما قال في شأن النار للمتشككين الغافلين: (ثم لترونها عين اليقين) فلن يستمر الغيب غيبا .. بل إن هناك رأيا وجيها ومقبولا وهو أن الكفار سيرون ربهم يوم المحشر ثم يحجب عنهم بعد ذلك، ولذلك يقول الكفار بعد رؤية الغيبات: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) (1) أي: أبصرنا وسمعنا ما كان غيبا وتيقنا من وجوده، وهذا عدل من الله يوم القيامة إذ كيف يخلق ويميت ويحيي ويحاسب كطرف ثم يستحيل تحقق وجوده للطرف المدان، هذا سيُبقى للكافر مقالا للمحاجة .. لو كنت موجودا لرأيتك. أولم يطلب أبونا إبراهيم - عليه السلام - تحقق كامل الإيمان بالمعينة ليزيل ما بقي من الشك فقال: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ...) (2) ؟ أما هل في هذا تجسيم؟ فهذا سؤال من قاصر التفكير إذ إن الحديث الثابت هو حدوث الرؤية، أما الكيفية فليس لأحد أن يكتيف، فمن يقول إن فيها تجسيما فقد حكم على الغيب بمعرفته الدنيوية القاصرة، فالله أعلم كيف ستكون وكيف يكون؟ هذا علمه عند الله .. لكننا لا نلغي نصوصا قطعية الورود قطعية الدلالة باجتهادات وتمحلات صارفة لينتهي المولى وهما في غيب لا يدرك باسم التعظيم.

2- قوله جل ثناؤه : (... قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ...) (3) في مقابل (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا) (4).

حاشا أن يأمر الله بالفحشاء فعدل الله المطلق تمنع هذا التوجيه، وبالتالي نحتاج لمعرفة معنى الآية الثانية قوله (أمرنا) فعل يتعدى إلى اثنين الثاني مجرور تقول أمرت زيدا بكذا .. فالسؤال أمرنا مترفيها بماذا؟ قال بعض أهل العلم كالزجاج وابن عاشور أمرناهم بعمل الطاعات ففسقوا فيها .. ولا يمكن أن يكون أمرنا مترفيها بالفسق ففسقوا، فقبل أن يهلك القرية بينليهم بأداء ما أمر به الرسل لكي يستوجب فسقهم الهلاك. أما التوجيه الثاني فيأتي من قراءة لطيفة وهي (أمرنا مترفيها) بالتشديد أي جعلناهم أمراء ففسقوا فيها وبهذا يرتفع الإشكال وينتهي التعارض.



1 - [السجدة : 12].

2 - [البقرة : 260].

3 - [الأعراف : 28].

4 - [الإسراء : 16].

الشبهة (17)

الجبر والاختيار في أفعال الإنسان

هناك آيات تقول إن الله هو الذي يضل الإنسان وأخرى تقول إن الإنسان هو الذي يضل نفسه فكيف يمكن توجيه ذلك؟

الجواب:

3- نعم نجد ذلك في قوله تعالى: (... كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ...)⁽¹⁾ في مقابل: (... فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ...)⁽²⁾ وغيرها من الآيات.

وما أكثر ما خاض الناس في شأن هداية الله وإضلاله، ولقد اتخذها بعضهم ذريعة للجبرية، وقالوا إننا مجبرون على أعمالنا لا مخيرون، وأفعالنا ليس لنا بها علاقة ذاتية بل كله بأمر من الله، فالمعاصي التي نعصيه بها لسنا من أوجدها، بل هي بمشيئة الله ونحن عليها مساقون .. وعذاب النار نتيجة لم يكن لنا فيه خيار، مستدلين بقوله: (يضل الله من يشاء).

فكيف نفرق بين هداية الله وإضلاله من ناحية، وبين حرية العبد الذاتية ومسؤوليته في فعل الخير والشر من ناحية أخرى؟.

الجواب: هذه المسألة تؤكد أهمية التفسير الأفقي الذي يستقرئ نظائر الآيات وما قد يعارضها في الظاهر من آيات ونصوص مقابلة، وأن استلال الآية كحكم معزول قد يترتب عليه فساد جسيم في الفكر والتصور.

ومن خلال جمع الآيات المتصلة بالهداية والضلال سنجد أن الهداية هدايات:

أ- هداية فطرية عامة:

وتشمل كل المخلوقات كما قال تعالى: (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (3) (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) (4) فكل شيء يسير بعلاقات ناموسية إلهية منتظمة.

¹ - [المتن: 31].

² - [الكهف: 29].

³ - [طه: 50].

⁴ - [الأعلى: 3].

ب- هداية الدين (هداية إرشاد) :

فالدين هدى من الله في أنه يخاطب العقل بالحجج البالغة والمعجزات الدامغة، ويصل إلى الناس عن طريق الرسل سواء آمنوا به أو كفروا، قال الله: (وَأَمَّا تَمْوُدُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (1) أي أرسلنا إليهم الرسول وأقمنا عليهم الحجة فاستحبوا الكفر على الإيمان. وقال: (... قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ (... (2) أي إن الدين دين الله، وقال: (... فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) (3) (... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (4) كل هذا معناه الدين.

ج- هداية قلبية.

وهي هداية التوفيق وشرح الصدر بها وهي معنى قوله: (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ؟ وهداية التوفيق من الله تكون لمن يبحث عنها، ومعنى الإضلال هنا هو إضلال إملاء ومد لمن يبحث عن الضلال وليس إضلال جبر فهذا يتعارض مع عدل الله (ولا يرضى لعباده الكفر) .. فيشرح صدر هذا للإيمان ويقبض صدر هذا عنه (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء) (فأما من أعطى واتقى* وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسرى* وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى) (5).

وهذا التيسير والتذليل هو المراد بقوله: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...) (6) يهدي من يريد الهداية ويسعى إليها.

قال الله في شأن توفيق الباحثين عن الهدى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (7) (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ...) (8) لقد نسب إليهم الهداية، فهم من يختارون، فمن

1 - [فصلت : 17].

2 - [آل عمران : 73].

3 - [طه : 123].

4 - [الشورى : 52].

5 - [الليل : 5-10].

6 - [البقرة : 272].

7 - [محمد : 17].

8 - [مريم : 76].

بحث عنه جاءه التوفيق قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ...) (1) (ويهدي إليه من أناب) فالبدء يكون من العبد والتوفيق من الله وذلك المراد بهدايته.

وقال في شأن إغوائه للباحثين عن سبل الغواية والضلال: (... وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (2) (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) (كذلك يضل الله الكافرين) أي الذين آمنوا بعقولهم وكفروا بقلوبهم، وذلك معنى إضلاله أنهم من يختارون الضلال والله يمدهم في غيهم.

وآيات غير مباشرة من نحو: (فلما أزاغوا أزاغ الله قلوبهم) (كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار) وغيرها.

فيكون الاختيار من العبد ويكون التوفيق والمد من الله: (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا).

د - هداية تثبيت واستقامة.

كما أن هناك هداية تثبيت المؤمن على الإيمان، وإنارة بصيرته في السير على طريق الحق، فالمؤمن وقد صار مؤمنا ويصلي بين يد الله يدعو الله في اليوم أقلها سبعة عشرة مرة : (اهدنا الصراط المستقيم) يدعو الله في صلاته أن يهديه مع أنه قد ثبت الهداية الفطرية وتجاوز هداية الدين واستقر قلبه عليها لكنه يحتاج التثبيت عليها .. وقال الله فيمن أرسله هاديا: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ويهديك صراطا مستقيما) أي يثبتك على الصراط المستقيم.

يتبين من هنا أنه لا تعارض ولا اضطراب في آيات الكتاب، وإن تشابه بعضها في الظاهر فهي مع البحث والاستقراء محكمة وبينة وواضحة.

كما لا تعارض بين إرادة الإنسان وإرادة الله الكلية الذي أوجد من صفات خلقنا الهداية والضلال كلازم من لوازم طبيعة الخلق.

ويمكن للجمع بين الإرادتين أن نضرب مثلا بشخص قدم لآخر كوبيين أحدهما لبن والآخر خمر، ولا محالة من شرب واحد منهما، وأعطاه حرية الاختيار مع ترغيبه له في اللبن وحثه عليه، وتحذيره من اختيار الخمر وترهيبه من عواقبه .. فهناك جبر من ناحية خلق الفعلين والجبر على أحدهما، وهناك اختيار للعبد من ناحية اختيار ما يريد منهما.

¹ - [العنكبوت : 69].

² - [البقرة : 26].

وقد نُظر في الضمير العائد في الفعل (إن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) إلى أنه يتحمل عودته إلى الله عز وجل وإلى العبد أيضاً، فيكون معنى عودته إلى الله: يهدي الله من يشاء هدايته ويضل من يشاء إضلاله .. ويكون معنى عودته إلى العبد: يهدي الله من يشاء أن يهتدي ويضل الله من يشاء أن يضل، فيكون لكل مشيئته، وهي قوله: (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) فأثبت للإنسان مشيئة، ولكنها من مشيئة الله العامة في أن استودعها فيه، فما اختاره هو من الله في أصل الخلق، مثلما يعطي الرئيس صلاحية عامة لموظفه فما يصيب الموظف أو يخطيء إلا بسبب الصلاحية الممنوحة وإن لم يرد رئيسه فعل الأخطاء .. والله المثل الأعلى.

وبالتالي لا تعارض ولا تناقض .. فهو جبر في خلق الاختيار وأن الإنسان لا بد مختار لأحدهما، وهو اختيار وحرية في أن الإنسان يختار أحد الطريقتين إما الخير وإما الشر، وأن الله يهدي من يشاء أن يهتدي، ويضل من يشاء أن يضل.



الشبهة (18)

مسألة القضاء والقدر

- كيف يحاسبني الله على شيء قدره علي ولم يكن لي فيه خيار؟

الجواب:

أولاً- الناس تفهم القدر بشكل خاطئ فالمولى تعالى لا يكتب على العبد بل يكتب عن العبد .. يكتب عنه ما سيفعل، ذلك أن من صفات الله تعالى العلم المطلق، فهو عالم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وهو فوق حدود الزمان، فالله الذي خلق الزمان لا يقيد ذاته بحجب المستقبل، فنحن نجد آيات تتحدث عن المستقبل بصيغة الماضي وكأنه قد حدث، وربما تحدث عن الماضي بصيغة الحال، فمسألة الماضي والمستقبل أزمنة للبشر، وكل إنسان لا يدري ما هو مكتوب عنه، لكن الله يدري وما يعلمه عن العبد يأمر بكتابته في سجل أعماله، قبل أن يكون العبد قد وجد على الدنيا، (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) ⁽¹⁾ فهل معرفة الله السابقة خالقة لأفعال العبد؟ الجواب. لا. فالعبد هو الذي أوجد أفعاله واختارها بنفسه، وعلم الله السابق بأفعال العبد لا يحمله على فعلها ولا يجبره على اختيارها .. ويمثلون لهذا والله المثل الأعلى بمعلم يعرف مستويات طلابه، فإذا قال للمجدِّ المثابر هذا سينجح وللغبي المهمل هذا سيفشل ثم حدث من تحدث به المعلم فهل نجاح الطالب المثابر وفشل الطالب المهمل سببه المعلم؟

ثانياً- خلق الله في الناس نوازع الخير والشر، فيمكن أن نقول إن الله كتب الشر كصفة بشرية عامة، قال جل جلاله : (... وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ...) ⁽²⁾ أي أن الله خلق الخير والشر - كما سبق في الحلقة السابقة - لكن الاختيار للإنسان لذا قال في الآية التي تليها: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ...) ⁽³⁾ ولو لم يكن المراد هو ما قلنا لكان في الآيتين تعارض، ففي الأولى يقول (كل من عند الله) وفي الثانية يقول (من نفسك) فما يفعله الناس من الشر والخير يكون أساس وجوده من عند الله، غير أن الله لا يكتب على عبد فعل الشر ولا يرضاه لهم، (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا

1 - [الحديد : 22].

2 - [النساء : 78].

3 - [النساء : 79].

يَرْضَهُ لَكُمْ ... (1) ويأمر بالخير وينهى عن الشر : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (2) وإنما يأمر وينهى لأن العبد مخير لا مصير كيف وهو الذي قال : (قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا) (3) (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ...) (4).

إن صفة الاختيار مما استقل به الإنسان عن بقية المخلوقات وجعل الخالق ذلك صفة فطرية مودعه: (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (5) (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (6) أي الطريقين، لكن الله تعالى يعطي كلا حسب ما يريد، قال في حق المتقصد سلوك الغواية (... فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (7) (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) (8). وقال في المتلمسين طريق الهداية: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (9) (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (10).

وتجمع الاتجاهين قول الله: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) (11).

والخلاصة أن عدل الله لا يمكن أن يقدر على عباده ما لم يختاروه، ويجبرهم على أفعال لم يكونوا ليفعلوها لولا أنها كتبت، فالله لا يظلم الناس متقال ذرة، وما يفعله الله هو أن عنايته قد تتدخل في تذليل السبل لقاصديها، فمن يبحث عن الهداية أنار له طريق الهداية ومن أراد طريق الشر واختار الغواية مده منها ويسر له سبلها ولا تعارض.



- 1 - [الزمر : 7].
- 2 - [النحل : 90].
- 3 - [الإسراء : 84].
- 4 - [الكهف : 29].
- 5 - [الإنسان : 3].
- 6 - [البلد : 10].
- 7 - [الصف : 5].
- 8 - [الأنعام : 44].
- 9 - [محمد : 17].
- 10 - [العنكبوت : 69].
- 11 - [الشورى : 20].

الشبهة (19)

اختلاف الناس يوم القيامة في مدة مكوثهم في الدنيا

- في القرآن الكريم يقول بعض الكفار يوم القيامة لبثنا يوماً وبعضهم يوماً أو بعض يوم وبعضهم ساعة من نهار كيف يجمع بين هذا التعارض؟

الجواب:

هذه الأقوال برأيي كلها صحيحة وليس مجرد نسيانهم للمدة لكنه يظهر وكأن هناك تعارض في اختلاف أقوال الكفار وتناقض فمنهم من يقول: (لبثنا يوماً أو بعض يوم) .. ومن يقول: (عشية أو ضحاها) .. ومن يقول: (إن لبثتم إلا يوماً) وفي موضع آخر: (ساعة من نهار) غير أن جميع أقوالهم صحيحة .. كيف؟

أولاً- قياسهم يوم القيامة للزمن والله أعلم ليس بقياس الدنيا، بل بقياس أيام الله: (وإن يوماً عند ربك كألف سنة).

فلاحظ أن أياً منهم لم يقل سنة أو ثلاث، لم يذكروا مسألة السنين بل ذكروا اليوم وما هو أقل من اليوم.

فالذين لبثوا يوماً هم قوم نوح أي ألف سنة بحساب الدنيا، قال تعالى في نوح: (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً).

والذين يقولون: (عشية أو ضحاها) لا بد أنهم الأقوام التي تلي قوم نوح كعاد وشمود حيث بدأت الأعمار في تناقص.

والذين يقولون: (ساعة من نهار) هم من تلاهم إلى قوم محمد صلى الله عليه وسلم لذلك كان الخطاب في الساعة لقوم محمد في سورة [الأحقاف:35] (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) وفي سورة يونس في سياق الحديث عن قوم النبي الخاتم: (وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (1).

* علاقة الموضوع بليلة القدر.

عندما راجع الصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شعورهم بقصر أعمارهم مقارنة بقوم نوح، وأن الأقسام السابقة ستتجاوزهم في فضيلة العبادة والأجر، كان الجواب أن أعطاهم الله رحمة منه (ليلة القدر خير من ألف شهر).
وإذا أردنا معرفة المدة بالسنين الدنيوية قسمنا $1000 \div 12 = 83.3$ قسمنا 1000 سنة على 12 شهرا.

إذا أردنا أن نعرف كم تساوي (83.3) سنة من أيام الله سنجد أنها تمثل (ساعة من نهار) على أن عدد ساعات اليوم (12) وليس (24) لماذا؟ لأن الآية نصت على أن ساعة من (النهار) ففي سورة [يونس: 45] (كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار) وفي [الأحقاف: 35] (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) إذا اليوم من أيام الله (12) ساعة تساوي الساعة بحساب الدنيا بالتدقيق (83.3333333333) ثلاث وثمانون سنة وثلاث، ولو ضربنا (12) في هذه السنين تعطينا (1000) سنة بحساب الدنيا، إذن الـ 83.3 هي ساعة من أيام الله.

بقي سر عدم الضرب في (24) ساعة فلعل ذلك والله أعلم يعود إلى أن النهار هو يمثل حياتهم ومعاشهم وهو الذي سيحاسبون عليه أما النوم فهو موت كما قال الله: (والتي لم تمت في منامها) ومن دعاء النبي في الاستيقاظ "الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني" وقال الله: (وهو الذي يتوفاكم بالليل) ثم قال: (ويعلم ما جرحتم بالنهار) فيحاسب العبد على عمله الذي محله النهار (وجعلنا النهار معاشا) والله أعلم.

ولنحسب الرقم 83.3 بأعمار أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم "أعمار أمتي بين الستين والسبعين وأقلهم من يجوز ذلك" فإذا أضفنا هذا الأقل قد يكون العمر المتوسط 83 التي هي ساعة من أيام الله كما سبق.

لنأتي إلى قوله تعالى من [طه: 103-104] (يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا) * نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما).

قولهم (عشرا) أي عشر ساعات لكنها لا تكمل اليوم 12 ساعة، فذكر الله أن الذي يقول (يوما) هو أمثلهم طريقة أي أصوبهم رأيا وأدقهم حسابا لأن اليوم (12 ساعة) كما سبق، ولأن الله بدأ أعمار بني آدم بأيام الله 1000 سنة، فكان القياس عليه.

أخيرا لماذا حسبنا ليلة القدر بأعمار قوم نوح عليه السلام التي تساوي 83.3 من أيام الدنيا أو ساعة من أيام الله؟! لأن الصحابة التمسوا أجر أعمار قوم نوح، فكافأهم بهذه العطية، فمن شهد ليلة القدر 10 سنوات كان له ذلك خيرا من 833 عاما ومن شهدها 20 سنة كانت له خيرا من 1666 سنة وهلم جرا، فقد يجتاز المسلم أجر الفرد من قوم نوح بكثير.

وفي الختام تتعدد صور التعارض الظاهري في القرآن، وغالبا ما تنتهي دراستها إلى نتائج إعجازية، فالمتشابه القرآني متشابه ظاهري لكنه محكم بعد الدراسة البحثية المتأملّة، ونكتفي بما سقناه من أمثلة هي من الأكثر عموضا، والله ولي التوفيق.



الشبهة (20)

القرآن لغة المحبة لا الكراهية

- يقولون القرآن ينشر الكراهية ضد المخالفين وليس كالمسيحية دين محبة وتسامح ..؟

الجواب:

سبع مرات تكررت في القرآن الكريم على لسان الأنبياء: (وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) ⁽¹⁾ (إني أخاف عليكم) وليس إني حاقد عليكم وكاره لكم .. بل صفوة الخلق تخاف على شرار الخلق .. من ماذا؟ من العذاب .. إذن مصلحة الكافرين في نهاية المطاف هي مجال خوف المسلم وحرصه في دعوتهم إلى الله .. وليس مصلحة المسلم وحرصه تكمن في بغض الكافرين ومقاطعتهم وقتلهم لإدخالهم النار غير موحدّين .. فهذا عبث، ومعارض لمنهج وسلوك الأنبياء .. فخطاب الأنبياء تودّدي تألّفي مع المخالفين ابتداء (يا قومي) وليس يا أعداء الله .. ونجد المولى تعالى يضيف النبي إلى قومه إضافة أخوة لا إضافة عداوة من مثل قوله تعالى: (وإلى عادٍ أخاهم هودا) حتى أُرذِل الناس بمعصية: (وَعَادٌ وَقِرْعَوْنٌ وَإِخْوَانُ لُوطٍ) ⁽²⁾ وأخبرهم - أي نبي الله لوط عليه السلام - ببغضه لعملمهم أشد البغض ولم يصرح ببغضهم هم: (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ) ⁽³⁾.

وعندما هزأ قوم نوح بأتباعه وسموهم الأردلين سخرية واستنقاصا لم يرد على إساءتهم بمثلها واكتفى بنفي علمه بأفعال أتباعه، لأن العمل هو المعيار قال تعالى: (قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ * قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ) ⁽⁴⁾ غاية في النبل والترفع مع وقاحة الكفار تجاه أتباعه.

1 - [عافر : 32].

2 - [ق : 13].

3 - [الشعراء : 168] وهذا خلاف منهج بعض المتشددین الذين يقطعون رابط الاتصال مع المخالفين بالمقاطعة المادية وأحيانا الشعورية، لأنهم مخالفون فكيف سيعلمون موضع الحق من الباطل إن لم تتصل رابطة الأخوة الإنسانية؟ وإنما يكون ذلك حين إيداء العداوة والمفاصلة واليأس من صلاحهم بعد إقامة الحجة.

4 - [الشعراء : 111-113].

ولغة النبي فيه تحبيب وتشويق لمن أرسل إليهم فيطمع قومه بخيري الدنيا والآخرة لمصلحتهم إذا استجابوا قال الله على لسان هود: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (1) على لسان نوح: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) (2).

هذا البعد التودُّدي والتأليفي، واستدعاء مصلحتهم في معرض الدعوة معزز بطائفة أخرى من النصوص القرآنية المتضافرة منها قول الحق: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...) (3) قال (للناس) ولو كان بغض الكافر وقتاله مقدما على هدف دعوته وهدايته لقال أخرجت على الناس .. لإقامة حالة عداة معهم واحتراب ونفي وجود .. وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (4) ولم يقل نقمة على العالمين وإعلان البراءة منهم واعتزالهم ومقاطعتهم.

وقدم البشارة على النذارة والترغيب على الترهيب .. وندب المولى تعالى المسلمين إلى الصفح عن الكافرين فقال: (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (5) ولنا في رسول الله أسوة حسنة حين دخل على من طاردوه وأرادوا قتله واستئصال دعوته ونكلوا بأصحابه قال لهم في فتح مكة: " ما ترون أي فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال: لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء" فأين رصيد الجفاء ومخزون الكراهية؟

وكان نبي الإسلام يستقبل أهل الكتاب من اليهود والنصارى في مسجده ويجادلهم بالتي هي أحسن (وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهُنَا وَالْهَيْكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (6) يجادلهم كما أمر الله ويجيب على تساؤلاتهم، وكانوا يسيئون إليه وهو يحسن إليهم، فإذا لقوه قالوا: السام عليكم، بدل السلام

1 - [هود 52].

2 - [نوح 10-12].

3 - [آل عمران : 110].

4 - [الأنبياء : 107].

5 - [الجاثية 1 : 4].

6 - [العنكبوت : 46].

عليكم، فيجيب: وعليكم. ولا يزيد، وإذا مرت به جنازة من غير أهل الملة قام لها، فيقال إنها جنازة يهودي، فيقول أليست نفسا؟

وما أكثر ما وصى بأهل الكتاب وهدد من ظلم معاهدا أنه سيكون حججه يوم القيامة. وكان أول ما فعله عند هجرته مع يهود المدينة أن كتب بين مجتمع المسلمين واليهود الوثيقة المدنية المعروفة، فيها قوانين ناظمة للجميع وتعترف بوجودهم ودينهم وحقوقهم، حتى بادروا بالغدر والتحالف مع قريش والعرب الكفار ضد النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين. وبقيت معابد غير المسلمين وكنائسهم قائمة حتى العصر الحديث، فبقي اليهود والنصارى واليزيديين، والمجوس والهندوس، لم يتعرضوا للإبادة لأن الله ينهى عن هذا بل جعل التنوع مظهر حياتي حيث قال: (... وَلَوْ لَأَدْفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمْتُ صَوَامِعُ وَيَبِيعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ...) (1) فهدم بيوت غير المسلمين ممنوع بنص الآية، وإنما جعل الدعوة والحوار العقلي والفكري هو الواجب في المقام الأول، قال في القرآن (وجاهدكم به جهادا كبيرا).

ربما وجدت الجفاء والخشونة في بعض المتدينين وتقطيب الحاجب ولغة التعالي وإنما يرجع ذلك إلى طبع في بعض الدعاة أنفسهم وضعف التربية السلوكية الناتج عن الانطواء، فالجفاء لبعض المتحمسين للدين لا ترجع إلى ثقافة التدين بقدر ما تعود إلى خلل في التوازن النفسي وغلبة الطبع الوعر على السهل اللين، وإلى ضيق الأفق والكس العقلي فتجد اللغة الصدامية متلازمة فلاتطيب نفس بعضهم بغير هجر الكافر والعاصي والمخالف ومقاطعته ابتداء، دون إقامة الحجة وفي هذا سقوط لأعباء الدعوة إلى الله وإنهاء كلفتها .. وبعضهم يتعبد إلى الله بهذا الإجراء المريح .. وهو إقامة ثنائية ضدية مع المخالف قوامها قاعدة المفاصلة والبراءة من الكافرين مستدلين بقوله تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ...) (2) وإنما كان هذا البراء بعد خروج الكفار من دائرة الحيذة إلى دائرة العداء والتربص والمحاذاة ورد الدعوة واستهدافها بعد إقامة الحجة عليهم منها خروج إبراهيم عليه السلام من النار، قال تعالى: (وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ لَأَبِيهِ

1 - [الحج : 40].

2 - [المتحنة 4].

إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ... (1) .. غير هذه الحالة ونظيرها فقد ندب الإسلام إلى بر الكفار والإقساط إليهم فقال: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (2) ومتى ظهر العدا والشنآن لا مسوغ لبقاء علاقة غير ذات جدوى .. بل يجب عندئذ المفاصلة ومع المنابذ الصاد لل دعوة والدعاة وحسب .. ما عدا هذا يجب على الغيارى ممن يحملون مشاعل الهداية من المتحمسين للدين إن كان عندهم ما يقولونه الله أن يذهبوا إلى غير أهل الملة ويخالطوهم مخالطة يجيدون معها مهارة الاتصال الإنساني (3) فيتعرف الناس أولاً على جميل أخلاقهم .. ونبيل مقاصدهم .. وسلامة أهدافهم .. وتجردهم من حظوظ النفس فما يفعلون ما يفعلون إلا لنفعهم ومصالحتهم وهو تعريفهم بخالقهم مبادرة لوجه الله لا يسألونهم عليه أجراً ولا جزاء ولا شكوراً .. وليعاشوا المدعويين إن أمكن ليلاً ونهاراً فلا يكفي الجلوس على الكراسي الوثيرة والمذهبة لإلقاء المحاضرات .. فالداعية ليس مجرد قصاص يتحف الناس بروائع فصاحته والتصرف في فنون القول فلا بد للقول من مصاديق عمل، فينزل إلى الميدان إن استطاع .. ويسلك الوديان إن وجد إلى ذلك سبيلاً .. ويعايش الفقراء والمعوزين .. ويعكس معهم قدوة في الصبر والتحمل وفهم الناس من ظروف واقعهم وليس من ظروف واقعه هو .. فلرب وجه معفر .. وثوب مغبر .. وشعر غير مرتب أفضل عند الله من ثوب ناصع البياض لداعية ناعم الخد مضمخ الجيد، يحدث الناس من منصات الوعظ وبينه وبين الناس وواقعهم أمداً بعيد .. وبعض المستهدفين يمكن جره من بنطه إلى الله أقرب من جره بقلبه، فيحتاج الداعية إلى تجميل الأداء بحسن العطاء، فيألف الناس بموائد إطعام إن كان ذلك بمقدوره، كما كان يفعل رسول الله في مكة صلى الله عليه وسلم ثم يغزو قلوبهم بعد الإحسان بألين الكلام وأعذب البيان .. الذي لا يخذش ولا يجرح فلعل جمال الأسلوب أن يكون طريق الهداية: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ

1 - [التوبة 114].

2- [الممتحنة 8-9].

3- وقد بسطت في مقامات البيان وظروفه وفروقات اللغة الدعوية بما هو أوسع وأنفع إن شاء الله في كتابنا لغة

الخطاب الدعوي الصادر عن مجلة الأمة بقطر 2011م.

أَوْ يَخْشَى⁽¹⁾ مع مراعاة القصد والاعتدال دونما إسراف في التبسط ولا ابتذال .. وألا يذهب الداعية إلى الناس بلغة أحكام تشريحية تجريحية غير سهلة البلع .. تصف بشاعتهم وعظيم جرمهم .. ويحدد مواقعهم من الجنة والنار فهذه أحكام نهائية تصادمية لم يعد معها إلى دعوتهم حاجة .. ولا إلى التفاهم معهم غرض .. ولكن يأتي إلى ذم شرهم بمدح الخير .. وإلى ذم الرذيلة فيهم بمدح الفضيلة .. وإلى تبشيع انحرافهم بتجميل الاستقامة وتحسينها .. فإذا زادت الألفة وزالت الكلفة توسع في تصوير ما هم عليه من الضلال.

ثم وأخيرا إذا ما صدّوه وردّوه وناذبوه العداة وأرادوا به الردى، وقنطوه فيهم، تركهم مقاطعا لهم متبرئا من كفرهم متمثلا قول معلمي البشرية صلوات الله عليهم: (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)⁽²⁾.

أما أن المسيحية دين محبة وسلام فإنك بقراءتك للشبهة التالية وغيرها ستجد البون الذي يجسد الادعاء الأجوف وحقيقة عقيدتهم تجاه الغير.



1 - [طه : 44].

2 - [الأعراف 79].

الشبهة (21)

الإرهاب في القرآن الكريم

- يقولون القرآن يحث على الإرهاب ويدعو إليه كما في آية 60 من سورة الأنفال فما قولكم؟

الجواب:

الإرهاب في القرآن الكريم مصطلح حربي يتغيا السلم فهو مصطلح نبيل اختطف وحورت دلالاته لتصير معناه الحراية فصار مصطلحا منبوذا عالميا، ولا يعدو معناه في القرآن عن الإزعاج والتخويف للأعداء المحاربين وليس إيقاع العنف بأحد على الإطلاق محارب أو غير محارب .. وليس المراد أيضا تخويف الآمنين؟ بل المحاربين (ترهبون به عدو الله وعدوكم) وتخويفه للوصول إلى أنبل هدف، وأسمى غاية .. وهو الكف وتحقيق السلم وترسيخ واقع اللاقتال، قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...)⁽¹⁾.

فالأية تتحدث عن إعداد القوة لمجرد إيقاع الرهبة في نفس العدو المحارب والمتربص، ولهدف كفه عن مهاجمة المسلمين، فحين يدرك أنهم ليسوا نقطة ضعف تغري على الاجتراء عليها، يكف عن الاعتداء وبالتالي يتحقق السلم، وتشيع حياة الأمن والأمان بين الطرفين .. وبهذا يدخل مصطلح الإرهاب في القرآن الكريم ضمن الإعداد في إطار الحرب النفسية. التي تمنع الأعداء من استضعافهم ومهاجمتهم، فهو ردع استراتيجي محمود ونبيل .. وإنما يأتي الطغيان من اختلال موازين القوى فيطمع القوي في الضعيف، إنه بمثابة إحكام أسوار القلعة التي تبيس الطامعين من غزوها والسطو عليها .. فهل هذا الإعداد هو عدوان على الآخر، أم هو كف عدوان الآخر ونفي واقع الاحتراب؟

إنه التدافع المحمود في قوله تعالى: (... وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...)⁽²⁾ فعدم القدرة على الدفع وحماية الذات من الآخر يتعرض الضعيف للظلم

(1) [الأنفال: 60].

(2) [البقرة: 251].

وتشيع بين الناس الفوضى ولغة التغالب من جهة والاستضعاف من جهة ثانية، ومحو دين وثقافة الضعيف وهذه مآلات لا يقرها الإسلام الذي قال: (... وَلَوْ لَّا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ...) (1) فواقع التدافع والندية كفيل بحماية الأديان من المصادرة والإلغاء.

والدليل على أن الهدف من الإعداد في الآية هو تحقيق التوازن الذي يحقق السلم، هو ما تضمنته الآية التي تلت آية الإعداد قال تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (2).

ولقد جعل الله تعالى الكف عن القتال نعمة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ...) (3) (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (4) .. فالسلم في الإسلام والكف عن الاعتداء أولا وأخيرا هو الهدف من إرهاب العدو بمجرد استعراض القوة وإظهار أن المسلمين ليسوا لقمة سائغة .. فلا يعتدى بعدها إلا على المعتدي: (... فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ...) (5) .. (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (6) .. بدون الردع واعتدال ميزان القوى تطمع الدول الغالبة أن تصير متغلبة وتطمع في حقوق الآخر .. فتبتزره أو تسحقه فيصير تحت سنايك قوتها، لينتهي فكرا وثقافة وأحيانا وجودا.

وبهذا المعنى الاصطلاحي القرآني الذي بمعنى تخويف العدو فإن الدول العظمى لم تعد فقط مجرد دول إرهابية رادعة بل إرهابية ماحية للوجود، فمن ذا الذي لا ترهبه الدول الكبرى بإعدادها لجميع الأسلحة الجهنمية منها أسلحة الفناء الشامل .. إنها لم تعد لنا ما استطاعت من قوة ومن رباط الخيل، فهذه الأدوات كانت عنوانا لأخلاقيات الحروب فذكر الخيل تعني تلك

(1) [الحج : 40].

(2) [أنفال: 61].

(3) [المائدة: 11].

(4) [الفتح: 24].

(5) [البقرة: 194].

(6) [البقرة: 190].

الحروب النظيفة التي لا تتعدى المعتدي إلى المدني المسالم، بل أعدت أسلحة الإبادة والفناء المحرمة ليس دوليا ودينيا، فالدولي معناه الدول العظمى فلقد حرمته ولكن على غيرها، لتظل بقية دول العالم مجال ابتزاز واحتلال وسرق ثروات .. وهل إلا بالإعداد والإرهاب صار الغرب هو المتحكم بالعالم اليوم؟

إنهم يعدون السلاح لا ليكف المتحاربين بعضهم عن بعض كما هو هدف الإعداد في الإسلام .. بل ليكون البقاء للأقوى .. وينتهي استقلال قرار الطرف الأضعف .. ولم يعد في ظل الطغيان ردع ولا توازن، بل دول قطبية مستكبرة وأخرى مستضعفة، وهذا ما يفسر تكرار الحديث عن تعدد الأقطاب في كتاب (صراع الحضارات) للكاتب الأمريكي صاموئيل هنتجتون، الشيء ذاته الذي تكرر على لسان المفكر الروسي الأسكندر دوغين في مقابلات الجزيرة مباشر في بداية الحرب الروسية الأوكرانية الذي اندلع في فبراير من عام 2022م، والملفت أنهما اتفقا على طرح تساؤلات حول غياب المسلمين كقطب كان يمكن أن يحقق المعادلة مع بقية الأقطاب المتحكمة في العالم .. لقد حكمت الدول الإرهابية العالم بواقع الاستلحاق لغيرها من الدول الأضعف، وصارت تسمى الأنظمة ذات التوجه الاستقلالي بالأنظمة المتمردة التي يجب معاقبتها ومحاسبتها، فاختلفت الموازين بتفردها وانعدم الاستقرار الدولي، ويمكن أن تنام لتستيقظ على دولة أو دول تم ابتلاعها من قبل دولة كبرى، أو تجد دولا عظمى أخرى تعربد هنا أو هناك، وتبتز هذه الدولة أو تلك، وتتحكم في مستقبل الشعوب وتحديد نوع حياتها وما يحق لها أن تفعل وما لا يحق وهذا بعد تعرض العالم جميعا للاحتلال الغربي عدا دول تعد بأصابع اليد الواحدة منها (ليبيريا) في أفريقيا وشمال اليمن ووسط الجزيرة العربية .. ولو أن الشعوب الضعيفة قد أعدت ما يرهب الغرب لما تعرضت للاحتلال ولكفت عنها الابتزاز وساد العالم السلم والأمان.

على أن الغرب مضى في ابتداع طرائق إبادة البشر، فصار لديهم من أسلحة الدمار ما يكفي لفناء البشرية لعشر مرات كما يقول خبراءهم وقيل أكثر من ذلك، ولم ينته السباق نحو الهاوية فهذه الولايات المتحدة الأمريكية ترصد نحو 770 مليار دولار من ميزانيتها السنوية عام 2022م للمجال الحربي، الرقم الذي يمكن أن تحيا به شعوب، لكنه يوظف لتهديدها بالفناء لو خرجت عن الطاعة.

لقد أعدوا السلاح الذي لا يحقق التوازن وحسب بل الذي ينهي قوانين الحروب الشريفة .. فضاعت معه أخلاق الفرسان .. إنه سلاح الزر الواحد الذي يقضي على آلاف الأبرياء في لحظة واحدة لا يدري القاتل لماذا ولا من ولا كم قتل؟ ولا يدري المقتول لم قتل؟ .. فيموت بعقرية موتهم الجنين في مهد أمه .. والطفل البرئ في مدرسته .. والتاجر المسالم في متجره .. والمرأة الضعيفة في خدرها .. والطيور في أوكارها .. والدواب في مرابضها .. والحشرات في جحورها .. ويسم الهواء والماء .. ويطارد خلايا الدماء في الشرايين .. ويترك العاهات البشرية لمئات السنين .. إنه الإعداد الجهنمي الذي يخلف في الحرب الواحدة عشرات الملايين من القتلى .. كما في الحربين العالميتين الأولى والثانية .. ومع ذلك يطاردون المسلمين بتهمة الإرهاب؟ .. الذي يمارسه أفراد منفلتون أو مدفوعون لقتل أفراد غالبا يكونون من المسلمين .. فمن الإرهابي إذن؟

يقول الدكتور راغب السرجاني: "لقد بلغ عدد شهداء المسلمين في كل معاركهم أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك على مدار عشر سنوات كاملة، 262 شهيداً، وبلغ عدد قتلى أعدائه صلى الله عليه وسلم 1022 قتيلاً، وقد حرصت في هذه الإحصائية على جمع كل من قُتل من الطرفين حتى ما تم في حوادث فردية، وليس في حروب مواجهة، كما أنني حرصت على الجمع من الروايات الموثقة بصرف النظر عن الأعداد المذكورة، وذلك كي أتجنب المبالغات التي يقع فيها بعض المحققين بإيراد الروايات الضعيفة التي تحمل أرقاماً أقل، وذلك لتجميل نتائج غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم! وبذلك بلغ العدد الإجمالي لقتلى الفريقين 1284 قتيلاً فقط!!

ولكي لا يتعلل أحدٌ بأن أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة ولذلك جاء عدد القتلى على هذا النحو، فإنني قمت بإحصاء عدد الجيوش المشتركة في المعارك، ثم قمت بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد الجيوش، فوجدت ما أذهلني!! إن نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ 1% فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم 2%، وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هي 1.5% فقط!

إن هذه النسب الضئيلة في معارك كثيرة بلغت 25 أو 27 غزوة، و38 سرية، أي أكثر من 63 معركة، لمن أصدق الأدلة على عدم دموية الحروب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكي تتضح الصورة بشكل أكبر وأظهر فقد قمت بإحصاء عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية - كمثال لحروب "الحضارات" الحديثة - ثم قمت بحساب نسبة القتلى بالقياس إلى أعداد الجيوش المشاركة في القتال، فصدِّمتُ بمفاجأة مذهلة!!! إن نسبة القتلى في هذه الحرب الحضارية بلغت 351%!!! لقد شارك في الحرب العالمية الثانية 15.600.000 جندي، ومع ذلك فعدد القتلى بلغ 54.800.000 قتيل!!! أي أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش المشاركة! وتفسير هذه الزيادة هو أن الجيوش المشاركة جميعاً - وبلا استثناء - كانت تقوم بحروب إبادة على المدنيين، وكانت تسقط الآلاف من الأطنان من المتفجرات على المدن والقرى الآمنة، فتبيد البشر، وتُفني النوع الإنساني، فضلاً عن تدمير البنى التحتية، وتخريب الاقتصاد، وتشريد الشعوب (1).

أقيموا المقارنة تدركوا الفرق بين الحروب العادلة وحروب الإبادة الشاملة .. بين إرهاب المسلمين وإرهاب غير المسلمين.



¹ - موقع إسلام استوري.

الشبهة (22)

فرية التناقض في القرآن الكريم

- تتداول المواقع والمجموعات شبهات تطعن في القرآن الكريم مدعية وجود تناقض فيه منها منشور نزل باسم / سامي المنصوري كيف ردكم؟.

الجواب:

إنها شبهات تطعن هذه المرة في القرآن نفسه، فلا أبو هريرة هو المطلوب ولا البخاري ولا مسلم بقدر ما المطلوب رأس الإسلام نفسه .. إذن وصلوا إلى القرآن، فليست المسألة سنة متناقضة ولا رواة مخطئون .. وهذه الشبهات صاغها النصراني السابق سامي كون مصطلحاته توحى بهذه الثقافة، وليست شبهات صعبة الرد ولكنها محاولة لإيقاع شبابنا في حالة اشتباه، ولذلك فالرد عليها ميسور بعون المولى .. أفعل ذلك بعد صيحة استغاثة إلي من أحد ضحاياهم .. علما أن غالب الشبهات وجدت لها ردودا في النت واليوتيوب فلا ينبغي أن يستسلم المسلم لترويجات المبطلين المتهافئة التي هي موجودة من فجر الإسلام .. وكل شيء ممكن يتحول إلى شبهة حتى الذات الإلهية .. وهذا ديكارت صاحب منهج الشك يبحث عن دليل لوجوده هو حتى قال أنا أفكر إذن أنا موجود .. علما أنهم لا ينشرون شبهات في دين عباد البقر والشيطان ودين $1=1+1+1$

والآن لنستعرض هذه الشبهات ونرد عليها شبهة شبهة ومن الله نرجو السداد والتوفيق.

1. يقول مطلق الشبهات:

يدعي القرآن الآتي: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ) ⁽¹⁾ .. الخ لكن هذا الإدعاء يناقض مبدأ النسخ في القرآن.

الجواب: الآية تشير إلى حفظه في السماء كما انتهى إليه الوحي قبل انتقال النبي إلى الرفيق الأعلى، بعد ذلك ما هو موجود بين دفتي المصحف ومات عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يمكن أن يتعرض للتغيير والتبديل، فالتناقض بالنسخ والتبديل حال النزول وكله من الله، ولا علاقة لهذا بمسألة حفظ الله لكتابه من تحريف البشر وتلاعبهم كما فعل بالكتب السماوية السابقة، وقد حاولت أمريكا عن طريق قرآن ألفته باسم (الفرقان) لكنها فشلت واندثر مشروعها فهو محفوظ حتى القراءات هو اختلاف تنوع وإثراء في المعنى لا تناقض.

أما النسخ في عهد رسول الله الذي حصل لأحكام محدودة بهدف التدرج المرحلي فهو رحمة من الله ومنة كآيات تحريم الخمر كما سيأتي قال تعالى: (... ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ...) (1) وقال: (وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (2) .. والنسخ معروف في نسخ ديانة بأخرى لنفس القصد وهو مراعاة المقامات والأحوال البشرية المتغيرة من ذلك قول الله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) فنسخة هذه النسبة المستحقة للنصر وخفف الله عن المؤمنين بالآية التي تليها (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين) (3) قال الله: (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ...) وقال: (لكل جعلنا شرعة ومنهاجا) .. وهكذا نجد الديانة اللاحقة تنسخ شريعة السابقة .. ولكن النسخ يكون من الخالق المشرع لا من المخلوق .. وما هو معلوم أن الختان كان واجبا في شريعة موسى فجاء النصرى من بعده ونسخوه، وتركوا هذا الحكم وهم يقولون إن شريعة عيسى هي نفس شريعة موسى، حيث قال عليه السلام: "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل" (مت: 5:17) فإن كان من الله فقد ثبت النسخ وإن كان من تحريفهم فقد جوزوا ما أنكروا على غيرهم .. وكان أكل الخنزير محرما فنسخوا الحكم وأكلوه .. وكان الخمر محرما فنسخه النصرى وشربوه .. وكان القصاص والرجم في شريعة موسى موجودا فألغوه وعملوا بقوانينهم؟ .. وهنا أمثل على ذلك بهذا النسخ الغريب أيضا في التوراة في سفر حزقيال الإصحاح الرابع العدد من 12 إلى 15 قال الرب لابن إسرائيل: "وتأكل كعكا من الشعير على الخراء الذي يخرج من الإنسان .. وقال الرب هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس ... وفي العدد التالي في نفس الإصحاح (وقد جعلت لك خثي البقر بدل خراء الإنسان فتصنع خبزك عليه) فنسخ أكل الميتة والخبز مع الخراء إلى أكل الخبز على روث البقر؟؟ اتركوا ديننا وسدوا عوراتكم .. ؟

2. - في الشبهة التالية يقول: يناقض مبدأ الوحي (الشيطاني) في القرآن (الحج 22: 52) تحدي القرآن بأن ينتج أحد مثله، قبل إبليس هذا التحدي وأعطى الآيات الشيطانية في

1 - [البقرة : ١٠٦].

2 - [النحل : ١٠١].

3 - [الأنفال : 65-66].

سورة النجم 53: 19-23. قرأها محمد بنفسه ولم يستطع أن يميز بينها وبين القرآن الآخر. حُذفت هذه الآيات بعد ذلك.

الجواب- أتى هذا اللعين بمصطلح الوحي الشيطاني وهذا تلفيق وافتراء ومتى تحدى الله إبليس؟ لكنه يلحس رواية ملفقة أن الشيطان ألقى على لسان رسول الله آيات في مكة سموها قصة الغرائيق وقد دحض هذا الافتراء غير واحد من العلماء والمفسرين لتناقضها مع النقل والعقل ومبدأ العصمة، ومع سبب نزول الآيات في الأحاديث، منهم الفخر الرازي في تفسير مفاتيح الغيب وقال الشيخ ابن باز في موقعه لا يوجد في هذا حديث صحيح يعتمد عليه. فمن شاء فليتزود بتفنيدات طويلة وبالتالي تقمّم غث الأخبار الموضوعة لا يجدي، فالتحدي يكون في المحكمات المعترف بها لا في النقولات الشاذة إذ لن يخلو أي دين من الاستثناء، من أقوال شاذة، واجتهادات فردية مخالفة، أو روايات ضعيفة وليس الاستثناء بحجة على الإجماع فتسقط هذه الأحجية.

3. - تقول الشبهة الثالثة:

إن هناك آيات تقول بوجود شفاعة في الآخرة وآيات تنفيها وهذا تناقض.

الجواب: قد سبق الرد على هذا ونعيد القول بأن الشفاعات في اليوم الآخر غير شفاعات الناس بعضهم لبعض في الدنيا ففي اليوم الآخر الشفاعة كلها لله وحده وما لهم من دون الله من ولي ولا شفيع، والنفي الثاني أنها لا تكون لأهل الشرك فأهل الشرك لا شافع لهم: (ما لهم من شفيع ولا حميم يطاع). (فما لنا من شافعين) .. لكنها مثبتة لأصحاب الذنوب بإذن من الله وممن رضي له قولاً، فيشفع عند الله للمذنبين الأنبياء وغير الأنبياء : (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) (ولا يشفع إلا لمن ارتضى) (لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً) .. فالله لا تناقض.

4. - يضيف:

تخبرنا سور البقرة 2: 62 والمائدة 5: 69 أن اليهود والمسيحيين وآخرين سيخلصون في الأبدية. تناقض هذا سورة آل عمران 3: 85 بقولها: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) .. "

الجواب: اليهود والنصارى والمجوس من آمن بالله وبالنبي محمد ورسالته بعد مبعثه .. أو آمن بالله واليوم الآخر على شريعة من سبق قبل مجيء شريعة محمد الناسخة، فهو في الجنة فالحديث عن إيمانهم باعتبار ما كان، لكن من جاء بعد ظهور الرسالة المحمدية ثم لم يؤمن به وأقيمت عليه الحجة فمصيره إلى النار قال الله: (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا

أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (1) .. وقال (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) (2).

والنصارى المثلثون كفار: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ ...) (3) فلا تناقض فالمسألة تبين المراد طبقاً للشواهد التي تقيد بعضها بعضاً.

5. - يتابع يقول: .. تقول سورة النساء 4: 48، 116 أن خطيئة الشرك لن تغفر. تناقضها سور النساء 4: 153 والفرقان 25: 68-71 إذ يقولان عكس ذلك أنه يمكن غفران خطيئة الشرك؟

الجواب: أراد بآية النساء: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) (4) ثم خانه بصره وبصيرته في سورة الفرقان أو قصد إلى التبدليس فأول آية 68 (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ...) مالهم؟ تذكر الآيات أن الله يتوب عليهم .. فهو يبني من الإيهام تناقضاً والآيات واضحة لا غفران لمشرك مات على شركه.

ومن أسلم محيت عنه خطاياه مهما كانت .. ومن مات عاصياً فالإله أمره إن شاء غفر له وإن شاء عذبه .. ومن أشرك وهو مؤمن ثم تاب وأصلح أيضاً يغفر له (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (5) وهذا ملخص تفسير الآيات فالمواقف مختلفة فأين التناقض؟.

6- يقول المنصوري:

تحرم آيات البقرة 2: 219 والمائدة 5: 90 الخمر، لكن تسمح بها آيات النحل 16: 67 ومحمد 47: 15 والمطففين 83: 25، 26.

الجواب: جهل مطبق والعجيب يأتي بآيات تتحدث عن خمر الجنة في المطففين (من رحيق مختوم) ثم يحشرها مع أحكام الدنيا؟.

لقد جاء تحريم الخمر في أربعة مراحل الأولى أشار إليه في النحل بقوله (تتخذون منه سكرًا) وفي سورة البقرة 219 تحدث عن أن في الخمر والميسر إثماً كبيراً إلى جانب منافع

1 - [الفتح 13].

2 - [البينة 6].

3 - [المائدة 73].

4 - [النساء : ٤٨].

5 - [الفرقان 70].

قليلة تهيئة للصحابة لتركة ثم في سورة النساء آية 43 منعهم من الصلاة وهم سكارى ليأتي بعد ذلك المنع النهائي في المائدة (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) فتركوه بعد ذلك عن قناعة .. وهذه سياقات نسخ الأحكام بهدف مرحلية الإلزام.

وهذه أمريكا لما أصدرت قانونا بالمنع في وقت واحد بلا تدرج في مطلع القرن العشرين رفض الناس ذلك، واستمر تعاطي الخمر وفشلت أمريكا لأنها لا تعرف كيف تروض النفوس فذلك للذي خلق (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فلا تناقض.

7- ثم يقول:

في سورة الواقعة من 10-14 نجد تناقضا بين ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين وفي 38-40 يقول ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين؟

الجواب: اقرؤوا جيدا قال الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) ⁽¹⁾ لاحظ هاهنا يتحدث عن مقام خاص وهو مقام (السابقين المقربين) أصحاب الدرجات العلى.

وهم أعلى من أصحاب اليمين (اليمين) ففي منزلة السابقين الثلثة الأكبر (ثلثة من الأولين) وهم المؤمنون السابقون أصحاب الفضل .. ويدخل هذه المنزلة (قليل من الآخرين) إي من المتأخرين .. أما أصحاب (اليمين) الذين قال الله فيهم (لِلْأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) ⁽²⁾ فهم صنف آخر وهم أيضا قسما يكون منهم ثلثة من الأولين أصحاب السبق وثلثة من الآخرين .. أي بالتساوي أي يتقاسم الجيل الأول والأخير هذه المنزلة الثانية في المنزلة فهذه ليست شبهة ولكن جاء بها غير خبير كحاطب ليل وجعلها تناقضا؟.

8- يتابع المشتبه عليه:

يؤكد القرآن أنه قد أنزل عربيا باللغة العربية لكن السيوطي يقول إن فيه كلمات أعجمية وهذا تناقض.

الجواب: هذه ليست من المشتبهات نعم القرآن عربي ونزل بلغة العرب وكونه نزل بلغة العرب لايعني أن وجود كلمات أصلها غير عربية ينفي عربيته، فقد عُربت هذه الكلمات من حيث المبدأ وصارت جائلة على ألسنة العرب يفهمونها .. وقد دخلت في المعاجم العربية .. وتجنست بجنس لسان العرب .. ثم إن اللغات تتبادل المفردات وماذا نقول لأسماء الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ... الخ هي أسماء أعجمية هل نحذفهم

1 - [سورة الواقعة 10 - 14].

2 - [الواقعة 38 - 40].

من القرآن لأن الله أنزل القرآن عربيا؟ كما أن الإعجاز ليس في بُنى الكلمات والأصوات وحسب فهي مبان والإعجاز في المباني مع المعاني، وفي تركيب آياته وسحر بيانها، وفي عدم تعارضه مع الحقائق العلمية ولذلك تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله وليس بكلمات .. فنتبه يا صاحب الشبهة المنقولة من حلف الشيطان الخاسر الذي بدأ يزحف على القرآن بعد السنة ولكن الإسلام عصي على كل دعي (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) (1).

9- هذه الشبهة تقول:

إن النبي محمد لم يستطع عمل معجزات طلبها الكفار منه بينما يدعي أن القرآن هو معجزته فهذا تناقض.

والجواب: أولا- لم يقل النبي ليس لديه معجزة بل قال إنه لايفعل بنفسه المعجزات إذ إنهم أسندوا إليه الأفعال (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) (أو تكون لك بيت من زخرف ...) إلى آخر ذلك (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) إنها مجرد مواقف عبثية بقصد التمسخر والجدل العقيم قال الله تعالى: (... مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ) (2) .. ولو كان لهم ما أردوا لقالوا أيضا ما رأينا سحرا كسحر محمد فليست المعجزات المادية كفيلا وحدها بوضع نهاية لكفرهم.

ثانيا- رؤوا معجزات أخرى كشق القمر ووصفه صلى الله عليه وسلم لهم بيت المقدس وأحداث وقعت لقايلة لهم في الطريق أخبرهم بها وهو في مكة بعد حادثة المعراج.
ثالثا- لم تكن المعجزات المادية للنبي محمد بكثرة معجزات موسى وعيسى عليهم صلوات الله جميعا؛ لأن هذا الدين لكل زمان ومكان ولو أعطوا كل ما سألوا لكان لغيرهم حجة أن يأتي بمعجزات مادية حية كي يؤمنوا به كما أعطى قومه، وإلا قيل إنه بعث لقريش وحسب.

10- يقدم شبهة تناقض أخرى:

هل خلق السماوات والأرض في ستة أيام أم في ثمانية أيام؟ حيث ورد في سورة فصلت (قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ فَتَنٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَاءَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۗ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيُنْذَرُوا ۗ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا لِنُنذِرَ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّحِقِ قَدَرًا يَرَوْنَ بِالْحُكْمِ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ كُرْسِيِّ الشَّامِ وَالْحِجَابِ أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَدُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (36).

1 - [الأنفال 36].

2 - [الزخرف 58].

طَائِعِينَ*فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۗ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (1)

الجواب: إنهم يحسبون خلق الأرض هكذا $6=(2+4)+2$ خلق السماوات = 8 وهذا خطأ وإنما هو تداخل في الحساب فقط مثلما تقول قطعت المسافة من صنعاء إلى مكة في يومين وإلى المدينة في أربعة أيام، فاليومان داخلان في الأربعة أيام وإجمالي ما قطعت من صنعاء إلى المدينة 4 أيام، وليس 6 أيام .. وإجمالي خلق بدء الأرض وتقدير الأقوات 4 أيام، ولعل لذكر بدء خلق الأرض والجبال خصوصية خصت بالذكر بيومين، جريا وراء النواميس التي خلقها الله وعلما اتباعها وإلا فأمره بين الكاف والنون.

11- يقول: إن هناك تناقضا في بشارة الملائكة لمريم ففي سورة آل عمران آية 43 جاء الملائكة جمعا يبشرونها وفي سورة مريم آية 19 جاء ملك واحد وهذا تناقص.

الجواب: هذا محض افتراء وتدليس ففي سورة آل عمران جاءها الملائكة بالبشارة أما في سورة مريم فقد جاءها ملك لينفخ فيها ويهب لها بشرا سويا بأمر من الله وكلمته .. فلقد كان من لطف الله وعنايته أن مهد لها بالبشارة على لسان الملائكة حتى يهيئها نفسيا للحمل وأعطاهما الملائكة مسارات النبي عيسى عليه السلام ومهمته ومعجزته فهذا هو التفريق ولكن عميت أبصار الملحد من تبين أنوار الحقيقة.

12- يقول: إن في القرآن آيات تقول إن فرعون غرق وفي سورة يونس آية 92 تقول (اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية).

الجواب: أين الشبهة هاهنا؟ فلعل من معضلة المشتبه عليهم فهم اللغة كونهم جهالا وحاطبي ليل فالآية في سورة البقرة تقول: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (2).

ولم يقل أنجيناكم مع فرعون بل فرعون مع ملئه غارق وفي سورة يونس تتحدث أنه عرض إيمانه حين تأكد له الغرق فلم يقبل منه فهل يكافئه الله بأن ينجيه ملكا مرة ثانية؟ أم ينجيه بدنا ميتا ليكون لمن خلفه آية للاتعاض والاستبصار؟ إذن نجاته كان نجاه بدنه ميتا (اليوم ننجيك ببدنك) أي ببدنك فقط لا بروحك .. وهذا من معجزات القرآن فهاهو أمامكم مستلق في المتحف المصري بالتحريير ادخلوا بفاتورة مستقلة على غرفة رمسيس الثاني وانظروا معجزة القرآن فيه.

1 - [فصلت 9-12].

2 - [سورة البقرة 50].

13- يقول صاحب الجهل المطبق في شبهاته:

إن الله ذكر أنه نجى نوحا وأهله من الطوفان في سورة الأنبياء آية 76 وفي سورة هود آية 42-43 تقول إن أحد أبنائه لم ينج.

والجواب: قد ورد الاستثناء في سورة هود 40 (... وأهلك إلا من سبق عليه القول ...). فلا تعارض ثم إن الله قد ذكر أن ابن نوح ليس من أهله (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) لأن نسب الدين عند الله مقدم على نسب الطين قال الله: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا معه) فالمؤمنون وحسب أولى بالأنبياء نسبا وعليه نجى الله نوحا وأهله المؤمنين .. أما الكافر فليس من أهله.

14- هذه الشبهة تقول: إن القرآن يقول في عيسى (والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت) بينما يقول في سورة النساء 157 (وما قتلوه وما صلبوه) إلى أن يقول (بل رفعه الله إليه). فكيف يقول ويوم أموت وهنا وما قتلوه؟

الجواب: وهذه بديهة أيضا أصبحت شبهة نعم عيسى عليه السلام لم يموت ولم يصلب بل شبه لهم وأن الله رفعه إليه .. لكنه سيموت، سينزل آخر الزمان عدلا مقسطا يأتي ليقتل الخنزير ويكسر الصليب ويحكم بشريعة محمد ثم يموت، فالسلام عليه حين يموت يومئذ .. ولو قرأ الآية بعدها سيجدها تقول: (وإن من أهل الكتاب إلا ليومنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (1) لأنه من علامات الساعة كما قال الله (وإنه لعلم للساعة ...) (2) فهو يتحدث عن موته القادم أي حين يأتي علامة من علامات الساعة الكبرى حكما مقسطا، وعندئذ سيؤمنون به ثم يموت كأبي مخلوق قال تعالى: (كل نفس ذائقة الموت).

15- يقول: إن الإسلام إذ يدعو إلى التسامح يتحول في أية السيف إلى داعي لقتل المشركين حالما تنتهي الأشهر الحرم ... إذ يقول في سورة التوبة 5 (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد).

الجواب: في سورة التوبة يتحدث الله عن كفار نقضوا العهد على رأي فأمهلهم الله أربعة أشهر فإذا انقضت حوربوا أما من لم ينقضوا العهد فقال: (فأتتموا إليهم عهدهم إلى مدتكم) وفي آية 7 قال (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) المسألة مسألة خيانة صلح من محارب ولا يعني قتل أي كافر إطلاقا .. ثم قال في الناكثين في آية 5 (فإن تابوا وأقاموا الصلاة فخلوا سبيلهم)

1 - [النساء 159].

2 - [الزخرف : 61] وفي قراءة بفتح اللام.

قد يقال هذا إكراه في الدين، الجواب بل هو خيار تغيير لموقف الخيانة وتسليم وإلا فقد قال في الآية 6 (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ)⁽¹⁾ فهذا كافر لم ينكث العهد أوجب الله إجارته إن استجار من المسلمين حتى يتاح له فرصة سماع كلام الطرف الآخر وعقيدته، ثم إذا سمع لا يكره عليها بل على المسلمين ألا يخلوا سبيله و فقط بل ويبلغوه مأمنه حتى لا يستهدف من الطرف الذي خرج منهم .. إذن هذه الشبهة التي يكثر أعداء الإسلام من ترديدها تنزع من سياقها ليقال إن الدين يدعو لقتل الكافرين حيث وجدوا لغير سبب وهذا تجن وكذب ولا يتشبهت بهذه الدعوى على هذا الوجه إلا مدلس فاجر الخصومة.

ثانياً- تتحدث الآية عن حرم الله وبيته والله لا يقبل في بيته محتلاً من عدوه فمن ذا الذي يقبل باسم التسامح أن يدخل غريب عنوة في بيته فضلاً عن عدو محارب؟

16- يقول سامي المنصوري هذا جاء في النساء 47 : إن الله لا يغفر خطية الشرك و يغفر ما دون ذلك والشرك هو اتخاذ آلهة مع الله أو دونه إلا انه ورد في (الأنعام 76-78) [انظروا هذا الكذاب والمدلس فلا يوجد قرآن بهذا التركيب والتلفيق] ثم يقول إلا أنه ورد في (الأنعام 76-78) أن إبراهيم اتخذ الشمس والقمر والنجوم آلهة دون الله فيكفي كلامه (دليلاً) على إثبات الشرك وهذا شرك بين في حين أن إبراهيم يؤمن المسلمون انه معصوم مثل كل الأنبياء ولم يشرك أبداً.

الجواب: كيف تقول هذه الشبهة إن إبراهيم كان يعبد الأصنام وهو الذي قال لقومه (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) وقال أنهم بعبادتهم إياها في ضلال مبين ثم حطمها بيده .. لإبراهيم كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)⁽²⁾ (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ)⁽³⁾.

أما قول الله: (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ...) قال محمد الأمين الشنقيطي في كتابه دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص58) قال هو في هذا " مناظر لا ناظر دليل قوله تعالى (وحاجه قومه) وقصده التسليم الجدلي " أي على زعمكم أن هذا ربي الذي أبحث عنه هل تكتمل فيه شروط الإله الحق؟ فهذا أسلوب عملي تجريبي يخاطب فيه العقل وليس كديانة ثلاثة في واحد يساوي واحد (التثليث) دين أغض عينيك واتبعني الذين

1 - [التوبة 6].

2 - [آل عمران 67].

3 - [الأنبياء 51].

ينثرون شبهاتهم المتهافئة مع حلفائهم من أهل البدع بل هو دين العقل والبرهان إما قوله (لئن لم يهديني ربي لأكونن من الضالين) قال الشنقيطي إن الرسل كانوا يقولون ذلك تواضعا وإظهارا لالتجائهم إلى الله" أو أنه حالة تقريرية أن آلهتكم هذه لا تتصف بصفات الإله العظيم وأنا بحاجة إلى هداية الرب الحقيقي حتى لا أكون ضالا مثلكم.

17- تقول الشبهة جاء في سورة القدر 3 : (ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) إي من كل أمر قدر في تلك السنة وقال في الدخان 3 (أنا أنزلناه في ليلة مباركة) وهي في الإسلام ليلة مباركة تفصل فيها الأفضية ويقدر كل أمر يقع في ذلك العام من حياة أو موت أو غير ذلك. وهذا معناه أن أمور الخلق تقدر عاما إثر آخر. لكنه في (الحديد 22) ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) إي إلا مكتوبة في اللوح المحفوظ مثبتة في لوح الله من قبل أن تخلق ثم يقول وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه (إسرائ 13) إي ألزمناه عمله فهذا اضطراب وتناقض.

الجواب: أولا على فرض سلمنا بهذا التفسير فأين وجه التعارض والتناقض بين علم الله السابق لكل شيء .. العالم بما كان .. وما هو كائن .. وما سيكون .. وما لم يكن لو كان كيف يكون .. المدون في اللوح المحفوظ عنده وبين إنزال هذا العلم على الأحداث التفصيلية وإسنادها زمنيا وتفريقها على مدار كل سنة .. فذلك تقدير وهذا تدبير فالدولة - والله المثل الأعلى - تعلن ميزانية عامة ثم تفصلها تفصيلا عمليا وتوزعها توزيعا زمنيا .. وهذا جانب تعليمي أن يأخذ الناس بموازن الحياة المنظمة غير العشوائية .. وفي الكتب السماوية السابقة مثل التوراة سفر التكوين أن علم الله محيط بكل شيء ثم حديث عن أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام .. فهذا تزمين وتفريق فهل يتعارض هذا مع علم الله السابق وقدرته في أن يقول للشيء كن فيكون الرد. لا. بل هو تعليم لعباده ليأخذوا بالأسباب والعمل بالانواميس.

18- تقول هذه الشبهة أن مسألة الناسخ والمنسوخ في القرآن أريد به أن يحل لمحمد ما يريد ففي (الأحزاب 52) يقول الله لمحمد (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) وهنا نهى محمد عن الزواج غير أن الله رجع في كلامه وبدله بأمر مناقض هو الآية 50 (أنا أظننا لك أزواجك إلى قوله وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها) فكارن معي القول (لا يحل لك) بالقول (أنا أظننا لك)

والغريب جدا أن التحليل أتى أولاً ثم التحريم أتى بعد ذلك ويكون المنسوخ أولاً ثم الناسخ بعد ذلك.

الجواب: هذه محاولة للغش والأخذ بالرأي المرجوح بتقديم تلاوة آية التحليل وتأخير حكمها لتوهم وجود تحليل بعد تحريم ليوافق رغبات النبي بأن يتزوج بعد أن منعه من ذلك. فالآيات في سورة الأحزاب مرتبة تلاوة وحكما بشكل سليم فبدأ في آية 50 بالحديث عن التحليل (يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك ..) أي التسع بأن لا يطلق الزائد على أربع للخصوصية التي سنذكرها وفي آية 52 تحدث عن التحريم (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن ..) وهذا هو رأي الطاهر بن عاشور رحمه الله أي تحريم بعد ذكر ما أحل الله له من النساء، وقال إن ذكر التحليل هو تذكير بامتنان الله له أي أحلنا لك زوجاتك اللاتي في عصمتك واللاتي منهن المهاجرات كعائشة وحفصة وتشريع له ولغيره فيمن تزوج من القريبات كزينب بنت جحش ومن يحل له من القريبات غير زينب كتشريع وإباحة .. وذكره بما امتن عليه بزواجه من ملك اليمين كصفية وجويرية وفي الآية تشريع له ولغيره فيمن وهبت نفسها للنبي التي لم يتزوجها إذ لم يزد على من كان في عصمته .. إذن الآية كما قال صاحب التنوير " تقرير لتشريع سابق ومسوق مساق الامتنان.

ثم جاءت آية قصره على ما معه وذلك حين خير الله نساء النبي بين متاع الدنيا وبين الآخرة فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فكافأهن بعدم إباحة الزواج عليهن، وعدم تطليقهن، لأنهن صرن أمهات للمؤمنين، فلسن كأحد من النساء ووضعهن يختلف، فإذا حدد الله لغيره أربعا وإذا كان لغيره أن يطلق ويتزوج فقد قصر النبي على ما في عصمته وحسب، وعدم تطليق مازاد عن أربع أي التسع لخصوصية اتصالهن بشرف النبوة، ولأن من حقهن أن يكن نساء النبي في الآخرة، بعد أن اخترن الآخرة، وصرن للمؤمنين أمهات وصار محرما عليهن أن يتزوجن غير النبي في حياته ومن بعده بعكس غيرهن من آحاد النساء فما قاله هذا الكاتب باطل ولا يعرف سيرة النبي على وجهها السليم.



الشبهة (23)

القول بوجود تعارض بين القرآن والسنة

- بين يدينا منشور باسم توفيق حميد يتحدث عن وجود تعارض بين نصوص السنة والقرآن الكريم .. فهل هذا حقيقة أم ادعاء؟

الجواب:

هو حلقة من سلسلة متصلة من الشبهات التي تتدفق بنفس واحد ووظيفة واحدة وهي خلع المسلمين من سنة نبيهم ومن ثم خلعهم من قرآن ربهم ومن الإسلام وهي جملة من الشبهات تطعن في السنة بطريقة الالتقاط المعزول غير المنهجي عن طريق مقارنة أسماها: (مقارنة بين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في السنة) لدكتور سموه/ توفيق حميد

* وإليك الشبهات والرد:

- تقول الشبهة الأولى.

(على المسلمين اختيار إما محمد السنة أو محمد القرآن وصف "محمد" بين القرآن والسنة بحيث يصل فيها التناقض إلى درجة تجعل من الاستحالة تصور أن المصدرين (أي القرآن والسنة) يتكلمان عن الشخصية نفسها، فمحمد "القرآن" قد يدافع عن نفسه ولكنه لا يعتدى على الآخرين: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (1) وأما محمد السنة فيقول: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"، صحيح البخاري

الجواب:

وفي القرآن أيضا قال الله: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (2) فهل في القرآن تناقض أيضا؟.

1 - [البقرة : 190].

2 - [التوبة 123].

وثمة آيات أخرى كثيرة تحض على قتال المشركين والذين يلونكم من الكفار الذين كانوا محتلين لبلاد العرب من الفرس والروم، أم هل يسوغ صاحب الشبهات لاحتلال الأمم المستضعفة .. فالإسلام داعي تحرر لا داعي استعباد.

وثانيا: كانت حروب المسلمين دفاعية فقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار قريش لأنهم ابتدؤوا حرب النبي الحرب المعنوية، والنفسية، والجسدية، وأخير الحرب العسكرية في خروجهم لقتاله في غزوة بدر.

وكذلك الفرس أعلنت الحرب بتمزيق كسرى أبرويز بن هرمز كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإرساله عن طريق باذان رجلين فارسيين إلى المدينة لإلقاء القبض على النبي ثم بترجمة الفرس عدائهم للمسلمين بنشوب حروب بينهم وبين قبيلة بني شيبان بقيادة المجاهد المسلم المثني بن حارثة .. فلم تكن فارس مسالمة بل محاربة.

أما الروم فقد قتل عامل قيصر على البلقاء شرحبيل بن عمرو الغساني رسول رسول الله الحارث بن عمير الأزدي صبوا، وكان في طريقه إلى توصيل رسالة سلمية، مما أدى إلى إرسال النبي جيشا من 3000 ألف إلى مؤتة لأن الرسل لا تقتل وحدثت المعركة التي انتهت بانسحاب المسلمين، ثم إن الروم بعد ذلك احتشدت والقبائل العربية الموالية بهدف القضاء على الإسلام في المدينة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك لملاقاتهم، غير أن الروم لم يخرجوا لملاقاته بعد مكوثه فيها عشرين يوما لأن القيصر هرقل كان يعلم أنه نبي فنزل قال الله: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) (1) فتحولت الروم من أمة لها حق البر لأنها لم تقاوم المسلمين في دينهم كما وصى بذلك الإسلام، إلى أرض حرب بعد تكرار العدوان بمنطق حق الدفاع عن النفس.

** الشبهة الثانية تقول:

محمد "القرآن" لا يعرف ماذا سيحدث له أو لغيره يوم القيامة: (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) ، أما محمد السنة فهو يعلم الكثير من الغيب فيبشّر أفرادا بعينهم يقينا بدخول الجنة (العشرة المبشرون بالجنة!).

الجواب: هذا المدلس بمنهجه الالتقاضي يترك آيات أخرى تدل على أن الله يطلع بعض رسله على الغيب قال: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) ○ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ (...) (2).

1 - [الأحزاب : 25].

2 - [الجن 26 - 27].

فالنبي لا يعلم الغيب ولكن الله يطلعه على بعضه ومنه جاءت أخبار المستقبل.

**** الشبهة الثالثة تقول:**

ومحمد القرآن ليس من حقه أن يُكره أحدا على دخول الدين (لا إكراه في الدينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) ، بل ويؤمن بحرية العقيدة (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ) أما محمد السنة فهو يقول "من بدل دينه فاقتلوه".

الجواب:

الحديث لا ينص على قتل المتشكك في الدين بل على تبديل الدين ومفارقة الجماعة وتبديل الدين لا يكون أبدا عن ضعف الدين فلن يترك مسلم إليها واحدا ليعبد ثلاثة، ولا قرآنا واحدا ليؤمن بأربعة، على سبيل المثال ولا ربا عظيما ليعبد بقرة أو صنما، ولكن المبدل لدينه التارك للجماعة لن يكون إلا عن خيانة لعصبة المؤمنين والإنحياز للكافرين والغدر بهم وهذا ما يحصل اليوم من العمالة، وتجنيد الجواسيس وعند كل الدول قتل المواطن بسبب الخيانة وفي أرقى الديمقراطيات مشروع، ولو ارتد لذاته دون تحريض على هوية المجتمع، وسعى لخلق فتنة مجتمعية فهو وما أراد فليس على الدولة أن تفتش في قلوب الناس .. وإن أظهر ارتداده لشبهة فمن حقه أن يحصل على الإجابات المقنعة من أولي العلم، فإن وجدها ارتفعت حجته.

**** الشبهة الرابعة تقول:**

ومحمد القرآن أمر أن يصفح عن أساء في حقه (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) ، وأما محمد السنة فهو ينتقم من شاعرة اسمها "أم قرفة" بصورة وحشية تتعارض مع كل مبادئ الضمير والإنسانية، وذلك لأنها كانت تهجوه بشعرها فكما ذكر فتح الباري بشرح صحيح البخاري في كتاب المغازي باب غزوة زيد بن حارثة: " فجهزه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فأوقع بهم وقتل أم قرفة بكسر القاف وسكون الراء بعدها فاء وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر زوج مالك بن حذيفة بن بدر عم عيينة بن حصن بن حذيفة وكانت معظمةً فيهم، فيقال ربطها في ذنب فرسين وأجراهما فتقطعت وأسر بنتها وكانت جميلة ".

الجواب:

صاحب الشبهة يذكر شرح البخاري نقله ابن حجر من أقاصيص وتواريخ وليس في السنة فهو كاذب على السنة ومدلس.

** الشبهة الخامسة:

يقول: ومحمد القرآن لا يفرق بين رسل الله (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) بل ويتبع هداهم ويقتدي بهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ) ، أما محمد السنة فهو يقول عن نفسه "أنا سيد ولد آدم ولا فخر".

الجواب:

صاحب الشبهة يستغل ضحايا جهل بعضهم بالقرآن ويقوم بهذه الطريقة الفاسد في النقاط النصوص كما سبق ولم يذكر في المقابل قول الله: (تِلْكَ أَلْرُسُلُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ...) (1).

ويجب أن يكون سيد ولد آدم وإلا لما استحق أن يكون النبي الخاتم وأن يرسل إلى الناس كافة، لكنه في المقابل كان متواضعا مع إخوانه الأنبياء فقد ورد في البخاري: "لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى" فذكر مقامه تقرير حقيقة، لكنه تأدبا وتواضعا نهى عن المفاضلة بين الأنبياء.

** الشبهة السادسة:

يقول فيها: ومحمد القرآن لا يرمج الزانية لأن حد الرجم ليس له وجود في القرآن، أما محمد السنة فهو يدعو إلى رجم الزناة بصورة همجية وبشعة.

الجواب:

وفي القرآن لا يوجد الكثير من أحكام الشريعة كصفات الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج.

ثانيا نقول لصاحب هذه الشبهة ولغيره ممن أكثروا حولها اللغظ إن حد الزاني في حكم الممتنع واقعا لأنه يشترط شروطا لا يمكن أن تتحقق إلا بالاعتراف أو في أرض مشاعية يتسافد الناس فيها كالحيوانات في الأماكن العامة بحيث يراهم أربعة شهود عدول ويرون الإيلاج كالميل في المكحلة الأربعة وتكون شهادتهم متطابقة؛ لذلك لم يطبق هذا الحد في الإسلام إلا عن طريق الاعتراف، وقد كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم هو محاولة انتزاع الإنكار من ماعز والغامدية والرجوع عن اعترافهما، لا انتزاع الاعتراف؛ إذ إن الإسلام يدعو إلى الستر فقد قال صلى الله عليه وسلم "من أتى منكم شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله ومن أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحد" .. وهذا يعني أن حد الزنا جاء ليمنع

المشاعية الغربية البهائية التي يمكن مشاهدتها عبر نفر من الناس وهم لا يباليون بذلك .. وهذا ما يزعج المسافحون.

ثم هذا النغل يصف الإسلام بالهمجية مع أن حكم حد الزاني في العهد القديم التوراة التي يؤمنون بها فهل يكف هؤلاء عن حرب ديننا وينتبهوا لقذاراتهم؟.

** الشبهة السابعة:

يقول: ومحمد القرآن لا يقتل الأسرى في الحروب (فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) بل وعليه أن يُعاملهم برحمة (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) ، أما محمد السنة فيقتل أسراه بتوحش كما قتل يهود بني قريظة وسبى نساءهم تبعاً لكتب الحديث والسيره.

الجواب:

أيضا يتعمد الغش والكذب فانه يقول (ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّىٰ يُشَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (1).
فقد نهى عن الأسر في حالة الضعف بل قتل وقتال وحسب، فهذا عدو جاء بهدف القتل فإذا كان أسره وإطلاق سراحه سيعيده مقاتلا من جديد، فلا أسر بل قتل وقتال فإذا حدث الأسر فإن للأسير حقوقه في الإسلام لم يجدها العالم المتحضر في حروبه قال الله: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا).

** الشبهة الثامنة:

يقول: ومحمد القرآن ليس شهوانيا فكان يقوم الليل متعبدا لله (رَبِّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ) ، بل وحُرِّمَتْ عَلَيْهِ النِّسَاءُ فِي آخِرِ مَرَاكِلِ الدَّعْوَةِ (لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) ، أما محمد السنة فهو يجمع تسع زوجات في ليلة واحدة وأوتى كما ذكرت كتب الحديث "قوة ثلاثين في الجماع".

الجواب:

التعب لا يعني التنسك والرهبنة .. وفحولة الرجل مزية تضاف له ولا يذم عليها، وهذا الحديث يشير إلى واقع بشري غريزي فلوم يتحدث عنه النبي سيقولون ظلامية وتخلف وثقافة متزمتة .. أما قوة النبي فهذا من موجبات تحقق العدالة، فقد منع أن يطلق نساءه التسع لأنهن كما قال الله: (لستن كأحد من النساء) فحرم الله عليهن الزواج من بعده كونهن (أمهات المؤمنين) وزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة بعد أن اخترن الله

ورسوله والدار الآخرة، وكان في عصمته ما كان مباحا من التعدد المطلق قبل التقييد، فهل كتب عليهن أن لا يأخذن حقهن في المعاشرة بشكله الطبيعي ففي هذا النص بعد الواقعية والعدل وليس الشثيمة.

** الشبهة التاسعة:

يقول: ومحمد القرآن ليس مريضا بمرض البيدوفيليا أو "معاشرة الأطفال جنسيا"، فلا يقبل أن يتزوج إلا بعد أن تبلغ الزوجة الأجل المناسب (أي تكون ناضجة جسديا وذهنيا) كما ذكر القرآن (وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ) ، أما محمد السنة فهو يتزوج طفلة صغيرة عمرها ست سنوات ويعاشرها جسديا وهي في التاسعة من عمرها : "عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَأَتَيْتَنِي أُمِّي أُمَّ رُوْمَانَ وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوْحَةٍ وَمَعِيَ صَوَاحِبٌ لِي، فَصَرَخْتُ بِي فَأَتَيْتُهَا لَأُذْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّىٰ أَوْقَفْتَنِي عَلَىٰ بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لَأُنْهَجُ حَتَّىٰ سَكَنَ بَعْضُ نَفْسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلْتَنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ : عَلَى الْخَيْرِ وَالْبُرْكََةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَاسْأَلْتَنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضُحَىٰ فَاسْأَلْتَنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ) (1).

الجواب:

صاحب الشبهة بطريقة مسفة وواطية يشتم النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق التعريض بمرض إتيان الصبيان، دليل دافع الكره والحقد أما الجواب فلهذا الزواج بعد تشريعي وليس غريزي فتقافة الغريزة المحضة وافدة من المادية المعاصرة، والنبي صلى الله عليه وسلم بقي مدة طويلة بلازوجة بعد وفاة خديجة غير أنه كان يتردد على بيت صاحبه أبي بكر في بيته وكان يتخرج من ذلك، فكان الزواج المبكر استجابة لهذا البعد حتى يكون بينهما علاقة مسببة، وثانيا تزوج بها صغيرة إكراما لصاحبه أن يكون له النبي سببا وصهرا .. أما هل دخل عليها في سن غير مناسب، فليأت صاحب الشبهة بالدليل، فالزواج غير المعاشرة، وقد كانت أمنا عائشة محدثة ولم تذكر تسخطا بل الرضا والحب التام .. ومن النساء من يبلغن في سن مبكرة فهذه الشبهة ذبابية التقاطية، وهلا حدثنا عن روايات عن زواج الواحد من أنبياء بني إسرائيل بمئات النساء، وإتيانهن في ليلة واحدة أم الضرب المتواصل فقط على الإسلام؟

**** الشبهة العاشرة:**

يقول: ومحمد القرآن أرسل كما جاء في القرآن رحمة للعالمين، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) ، أما محمد السنة فيقول في الحديث " لقد جئتمكم بالذبح".

**** الجواب:**

قال النبي ذلك كناية عن تأديب اليهود بالقتل الحربي وليس الذبح بالمدينة كما تذبح الشاة، مثلما يقولون في ضحايا قنبلة مثلا وقعت مذبحه كبيرة .. إنما السؤال ليس عن الذبح الذي يطل آحاد الناس السؤال عن الإبادات الجماعية التي ينفذها أبطال أسلحة الدمار الشامل وقتل الملايين بضغطة زر واحدة من أولياء الشر وصناع الموت الأكبر ومروجه فصار آلات الموت السلعة الأولى في البيع.

**** الشبهة الحادية عشرة:**

يقول متقم الشبهات (ومحمد القرآن ليس من حقه أن يشفع لأحد يوم القيامة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا أَنفُقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ) ، بل وسيشهد على أمته كما جاء في القرآن:(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (1)، أما محمد "السنة" فيقول "أمتي أمتي" ويشفع لأمته يوم القيامة فيخرجهم من النار إلى الجنة كما ورد في كتب الحديث، فيا ترى من نصدق وصف محمد في القرآن أم وصف محمد في السنة؟؟، فهما نقيضان لا يلتقيان!

الجواب:

لهذا الغبي أو المستعبي أن يتلاعب بالنصوص إذا اعتقد أن ضحاياه أميون فالله يقول في كتابه (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) (2). وقال (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وآيات أخرى كثيرة.

فالقرآن أورد الشفاعة كالسنة ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.



1 - [الفرقان : 30].

2 - [طه : 109].

الشبهة (24)

التقية في القرآن الكريم

- أليس الله تعالى يقول: (...إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ...) (1) فإذا التقية التي في دين الشيعة موجود في القرآن الكريم؟

الجواب:

ذهب الناس في حكم التقيّة مذهبيين .. أما الشيعة فأخذوها كأحد أعمدة الدين .. وأما أهل السنة وبخاصة الاتجاه الحركي فقد أهملوها كمباح.

ويمكن أن نمثّل لهذا الاضطرار التّقويّ الذي جاء في سياق موالاة الكفار بمثال بسيط مثل حاكم كافر جائر رفع كأس الخمر بشماله ورفع السيف بيمينه وقال لعالم دين هل كأس الخمر هذا حلال أم حرام؟

فإن قال: هو حرام وهو يعلم أنه بهذا سيقتله فقد أخذ بالعزيمة، فهو سيد الشهداء عند الله .. قال النبي صلى الله عليه وسلم "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب يوم القيامة، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله" (2) .. وإن قال: نعم هو حلال وهو يعلم أنه سينجو بهذا من القتل فقد أخذ بالرخصة ولا حرج عليه فإله يقول: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان).
فيما على الدين الشيعي يجب عليه أن يتقي ظلم هذا الظالم ويقول بل هي حلال .. فعندهم من لا تقية له فلادين له .. وبخاصة تلك التي تعين على استتار المعتقد وإخفاء التربص بالمخالفين ..

غير أن محل الشاهد ليس هاهنا .. بل نريد نأخذ من هذا ما يمكن أن تنتازل عنه كسنة لمصلحة أداء واجب محقق .. فإذا كانت السنة الشكلية عنوانا قد تدل على صاحبها فتؤذيه أو قد يترتب عليه بذلك ترك واجب فليتركها حفاظا على الأهم، واتقاء لظلم الظالمين الذين يحاربون الهوية الإسلامية وبخاصة في زماننا هذا التي تضافرت فيه قوى عظمى باطشة على محاربة الحق وأهله، فالعدو قوي ويريد استئصال فكرك وأنت ضعيف فلا يدل مظهرك على عنوان جوهرك بلافتات مظهرية بحجة سنيّتها .. فكم من سنن مستورة غير منظورة هجرها النساك وتمسكوا بالسنن الشعراوية التي قد تكون مجرد عناوين وعلامات إشهار فصائلية فهذا يدل على فصيلته برفع الإزار كالسلفية .. وهذا بلبس العمامة السوداء كالداعشية .. وهذا بلبس

1 - [آل عمران : 28].

2 - رواه الطبراني في المعجم الكبير.

العمامة الخضراء كالصوفية .. وهذا بلبس العمامة البيضاء كالجارودية .. وصدق النبي الكريم حين قال: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (1). وقد تبعد هذه الطلاءات أكثر عندما تتعصب لما تراه سنة في مقابل ترك الواجب فالأخوة مثلا بين المسلمين واجب إلا أن الولاء والبراء صار منعقدا بالمظهر وليس بالمخبر .. فهذا يلبس لبسا مخالفا إذن هو عدوي وإن كان مسلما يحب الله ورسوله.

ولنعد إلى فقه الواقع بتقديم الواجب على المسنون أو الأخذ برأي مرجوح فإذا كان النّقاب في الغرب مثلا سيؤدي إلى حرمان المسلمات من حقوق، ويحول دون أداء واجبات أو يكون فتنة للذين كفروا بأن يظنوا أن الإسلام يبدأ وينتهي بقطعة قماش يحجب بها الوجه وأن أمام الرغبة في الإسلام وضعا صارما قد يسبب لها المتاعب فليكتفَ بالحجاب ولتطرق المرأة المسلمة الميادين لتكون فاعلة لا مجرد متفاعلة .. ومؤثرة لا مجرد متأثرة تعاني من إعاقة شكلية يتحاشاها بها المجتمع.

وإذا كانت اللحية مثلا ستحول دون دخول المسلم الملتزم مؤسسة فيها نفع أمته وخدمة دينه والقائمون على هذه المؤسسة يرفضون المتدينين وإنما يستدلون عليهم بالشكل فليحلقها .. فليس شعر الوجه قصة رسالة الإسلام .. بل قد يصير الحلق هنا عزيمة إن لم يكن واجبا .. فمعلوم في الفقه أن ما هو مسنون قد يصير حراما مثل قراءة القرآن والإمام يخطب مثلا .. وما هو حرام قد يصير حلالا مثل أكل الميتة لمن يوشك أن يموت، فالحفاظ على النفس مقدم على حكم تحريم الميتة .. فإذا كانت إنما حرمت لمصلحة الإنسان فإن حياة الإنسان قد باتت مهددة بالزوال .. قال تعالى: (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) .. وقياسا عليه إذا كانت الأشكال إنما هي مكملات الهوية فإن بسببها قد يتضرر الدين نفسه فيجب تقديم الجوهر على المظهر.

وإذا كان في ترك الثوب القصير ولبس البدلة مثلا فيه تسهيل لدخولك مركزا علميا فيه التخصص الذي سينفع الأمة فلا تلبس الثوب بل قد يكون لبس الثوب وسط زي موحد آخر منهيًا عنه لأنه يصير ثوب شهرة .. وثوب الشهرة هو الذي يلفت أنظار الناس إلى صاحبه لغرابته وقد يقود إلى إيذائه بنظرات استنكار وعبارات استهجان، على أن تعريف الثوب هو ما ستر ولم يصف أو يشف .. وصارت البدلة زيا عالميا لا يخص ديانة بعينها.

ومن علامات الإشهار الدالة على ذوي التوجه الديني التي قد تكون مؤذية وضارة أكثر من نفعها هي الشعارات الدينية الصارخة التركوية التي تتسبب في حدوث فرز بين المجتمع الواحد نتيجة تبني مظاهر الادعاء والتتبع ولا داعي لذكر أمثلة لها فهي تربو على الحصر ..

هذه الشعارات آذت الحركات الصحوية وعزلتهم وهدت بنيانهم بعنف .. وتسببت في تحريك جهودهم إلى الهامش من حياة المجتمعات لم يتعبدا الله بها وإنما هو فوران حماس غير مرشد بقيادة عقل نابهة .. فيجب تحاشيها لأن الدين ليس شعارات.

وبالمحصلة كل السنن المظهرية واللافات الشعاراتية يجب أن يعاد قراءتها اليوم في ضوء فقه الواقع .. وإحياء فقه الموازنات لما قد يترتب عليها من ترك واجبات أو مطاردات وإيذاء وهذا من باب قال تعالى : (... إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ...) .. أو لِمَا يَحْمِلُ بَعْضُهَا مِنْ ضَرَرٍ لَا لَزُومَ لَهُ.

** أما ما كان أصلا في الدين فها هنا يجب التضحية من أجله لا ينبغي التنازل عنه أو التفریط فيه، ومن يرد أن يكون سيد الشهداء فليثبت على الحق .. ولا يعني الثبات على الحق أن يتحول إلى معتد يستحل الحرمات ويأتي بمنكرات أنكر من ترك الواجب في حال الخوف على حياته بل يقدر المقامات بقدرها، فهذا عمار بن ياسر رضي الله عنه نطق بما طلب الكفار فأنزل الله (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (1).

ثم إن للواقع فقهه فقد تكون هذه السنن عزيزة في بلد مسلم، وقد تكون عزيزة في بلد غير مسلم إذا كان في إطلاقها وسيلة تعارف .. أو تكثير سواد المسلمين .. أو الاستدلال بها على وظيفة شيخ أو إمام مسجد، أما النقاب فهو مرجوح في كل الأحوال والحجاب هو الواجب وهذا اختيار الشيخ الألباني رحمه الله، ومن أدلة مرجوحيته ضرورة كشف المرأة عن وجهها في الحج وهو في الصلاة مكروه ولو كان الوجه عورة لما جاز أداء العبادات إلا بالنقاب.

على أني لا أدعي الاختصاص في الفتيا قطعا ولكنه اجتهاد باحث، وبقي أن نذكر بذلك التوسع لمعنى التقية عند أتباع الدين الإمامي، الذي انتهى إلى أسلوب الكذب، والغش، والتدليس في كل شيء إذا كان فيه نصرة المذهب، أو عدم كشف تلبسه باعتناقه والإيمان بما فيه من شذوذ، وأي دين هذا الذي يقوم على أسوأ الخصال وأقبح المسالك؟ فهذا حرام في الإسلام، إذ كيف تأمن شخصا الكذب عنده دين؟ كيف تتعامل معه؟ كيف تعاوده؟ ولذلك صارت أنظمة تتحلى بهذه الخصال منبوذة معزولة محاطة بالحيطه والتربص .. التقية تكون في ترك الواجب رخصة فيما فيه تهديد لحياة الفرد، وفي ترك المسنون رخصة فيما فيه رجاء إقامة واجب أو دفع ضرر ظاهر .. والله أعلى وأعلم.



الشبهة (25)

قتل الخضر الغلام في سورة الكهف

- كيف أجاز الله قتل غلام بريء غير مكلف كما جاء في سورة الكهف دون أن يقام عليه حد الشرع؟

الجواب:

أولاً- المسألة هي في حق قضاء الخالق وليس في حق اعتداء مخلوق على مخلوق آخر معصوم الدم، إذ لو فعلها الخضر من تلقاء نفسه لطبق عليه أحكام الشريعة، والمولى تعالى غير مقيد بشرائع وضعها للبشر، فله أن يحيي من يشاء وأن يميت من يشاء .. إنه طلق التصرف في خلقه، ثم إن له تعالى أن يختار الأسباب التي يجريها على من قضى عليه الموت، سواء كان بتردي من شاهق، أو بمرض، أو بافتراس .. وله أن يجري قضاءه على يد الرجل الصالح عن طريق وحيه بقتل الغلام البريء وذلك ليقول للعباد إن إرادة الله لا يقيدها شيء.

- قد يقال لكن الرجل الصالح مكلف وقد فعل خلاف الشرع .. فلم لم يقم عليه حد

الله؟

والجواب: أن الله قد جمع لهذه الإرادة طرفين رئيسين أولهما المنفذ للعلم الشرعي الذي أنزله الله ممثلاً بنبي الله موسى عليه السلام والثاني المنفذ للعلم اللدني ممثلاً بالرجل الصالح عليه السلام.. فإذا كان موسى هو المعني في زمانه بإقامة حد الشرع وفقاً للظاهر فقد أخبره الله تعالى أن الحدث موقوفاً عليه لا على الخضر (وما فعلته عن أمري) وبالتالي يرفع عنه حد الشرع لأنه موقف إلهي خاص.

وبالتالي ما كان لنا ولا لموسى أن يتحدث عن جريمة قتل مقابل عقوبة، ولا أن نستغرب كيف يقتل إنسان مكلف طفلاً بريئاً.. فالخضر لم يقتل ولم يعتد بل هو منفذ أمر من أمره أن يميت من أحياء لحكمة يعلمها.

ثانياً- لأن الذي قضى بالموت على الطفل هو الخالق فهو يعلم شأن من خلق، فما نراه شراً قد يكون عند الله خيراً، فالله لا يصنع الشر لأحد، وإن كان قد خلق عمومه، فالشر ليس إليه، وقد ضرب الله لنا مثلاً سابقاً بخرق السفينة على يد الرجل الصالح، حيث بدا لموسى

عليه السلام إن ما فعله الخضر شر قد يفضي إلى غرق أهلها (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأ) فهذا تقديره البشري وحكمه الشرعي، وليس فيه بملوم، أما تقدير الله فمتجاوز الرؤية البشرية القاصرة إلى مآلات الأشياء غير المنظورة .. وعليه يقاس قتل الغلام فمن مصلحة الغلام نفسه أن يقبضه الله إليه قبل سن التكليف، فيدخل الجنة وقد يكون شفيحاً لأهله، ثم يبذل الله أبويه خيراً منه زكاة وأقرب رحماً، ولو قدر له البقاء على ما فيه من نزوع الشر وبواد المعصية لأرهق أبويه طغياناً وكفراً، وذهب هو إلى النار ولا ندري كم سيفتن على يديه من الناس.

على أن هذه الخوارق للنواميس كانت رداً على موسى عليه السلام حين سئل هل هناك من هو أعلم منك؟ فأجاب بالنفي .. كونه رأى أنه نبي وعليه تنزل أحكام الشريعة، فأراد المولى تعالى أن يقول لرسوله ليس علم الشرع هو كل شيء فعلم الشرع ناموس بشري يقوم على ظاهر الأشياء وعلم الله حاكم لعلم الشريعة وأشمل منه.

ثالثاً- إن إقامة الشريعة لاتعني دوماً تحقيق العدالة؛ لأنها قائمة على الأدلة التي تبدو في الظاهر أنها أدلة، فقد يشهد الشهود زوراً فتنفذ في المشهود عليه الشريعة بإقامة الحد عليه، لكن العدالة بذلك لم تتحقق، وقد يعترف المتهم بجريمة لم يقترفها لسبب ما فتقام عليه حد الشريعة غير أن ذلك لم يحقق العدالة الحقيقية بل الظاهرة .. فالشريعة نسبية غير مطلقة وإن كانت قد حملت كل العدل لكن بشرية البشر تحول دون ذلك .. لذلك كثيراً ما أكد المولى أن ثمة محكمة إلهية ستنصب يوم القيامة للفصل بين المتخاصمين لإقامة العدالة الحقيقية .. وبالتالي الذي سيقوم العدالة الحقيقية في الآخرة هو الذي لن يقضي على عبد في الدنيا إلا بعدالة حقيقية، وبالتالي ما فعله الخضر بأمر الله يحقق العدالة لا الظلم. فأن يخرق السفينة خير من أن يصادرها الملك ويحرم منها المساكين، وأن يقضي بموت الطفل خير من أن يرهق أبويه طغياناً وكفراً .. إذ قد يتساءل الأبوان عن عدل الله أن رزقهما بولد عاق وأن لطفه كان في أخذه إليه أولى من تركه؟

على أن الحديث هنا عن حادثة خاصة موقوفة على الله في كتابه العزيز للعبارة، ولا يقاس عليها في دنيا الناس .. فالشريعة تظل هي الحاكمة للجميع .. كما قد يبئلي الله المؤمنين بأبناء عاقين ويجعل الله الصبر عليهم باباً من أبواب الرحمة.. هذا وفوق كل ذي علم عليم.



الشبهة (26)

هل تغرب الشمس في عين حمئة؟

- كيف تقول الآية (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) وهل للشمس مغرب؟

الجواب:

هذه شبهة من أخطر ما تمر على المسلم المعاصر .. وأكثر ما يرددها الملحدون كقطعن في الدين وقد تدفن مع المؤمن دون أن يعرف لها تفسيراً ليست بأجوج ومأجوج فقد يفسرون بمعان كثيرة بل هي قول المولى تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) (1) كيف تغرب الشمس وهي لا تغرب؟ .. ثم في عين حمئة كأنها تدخل في عين ماء ساخن وهذا خلاف اكتشاف نظام المجموعة الشمسية .. فما هو جواب هذه الشبهة؟؟؟

بداية وأنت تقرأ القرآن الكريم ستجد روعة الإعجاز في الحديث عن دوران المجموعة الشمسية التي يتعاقب عليها الليل والنهار وفي آيات كثيرة من نحو: (لا الشمس ينبغي لها أن تترك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) قال (وكل) أي وكل شيء متحرك من الذرة إلى المجرة ويشمل ذلك الأرض .. وقال: (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً) أي كل منهما يجري وراء الآخر دليل الكروية ودوران الأرض وعدم تسطحها. ومن أدلة كروية الأرض قول الله: (والأرض بعد ذلك دحاهما) والدحي يشبه الشكل البيضاوي.

وأما قوله تعالى في سورة الغاشية: (والى الأرض كيف سطحت) فهي دليل على كروية الأرض لا على تسطحها فلو جاءت الآية .. وإلى سطح الأرض .. لكان ها هنا معناها مسطحة .. فلها سطح وحافة وسقف .. لكن الآية تتحدث عن أن الأرض كلها تبدو في نظر الناظر سطحا واحدا .. لذلك هي كروية الشكل والكرة كلها سطح ليس لها حافة والأرض كلها سطح إذن هي كروية.

ومثل ذلك قوله تعالى: (أمن جعل الأرض قراراً) (2) هي دليل على أنها تجري وليس العكس إذ لا يوجد مناسبة للحديث عن أن الله جعلها قراراً إلا أنها تجري .. فمنطوق معنى

1 - [الكهف : 86].

2 - [النمل : 61].

الآية أنه رغم جريانها إلا أنه جعلها لاتميد بنا .. كصانع السيارة يقول لمشتريها جعلت الكراسي مثبتة مستقرة كي لا تميد بك لأن السيارة تتحرك .. ولا يمكن أن يقول البناء جعلت لك الدار ثابتا لا تتحرك فكيف تتحرك وهي أصلا ثابتة ولا مناسبة للحديث عن ثباتها هنا. إذن كل ما سبق لايشير إلا إلى أن الشمس لاتغرب في أي مكان .. بل هي دوارة مؤارة فكيف يتحدث المولى عن (مغرب الشمس) وأنها تغرب في عين حمئة؟ .. هل نحن أمام تناقض قرآني؟ الجواب لا. بل المسألة ترجع لفهم النص الذي معناه كالتالي:

أولا - معنى (مغرب) له معنيان إما مكان غروبها أو زمن غروبها المعروف للرئين أي رؤية النظر المجرد ..

لنبدأ بمعنى وقت غروبها .. فالمصدر ينوب عن الظرف تقول وصلت طلوع الشمس .. ومطلع الشمس بمعنى وقت طلوع وزمن مطلع الشمس قال الله: (سلام هي حتى مطلع الفجر) أي هي حتى وقت مطلع الفجر .. وعلى هذا يكون المعنى ظل يسير حتى مغرب الشمس أي وقت غروبها.

المعنى الثاني: وله معنيان، فإما أن يكون معناه مكان غروب الشمس في عين الرائي الذي يرى أن الشمس تغرب فيه قال الله: (ولله المشرق والمغرب) فلكل بلد مشرق ترى الشمس تشرق منه، ومغرب ترى الشمس تغرب منه .. فهو بلغ المكان الذي ظن أنه مغرب الشمس .. وها هنا نقف عند الفعل (وجد) فليس معناه الوجود المادي فكلمة وجد تكون مادية وقلبية .. المادي مثل (وجدت الكتاب) وليس هذا هو المراد بالآية بل المراد القلبي الظني أي حسبها تغرب في عين حمئة مثل (وجدت النجاة في الاستقامة) وإنما هو بمعنى رأيته بقلبي قال ابن كثير رحمه الله: (وجدتها تغرب في عين حمئة): أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه⁽¹⁾ وقال القرطبي رحمه الله في كلام نفيس: "قال القفال قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغربا ومشرقا وصل إلى جرمها ومسها؛ لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدتها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدتها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض؛ ولهذا قال: (وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم"⁽²⁾ وقال

1 - تفسير القرآن العظيم (434/2)

2 - تفسير الجامع لأحكام القرآن (50/11).

البيضاوي رحمه الله : "لعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وَجَدَهَا تَغْرُبُ ولم يقل كانت تغرب" (1).

إذن ظنها تغرب في عين حمئة .. ومن معاني حمئة قالوا الطين الأسود أي في ماء سوداء فها هنا يكون المراد في ماء مظلمة كأنه طين أسود قال الفخر الرازي في تفسير الآية : "إن ذا القرنين لما بلغ أقصى المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهذه مظلمة وإن لم تكن كذلك في الحقيقة كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير للشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر" .. ومن معاني (حمئة) المعنى المتبادر إلى الذهن أي الماء الساخن وهذا المعنى الأخير (لحمئة) يقودنا إلى المعنى الثاني لكلمة (مغرب) فقد يكون المراد المغرب المتعارف عليه دوليا .. وهي بلاد الغرب فنحن نقسم العالم إلى مشرق ينتهي بأندونيسيا ومغرب ينتهي بأمريكا.

قال الباحث أحمد آل الشيخ في كتابه (عين ذي القرنين الحمئة ومكانها) بأن المقصود بها هي قارة أمريكا الشمالية لأنها آخر قارة تغرب عنها الشمس كل يوم فهي بذلك تعد مغرب الشمس في لغة العرب (موسوعة الويك) فما معنى أنها عين حمئة .. نعرف ذلك من أن في غرب أمريكا الشمالية ولاية هي عبارة عن أرخبيل من الجزر (23) جزيرة وعاصمتها (هاواي) عدد سكانها يربوا على المليون والمائتي ألف نسمة ومن الجزر جزيرة كاهولالوي وأرضها عبارة عن قمم سلاسل جبلية بركانية غارقة تكثر بها البراكين .. ويتجدد ثوران بركانها وهي الوحيدة التي تزداد مساحتها باستمرار بسبب النشاط البركاني وتدفق الحمم البركانية، وبشكل خاص في جزيرة كيلاو Kīlauea. سك (موسوعة الويك).

هذه الجزر عبارة عن سلسلة بركانية تسيل عيوننا من الماء الحممي البركاني .. وحين تغرب عليها الشمس تظهر وكأنها تغرب في عين تجري مشتعلة حمراء فلعل الله تعالى قد شملت رحمته هواي هذه في أقصى الأرض من جهة المغرب التي يرى منها عيون البراكين كما قال الرازي "لم يبق بعده شيء من العمارات" فأرسل لها (ذو القرنين) يدعوها إلى الله يدل ذلك على أن دعوة الله لا تترك مكانا قريبا أو بعيد.

وهذا هو معنى الآية معنى علمي قائم على التوجيه اللغوي وربط الأفعال بالقرائن العقلية والاصطلاحية.



الشبهة (27)

الإسراء والمعراج

- ما الحاجة إلى القول بوجود حادثة إسراء ومعراج والقرآن لم يتحدث عن ذلك بشكل واضح على الأقل المعراج لا دليل بين على ذلك؟

الجواب:

قال جل وعز: (ما زاغ البصرُ وما طغى * لقد رأى من آياتِ ربِّه الكبرى) (1) إن حادثة الإسراء والمعراج اقتضاء رسالي، لا ترف فكري، أو لزوم ما لا يلزم ويمكن المجادلة فيها.

لقد أيد الله بهذه الواقعة نبي آخر الزمان بما يتلاءم مع طبيعة رسالته وفترتها؛ من ذلك أن منسوب التطور العلمي سيصل إلى هذا المستوى من حديث طي المكان وقطع المسافات الهائلة في لحظات فتصير معجزة الإسراء والمعراج موافقة لمقررات العصر، فهذا صوت المذيع يصل من أمريكا في نفس اللحظة، ويوما عن يوم ترسل آلات الحديد الضخمة لتعبر القارات في زمن غير مسبوق، فلا يبقى للاستغراب وجه أن تتجاوز قدرة الله كل ذلك ويطوي رسول الله الأرض والسماء في ليلة واحدة.

أما الاقتضاء الرسالي فهو أن إيمان الأنبياء يكون بدرجة (حق اليقين) .. وهو أعلى من (عين اليقين)، وعين اليقين، أعلى من (علم اليقين).

- ف(علم اليقين) قائم على العلم الغيبي بشواهد الآثار، و(عين اليقين) قائم على النظر المجرد، أما (حق اليقين) فيتجاوز النظر إلى معرفة ظاهر الشيء وأسراره.

وإيمان سائر الخلق يكون بعلم اليقين: (الذين يؤمنون بالغيب) وهو القدر الذي يحتاجونه لدخول الجنة، فابتلاؤهم في أن جعل الله إيمانهم غيباً.

وتحتاج لشيء من التأني لقراءة التمثيل لهذا التدرج الإيماني من القرآن الكريم؛ لشرح الفرق بين مراتب الإيمان، ومن ثم ترى معنى الاقتضاء الرسالي لاطلاع رسول الله صلوات الله عليه على مكنونات الغيب، قال الله في الذين يكذبون بالنار في سورة التكاثر: (كلا لو

تعلمون علم اليقين) هذا أول مراتب الإيمان (علم اليقين) وهو الإيمان الدنيوي بوجود الشيء غيباً، ثم قال: (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثم لترونها عين اليقين) وهذا ثاني مراتب الإيمان وهو (عين اليقين) في الآخرة، فسيرونها فتصل مراتب الإيمان بها إلى عين اليقين، لكن الرؤية المجردة لا تعطي باقي صفات النار، مثل القدرة على الإحراق وصفة عذابها، فلم أن يصلوا إلى حق اليقين، فكان كما قال تعالى في سورة الحديد: (فَنزَلْنَا مِنْ حَمِيمٍ* وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) فبعد دخولهم النار يصلون إلى حق اليقين بمعرفة صفاتها وأسرارها.

ولأن الأنبياء رسل الله إلى خلقه، فإن من البدهي أن يكون الرسول أعلم بالمرسل، وأكثر إدراكاً له ممن أرسل إليهم، حتى تكتمل شهادته على ذات المرسل وصفاته، فهم مبلغون، والمبلغون شهداء الله على خلقه، والشهداء يكونون أكثر إدراكاً من غيرهم بالمشهود. لذلك بعد إيمان الأنبياء بالغيب كسائر الناس طلبوا أكثر من علم اليقين وهو ما جرى تمثيله في الكتاب العزيز لسيدنا إبراهيم، وموسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

قال إبراهيم: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيُطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (1) فإبراهيم يؤمن بعلم اليقين وأراد درجة الاختصاص في العلم، وهذا الطلب تحديداً يتصل بصفة المعاينة على صاحب القدرة في الخلق؛ لأنه يحتاجها لقوم يعبدون ما لا يخلقون لم حاجتهم به، فمن يخلق هو الحقيق بالعبادة: (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ○ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (2).

وقال موسى عليه السلام: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ...) (3) فكان في (تجلي) ربه للجبل وفي شهود آثاره العظيمة ما يتجاوز به علم اليقين، ويسد به حاجة الطلب، فهو يعلم أن قومه لا ينقصهم معرفة وجود الله كقوم إبراهيم، فقد جاءهم من الآيات ما يكفي، بل إلى معرفة كنه وجوده (... فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ...) (4).

لقد كان عليهم أن يكتفوا بشهادة نبيهم فهو الرسول الأمين إليهم، كون النظر إلى جلال الله فوق قدرة الخلق الدنيوي .. لكن أراهم الله قدرته في أن أماتهم بالصاعقة ثم أحياهم.

1 - [البقرة : 260].

2 - [الصافات 95 - 96].

3 - [الأعراف : 143].

4 - [النساء : 153].

وبالقياس فإن سيدنا محمد صلوات الله عليه كان يحتاج إلى الشيء ذاته الذي طلبه الأنبياء من ربهم فيطلع على غيبيات يؤمن بها بعلم اليقين، لتصبح حق اليقين فكانت حادثة الإسراء والمعراج، وهي أشمل مما سبق قال الله فيها: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (1) فرأى في المعراج الآيات الكبرى، ورأى في الإسراء آيات دونها، ذكرها بداية سورة الإسراء: (سبحان الذي أسرى بعبده) إلى قوله: (لنريه من آياتنا) فهذه الآيات حدثت في الإسراء إلى بيت المقدس.

وليس المراد بالآيات الكبرى في المعراج هي فقط رؤية النبي صلوات الله عليه لجبريل عليه السلام (وهو بالأفق الأعلى) ومرة ثانية وهو (عند سدره المنتهى) في هيئته الحقيقية وهيئته البشرية، إذ ليس جبريل وحده هو الآيات الكبرى التي رآها فمن الملائكة من هو أعظم خلقا من جبريل، فوق أن نمة رأيا يقول المراد بهذه الرؤية هي رؤية النبي لربه تعالى - على اختلاف بين العلماء والمفسرين في ذلك - إلى ذلك رأى في معراجه كل ما حدثت الناس عنه من ملائكة، وأنبياء، وجنة، ونار، واستقر نظره (عند سدره المنتهى * عندها جنة المأوى) (2) وفي حديث البخاري أنه دنا من ربه فكان منه قاب قوسين أو أدنى: (فأوحى إليه ما أوحى) أي أوحى بفريضة الصلاة.

وبالمحصلة فإن في حادثة المعراج تجربة عملية لبلوغ حق اليقين، والإجابة على تخرصات الكفار في يقين مصدرية الوحي، وتأكيد بطلان دعوى الكهانة، وما قد يظنونه من تخليط أو تعرض النبي صلى الله عليه وسلم لوسائل خفية لبست عليه باسم الله تعالى، ألم يقل له الوليد بن المغيرة: "وإن كان هذا الري - أي الجني - الذي يأتيك قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه".

وهنا ندرك سر قول الله في بداية سورة النجم التي تناولت حادثة المعراج: (ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) ثم جاء الحديث عن المعراج (بالإشارة لا بالعبارة) لتأكيد حقيقة رسالة النبي صلوات الله عليه.

وبدون هذه الحادثة ربما بقي السؤال مطروحا .. إن لم يكن كلامك صادرا عن جني فما مدى معرفتك أنت بوجود ما تدعونا إليه من غيبيات؟ وهذا يدعم موقف المسلمين برسالة نبيهم الذي بلغ الأبعاد الغيبية بأدوات الإدراك الكاملة، وأن حديثه عن ربه كان بحق اليقين لا بعلم اليقين لأنه نبي مبلغ.

1 - [النجم : 18].

2 - [النجم : 15].

ولا يعني أن هذا الاستدلال العقلي مبني على فراغ من صحيح النقل، فحادثة المعراج - إلى جانب آيات سورة النجم - ثمة إشارة قرآنية مهمة على الحادثة هي قول المولى تعالى: (وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ) (1) كيف يطلب الله من النبي أن يسأل الأنبياء السابقين وبينه وبينهم قرون لو لم يكن المراد أن لقاءك بهم كائن في الإسراء بالصلاة بهم في بيت المقدس، وفي المعراج في اللقاء بهم في مقاماتهم عند ربهم، وهذا موافق لما نصت عليه الأحاديث الصحيحة منها حديث البخاري الطويل برقم (7517) عن أنس بن مالك وفي بقية الأسانيد.

وإنما توقفت عند مسألة التأصيل؛ لأن هناك من يجزيء الإيمان بقدرة الله تجزيئا عقليا، ولقد أنكر كفار مكة المعراج، فذكر الله أنه جعله فتنة أي ابتلاء للكفار إلى جانب بعض الغيبيات كشجرة الزقوم التي سخر أبو جهل من شجرة في جهنم، قال الله في سورة الإسراء: (... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ...) (2) المراد ما رآه في حادثة المعراج، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هي رؤية عين" قال الفخر الرازي في تفسير الآية: "قال الأكثرون لا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة". لأن هذه الآية من جملة ما استدل به القائلون بعدم حدوث المعراج بالروح والجسد، وهو قول أقل أهل العلم، واستدلوا كذلك بقول الله: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) (3) بكونها رؤية قلبية، وليس بقطعي لأن المراد أن رؤية البصر صدقها القلب، فقد يرى الرائي الشيء، ولا يلامس قلبه بالتصديق وهو قول المولى: (ولهم أعين لا يبصرون بها) فرؤية النبي كأنها نابعة من القلب نفسه لا مجرد النظر العابر.

وقد عاب الله على من جادلوا في الرؤية فقال: (أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) (4) قال بعض المفسرين أي أتجادلونه على رؤية ربه؟ فما وجه العجب في ذلك؟

- كما استدل القائلون بأن ذلك تم بالروح والجسد بقول الله: (سبحان الذي أسرى بعبده) وهي أن كلمة العبد يشمل الروح والجسد دليله قول الله: (أرأيت الذي ينهى * عبدا إذا صلى) .. ثم إن في ذكر البصر في قوله: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) (5) تعريزا لمذهب القائلين أن ذلك بأداة الإبصار الحقيقي.

1 - [الزخرف : 45].

2 - [الإسراء : 60].

3 - [النجم : 11].

4 - [النجم : 12].

5 - [النجم : 17].

وقد وردت كلمة (رأى) بصيغها المختلفة والمراد بها رؤية النبي في الإسراء والمعراج نحو (7) مرات، فهل يكون كل ذلك في المنام؟.

ولو ظهر النبي صلى الله عليه وسلم ليخبر الناس أنه رأى في المنام أنه أسري به إلى المسجد الأقصى، وأعرج به إلى السماء لما حدث التكذيب من قريش، ففيم التكذيب في رؤية منامية؟ ولما أحدث لبعضهم فتنة وتشكيكا، ولما طلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس كأنه يراها .. فالمنام لا يقتضي التفصيل لأنه في النهاية رؤية منام.

على أن ما تؤيده النصوص، وأدلة العقل، وتؤكد المعطيات الحديثة، وما تأنس إليه النفس، أن الإسراء والمعراج قد كان بالجسد والروح، والتردد فيه تردد في قدرة الله المطلقة على فعل ما يشاء، كيف يشاء، لما يشاء.

غير أن تناول المسألة من عدمها ليس من أصول الاعتقاد، ولا ينبغي أن تشغل الناس عن ما هو أهم لدينهم ودنياهم، وتبقى الخطورة فقط في تكذيب ما هو ثابت بالنصوص القطعية والله أعلم.



ثالثاً - شبهات وردود في:

قضايا النبوة والسنة الشريفة

الشبهة (28)

إثبات نبوة الأنبياء عقليا

س- كيف يمكنكم إثبات نبوة لأنبياء عقليا؟

الجواب:

أولاً- لما خلق الله الإنسان حرا جعله كائنا أخلاقيا تتنازعه قيم متناقضة .. ابتلاه بها لكي يختار أي السبيلين (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)⁽¹⁾ لكنه لا يدري عن طريق الخير من الشر .. ولا عن طريق الحق من الباطل .. ولا عن طريق العدل من الظلم .. ولا عن طريق الفضيلة من الرذيلة .. ولا عن طريق الخالق من طريق الضلال والغواية.

وقد أودع الله في الإنسان فطرة سليمة نزاعة إلى قيم الخير، ولكن بفعل الشيطان والنفس والدنيا والهوى قد يبدو الشر في صورة الخير، والخير في صورة الشر، وهو هو الضلال الذي ذكره الله في كتابه (فماذا بعد الحق إلا الضلال) فالمنطق يقتضي وجود رسل هادين يتأتون من الخالق إلى المخلوقين (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)⁽²⁾ تهديه سبل السلام (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)⁽³⁾ وتأتية بالكتب السماوية التي فيها منهج حياة الإنسان: (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ...) ⁽⁴⁾.

ثانيا- قد يقول قائل إن الإنسان الذي نجح في تطويع الطبيعة لصالحه وحقق تقدما كبيرا في مجال خدمة الإنسان يستطع أن يختار منهج حياته لنفسه بنفسه.

والجواب: أن هذا غير ممكن، فإذا كان الإنسان قد نجح في اكتشاف قوانين الطبيعة وتسخيرها لنفسه فذلك لأن الله تعالى مكنه منها فقال: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

1 - [الإنسان : 3].

2 - [النساء : 165].

3 - [المائدة : 16].

4 - [آل عمران : 3-4].

الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ⁽¹⁾ وطلب منه عمارتها فقال (... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ...) ⁽²⁾.

أما الإنسان فهو شأن إلهي (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) ⁽³⁾ (...هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ...) ⁽⁴⁾.

ويبقى الإنسان موضع تجاذب بين رجال على أبواب جهنم وبين الله تعالى: (...أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ...) ⁽⁵⁾.

والإنسان إذ أبدع في اكتشاف قوانين الطبيعة المسخرة فشل فشلا ذريعا في التشريع لنفسه، فما يكاد في الأحوال المدنية كمثل يحرم شيئا حتى يحطه، وما يحظر اليمين شيئا حتى يأتي اليسار ليطلقه وبالعكس، فعبثوا بالأسرة، وتفرقوا في مسائل الإنجاب والأنكحة والمواريث، وشاع الزواج غير الشرعي والإنجاب غير الشرعي، وانتشرت ظاهرة التخلص من النسل (الإجهاض)، وآخر محطات التدرج القيمي ظهور الدعوة إلى المثلية والقول بعدم الفوارق بين الجنسين، والزواج بالحيوانات ليصلوا إلى زواج المحارم، فوضى سلوكية لا تقف عند حد.

وعلى مستوى العقائد ستجد العالم الياباني الكبير في مجال الطبيعة يسجد لصنم، والعالم الهندوسي الكبير يعبد بقرة، وعدد لا يحصى من الآلهة الخرافية يعكف على عبادتها الإنسان، وبالتالي لا بد من أنبياء ورسول لهداية الناس من واقع الضلال الواقعين فيه: (إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ...) ⁽⁶⁾ فالذي خلق هو الأحق بالطاعة (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) ⁽⁷⁾.

ثالثا- يشترط في الرسول من الله لتصديقه أن يأتي بعلامات تدل على صفة القدرة التي ليست للبشر، وأقربها إدراكا هي المتعلقة بالقوانين التي أودعها في الكون المنظور والتي لا يستطيع المخلوقون تغييرها، بل من أودعها وحده يستطيع، فمن ذا الذي يملك أن يبطل قانون الإحراق فينجي إبراهيم من النار سوى من أودع هذا القانون في النار، ولا أن يبطل

1 - [الجاثية : 13].

2 - [هود : 61].

3 - [الملك : 14].

4 - [النجم : 32].

5 - [البقرة : 221].

6 - [فصلت : 14].

7 - [الشعراء : 78].

قانون الإغراق فينجي موسى وقومه من البحر سوى من أودعه، ولا يستطيع أن يخرق قوانين الطبيعة ونواميسها فيخرج من الجراد ناقة حية تأييدا لنبي الله صالح ولا ينطق الطفل في المهد ولا يحي الموتى تأييدا لنبي الله عيسى ولا يشق القمر في جو السماء تأييدا لنبي الله محمد سوى القادر على اختراق القوانين، ولا يخرق القوانين سوى من أودعها والذي أودعها هو الله الذي بيده مقاليد كل شيء، فهل يستطيع الوثن أو تستطيع البقرة أو أي إله غير الله فعل شيء من ذلك؟.

*إعجاز القرآن والسنة:

رابعاً- تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية عن أحداث غيبية حدثت والنبي منها إما على بعد مكاني أو زمني، وسأورد هنا بعض معجزات آخر الأنبياء التي أيده الله بها ذلك هو سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ابتداء من حياته وحتى يومنا هذا. فالقرآن الكريم كما السنة النبوية حافظان بالمعجزات، من ذلك خرق حجب المستقبل والإخبار عن وقائع واقعة أو متوقعة.

أخبر القرآن الكريم أن الروم قد غلبوا (غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) (1) وتحقق ذلك.

وأخبر أن أبا لهب عم النبي لن يسلم بل (سَيَصَلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ) (2) وفعلاً لم يسلم رغم بقاءه عشر سنوات بعد نزول سورة المسد.

وكذلك الوليد بن المغيرة الذي قال فيه (سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ) (3) لم يأت ليسلم بل مات كافراً. وقال أن غالب قريش سيموتون كفاراً فقد (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (4) وحدث ما أخبر به الله تعالى، فهلك غالب زعماء قريش على الشرك خلاف بقية القبائل العربية التي كانت تؤمن زعماءهم وأعمهم أفرادهم.

وقال في صحابة النبي أنهم كانوا على (... وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا (...)) (5) (وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (6) وأنه (... وَأَعَدَّ

1 - [الروم : 2- 3].

2 - [المسد : 3].

3 - [المدثر : 26].

4 - [يس : 7].

5 - [آل عمران : 103].

6 - [الحجرات : 7].

لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽¹⁾ ولذلك لم يرتد الصحابة ولم يرتد صحابي واحد بعد رسول الله معلوم الإيمان وهذا معجزة على نبي الغيب.

وأخبر الصحابة في بيعة الرضوان التي وقعت في الحديبية في شوال من السنة السادسة للهجرة أنه (... وَأَتَابَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا)⁽²⁾ وكان ذلك فتح خيبر التي فتحت في ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة أي بعد صلح الحديبية بخمسة أشهر على اختلاف بسيط في المدة.

وأخبر أنه (... أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)⁽³⁾ وأنه سيستخلف أتباعه المستضعفين و (... وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ...) ⁽⁴⁾ وهذا ما حدث نحو 1200 عام بالأقل كان الإسلام ظاهرا على كل الديانات والمسلمون حاكمون للعالم في أعظم حضارة وأوسعها وأطولها.

فمن أخبر محمدا صلى الله عليه وسلم بكل تلك الأخبار لو لم يكن من الله العالم بكل شيء؟.

ولقد أخبر النبي عن أحداث وقعت في زمانه وبينه وبينها شهور وأخبر عن أحداث وقعت بعده بقرون ولا تزال تحدث.

فمما أخبر عنه في زمانه قوله لرسولي كسرى (أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها)⁽⁵⁾ فقد سلط الله على كسرى ابرويز الذي مزق كتاب رسول الله ابنه شيرويه فقتله.

ونزل جبريل في الليل وأخبره بمصرع مدعي النبوة الأسود العنسي فأصبح يقول: "قتل العنسي البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين"⁽⁶⁾ و" نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه خرج إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربعاً"⁽⁷⁾ ونقل الأحداث اللحظية لغزوة مؤتة فقال: "أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب"⁽⁸⁾ قال الراوي وإن عيناه لتذرفان .. ومعنى أصيب (أي استشهد) كما في أحاديث أخرى .. ثم قال "اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم"

1 - [التوبة : 100].

2 - [الفتح : 18].

3 - [التوبة : 33].

4 - [النور : 55].

5 - الجامع الصحيح لصهيب عبد الجبار.

6 - أخرجه بن جرير في تأريخه.

7 - رواه البخاري.

8 - رواه البخاري.

قال لابنته فاطمة: "إنك أول أهلي لحاقا بي" (1) وكانت أول أهله لحاقا به حيث توفيت بعده بست أشهر وقيل أقل من ذلك.

وقال في عمار بن ياسر: "ويح عمار تقتله الفئة الباغية" (2) وقد قتل في معركة صفين في خلافة علي وكان في صف علي قتله أهل الشام.

وقال في الحسن: "لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" (3) وتمثل ذلك بصلحه مع معاوية وانتهاء الفتنة بين المسلمين علما أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وعمر الحسن في السابعة رضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين.

وأخبر أن ناسا من أمته يركبون البحر غزاة فقالت أم حرام بنت ملحان: "يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت من الأولين" (4) ولقد كانت في صحبة أول غزوة بحرية إلى قبرص في عهد معاوية، وهناك سقطت من على الدابة وماتت.

وأخبر عن "فتح بيت المقدس" (5) وقال: "تفتح اليمن" (6) و"إنكم ستفتحون مصر" (7) و"لتفتحن القسطنطينية" (8).. وقال: "مثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب، وإنكم ستفتحونها، فقام رجل فقال: هب لي يا رسول الله ابنة بقبيلة، فقال: "هي لك"، فأعطوه إياها" (9) أعطاه إياه خالد بن الوليد قائد الجيش الفاتح في عهد أبي بكر الصديق وكانت هي الشيماء بنت بقبيلة ففداها أخوها عبد المسيح.

وتحدث عن أخبار الخوارج وأنهم سيقاثلون عليا ووصفهم بدقة "يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه، فيهم أسود، إحدى يديه حلما ثدي" فلما قتلهم علي رضي الله عنه قال: انظروا، انظروا فلم يجدوا، فقال ارجعوا، فو الله ما كذبت ولا كذبت، مرتين أو ثلاثا، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي فيهم" (10).

1 - رواه البخاري.

2 - رواه البخاري.

3 - رواه البخاري.

4 - رواه مسلم.

5 - رواه البخاري.

6 - رواه البخاري.

7 - رواه مسلم.

8 - رواه أحمد.

9 - رواه ابن حبان والبيهقي وصححه الألباني.

10 - رواه ابن حبان في صحيحه، وابن أبي شيبة في مصنفه.

وقال: " لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس" (1) وكانت القدس يومئذ تحت حكم بيزنطة، وفتحت في عهد عمر بن الخطاب في السنة 16 للهجرة، واليوم تظهر فصائل الجهاد مرابطة على بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، ودعا للشام واليمن وتحدث عن أخبار الملاحم في الشام بشكل واسع وتصوير دقيق.

وقال: " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل... " (2) وقال: " ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة" (3) وقد رأينا العمالة في أسوأ صورها على يد حكام عرب ومسلمين جهلاء نخالات العقول بعد العزة والمنعة التي كانت للمسلمين لمدة تزيد عن 1200 عاما.

وأخبر أن من علامات قيام الساعة " أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان" (4) وفي رواية لمسلم أيضا: " وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض، فذاك من أشراطها" وقد عني بهم العرب وهذا ما حدث فأطول برج هو برج خليفة في دبي 163 طابقا، وهام بعض حكام العرب صم بكم لا يكاد أحدهم ينطق جملتين صحيحتين يتحكمون في حضارة العالم بالطاقة التي منحهم الله إياها فلم يؤدوا لله حق الشكر.

وعشرات الأحاديث في أخبار الغيب لا يتسع المجال لسردها، ولا يملك العقل سوى أن يؤمن بها حقائق ظاهرة أمام الناظرين، وإن تحقق أحداث أخبر عنها على ظهر الغيب لهي دالة على صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ولقد تركنا الكثير من دلائل الإعجاز للنبي كالاستسقاء، والبركة على يديه، وتكليم الجمادات وغير ذلك.

• أدلة قرآنية وحديثية معاصرة:

قد يقال غالب ما ذكر حدث في الماضي فماذا عن وقائع اليوم؟

والجواب: لقد تحدثت أكثر من ١٠٠٠ آية في القرآن الكريم تحدثت في الإعجاز العلمي الموافقة لحقائق مكتشفات الحضارة المعاصرة بدرجة التطابق، كأدلة عقلية وعلمية على نبوة النبي وأنه مرسل من الله تبارك وتعالى.

1 - رواه مسلم وأحمد واللفظ لأحمد.

2 - أخرجه أبو داود.

3 - رواه أحمد وغيره من أهل السنن.

4 - رواه مسلم وغيره.

من ذلك أن بداية الكون كان دخانا ويسمى (السديم) (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ... (1).

وأن السماء والأرض كانتا رتقا ففتقهما وجاءت الحقيقة العلمية الانفجار العظيم big bang مؤيدة لذلك (أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حيٍّ أفلا يؤمنون) (2) قوله (وجعلنا من الماء كل شيء حي) مؤيد للحقائق العلمية إلى أنه يستحيل وجود حياة بدون ماء ولذلك يبحثون في النجوم عن وجود الماء كدليل على وجود حياة فيها.

وأخبر أن السماء مستمرة في التمدد (والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) (3) كما يقرر ذلك علم الفلك.

وأن هناك نجوما تتكدر ويطمس ضوءها (وإذا النجوم انكدرت) (وإذا النجوم طمست) بفعل تبدد الطاقة .. ونجوم تشيخ فتهوي على نفسها (والنجم إذا هوى) .. وأن هناك نجوما تبتلع مجرات تسمى علميا الثقب الأسود سماها الله (الجوار الكنس) التي تكنس ما أمامها .. وأن ما نراه من النجوم لانرى إلا مواقعها حيث تكون قد تحولت أو اندثرت (فلا أقسم بمواقع النجوم) .. وأن الشمس والقمر سيجمعان يوم القيامة (وجمع الشمس والقمر) وذلك عندما تصبح الشمس عملاقا أحمر .. وأن نظام الكون من مجرات ونجوم سيطوى على بعضه يوم القيامة، وهو ما يسمى علميا بالانسحاق العظيم بعد الانفجار العظيم (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (4)

وأن القمر كان مشتعلا ثم انطفأ (وجعلنا الليل والنهار آياتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة...) (5) ووصف القمر الذي يستمد ضوءه من الشمس أنه (منير) ووصف الشمس المشتعلة بـ(سراج): (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) (6) وباتت هذه حقائق علمية لا جدال فيها.

وأن للنجوم مدارات وأفلاك تسير فيها بانتظام (لأ الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولأ الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) (7).

1 - [فصلت : 11].

2 - [الأنبياء : 30].

3 - [الذاريات : 47].

4 - [الأنبياء : 104].

5 - [الإسراء : 12].

6 - [نوح : 16].

7 - [يس : 40].

وأنه جعل السماء سقفا محفوظا وهو الغلاف المداري الذي يحمي الأرض من النيازك والأشعة الضارة وسوى ذلك: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ...)⁽¹⁾ ومحفوظ يعني حافظ كما تقول بدل فاقد وهي بدل مفقود.

وأن السماء ترجع والأرض تصدع (وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ)⁽²⁾ فالأرض ترسل البخار وترجعه السماء ماء، وترسل الحرارة نهارا وترجعها السماء ليلا وترسل الأشعة الراديوية وترجعها السماء إلى الأجهزة اللاقطة.. إلخ

وأن الذي يصعد في السماء يخنق ويرى كل شيء مظلمًا: (... وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ...) (3) واختناقه لتناقص الأوكسجين، وأما عدم الرؤية فلخلو الجو من انعكاسات الأشعة (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ)⁽⁴⁾ وكل هذا ثابت علميا.

وأن السحاب التي نراها بلا وزن ثقيلة (... وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ)⁽⁵⁾ وقد علم أن السحابة الركامية قد يصل وزن المتوسط إلى 500 ألف كيلو.

وأن البحر اللحي يحوي موجات ثلاث: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ)⁽⁶⁾ وإلى جانب ظلمة الألوان جعلت الرؤية مستحيلة وبانت هذه حقيقة علمية ثابتة .. وتحدث عن البحر المشتعل وهي إشارة إلى البراكين المشتعلة في أعماق البحار (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)⁽⁷⁾. قال صلى الله عليه وسلم: "إن تحت البحر نارا، وتحت النار بحرا"⁽⁸⁾ .. وأنه مرج ماء النهر العذب مع ماء البحر المالح فكونا برزخا بخصائص ماء مستقل عن البحرين: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحَجْرًا مَّحْجُورًا)⁽⁹⁾ (... وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ...)⁽¹⁰⁾.

1 - [الأنبياء : 32].

2 - [الطارق : 11-12].

3 - [الأنعام : 125].

4 - [الحجر : 15].

5 - [الرعد : 12].

6 - [النور : 40].

7 - [الطور : 6].

8 - رواه أبو داود.

9 - [الفرقان : 53].

10 - [النمل : 61].

وأنة أرسى الجبال وجعله أوتادا للأرض لنتيبتها من الاضطراب (وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا) (1)
(وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا) (2) (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ...) (3) وقد أثبت العلم أنه لا يرى
من الجبال إلا ثلثها والثلثان تحت الأرض لنتيبتها.

وأن الجنين يمشج من الحيوان المنوي للذكر ومن بويضة الأنثى ويسمى (البويضة
المخصبة) وعند أرسطو أن الجنين يأتي من ماء الرجل حيث يختر دم حيض المرأة فيتشكل
.. وعند عالم الأجنة جالين أن الجنين يتكون من ماء الرجل حيث يخرج منه قرما جدا يتغذى
على ماء المرة، لكن القرآن يتحدث عن أطوار خلق الإنسان بشكل دقيق ومذهل نسفت تلك
التخمينات، قال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ
خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ
خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (4).

وفي الحديث النبوي: "إن في ابن آدم ثلاثمائة وستون عظما" (5) وقد ثبت هذا علميا.
وأن الإحساس في الجلد لا في سواه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ
جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) (6) وهذا ما أثبتته العلم
وصار حقيقة ثابتة.

هذا فقط في الإعجاز العلمي ناهيك عن الإعجاز الأدبي وفي الأحوال التشريعية
والعبادية، وإن القرآن ليتحدى الناس أنسهم وجنهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أن يأتوا
بسورة من مثله وهيئات لو كان هذا التحدي قابلا للتنفيذ لفلطته كفار قريش.
مما سبق يتبين أن إثبات نبوة النبي يمكن ذلك عقليا وعلميا وليس مجرد توجيهات نصية
وتجاوبات عاطفية مجردة، بل ثمة قدرة ذاتية على تحصيلها بما تملك من براهين قطعية
الورود والدلالة بحيث لا يمكن دفعها ولا منعها.



1 - [النازعات : 32].

2 - [النبا : 7].

3 - [النحل : 15].

4 - [المؤمنون : 12-14].

5 - رواه أبو نعيم في الحلية.

6 - [النساء : 56].

الشبهة (29)

هل حث القرآن على اتباع السنة؟

- هناك منشور متداول باسم أحمد ماهر يقول إن القرآن الكريم إنما حث على إتباع القرآن وليس السنة فهل السنة وحي من الله أم اجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الاكتفاء بالقرآن وحسب؟

الجواب:

المستشار أحمد ماهر ضابط استخبارات مصري سابق تخصص في هجاء سنة رسول الله والتشكيك فيها هذا الرجل قال في مقابلة متلفزة إن الإسلام عدو الحياة، يقول هذا الاستخباراتي لا داعي للسنة لأن الله يقول: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (1) ولم يقل اتبعوا السنة .. وقال (... مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (2) فما الحاجة إلى سنة؟ بحسبنا كتاب الله .. ومن أحسن من الله قبيلا .. ومن أحسن من الله حديثا وهذا الرد عليه:

أولا - الآيات وأمثالهما تدعوان إلى اتباع الرسول لو أدرك أصحاب الشبهة .. كيف؟ لأنهما قالتا نتبع القرآن وما ترك الله من شيء يستحق الذكر إلا وبينه وفصله .. ومن القرآن ستجد آيات توجب اتباع الرسول وهي من القرآن .. فمن اتبع آيات الإلزام باتباع النبي فقد اتبع القرآن .. أم هل سيلغي المشككون آيات اتباع النبي صلوات الله عليه من القرآن؟ فعشرات الآيات تؤكد وجوب الأخذ بقول النبي وعدم معصيته .. ولا توجد آية تقيد الأخذ بالقرآن من نحو لا تتبعوا غير أوامر الله ولا تتبعوا أحدا ولا محمدا الرسول .. لكن العشرات من الآيات تقول لنا نتبع النبي .. إذن يجب أن نأخذ بالقرآن، ومنه الآيات الحاثية على طاعة النبي فيما يقول ويفعل، وسنكتفي ببعض نصوص الوحي على النحو التالي:

1- [الأنعام : 155].

2- [الأنعام 38].

1- من ذلك قوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (1) ما آتاكم من فعل أو تقرير فخذوه، وما نهاكم بالقول فانتهوا، فهذه هي السنة الفعلية، والتقريبية، والقولية، في آية واحدة كما قال العلماء.

وأرأيتَ لو أن حاكما كتب إلى الرعية - والله المثل الأعلى - وقال ما جاءكم من رسولي هذا فاسمعوا له وأطيعوا، وما أمركم به فأتروا .. وما نهاكم عنه فانتهوا .. هكذا بدون تقييد ولا استثناء .. هل يقال بعد ذلك إننا لن نصدر إلا عن توجيهات مباشرة من الحاكم نفسه، ولا نقبل بكلام هذا الرسول أو نائبه، حتى نتلقى الأمر مباشرة من الملك؟ سيكون هذا بمثابة عصيان واضح، وتمرد فاضح على أوامر الحاكم نفسه.

2- وقال: (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (2) الله ما أجل هذه الآية وضوحا وأكملها حجة، كان يكفي أن يقول: (ربنا آما بما أنزلت) كان هذا يكفي؛ لأن من ضمنه إتباع النبي، لكن تأكيدا قال: (واتبعنا الرسول) فصار بهذا القرآن والسنة وحيين لأن إتباع الرسول لن يكون عن هوى وإلا لما نص الله على إتباعه .. ثم (واتبعنا الرسول) وإن كانت هذه الآية نزلت في عيسى وأتباعه، إلا أن كلام الأنبياء يخرج من مشكاة واحد .. وفيم يكون الإتباع؟ الإتباع يعني تقفي خطاه، والسير على هديه وسيرته وتعاليمه، يجلي هذا أكثر قوله جل وعز: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (3).

(يتلو عليهم آياته) أي يصلي بهم بالقرآن، ويعلمهم القرآن ترتيلا وتلاوة، فالقرآن جزء من مهمة الرسالة والسنة الجزء المفصل والمبين له كما سيأتي.

(ويزكيهم) يربيهم على أحسن الأخلاق، وأفضل التقى؟ والتضحية والصبر والتجرد.

(ويعلمهم الكتاب) يفسر مبهمه ويطلق مجمله، ويخصص مطلقه وهذا بحث واسع.

(والحكمة) المراد بها السنة فصارت السنة بهذا جزءا من الرسالة إلى جانب القرآن،

وإلا ما فائدة التكرار (الكتاب والحكمة) معزز بقوله تعالى: (... وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

1- [الحشر : 7].

2- [آل عمران : 53].

3- [آل عمران : 164].

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ...⁽¹⁾ فالسنة أنزلها الله كما أنزل الكتاب من السماء، وهل يعقل أن يشرع النبي صلى الله عليه وسلم - من تلقاء نفسه، في العقيدة والعبادة والشريعة والسلوك، والله يقول: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) ⁽²⁾؟ هذا عقاب رسول الله إن تقوَّل على الله ما لم يأت منزلاً بأي طريقة من طرق الوحي، وقال: (وعلمك ما لم تكن تعلم) فهو علم من الله لا من ذات رسول الله .. فجاء بالسنة القولية، والفعلية، والتقريرية التي يعمل بها الشيعة أنفسهم التي كان بها معلماً ومرشداً لأصحابه، فالسنة بذلك وحي منزل قال الله: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) ولكن ليست بمنزلة القرآن لأنها أجريت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. من هنا قال الله في نهاية حياة النبي: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) ولم يقل أكملت لكم قرآنكم، فلو كان بحسبنا كتاب الله لنزل كاملاً، بدون جهود إضافية لطرف وسيط وهو النبي القدوة .. فكيف سيعرفون تطبيق فرائضه .. وأحكامه لكنه نزل منجماً متساوقاً مع الوقائع، والأحداث، والمعارك، والتوجيه والتسديد، فكل واقعه وحدث وحكم تشريعي شأن خاص، لم يذكر منها القرآن إلا إشارات وتكفلت السنة بنقلها إلى الصحابة ومنهم إلى الأجيال؟

3- يقول الله لنبيه: (قم فأندِر) (وعظّمهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) كيف أُنذر النبي قومه؟ وما هي مواضع النبي وأوامره ونواهيته؟ وكيف تعامل مع الناس حتى يقتدي به الآخرون من بعده لأن الله قال لنا جميعاً: (وإن تطيعوه تهتدوا) فلن نهتدي إلا بتعاليمه وإرشاداته.

وقال: (لتحكم بين الناس بما أراك الله) ولم يبين لنا القرآن كيف يحكم رسول الله في بعض القضايا، مثل قضية بني أُبَيْرِق التي نزلت فيهم تسع آيات في سورة النساء من آية 105، كلها عتاب وتحذير، ولم ينزل الله فيهم في كتابه حكماً معيناً ولا كيف قضى رسول الله فيهم، ولا ما هي القصة، ولكن السنة جاءت بكل ذلك كون السنة جزءاً من الدين .. كما لم يذكر لنا القرآن من هم المعذرون وما هي قصتهم؟ ومن المخلفون من الإعراب وما أسباب نزول الآيات فيهم؟ .. ولا الثلاثة الذين خلفوا وكيف قضى فيهم رسول الله؟ .. وما الذي أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه؟ ومن هُنَّ؟ وما جرى عليهن من الأحكام؟ وما حادثة الإفك؟ وكيف

1- [النساء : 113].

2- [الحاقة : 44-46].

قضى فيها رسول الله؟ وما هي قصة زيد وكيف انتهت؟ كل ذلك ومئات النصوص لا نعرف عن خلفيتها إن لم نرجع إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته، وننظر كيف قضى فيها ونبني عليها ووالخ .. قال: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ⁽¹⁾ قال (يحكموك) و(مما قضيت) ولم يقل يحكمون الله فيما قضا الله في كتابه، ومعلوم أن كلام رسول الله من كلام الله كما سبق: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) وقال (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ⁽²⁾ .. هل كلام الله هاهنا التحذيري في عدم اتباع النبي مقيد بأي قيد أو مشروط بأي شرط، بل هو تحذير مطلق لمن يخالف عن أمر رسول الله لأنه لن يأمر ولن يوجه إلا بحق .. وقال (وإنك لعلى خلق عظيم) هذا الخلق العظيم نريد أن يكون لنا منهجا نفتدي به، فكيف كانت سيرته، وأخلاقه، ومعاملاته، وعدالته، وتعامله مع الناس؟ فهل بعد هذا يقال لا حاجة لنا في السنة؟

4- ويقول المولى: (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال: (كتب عليكم الصيام) وقال: (وأذن في الناس بالحج) .. كيف نعبدك يا ربنا؟ كم ركعات؟ وما هي الأوقات؟ وما نقول في الصلاة؟ وكيف نزكي؟ وكم الأنصبة؟ كيف نصوم وكم المدة ومتى؟ كيف نحج؟ وما هي مناسك الحج؟ مثل هذا النشاط الدعوي والتعبدي والتربوي والتشريعي لم يفصل القرآن الكريم جُلّه، فمن يبينه غير رسول الله بأمر ربه. قال تعالى: (... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...) ⁽³⁾ قال أنه تعالى نزل القرآن ليبينه لنا النبي، وقد بين وفصل، ووضع الأركان، والسنن، والواجبات، والمحرمات، في العبادة والعقيدة والشريعة والسلوك.

ولقد جاءت السنة بأحكام منها ما لم يشر إليها القرآن ولكن وجب فيها طاعة النبي بعموم الإلزام .. ومنها ما أشار إليها القرآن إشارات بلا تفصيل كما سبق، فجاءت السنة لتبين المبهم، وتفصل المجمل، وتخصص العام، وإن هذه لهي مهمة الأنبياء، وأن على الناس أن يتبعوا أقوالهم وأفعالهم وأحكامهم ومن يعصهم يضل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ

1- [النساء : 65].

2- [النور : 63].

3- [النحل : 44].

اللَّهِ) (1) فطاعة الأنبياء هو بأمر الله ويأذن من الله وليس عن هوى، فلا إيمان لمن لا يؤمن بما جاء على لسان رُسُلِ الله جميعاً، صلوات الله عليهم، ولم تكن عصمة الأنبياء إلا لحفظ الوحي والتسديد وعدم تعريض الدين لقصور الأخطاء البشرية.

5- وقال تعالى أيضاً في شأن طاعة نبيه فيما يأمر وينهى ويفعل ويقرر: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وآيات نحو: (أطيعوا الله والرسول) وأخرى نحو: (أطيعوا الله ورسوله) ونهى عن عصيانها (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) .. بدون تقييد ولا تحديد، طاعة الرسول إلى جانب طاعة الله، فالنبي مدرسة تطبيقية حية لأوامر الله تعالى وكما وصفته أمنا عائشة بأنه "قرآن يمشي على الأرض"، والمسلمون مطالبون بالافتداء به والاستئنان بسنته، بموجب أوامر الله تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) (2).

لماذا أشرك الله النبي بواو العطف لو أنه لا علاقة للنبي بالتشريع؟ ولماذا قال: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (3) جعل طاعة الرسول نفس طاعة الله، ولم يقل ومن يطع الله وحده، فقد كفى ووفى وأدى ما عليه .. بل النص يدل على طاعة مفتوحة غير مشروطة، وقال: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) (4) لأن القرآن والسنة كله من الله، قال صلى الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شعباناً على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم، فعليهم أن يقرؤهم، فإن لم يقرؤهم، فلهم أن يعقبوهم بمثل قراهم" (5).

6- إذا كان الله تعالى يأمرنا بطاعة أولي الأمر منا فيدخل فيه الأمراء والعلماء فكيف لا يأمرنا بطاعة ولي أمرنا الأول رسول الله قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

1- [النساء : 64].

2- [الأحزاب : 36].

3- [النساء : 80].

4- [آل عمران : 31].

5- رواه الإمام أحمد.

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (1) ثم قال (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) لماذا لم يقل ردوه إلى الله وكفى، ونقول بحسبنا كتاب الله؟ لماذا نرده إلى الرسول؟ ثم كيف نرده إلى الرسول نحن أصحاب القرن الخامس عشر إن لم يكن المعنى نرده إلى سنة الرسول وهديه؟ ومنه (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ...) (2) هذا الخطاب موجه لكل مسلم في كل زمان ومكان .. فوجود رسول الله في المسلمين المراد بسنته وسيرته وهديه لا بشخصه بالضرورة .. ألا لعنة الله على أعداء الدين .. يأخذون عن أفلاطون وسقراط وعن فلاسفة الهند والشرق والغرب، ويقولون لا تأخذوا عن محمد شيئاً وإنما هدفهم هدم الإسلام.

ثانياً - سنة قولية واحدة مثلاً يترتب عليها تشكيل هوية مثل "من تشبه بقوم فهو منهم"
فلماذا لم يُطلق المسلم الذي يسوق شبهة كهذه عن غباء وجهل لماذا لم يطلق الزناير ويسميه أبوه كوهين أو شمعون وأخته ليفني أو جوليان، ويتزوج على بعض الطرق الغربية فيكون الإنجاب قبل عقد النكاح؟ .. لا يفعل نحو هذا لأنه وأبوه وأمه قرؤوا الحديث السابق .. لماذا لا يأكل بالشمال؟ ولماذا يحيي بالسلام عليكم؟ من أين جاء بكل هذا وغيره وغيره إن لم يكن جاء من هدي رسول الله؟ أما القرآن فظاهره يقول: (قل كل يعمل على شاكلته) (3) بظاهر الآية كل واحد حر حسب ما يريد، لكن جاءت السنة وحيا مكملًا ومفصلاً ومبينًا للقرآن.

هذا المستشار في منشور آخر يشكك في مصدريّة السنة ويتساءل: هل تصور الفقهاء بأن النبي كان لا يعلم بأن أقواله في السنّة وحي، فكيف يفرط رسول الله في السنّة ويأمر بعدم كتابتها وهي وحي من السماء كما يزعمون!

• هل فرط رسول الله بالسنّة؟

الجواب:

1- [النساء 59].

2- [آل عمران : 101].

3- [الإسراء : 84].

أولاً- لم يكن ثم حرص على تدوين السنة في البداية؛ لأن السنة لا يمكن تدوينها قبل أن يستتب التشريع، فلو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة بالتدوين من أول نزول الوحي بمكة لأقواله وأفعاله وتقريره لوجدنا منها ما لم يُحرّم بعد .. ومنه ما هو خارج سلطة دولة الإسلام من المخالف للشرع، ولا يستطيع تطبيق الأحكام أو أن نسخ حكمها جاء متأخراً فلربما جاء منها مثل:

جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نشرب الخمر فلم ينهنا .. مر رسول بجوار بيت لأصحاب الرايات الحمر فمضى لحال سبيله دون النهي عن البغاء .. صلى رسول الله أمام الكعبة وحولها الأصنام .. جاءنا رسول الله ونحن نأكل من لحوم الحمر الأهلية ولم يقل فيها بشيء.

وسيدون السنة أكثر من صحابي وقد تجد الأجيال بعدهم صحائف غير مؤرخة فيأخذونها كأحاديث مقرة فيحدث التناقض والتضارب.

وكثيراً ما يؤرخ المؤرخون وتكتب السير الذاتية عند استقامة الموازين واستواء الأمور .. وذلك بعد مواقف تكون قد تغيرت وأفكار تبدلت، وحتى لا تزدحم المرويات بالشيء ونقيضه فنجد المؤرخ ينتقل بين حالات النفي والإثبات لوقائع ومواقف، فضلاً عن أنه في كل يوم يحدث الشيء ويتم الرجوع عنه .. فما بالك بدين كل كلمة وكل حركة فيه محسوبة.

فحتى لا يحدث التناقض بين مرحلة الضعف وتثبيت الأحكام يكتفى عند استقرار الدولة بتدوين ما ينفع المسلمين وذلك ما حدث.

ثانياً- نعم لقد نزل القرآن منجماً لتثبيته أولاً في الصدور ثم في السطور كما قال الله: (لنثبت به فؤادك) وهذه تدابير لكي لا يختلط المصدران فلم تكن ثم وسائل طباعة فربما وجد الرجل عظماً فدون فيه آية ثم يضيف إليه حديثاً فيختلط هذا بهذا.

ثالثاً- ليس صحيحاً أن الأمر استمر في كل الأحوال فقد نسخ المنع ووُجد من هم أكثر تفرغاً للتدوين والتنظيم وأجازهم الرسول بعد أن تعهد الله بحفظ كتابه .. فقد روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو، قال: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَيْتَنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بَشْرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ، وَالرِّضَا، فَأَمْسَكَتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَوْمَأَ بِأَصْبُعِهِ إِلَيَّ فِيهِ، فَقَالَ: اكْتُبْ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ⁽¹⁾.

وفي البغوي عن راشد الحبراني قال: قلت لعبد الله بن عمرو: أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى إلي صحيفة فقال: هذا ما كتب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفعلا بدأ على أيديهم تدوين السنة في عهد رسول الله، فكانت هناك صحيفة لدى سيدنا علي في الأحكام، وصحيفة لدى عبد الله بن عمرو بن العاص التي سماها الصادقة.. وفيها نحو 1000 الف حديث كما ذكر ابن الأثير.

رابعاً- حتى القرآن الكريم كان محفوظاً أيضاً في الصدور أكثر من السطور وبعض الآيات مدونة أيضاً لدى بعض الصحابة.. فهذا عنده مدون بعض الآيات وهذا بعض السور وليس مدونا كاملاً..

ثم تم تدوينه كاملاً في مصحف واحد مرتباً برواية متواترة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين.. فانه تكفل بحفظه (إن علينا جمعه وقرآنه) ولم يكن جمعه من مهمة النبي لأنه أمي ولو كان لديه نسخة خطية لكانت قراءتها توقيفية والعمل بها ينفي ما عداها من القراءات التي أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه من حكم تأخر جمع المصحف إلى ما بعد وفاة النبي.. أما كتابة الوحي فقد كتب كاملاً في فترة النبوة وترتيب السور والآيات تم بأمر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ولكن بقي أوزاعاً بأيدي الناس.

خامساً- بعد ذلك شملت الجمع التام للسنة فكان لكثير من الصحابة مجالس علم وفيها طلاب يكتبون ويدونون مثل مجلس عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم جميعاً.

هذا قبل أن تبدأ مرحلة تدوين الأسانيد في مرحلة سابقة للبخاري ومسلم والترمذي وغيرهم من أصحاب السنن.



الشبهة (30)

شبهة عجمية البخاري ومسلم وتأخرهما عن عهد النبوة

- يقولون إن البخاري ومسلم جاءا بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأجيال فكيف ألفا أحديث عن رسول الله؟

نعم. يقولون الله يقول: (اليوم أكملت لكم دينكم) فيقول أهل الحديث بل يكمله البخاري ومسلم .. ويقولون البخاري ومسلم ومعظم أهل السنن أعاجم جاءوا متأخرين عن النبي، فالبخاري ولد عام 192 هجرية وتوفي عام 256 هـ ومسلم ولد عام 206 وتوفي عام 261 هجرية فكيف يأتي أعاجم بعد أكثر من مئتي سنة يؤلفون أحديث عن رسول الله ولم يعاصروه ثم أين العرب وجهودهم؟.

ثم يستخدمون المنهج الإلتقاضي في تسليط الضوء على مشتبه النصوص الحديثية، لتكون مدخلا للطعن في سنن الصحاح على رأسهم البخاري.

الجواب:

أولاً- قبل البخاري كانت ضراوة هجمة التشكيك مركزة على أحديث أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما لأنهما من أكثر من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم غيروا الهجمة باتجاه مخرّجي الأحديث.

وإنما اختاروا سنن البخاري لأنه معلوم عند المسلمين بأصح ما ورد عن رسول الله، فإذا أمكن التشكيك فيه سهل رد بقية الأسانيد.

و تجدر الإشارة إلى أن حاملي راية الطعن في السنة والإسلام عموما ليسوا حاملي منهجية علمية بريئة القصد، بل هم طابور من الكذابين والمدلسين والأقلام المأجورة يكتبون بثمن، وهم متفرغون لحرب الأفكار وهدم الدين من الداخل فهم أجهل الناس بالسنة وإنما يلتقطون الشبهات، ويتقنون الثغرات، ويرمونها كشباك لاصطياد الجهال والسذج من العوام.

والآن نجيب على هذه الشبهة.

ليس صحيحا ما يروجه المبطلون أن السنة تفرّد بجمعها العجم كالبخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، والبيهقي أصحاب السنن فلم يتفردوا إلا بالقليل النادر من الأحاديث، ولا يزال فيها الرواة من التابعين أحياء ليس بينهم وبين رسول الله سوى نحو ثلاثة أجيال.

إن من الذي جمع السنة قبل هؤلاء؟

قبل أن يخرج البخاري ومسلم من أصلاب آبائهم كانت كل الأحاديث التي رواها في صحيحهما موجودة في كتب أخرى مدونة في أسانيد لم يكن فيهم أعجمي كما سترى مفصلا. وقبل أن نتحدث عن مخرّجي الأحاديث من الرواة العرب أصحاب السنن (ليس من باب العنصرية بل من باب رد الشبهة) ⁽¹⁾ قبل أن نتحدث عن أولئك المدونين نسرد رواة الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحابته الكرام ودرجة أهميتهم طبقا للترتيب.

- 1- أبو هريرة: روى خمسة آلاف وثلثمائة وأربعة وسبعين حديثاً: 5374. غير المكرر منها 1500 حديث.
- 2- عبد الله بن عمر: روى ألفين وستمائة وثلثين حديثاً: 2630.
- 3- أنس بن مالك: روى ألفين ومائتين وستاً وثمانين حديثاً: 2286.
- 4- عائشة: روت ألفين ومائتين وعشرة أحاديث: 2210.
- 5- ابن عباس: روى ألفاً وستمائة وستين حديثاً: 1660.
- 6- جابر بن عبد الله: روى ألفاً وخمسمائة وأربعين حديثاً: 1540.

1 - العنصرية مرض وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالجاهلية وبالنتن عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين، رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا لأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين، رجلاً من الأنصار، فقال: «دعواها، فإنها منتنة» فسمعها عبد الله بن أبي فقال: قد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

فكل عنصري جاهلي نتن تكمن فيه روائح خبيثة، فلا ننفي غير العرب ولا مزية لأحد على أحد إلا بالمعيار الثابت (التقوى) ومن أبى فليعد إلى الجاهلية الأولى إن شاء.

7- أبو سعيد الخدري: روى ألفاً ومائة وسبعين حديثاً: 1170.
ويلى هؤلاء في الكثرة:

1- عبد الله بن مسعود، فقد روى 848 حديثاً.

2- عبد الله بن عمرو بن العاص روى 700 حديث.

رضي الله عنهم أجمعين وكلهم صحابة ليس فيهم غير عربي.

ولم يتفرد كل صحابي بالضرورة بروايات مستقلة فقد يكون للحديث أكثر من طريق من أكثر من صحابي، فأبو هريرة مثلاً لم يتفرد إلا بنحو 110 حديثاً وبقية أحاديثه مروية عن غيره من الصحابة، فلا أبو هريرة اخترع ولا عائشة ألفت، ولا البخاري افتري ولا مسلم ابتدع، بل هي أحاديث الشريعة معلومة متداولة كان يعمل بها الخلفاء وجمهور الصحابة، ويقضون بها ويتعبدون الله عليها، من بعدهم الفقهاء وأصحاب المذاهب الأربعة حتى جاءت أدوار بقية المسلمين .. ولقد كان لبعض الرواة من الصحابة صُحفه الحديثية المدونة وحلقاته العلمية، وتلاميذه ومريده من التابعين، روى الأحاديث عنه إلى من يليه، فمثلاً أبو هريرة أشهر أصحابه الذين روى عنه من التابعين سبعة وهم:

1- أبو صالح ذكوان السمان.

2- أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

3- عبد الرحمن الاعرج.

4- سعيد بن المسيب.

5- سعيد المقبري.

6- همام بن منبه.

7- محمد بن سيرين.

ومن السنة الرواة هؤلاء وغيرهم تلقف عنهم مخرجو الأحاديث، فاعتنوا بجمعها وتدوينها وتبلورت السنة على أيدي عرب بعشرات السنين قبل ظهور جهود من دخلوا في الإسلام، نضرب لذلك أمثلة:

** مسند زيد بن علي 76 - 122 المتوفي قبل ولادة البخاري ب172 عاما ظهر له مسند زيد بن علي هو أشهر وأهم كتب الحديث عند الزيدية، وهو شامل لأحاديث جمعها عبد العزيز بن إسحاق البقال، وهي عن زيد عن آبائه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

** موطأ الإمام مالك 93-171 صاحب المذهب الذي ولد قبل قرن من ظهور البخاري جمع من الأحاديث في الموطأ نحو 4000 ألف حديث ..

** مسند أبو حنيفة النعمان 80-150 الذي توفي قبل ولادة البخاري ب43 سنة حيث ولد البخاري عام 194 بينما توفي أبو حنيفة عام 150هـ سنة فمسند أبي حنيفة أحد مسانيد وكتب الحديث النبوي، رتب فيه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني الأحاديث التي رواها أبو حنيفة النعمان عن شيوخه بسند إلى رسول الله على حروف المعجم.

** مسند الحافظ عبد الرزاق الصنعاني 126 - 211هـ الذي ولد قبل البخاري ب66 عاما كان له كتابان في تدوين الحديث أحدهما يسمى المسند والآخر الأمالي.

فمسند عبد الرزاق الصنعاني من صنعاء من أوائل كتب رواية الحديث في تاريخ الإسلام، اشتملت على نحو. 19202 تسعة عشر ألفا ومائتان واثنان نصاً مسنداً.

** مسند الإمام أحمد بن حنبل 164 - 241 عاش 77 الذي ولد قبل البخاري ب30 عاما مسند أحمد كتاب مسند في الحديث النبوي، من أشهر كتب الحديث وأوسعها، يحتوي على ما يزيد على 26000 ستة وعشرين ألف حديث نبوي.

هذه أشهر الأسانيد التي حفظت الأحاديث عن الصحابة قبل أن تظهر جهود البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي .. وكانت قد وجدت المذاهب الأربعة، الموطأ للإمام مالك، ومسند أبي حنيفة، ومسند أحمد، والأم للشافعي، ودونت الأحاديث قبل أصحاب السنن ولو لم يكن هناك بخاري ومسلم لما نقص من الدين شيء.

س - إذن فما الذي فعله البخاري ومسلم وأصحاب السنن الذي يصفونهم العنصريون

بالأعاجم؟

كل ما فعلوه هو إعادة المنهجية وإعادة طريقة إثبات الأحاديث طبقا لشروط كل راوي، أو بالأصح مخرج الأحاديث فمثلا كل أحاديث البخاري غير المكررة 2600 ألفان فقط وستمائة من 6000 حديث مكرر من سلاسل روائية مختلفة عن الصحابة وهي التي نقاها من 600000 حديثا كان يحفظها، لعل منه حفظ ذهني ومنه حفظ تدوين بما فيها المكررة.

ومسلم نحو 3033 حديثا. ولم ينفرد الصحيحان إلا بالعشرات من الأحاديث، وبقية الأحاديث مكررة ومنتشرة في الأسانيد والسنن الأخرى .. وكان لايزال في عهدهما الرواة والمحدثون من التابعين عن الصحابة عن رسول الله.

ثم أن يأتي الأعاجم ويضطلعوا بأدوار كبرى على مستوى كل العلوم تدوينا وعناية، فذلك يدل على أن هذا الدين دين عالمي لا دين عائلي ولا قبلي، ويدل على مدى حبهم له وتأثرهم به فاضطلع بخدمته كل الأقوام والأعراق، وما من أمة إلا وتركت في خدمته أعظم الأثر وتركوا بصمات في علم التفسير والنحو والبلاغة والسيرة وكل العلوم الأخرى.

من هنا فهذه اللغة الشوارعية لأصحاب هذه الشبهة تدل على أنهم لا يعرفون عن الدين ومقاصده وعالميته شيئا، ولذلك أثبتوا أنهم لا يطلقون مقذوفاتهم التشكيكية عن حب للدين فكيف يحب الدين من لا يعرفه؟ بل عن كيد وضمن حرب حضارية وشعوبية مركزة وستتحطم إن شاء الله بوعي الأمة.



الشبهة (31)

هل في البخاري أحاديث ذات إichاءات جنسية؟

عذرا لهذا العنوان المستفز لكن هكذا نزل منشور ملثم بلا اسم ولا هوية، يطعن في البخاري من خلال التقاط أحاديث توحى للقارئ أن فيها لغة خادشة، وإichاءات جنسية تناولها بطريقة لا علمية معتمدا لغة التهيج ضد البخاري، وأنه أي البخاري أساء للنبي صلى الله عليه وسلم في إبرازه بصورة تنزع عنه صفة النبي المعصوم المتميز عن أفعال الناس، هذا ما أراد أن يثبتته، وواضح أنه استهدف شريحة جاهلة ومعزولة لأنه اعتمد أسلوب التدليس والتلبيس والتهويل والمبالغة وعلى نحو ما سنرى إن شاء الله تعالى.

علما أن الطعن في البخاري يعني الطعن في كتب السنة كلها وهذا هو الهدف لأن ما هو موجود في البخاري هو في غيره من السنن بطريقة أو بأخرى، وإنما تميز البخاري في منهجية التدوين لا أكثر، هذا إن لم يكن المراد تشويه شخص النبي نفسه والتشويش على رسالته.

استطاع المنشور الملثم لذي خرج بنحو 16000 كلمة في نحو 20 صفحة أن يتقنم نحو 15 حديثا من مجموع صحيح البخاري التي تصل إلى 6000 حديث ليطعن في تلك الأحاديث الملتقطة، ويقول أنها مدسوسة على النبي أي أن البخاري تعمد وضعها .. ولا يفتأ يحرض على صحيح هذا الراوي العظيم بحجة الانتصار لرسول الله ولأنها مخالفة لما جاء في القرآن حد زعمه.

ولا شك أن القراءة التي قدمها تبدو لأول وهلة مرعبة وذات قوة تأثيرية على القارئ العادي وإليك هذه الأحاديث والرد عليها بعون المولى وتوفيقه.

*الحديث الأول:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نساءه في الساعة الواحدة، من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة قال: قلت لأنس أكان يطبقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين. وقال سعيد، عن قتادة، إن أنسا، حدثهم تسع نسوة..".

اتخذ ملقي الشبهات أسلوب الفن التصويري في تأويل الروايات وتوجيهها لاجابة للاقتباس منها لكثرة الدش وما يهمننا هو توجيه هذه الأحاديث له ولغيره بالأسلوب العلمي المسؤول سائلا من الله التوفيق وسداد القول.

الجواب: يقدم المنشور أولا مسوغات لرفض هذا الحديث وهي انشغال النبي بالجهاد، وتثبيت أركان الدولة، وبلوغه الخمسين عاما، وقيامه نصف الليل يزيد أو ينقص فكيف ينشغل باله بالنساء؟

هذا الحديث في البخاري وفي عدة أسانيد .. ومن حيث المبدأ ليس في فحولة الرجل طعن ولا مذمة لا عند الرجال ولا عند النساء، قد يقال فهذا نبي وليس مجال فحولة ولا نساء .. والرد بأنه لما كان من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم البقاء على أكثر من أربع زوجات لأنهن صرن أمهات المؤمنين فلا يصح تطليقهن، ولا أن يتزوجن بغير النبي من بعده فإن العدل الإلهي لا يجعل تسعا تحت رجل واحد إلا وعنده القدرة على الباءة، وإلا فالشبهة الثانية جاهزة كيف يجعل تسعا تحته رجل والله يقول (ولهن مثل الذي عليهن) فحاجتهن إلى قضاء الوطر كحاجة الرجل ما لم فسيذرن كالمعلقات، ويحبسن بلا حقوق شرعية، ومن الزواج غير المشروع عدم قدرة الرجل على الوطاء لأن في ذلك فتنة للمرأة، والله اشترط العدل في التعدد (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) لكنهن الآن تسع نساء لا واحدة، ورواية أحد عشر امرأة .. وصاحب الشبهة كما يبدو يرى إسقاط مبدأ العدالة على مبدأ الكفاءة الحقوقية التي هي عنده نقص في حق النبي الذي يصوره كإنسان شهواني، وما عسى أن يقول في روايات العهد القديم التي تقول إن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام طاف على مائة امرأة في ليلة واحدة .. لكنه استمر يهيج بطريقة صيدانية يا للعار يا للخجل وغايته مجرد القدر والطعن.

ثم إن الحديث موقوف على أنس رضي الله عنه وليس من كلام النبي قال " كنا نتحدث عن أن النبي أعطي قوة ثلاثين رجلا" وبالتالي ليست الرواية دينا يتوقف عليها حلال ولا حرام ولا تستدعي حائط مبكى سواء أخذت به أم لم تأخذ به، ولا يوجد انشغال بجنس ولا تعارض مع قيامه نصف الليل، فنصف الليل قد ينتهي الساعة 11.5 أو 12 والباقي له ولأهل بيته، ولا يعني أن نهاره كله كان جهادا أيضا، فانه قال له (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وكيف يقول له (يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك ...) (وَأَمْرًا مُمِئِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ

النَّبِيِّ أَنْ يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ... (1) (... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ...) (2) هل تزوجيه من السماء بهدف اللعب بالنساء والتسلي بهن؟ إنها مجرد خيالات مرضية ما تركوا لاقطة إلا حاولوا أن يشوهوا بها سنة رسول الله .. وصحابة رسول الله .. ونساء رسول الله صلوات الله عليه وحسبنا الله ونعم الوكيل.

*الحديث الثاني:

عن عائشة قالت: "كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من إناء واحد كلانا جنب وكان يأمرني، فأترز، فيباشرنى وأنا حائض" البخاري (299) ورواه مسلم.

يحكم على الحديث بالافتراء ويستعيز بالله من هذا البهتان الذي جعل النبي شهوانيا حتى ونساؤه حائضات ويقول إن هذا الحديث يتعارض مع قول الله: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (3).

الجواب: قال الله تعالى: (... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...) (4) فالسنة بينت حد الاستمتاع بالمرأة الحائض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اصنعوا كلَّ شيءٍ إلا النكاح" رواه مسلم وأحمد وابن حبان .. فالمنهي عنه تحريما إتيان الحائض في فرجها، قال: (ويسألونك عن المحيض) وليس عن الحائض، هو المراد (ولا تقربوهن)، وما عدا ذلك فليست المرأة الحائض مستنقذة إلا عند اليهود وأصحاب هذه الشبهة، وأن يجد الرجل في زوجته متسعا لقضاء وطره من غير مكان الخبث، خير له من البقاء مدة قد تطول فنقوده إلى التفكير بغير حليلته، فهذا الحديث يعكس يسر الإسلام وسماحته، وأن المرأة لا تتجس بأعراض الأنوثة وفي البخاري روت عائشة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتكىء في حجري وأنا حائض، ثم يقرأ القرآن" فهذا تشريع للأمة، وهذا المعنوه الطاعن اللاعن يقول لم يجد مكانا يتكىء فيه رسول الله إلا حجر عائشة الحائض؟ صور رسول الله وكأنه عابد متبتل

1 - [الأحزاب : 50].

2 - [الأحزاب : 37].

3 - [البقرة : 222].

4 - [النحل : 44].

انقطع للعبادة في صومعته، أو جاء ليحبس نفسه في كهف الستر، وليس مشرعا للناس وقدوة يتأسوا بأفعاله وأقواله.

*الحديث الثالث:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاءت امرأة من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فخلا بها فقال: "والله إنكن لأحب الناس إلي" رواه البخاري (5234).

قال الشراح قوله: (فخلا بها) تتحى بها جانبا بحيث لا يسمع الناس كلامهما، ولكنهم يرونهما بل قد سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر في الحديث .. حيث جاءت شاكية وقد يكون لشكواها بعض ما تتحرج المرأة من ذكره أمام الرجال .. لكن صاحب المنشور لن يدع الفرصة تذهب وينشغل بالشروحات وسياق الحديث نفسه دون أن يجعل ذلك طعنا من البخاري في أخلاق رسول الله كيف يختلي بامرأة؟ وليست خلوة منقطعة عن الناس فيها قد سمعوا كلام النبي وهل سيعاتب صاحب المنشور رب العزة الذي أقر الخلوة القضائية الجانبية مع خلوة بنت ثعلبة التي جاءت تشتكي زوجها ونزل قول الله: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه إذ أنزل الله " قد سمع الله ... " فهل هذا الحوار أيضا جنسي يا مهووسين بالجنس وسوء الظن؟

أما أنه قال في نساء الأنصار "إنكن لأحب الناس إلي" فهذا شرف نبوة أن يكن نساء الأنصار من أحب الناس إلى رسول الله، وحق لكل أنصارية إلى يوم الدين أن تفخر بهذه الشهادة والمؤمن مع من أحب، وقد يكون لهذا الكلام مناسبة ما لم يدركها الراوي، أما فن التفسير الغزلي فلم يكن يعرفه الرواة كما فهمه صاحب المنشور، فرسول الله عندهم أظهر وأقوى من شبهات المشبوهين.

*الحديث الرابع:

عن أنس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء، يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل يوما فأطعمته، فنام

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ تَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ - شَكََّ إِسْحَاقُ - قُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، فَدَعَا، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ تَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ، أَوْ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ فَقُلْتُ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ، قَالَ: أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، فَهَلَكَتْ.. صحیح البخاری (٦٢٨٢) ومسلم (١٩١٢).

المطعم في هذا الحديث الشريف في مسألة دخول النبي على أم حرام في بيتها وإطعامه الطعام ونومه في بيتها .. وادعاء أن البخاري أراد أن يقول إن النبي كانت له علاقة بين امرأة أجنبية كعلاقة الزوجين!؟.

أم حرام وأم سليم بنتا ملحان أختان خزرجيتان ينتهي نسبهما إلى بني النجار كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا زار قباء دخل بيت أحدهما لصلة قرابة بينهم (كذا قال النووي) فأحوال أبيه من بني النجار من المدينة، ولقد دفن والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله في يثرب بسبب مرض ألم به وهو في طريق عودته من الشام إلى مكة، فنزل عند أخواله من بني النجار في يثرب ليتطرب فوافته فيها المنية، وكانت أم النبي صلى الله عليه وسلم آمنة بنت هب تزور قبره في المدينة كل عام، فوافتها المنية في طريق زيارتها فدفنت في الأبواء ما بين مكة والمدينة، قال النووي رحمه الله: " اتفق العلماء على أن أم حرام كانت محرما له صلى الله عليه وسلم. واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة. وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجدته لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار" وقال أيضا: أم حرام أخت أم سليم، وقد كانتا خالتيين لرسول الله صلى الله عليه وسلم محرمتين إماما من الرضاع، وإماما من النسب، فتحل له الخلوة بهما، وكان يدخل عليهما خاصة، لا يدخل على غيرهما من النساء إلا أزواجه⁽¹⁾.

1 - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى:

676هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط2 - 1392هـ.

وقال غيره ليس في الحديث ما يدل على الخلوة بها ، فلعل كان ذلك مع ولد، أو خادم، أو زوج أو تابع، وقيل كان ذلك قبل الحجاب .. ولكن الأهم في رأيي هو في راوي الحديث الذي هو أحد خدام النبي والملازمين له وهو أنس بن مالك، الذي خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروى الكثير من خصوصيات النبي هذا الصحابي الجليل كانت أم حرام خالته كما هو معروف جاء في صحيح مسلم (عن أنس بن مالك، عن أم حرام، وهي خالة أنس ...) وساق حديث غزو البحر وجاء في مسند أحمد (عن أنس بن مالك، عن أم حرام بنت ملحان - وهي خالته - ...) وساق الحديث .. وأم سليم بنت ملحان الذي أخذت من النبي العرق وهو نائم هي أم أنس بن مالك راوي الحديث وهو ما يعني أن دخول النبي بيت أم أنس وبيت خالته أم حرام كان بمعوية خادمه هذا، فدخوله كان إلى بيت خادمه في الواقع، ولعل النبي أخذ قيلولته في بيت أم حرام فاستيقظ ولم يكن أنس قريبا منه فبشر النبي خالته بالحديث الذي روته لأنس حين عرف باستيقاظ النبي وبهذا ينتهي الإشكال.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم هو بمثابة أب لكل مؤمن ومؤمنة، كما أن نساءه بمثابة أمهات للمؤمنين فهذه الخصوصية إلى جانب خصوصية العصمة، إلى جانب فرضية وجود قرابة ووجود خادمه كلها تتضافر في توجيه الحديث توجيهها شرعيا سليما .. وفي هذا الحديث الجليل نبوءة لأم حرام في أنها ستغزو البحر وتموت شهيدة وذلك ما كان رضي الله عنها، فغزته مع زوجها عبادة بن الصامت ووقصتها الدابة في جزيرة قبرص ولم يلفت آخر الحديث صاحب الشبهة كما لفت انتباهه أوله.

أما أنها أي أم سليم "جعلت قلبي رأسه" كما في رواية فما هو معلوم أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمة تضرب بين منكبيه وكان تضفر في أربع غدائر أي ضفائر كما روت أم هانئ مما يبعد مسألة الملامسة وكذلك مسح العرق بخرقه.

*الحديث الخامس:

عن مالك بن ربيعة أبي أسيد الساعدي خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ: لَهُ الشَّوْطُ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ، فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْلِسُوا هَاهُنَا وَدَخَلْ، وَقَدْ أَتَى بِالْجَوْنِيَّةِ، فَأَنْزَلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلِ فِي بَيْتِ أُمِّمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَّاحِيلَ، وَمَعَهَا دَائِيَّتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم قال: هَبِي نَفْسَكَ لِي قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلَكَةَ نَفْسَهَا لِلسُّوْفَةِ؟ قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ، فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَقَالَ: قَدْ عُدْتُ بِمَعَاذِ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: يَا أَبَا أُسَيْدٍ، اكْسُهَا رَازِقِيَيْنِ، وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا.. " رواه البخاري وغيره.

يقول هذا الأفاك الأثيم إن البخاري يزعم أنه كان للنبي علاقات غير شرعية بنساء أجنبيات .. وأنه يريد أن يثبت أن النبي أراد اغتصاب هذه المرأة، وأنه استقى ذلك أي البخاري من ثقافة العصر العباسي الذي فيه الشذوذ والمجون؟!.

والجواب: أن هذا الحديث له طرق أخرى شارحة له ومبينة، فقد يشهد الواقعة غير راو ويسمع الرواية عن الصحابي غير واحد فيروي كل منهم الجزء الذي وعاه، فيقتضي الجمع بين الروايات إن تعددت وهذا ما تقتضيه الأمانة العلمية، غير أن المنشور المقنع تجاهلها وبنى على هذه الرواية قصة جنس أخرى .. فثمة رواية للبخاري نفسه في نفس الباب تذكر أنه تزوجها فقد روى رحمه الله (برقم/5256) عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ وَأَبِي أُسَيْدٍ قَالَا : " تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَيْمَةَ بِنْتَ شَرَّاحِيلَ، فَلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا ، فَكَانَتْهَا كَرِهَتْ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ أَنْ يُجَهِّزَهَا وَيَكْسُوَهَا ثَوْبَيْنِ رَازِقِيَيْنِ " ثياب من كتان بيض طوال . إذن فقد تزوجها كذا روى البخاري الذي تجاهله المنشور .. أما أنه أهوى بيده فقد أراد بذلك تسكينها كما قال الراوي ففي رواية أخرى "إِذَا بَنَّا بِامْرَأَةٍ مَنكسَةً رَأْسَهَا إِلَى الْأَرْضِ"، فقد كانت في حالة خجل وتهيب، وليس كما قال العقل الملتاث بالجنس، وكان ذلك بوجود من روى الحديث وإلا كيف سيروي ما لم يشهد؟ أما قوله "هبي نفسك لي .." أي اقبلي بزواجي منك، أو أنه أراد أن يجمع بين الزواج واختصاص النبي بالهبة في قوله تعالى: (... وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ...) (1) ومع هذه الخصوصية إلا أن رسول الله لم يتزوج عن طريق الهبة، وقد يُلاحظ من قوله هذا إشارة إلى أنه لم يؤخذ رأي أميمة بنت شراحيل هذه قبل اللقاء بها من أبيها النعمان، الذي يفسره رفضها لهذا الزواج، فطرحه النبي عليها ليتأكد من موافقتها فرفضت، والشرع يقضي بموافقة المرأة وعدم إكراهها، أو أنها قبلت بالزواج لكنها كما في رواية لقنت عبارة الاستعاذة من رسول الله غيرة من النساء لما كانت عليه من الجمال، فقد روى سعد في الطبقات ما يدل على أنها رغبت في النبي صلى الله عليه وسلم، وعرضها أبوها النعمان بن أبي الجون على

النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله، ألا أزوجك أجمل أيم في العرب كانت تحت ابن عم لها فتوفى عنها فتأيمت وقد رغبت فيك وخطت إليك؟ فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اثنتي عشرة أوقية ونش. فقال: يا رسول الله، لا تقصر بها في المهر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أصدقت أحدا من نسائي فوق هذا، ولا أصدق أحدا من بناتي فوق هذا". فقال نعمان: ففبك الأسي. قال: فابعت يا رسول الله - إلى أهلك من يحملهم إليك فأنا خارج مع رسولك فمرسل أهلك معه. فبعث رسول الله معه أبا أسيد الساعدي⁽²⁾.

وعلى كل فقد تركها صلوات الله وسلامه عليه وجهازها وأكرمها، ففي الواقعة دليل إنسانية النبي وتكريمه لها وليس استرقاق أو جنس ولو كانت الرغبة الجنسية وراء الأمر ما تركها وهي بين يديه.

ولقد أخذ الفقهاء منه عدة الأحكام، منه حكم المؤازنة، ومنه إكرام المطلقة، ومنه كناية الطلاق في قوله (الحقي بأهلك) كما في بقية الروايات، ومنه الرفق بالمرأة حديثه العهد بالزواج .. إلى غير ذلك.

*الحديث السادس:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نادت امرأة ابنها وهو في صومعة، قالت: يا جريج، قال: اللهم أمي وصلاتي، قالت: يا جريج، قال: اللهم أمي وصلاتي، قالت: يا جريج، قال: اللهم أمي وصلاتي، قالت: اللهم لا يموت جريج حتى ينظر في وجوه المياميس، وكانت تأوي إلى صومعته راعية ترعى الغنم، فولدت، فقيل لها: ممن هذا الولد؟ قالت: من جريج، نزل من صومعته، قال جريج: أين هذه التي تزعم أن ولدها لي؟ قال: يا بابوس، من أبوك؟ قال: راعي الغنم..".

هذا الرواية الملهمة تفنك ذهن الباحث الجنسي عن بعد جنسي وهو وجود كلمة (المياميس) أي المومسات ليبيني عليه مطعنا في البخاري، فما هذا الحديث عن الذي يذكر المومسات، وكيف يسند هذه اللفظة إلى النبي!.

1 - [الأحزاب : 50].

2 - الطبقات الكبرى (8 / 11) والأثر ضعيف.

وملخص هذه الحديث أن الابن العابد كان في صلاة نافلة، وطاعة الأم واجبة، والواجب مقدم على التطوع، لكنه لم يجبها فدعت عليه بعقوبة هي خلاف انقطاعه للعبادة، وهو أن يوضع في موضع يرى فيه وجوه المومسات .. أجيبت دعوتها لكن كانت نتائجها تبرئة، له ومحامد ذكر وتعظيم وإجلال من الناس، هذا كله لم يلفت اهتمام الباحث الجنسي الذي ركز على هذه الكلمة (المومسات) وكان يريد أمه أن تدعو عليه أن يشاهد وجوه العلماء، ويساير الزهاد أو الملائكة وإلا فهو دس من البخاري على النبي، وشر البلية ما يضحك.

*الحديث السابع:

قَالَ عِكْرِمَةُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، "إِذَا زَنَى بِأَخْتِ امْرَأَتِهِ لَمْ تَحْرُمَ عَلَيْهِ امْرَأَتَهُ" وَيُرْوَى عَنْ يَحْيَى الْكِنْدِيِّ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، وَأَبِي جَعْفَرٍ، فِيمَنْ يَلْعَبُ بِالصَّبِيِّ: "إِنْ أَدْخَلَهُ فِيهِ فَلَا يَتَزَوَّجَنَّ أُمَّهُ" وَيَحْيَى هَذَا غَيْرُ مَعْرُوفٍ، وَلَمْ يُتَابَعِ عَلَيْهِ" في البخاري (5105) ورواه الإمام مالك في الموطأ.

قال الشراح هذا الحديث من معلقات البخاري لا من صحيحه، ولا أجد فيه شيئاً ملفتاً، فالنص ليس في ما يحل الزنا أو اللواط إذ إنهما محرمان في كتاب الله وسنة رسوله، ولكنه تضمن مسألة شرعية منها وقوع جريمة اللواط بصبي، هل يجوز أن يتزوج اللائط بأمر ذلك الصبي أم لا يجوز؟ كما تضمن النص قبله حكم من زنى بأخت امرأته هل تحرم عليه زوجته أم لا تحرم؟ فهل معنى ذلك جواز الزنا بأخت الزوجة؟ وهل ذكر الله لفاحشة قوم لوط يعني إباحته؟! .. ثم يقول يجب منع تدريس حديث: " هذا الفهم السقيم والعقيم يأتي من نخالات العقول، وإلا سيكون تناول أحكام كل الجرائم بمثابة إباحتها؟

ولو وجد صاحب المنشور حكماً عن جريمة زنا المحارم سيقول البخاري يحل زواج المحارم .. ما هذا الإسفاف وهذا الفجور في الطرح؟ يقيني أن هذه المنشورات هو من أدوات مؤسسة راند الأمريكية الخبيثة، حيث تركوا كل خرافات الأديان وتوقفوا عند التهجم على عدوهم الذي دال ممالك شرهم وعلم العالم الحرية والانعتاق من ربة مؤسسة الاستعمار الغربي الممتد عبر التاريخ.

الحديث الثامن:

عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يَجِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَدَّ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ". رواه البخاري (٥٢٠٤) وابن حبان.

لا أدري وليتني أدري ماذا في هذا الحديث الذي يوجّه بحسن المعاشرة وعدم طغيان العلاقة الغرائزية بين الزوج والزوجة على العلاقة الإنسانية، لكن هذا المنشور المفترى يأبى إلا إدراجه في باب الجنس والدعارة ويمضي تصويره الفني العجيب في حشر أمنا عائشة حشرا حتى جعل من الإيحاءات الجنسية قوله صلى الله عليه وسلم فيها "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" ولسان حاله يقول لافضل لعائشة ولو كان كفضل الثريد، وجعلوه واستماتوا في نفي نزول براءتها في حادثة الإفك وهؤلاء كأولئك الذين قالوا إن حديث "فاطمة سيدة نساء الدنيا والأخرى" "والحسنان سيذا شباب أهل الجنة" وحديث الكساء .. وحديث الثقلين .. كلها قالوا تتناقض مع القرآن الذي فضل مريم ابنة عمران على نساء العالمين .. وأنه لا يوجد في الجنة سادة وغير سادة ولا شباب وشيبان .. وأن أهل البيت هم فقط نساؤه اللاتي ذكرهن الله في كتابه وأنه لا يوجد في القرآن سوى كتاب الله وسنة رسوله فهذا من ذلك من يريد أن يشبه على الناس ويلبس سيجد.

الحديث التاسع:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما أتى ماعزُ بنُ مالكِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال له: لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ قَالَ: لا يا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَنْكَبْتَها. لا يَكْنِي، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ..". رواه البخاري (6824) ورواه أبو داود وأحمد وغيرهم.

هذا الحديث التشريعي العظيم استخرج منه الباحث المخبول إيحاءات جنسية إذ كيف يقول لعلك قبّلت أو غمزت، (والغمز يكون بالعين أو بضغط اليد) أو لامست، كيف يأتي بهذه العبارات الجنسية وينسبها للنبي وكان الصحيح عند هذا الباحث الجنسي مراعاة لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لماعز كما يبدو لعلك صليت معها ركعتين؟! والسؤال كيف سيقم عليه الحد مالم يستنطقه وتكون اللغة غير كناية لأن الكناية لا تكون في الأحكام كون الكنايات احتمالية ولذلك وحتى ينفي المولى تعالى عن مريم عليها السلام كل شبهة زنا لم يكن بل قال (ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها) فهل كلام الله إباحي أيضا؟!

ولقد أدرج هذا الباحث الغريزي كلمة "وغسل مذاكيره" أي رسول الله في أدلته الصارخة على اللغة الجنسية للبخاري العبارة التي وردت في حديث زوج النبي ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها وهي تصف غسله ولايفرق بين التشريع وبين الهزل فلو قالت ويغسل عضوه أو أعضائه بدل مذاكيره لاختلط على الفقهاء ولم يدر ما عضوه فكله أعضائه، كذلك في قولها: "كنت اغتسل أنا ورسول الله من إناء واحد" فيه تشريع للمسلمين بجواز غسل الزوجين معا .. ثم إن الله تعالى قد أمر نساء النبي أن ينقلن للناس التشريع الأسري (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) فعليهن تبليغ كل خصوصيات النبي التشريعية لأنه رسول للناس قال تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (1).

وولول على حديث "إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الرَّابِعِ ثُمَّ أَجْهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ" رواه البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم، كيف يقول جلس بين شعبها الأربع؟ كأنه كان يريد إذا فعل معها ما يكون بين الرجل وزوجته، والصحيح أن هذا أخص وذلك أعم، فهو لم يشترط الإنزال فقد يحدث مجرد الإيلاج، ثم إن ما يكون بين الرجل وزوجته أشياء كثيرة، وهذا دين وليس لعب أطفال لا بد من لغة واضحة، والإكثار من المجاز يكون في لغة الشعر والأدب وليس في التشريع، وهذا سار على كل القوانين، ولا تردد في ذكر الصفات والأفعال والأسماء متى اقتضى ذلك ولا حياء في الدين ففيه الحيض، والنفاس، والاستنفار، والقبل والدبر، والغائط، والفرج، والذكر، والحشفة .. كيف سيكون التشريع بدون ذكر ذلك صراحة؟ لكنه ويا للهول يسرد بلغة متفجعة على النبي كيف ينسب للنبي هذا الكلام الخادش ويسمي هذا هتك أستار النبي وخصوصيته، ونقول له كيف يذكر الله الفروج، والدبر، والنكاح، والحيض، والمباشرة .. كيف ينسب إلى الله هذا الكلام يا للهول؟ جاء الرجل يقدم مواعظ في الحشمة والعفة ويدققها خزا على المغفلين.

ومن نكات بحثه قوله في حديث عائشة: "كُنْتُ أُمُّ رَجُلِي فِي قَبْلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي، فَرَفَعْتُهَا، فَإِذَا قَامَ مَدَدْتُهَا.." حيث جعل من هذا الحديث قصة جنس أخرى وإنما المراد غمزني أي ضغط بيده لكي اعتدل في جلستي ليسجد وأرادها الباحث الألمي كلما سجد عاكسني .. فعلا شر البلية ما يضحك.

الحديث العاشر:

عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع رضي الله عنه: "كُنَّا فِي جَيْشٍ، فَأَتَانَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتِعُوا فَاسْتَمْتِعُوا. وَقَالَ ابْنُ أَبِي ذُنَبٍ: حَدَّثَنِي إِيَّاسُ بْنُ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّمَا رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ تَوَافَقَا، فَعِشْرَةٌ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ لَيَالٍ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَزَايِدَا، أَوْ يَتَتَارَكَا تَتَارَكَا فَمَا أُدْرِي أَمَّا كَانَ لَنَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً". البخاري (٥١١٧) [وقوله: وقال ابن أبي ذئب... معلق].

الحديث يتصل بزواج المتعة الذي أبيض ثلاثة أيام ثم حرم في غزوة خيبر قال البخاري بعد هذا الحديث تعليقا عليه: "وقد بينه علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه منسوخ". الباحث الالتقائي المدلس حذف المقدمة وركز على "أيما رجل وامرأة توافقا.. الخ وأراد أن يجعله من أحاديث البخاري التي تحمل دعوة للبعاء بتجنياته فأى أساليب رخيصة ومتدحرجة هذه؟ .. زواج المتعة حرمت بأحاديث رواها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذكرها البخاري ومسلم في صحيحهما " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر ". وفي رواية: " نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية ". رواه البخاري (3979) ومسلم (1407). لماذا لم يقرأ تعليق البخاري وحديث سيدنا علي؟ أم الهدف استهداف الحمقى والمغفلين وتغرييرهم بأباطيله؟

*الحديث الحادي عشر:

علق على حديث الإفك في زوج النبي عائشة رافضا هذه الرواية وحملوا أنفسهم العنت كيف تنزل في زوج رسول الله سورة تبرؤها ولايدرون أن التبرئة هي لعرض النبي ونقاء النبوة قبل أن يكون لشخص أم المؤمنين عائشة، وكل استدلالته آيات هي في واد، وهو منها في واد حيث زعم أن حادثة الإفك التي وقعت في خروج عائشة مع النبي في غزوة بني المصطلق قال لم يكن النبي يصطحب نساءه في غزواته ذلك أن الله قال (وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال).

والرد عليه أن الآية نزلت في غزوة أحد التي هي أصلاً قريب من المدينة وبيوت النبي قريب من أحد لكنه كان يصطحب إحدى نسائه في السفر الطويل بعد أن يجري بينهن القرعة وكان من ذلك خروج أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية وكانت لها تلك الاستشارة المشهورة.

أما قوله (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) فليس المراد بذلك الحبس وإلا سقط عنهن فرائض كصلة الأرحام، وعيادات المرضى وفريضة الحج، فهذا الحبس في عقل القادح المشعوز، بل المراد أن هذا هو الأصل في حق نساء النبي مقابل التبرج تبرج الجاهلية الأولى، وما بقي من معنى لقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (1) ما الحاجة لأمرهن بالحجاب إذا كان الله قد كتب عليهن الحبس والحبس في البيوت كان عقوبة زنا، قال تعالى: (وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) (2) وحاشا أن يسري الدس على نساء النبي بهذا الحكم بحجة تنزيههن ومراعاة مصلحة بيت النبوة.

* الحديث الثاني عشر:

عن المسور بن مخرمة إن علياً خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك، فاطمة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعت حين تشهد، يقول: أما بعد أنكحتم أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله، عند رجل واحد فترك علي الخطبة. وزاد محمد بن عمرو بن حنبل، عن ابن شهاب، عن علي بن الحسين، عن مسور سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته، إياه فأحسن، قال: حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي.. البخاري

1 - [الأحزاب : 59].

2 - [النساء : 15].

(ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٧٢٩ • [صحيح] [وقوله: وزاد محمد بن عمرو... معلق،
وصله في موضع آخر] • شرح الحديث

يثار هذا الحديث كشبهة أن النبي منع التعدد وصاحب المنشور يراه مكذوبا على النبي
لأن فيه شبهة إبطال حكم شرعي وهو تعدد الزوجات.

والجواب: أن العلماء ذكروا تفسيرات ولكن أرى أن أهمها هو ما ذكره النبي صلى الله
عليه وسلم وهو اجتماع بنت رسول الله مع بنت عدو الله مع رجل واحد" ففيه مضنة دخول
الغيرة كيف يتزوج علي على فاطمة بنت رجل ناصب أبيها أشد العداوة فتصل إلى ذكر ما
كان بين رسول الله وعدو الله فيقعان في محذور وهو التعصب والحمية وذكر ما دفن من أمر
الجاهلية فيوقع فاطمة الزهراء وهي من هي في فضلها ومنزلتها فيما هي في غنى عنه، وقد
ورد عند مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة في هذه الواقعة: "إِنَّ فَاطِمَةَ مِنِّي ، وَإِنِّي
أَتَخَوَّفُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينِهَا" فهناك مخافة فتنة وسيكون في هذا إيذاء لفاطمة رضي الله عنها
وإيذاؤها من إيذاء رسول الله وفي إيذاء رسول الله خطر حذر منه المولى تعالى: (وما كان لكم
أن تؤذوا رسول الله).

ولعل في ذكر رسول الله لوفاء (أبي العاص بن الربيع) زوج زينب بنت رسول الله
إشارة بزواج مشروط يلزم الوفاء به، وقد صحح العلماء اشتراط الزوجة عدم الزواج عليها
قبل عقد النكاح وقالوا من حقها أن تطلب الطلاق لو أدخل زوجها بالشرط لقول النبي صلى الله
عليه وسلم: "المؤمنون عند شروطهم" فهل في ذلك الربط تفسير وجيه باشتراط عدم التزوج
على فاطمة؟ .. ذلك أمر وارد جدا.

وبناء عليه ليس في المسألة إبطال حكم شرعي فقد قال صلى الله عليه وسلم وإِنِّي لَسْتُ
أُحَرِّمُ حَلَالًا، وَلَا أُجِلُّ حَرَامًا" وهو الذي قال: "والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت
يدها" فكيف يقبل أن يقيم حدا على فاطمة - وحاشاها أن تفعل - ويبطل حكما من أجل فاطمة
ولكنه أبطل الجمع بين هذه الحالة الخاصة .. وإذا كان إباحة التعدد لمصلحة متوخاة فإن
المفسدة هاهنا أظهر من المصلحة ودرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، والنبي عليه
الصلاة والسلام أدرى بمكامن النفع من الضر، ولذلك تفهم علي رضي الله عنه سر عدم
الرضا بهذه الزيجة وعدل عن الزواج، وليس في الحديث مطعن ولا مغمز والله الحمد.

• الحديث الثالث عشر:

عن أبي سلمة قال: دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة، فسألها أخوها عن غسل النبي صلى الله عليه وسلم: "فدعت بإناء نحواً من صاع، فاغتسلت، وأفاضت على رأسها، وبيننا وبينها حجاب"

لطالما جعلوا من هذا الحديث شراكاً لاصطياد العوام ودهماء الناس، مع أن من يقرأه بتمعن لا يجد فيه شيئاً ملفتاً ولا خارجاً عن الشرع، فعائشة رضي الله عنها مع محرمين لها، تريهما مقدار ماء غسل النبي وصفة غسله وفي المواضع التي يجوز للمحرم أن يراها بدون افتراض خلع الثياب إذ المراد طريقة الإفراغ والميامين لا أكثر، ويكون الساتر لما قد يشف الماء ويصف مما لا يجوز رؤيته لمحرم .. ومن هذان المحرمان؟ قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: "قوله عن أبي سلمة بن عبد الرحمن (وساق الحديث) قال القاضي عياض رحمه الله تعالى ظاهر الحديث أنهما رأيا عملها في رأسها وأعلى جسدها مما يحل لذي المحرم النظر إليه من ذات المحرم، وكان أحدهما أختها من الرضاعة كما ذكر قيل اسمه عبد الله بن يزيد، وكان أبوسلمة بن أختها من الرضاعة أرضعته أم كلثوم بنت أبي بكر، قال القاضي ولولا أنهما شاهدا ذلك ورأياه لم يكن لاستدعائها الماء وطهارتها بحضرتها معنى إذ لو فعلت ذلك كله في ستر عنهما لكان عبثاً ورجع الحال إلى وصفها له وإنما فعلت الستر ليستتر أسافل البدن وما لا يحل للمحرم نظره"⁽¹⁾.

وسؤال العقل: كيف يقبل في جاهلية أو إسلام أن يرى الرجال من النساء ما لا يحل؟ وهل يقبل ذلك ممن يمتان لأمة المؤمنين بصلة قرابة ثم يروونه للناس ما فيه نكارة؟ ليأتي من في قلوبهم مرض ويحملونها على غير محاملها.

*الحديث الرابع عشر:

ورد في البخاري وغيره من أصحاب السنن عن عائشة أم المؤمنين، قالت: "مكث النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَهُ وَلَا يَأْتِي، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِي أَمْرِ اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ: أَتَانِي رَجُلَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رِجْلِيَّ

وَالْآخِرُ عِنْدَ رَأْسِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، يَعْنِي مَسْحُورًا، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ، قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ فِي مُشْطٍ وَمُشَافَةٍ، تَحْتَ رَعُوفَةٍ فِي بئرِ ذُرْوَانَ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيْتُهَا، كَانَ رُؤُوسَ نَخْلِهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةٌ الْحِنَاءِ فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُخْرِجَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهَلَّا، تَعْنِي تَنْشَرَتْ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَمَا أَنَا فَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا قَالَتْ: وَلَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، حَلِيفٌ لِيَهُودٍ.. صحیح البخاری (٦٠٦٣) وروى من طريق عبد الله بن عباس وزيد بن أرقم.

ما أكثر ما بدأ المحتسبون على السنة وأعادوا في هذا الحديث وجعلوه أحد المطاعن على السنة النبوية كيف يسحر النبي وعليه ينزل الوحي؟ ومنهم صاحب هذا المنشور الذي توقف بطبيعة الحال عند عبارة "يخيل إليه أنه يأتي أهله" الذي يخدم بحثه المخصص لغرض (مقاطع الجنس) التي منهجها خياله.

والجواب:

أولا هذا الحديث الشريف لا يتعارض مع نبوة النبي على الإطلاق بقدر ما يثبت بشريته، فهو معصوم فقط في جانب التشريع عدا ذلك فهو بشر (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) أكدها بعدة مؤكدات بقول (قل) أي اعترف لهم بلسانك وبالحرص ب(إنما) وبقوله (مثلكم) فلست بشرا من نوع خاص .. فالنبي ينسى كما ينسى الناس ويخاف كما يخاف الناس .. ويخطئ كما يخطيء الناس .. ولكنه الخطأ الاجتهادي مثلما أنه يمرض كما يمرض الناس .. ويطاله الأذى كما يطال الناس ومنه السحر ولكن كل ذلك بالدرجة التي لا تؤثر على مهمة الرسالة.

لست أنا الذي يقول ذلك بل قال ذلك رب العالمين فمن يطعن في السنة فهو يطعن في كتاب رب العالمين، قال تعالى في النسيان (وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) (2). (وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (3).

1 - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محي الدين النووي (4-3/4).

2 - [طه : 115].

3 - [الأنعام : 68].

وقال في العصيان (... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (1) وقال في موسى (...فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (2) (قال هذا من عمل الشيطان) وقال (رب إنني ظلمت نفسي) وطلب من الله الغفران.

لولم يتعرض النبي لأخطاء البشر ويردعه وتميزه عنهم بعظمة دينه وصلابته لما كان له الفضل في أن يكون مسيجا بالعصمة من الله، ولكان غيره خير منه.

وقال في السحر والخوف (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) (3) ولا يتناقض هذا مع قول الكفار (... وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) (4) إذ المراد السحر المؤثر تأثيرا بحيث يتهبأ له أنه نبي وما هو بنبي أما أن يطاله سحر مؤقت يؤثر نسبيا على قوة تركيزه ثم تتدخل عناية الله لإبطاله فذلك جزء من بشريته التي تجوز عليها الأحداث العارضة.

وستجد أن أولئك المحتسبين على السنة لحفظ مقام النبوة هم أكثر الناس نسيانا للنبي وأحاديث النبي وعرض النبي وأنصار النبي ماذا يهمهم من نفي السحر عنه إذا كانوا لا يؤمنون بهديه، هم يرون أنه مجرد حامل أمانة القرآن من يد جبريل إلى يد الناس وانتهت مهمته..فما ضر القرآن أن يسحر النبي عندهم أو لا يسحر بعد توصيل الأمانة.

إن هذه الأحداث البشرية مهمة جدا لتأكيد واقعية النبي وأنه مثل الناس فلو كان متميزا عنهم في كل شيء لم يكن لهم قدوة في شيء؛ لأن عالمه لاعلاقة له بعالم الناس..كيف سيحدث الناس ويعلمهم عن شيء هو يجهله ولو صح أن يكون عالم النبي ملائكيا لأنزل الله للناس ملكا لكن هذا لا يستقيم .. لذلك قال ربنا جل وعز : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ) (5) أي سيأخذ أيضا نمطهم حتى يكون لهم قدوة صالحة ويتأسوا بأفعاله وأقواله وإلا قالوا ما علمك بنا وبأحوالنا حتى توجهنا فيما أنت به جاهل.

1 - [طه : 121].

2 - [القصص : 15- 16].

3 - [طه : 67].

4 - [الفرقان : 8].

5 - [الأنعام : 9].

وإنما العصمة لازمة لصون الوحي من تأثير الأخطاء البشرية العارضة فإذا نسي النبي أو تعرض للسحر لم يكن ذلك ليؤثر على أداء الرسالة وسلامتها بكونه عابرا كما يكون مرضه عابرا، وخطؤه مستدركا، واجتهاده مسددا، وتلك هي القصة يا من تحملون المطاعن وتطفنون المشاعل.

أخيرا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أن هذه الآيات لم تذكر في القرآن في رسول الله صلوات ربي عليه ووردت في السنة لقليل عن الرواة أنهم كفار وهي (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) (ولا تكن للخائنين خصيما) (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) (عفا الله عنك لم أذنت لهم) وغيرها من العتابات.

ولقالوا ويلاه كيف ينسب للنبي أنه يعبس في وجوه المساكين وهو الذي وصفه الله أنه رحمة للعالمين؟ ومتى كان النبي خصيما للخائنين وهو الذي يجاهدهم من أجل إعلاء كلمة الله وهو الذي قال الله فيه (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين)؟، وكيف يقول وهو الذي أنزل عليه التشريع أنه حرم ما أحل الله له يا له من تناقض مع الرسالة وشيء لا يصدق والله يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهل يكون مشرعا في تحليل ما حرم الله؟ وهل يعقل أن النبي سيطيع الكافرين والمنافقين والله قال له (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) ما هذه الروايات المدسوسة؟ وهل يدخل في العقل أن النبي سيطرد الدعاة الله وهو الذي قال فيه: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا انفصوا من حولك)؟ وأظن أنه سيأتي يوم يطعنون في كتاب الله بحجة التناقض والانتصار لسيرة النبي وهكذا تبدأ خطوات الشيطان.

والقرآن والسنة عندما تظهر في حقه النبي من صفات البشر الاجتهادية فإن ذلك لا ينقص من مقامه عند الذي اصطفاه ووصفه بأعظم وصف (وإنك لعلی خلق عظیم) صلى الله عليه وسلم.



الشبهة (32)

كثرة روايات أبي هريرة وقلة روايات علي

- هل يعقل أن تكون روايات أبي هريرة أكثر بكثير من روايات علي وهو من أهل البيت؟

الجواب:

شبهة لم يسقها أحمد ماهر في شبهاته لا ندري كيف ضاعت منه أم أنها في حزمة شبهات سبقت عنده أم ستأتي رغم شهرتها وهي اهتمام الرواة بأبي هريرة أكثر من أهل البيت على رأسهم علي رضوان الله عليهم.؟؟؟ وبما أننا في مجال حديث الشبهات حول السنة نخرج عليها بهذا الجواب:

أولاً - ما رواه الإمام علي رضي الله عنه هو نحو (536) حديثاً وليس صحيحاً أنه لم يرو سوى بعدد أصابع اليد أو فقط أربعين حديثاً كما يقول الاثناعشرية. أما لماذا 536 لاغير فذلك لأسباب منها :

1- أن الخلفاء الراشدين شغلوا بجمع القرآن وتجميع الناس في الأمصار على القراءات المشهورة، واستمر شغلهم بالقرآن حتى عثمان رضي الله عنه الذي وجد أن الناس في الأمصار قد تفرقت على قراءات شاذة فأرسل نسخته على المشهور من القراءات وأمر بحرق ما عدا ذلك حتى لا تتفرق الأمة فكان القرآن حفظاً وتدويناً هو شاغلهم الأول.

2- كان الخلفاء مشغولين أكثر بأمر الحكم وجمع الناس لقمع حركات الارتداد والتعبئة لحماية دولة الإسلام الضعيفة من القوى المحيطة ونشر الإسلام في الشعوب. ولم تكن للخلفاء مجالس علم كما حدث بعد ذلك عندما استقرت الأوضاع وأصبح لعبد الله بن عمر مجلساً، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وابن مسعود... إلخ ولذلك ما رواه الخليفة أبو بكر رضي الله عنه الذي كان من أكثر الناس ملازمة للنبي عليه الصلاة والسلام (140) حديثاً لا غير.

وما رواه عمر بن الخطاب الذي استقرت الخلافة في عهده 12 عاماً (537) حديثاً بزيادة حديث عن علي.

وما رواه عثمان رضي الله عنه (146) حديثاً لاغير.

3- كان كبار الصحابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منقطعين لملازمة الرسول فقد كانوا وراء تجارتهم وزراعتهم ومعاتشهم وإنما كان أكثر الناس ملازمة لرسول الله هم.

- أهل الصفة أي الفقراء المنقطعين وأبرز من روى منهم أبو هريرة.

- مواليه وأبرز من روى منهم أنس بن مالك.

- الشباب المنقطعون للتعليم وأبرزهم كانوا العبادة الثلاثة وهم عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وهم الذين روى عنهم التابعون الذين تفرغوا في عصر التدوين الرسمي الذي أمر به الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وكلف محمد بن شهاب الزهري (28-124هـ) بجمع الأحاديث فكان أول مؤلف في الحديث جمعه ابن شهاب الزهري وقيل إنه رأى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- نساؤه وكان أكثرهن رواية هي أكثرهن معاشة له واهتماما وهي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين.

4- كثير من الأحاديث في غير أحاديث الأحكام لم ترو كعلم مدون فيكون مع هذا كثير وهذا أكثر وهذا قليل وهذا أقل بل كانت تروى بحسب الوقائع المستجدة فيقال من معه أثر في هذا عن النبي فيروي الصحابي ما سمع أو وجد من مواقف للنبي صلى الله عليه وسلم .. وكما جاءت الأحداث اشتد الطلب على الهدي النبوي المحفوظ في الصدور فتتسع رقعة التدوين بطول عمر الصحابي.

فمثلا مر النبي صلى الله عليه وسلم بأحدهم يخذف فنهاء عن ذلك فلم يكن وراء رسول الله من يدون كل حركة وكل كلمة فقد يتراجع النبي عن شيء قاله أو فعله مثل .. "كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها" .. فإذا فارقوا رسول الله عليه الصلاة والسلام على هدي معين نقلوه للناس فهذا الصحابي الذي شهد نهى رسول الله متى وجد أحدا يخذف نهاه وذكر له حديث رسول الله فيأتي الرواة ويدونون الرواية وهكذا.

وهنا قد يقال أين ذهب بأهل بيته يعني عليا وفاطمة والحسن والحسين؟؟؟

أما الحسنين فقد كانا لا يزالان صغيرين عن التلقي حيث ولدا على التوالي السنة الثالثة والرابعة للهجرة فقلت روايتهما .. وأما سيدتنا فاطمة رضي الله عنها مع أنها كانت كثيرة الزيارة للنبي لكنها زيارة الابن لأبيه على أنها رضي الله عنها توفيت بعد النبي بستة أشهر قبل الانشغال بالجمع والرواية.

وأما زوجها علي فمثله مثل بقية الصحابة عندما يجد وقتا للصحة صحب النبي وعندما يجد فريضة السعي في الأرض انطلق للعمل .. وهذا الدين دين عالمي لا دين عائلي .. وليس تركة يورث للأقربين، ولا حقوق محفوظة بيد الأولاد والأحفاد .. بيدهم وحدهم المفتاح وحق الرواية والتأويل، فهذا تجن على القرآن وادعاء ما ليس لهم بحق.

وربما قالوا وتساوي عليا بأبي هريرة أو بعبد الله بن مسعود؟

والجواب: نعم هم من حيث أصل القيمة الإنسانية والفرائض التكليفية في الإسلام سواء، وإذا كان علي يفضل بالمنزلة والسابقة فلا يعني أن غيره مقدوح في دينه أو ليس أهلا للقيام بفريضة رواية هدي رسول الله .. كيف والله يقول في عموم الصحابة (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) وزكاهم جميعا بلا استثناء فقال (... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)⁽¹⁾. وقال في آية التطهير (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)⁽²⁾ كلهم من عرف بالاتباع وصلاح الدين أهل للتقوى وكلهم أحق بها وأهلها وكلهم حبيب إليهم الإيمان .. ومن يقل غير ذلك نقول له ما قال الله (تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).

ثانيا- ليس صحيحا أن أبا هريرة عايش النبي سنتين فقط بل عاش أربع سنوات في المدينة ولازم رسول الله ملازمة تامة ثلاث سنوات .. ولعمري إن إنسانا يلازمك فقط سنة واحدة يستطيع أن ينقل عنك أسفارا فكيف بها ثلاث سنوات ولقد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوة الحفظ لما كان يرى من اجتهاده.

ثالثا- إن كل ما رواه أبو هريرة من غير المكرر من طرق أخرى بما فيها الصحيح والحسن والضعيف نحو 1500 حديث فقط وهو الذي عاش بعد الخليفة الرابع مدرسا ومعلما نحو 17 سنة وعاش في الإسلام 51 عاما.

علما أن ما رواه أبو هريرة رواه صحابة آخرون ولم ينفرد إلا بنحو (110) حديثا فقط يعني لا يوجد شيء خارق للعادة بقدر ما هو الحاجة إلى التشكيك.

على أن أبا هريرة وعائشة من أكثر من روى فضائل أهل البيت إن لم يكونا أكثر من غيرهم رواية في هذا .. ولو تم القدح في تلك الروايات كالقدح في روايتها لذهب قدحها المعلى وسناؤها الأوفى.

1 - [الحجرات 7].

2 - [التوبة 103].

رابعاً- لو كان ثمة تجاهل لروايات علي وأهل بيته من أعدائه فهل كل المهاجرين والأنصار والهاشميين أعداؤه؟ وكيف اجتمع حوله أكثر من مئة ألف في قتال أهل الشام؟ إنما هي ثقافة المظلومية تفعل فعلها في الناس والله حسبنا ونعم الوكيل.

* أحاديث لأهل البيت لا يعمل بها الشيعة:

ليس الحرص على تطبيق روايات سيدنا علي وأهل بيته هو محل الشاهد فهناك أحاديث لأهل البيت لم يفعل بها الشيعة ومثل مخالفتها تمايزا مذهبيا مع أهل السنة الذين عملوا بها وطبقوها وتميزوا بها .. فما أكثر ما ترك الشيعة أحاديث رواها علي وأبنائه منها أحاديث في تحريم المتعة .. وغسل الرجلين في الوضوء بدل مسحهما .. ودعاء الاستفتاح .. والتكبير أربعاً على الميت .. وتعجيل الإفطار .. وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة (الضم) .. وإليها على النحو التالي:

- تحريم المتعة:

عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الْحَسَنِ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنَيْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ أَبِيهِمَا مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ وَبَلَغَهُ أَنَّهُ رَخَّصَ فِي مُتْعَةِ النِّسَاءِ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَهَى عَنْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ وَعَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ «(1).

- دعاء الاستفتاح:

عن الحسن بن علي بن أبي طالب عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: علمني رسول صلى عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر، - قال ابن جواس: في قنوت الوتر اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت" (2).

- غسل الرجلين:

عن خالد بن علقمة عن عبد خير قال: أتانا علي رضي الله عنه وقد صلى، فدعا بطهور، فقلنا: ما يصنع بالطهور وقد صلى؟ ما يريد إلا ليعلّمنا، فأتي بإناء فيه ماء وطست فأفرغ من الإناء على يمينه فغسل يديه ثلاثاً، ثم تمضمض واستنثر ثلاثاً، فمضمض ونثر من الكف الذي يأخذ فيه، ثم غسل وجهه ثلاثاً، وغسل يده اليمنى ثلاثاً، وغسل يده الشمال ثلاثاً، ثم

1 - أخرجه البخاري (٥١١٥)، ومسلم (١٤٠٧)، والترمذي (١١٢١)، والنسائي (٤٣٣٤)، وابن ماجه (١٩٦١)، وأحمد (١٢٠٤) واللفظ له.

2 - الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح أبي داود ١٤٢٥ • صحيح • شرح الحديث.

جعل يده في الإناء فمسح برأسه مرة واحدة، ثم غسل رجله اليمنى ثلاثاً ورجله الشمال ثلاثاً".
ثم قال: "من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا" (1).

-التكبيرات على الميت:

عن الحسن البصري عن أنس قال: "كبرت الملائكة على آدم أربعاً وكبر أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم أربعاً وكبر عمر على أبي بكر رضي الله عنه أربعاً وكبر صهيب على عمر أربعاً وكبر الحسن بن علي على علي أربعاً وكبر الحسين بن علي على الحسن أربعاً" (2).

-تعجيل الفطر ووضع اليمنى على اليسرى:

في مسند زيد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً (المجموع) عن زيد عن أبيه، عن جده، عن علي رضي الله عنه قال: (ثلاث من أخلاق الأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع الكف على الكف تحت السرة) (3).
وما أكثر أيضاً ما تركوا أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ولفقوا لهم سنة عن أبي عبد الله جعفر الصادق وهو منها بريء، فهم يرون أن الأئمة بدرجة النبي في الحجية والتشريع وما أكثر ما يردون كلامه إذا لم يعجبهم، فما قاله الإمام والسيد الحجة أعلى مما قال رسول الله وتحت هذا كلام يطول.

أخيراً يرد أبو هريرة رضي الله عنه على من قال إنه أكثر من الرواية ففي صحيح البخاري قال: "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يتلو (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى) إلى قوله (الرحيم) إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون".



1 - رواه أبو داود (111) وأحمد في مسنده وصححه الألباني.

2 - رواه الدارقطني (ت 385)، سنن الدارقطني 2/220 • [فيه] محمد بن الوليد هذا ضعيف.

3 - مسند زيد بن علي (ص 205).

الشبهة (33)

هل كان العرب يستحقون الرسالة المحمدية؟

- ما وجه اعتداد العرب والمسلمين بأنفسهم ولماذا وصفوا بأنهم خير أمة وواقعهم لا يدل على ذلك؟

الجواب:

بادئ ذي بدء ليست الدنيا وخدمتها بالماديات والملذات والشهوات والاستعلاء في الأرض هي معيار الخيرية .. معيار الخيرية هي بالقرب من رصيد الإنسانية الكاملة، وتحقق ذلك تكون بالاتصال بمصدرها الأول وهو توجيهات السماء والعمل بمقتضاها قال ربنا: (كُنْتُمْ خَيْر أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...) (1).

امتلك الغرب الماديات بكل صورها غير أن ذلك ليس هو الحاكم على أفضليتهم على بقية البشر، ولا اللون أو العرق أو قوة السطوة والنفوذ هو المعيار .. وعلى منظومة القيم الإنسانية تقييم الحضارة الغربية أرباحها وخسائرها من خلال خدمة القيم الإنسانية وليس خدمة مادية الإنسان وحسب، فليس الإنسان مجرد كائن معتلف ولكنه صاحب رسالة أيضا وقيم.. فالعرب والمسلمون أقاموا حضارة إنسانية عظيمة، حكموا فأجادوا وحكم الغرب فأبادوا وتفننوا في توفير أساليب الفناء بقدر ما تفننوا في توفير وسائل الصحة وتسخير الأرض واستغلال مقدراتها، فلهم إيجابياتهم ولهم سلبياتهم، وإذا كان العرب قد أسهموا في هذه الحضارة بمقدماتها، ولم يصلوا إلى نتائجها المادية المعاصرة، أو لنقل إن لم يكن منهم خير على مستوى إنتاج الحضارة المادية المعاصرة فليس منهم شر على البشرية، لكنهم يمتلكون رصيد الإنسانية ونظمها ومنهج حياتها، والكثير من دساتير وقوانين المؤسسات الدولية اليوم أخذت من التشريعات الإسلامية، والكثير من قوانين الدول الغربية التي كان لها تواجد في البلاد العربية والإسلامية استفادوا من الشريعة الإسلامية التي يحاربونها اليوم، واستفادوا من أخلاقيات الفتوحات الإسلامية إلى حد ما وصاروا إنسانيين أكثر، بعد أن كانوا برابرة ومتوحشين، ولقد عاش صلاح الدين كرمز لأخلاق الفرسان ردحا من الزمن في الغرب، وقبل أن يلوث الاستخراب الغربي أخلاقيات الشعوب كان في العرب مبادئ عليا كالوفاء، والشهامة،

والنجدة، والكرم، ونصرة المظلوم (1) .. إلخ لذلك كان اختيار المولى تعالى للعرب لحمل رسالته اجتناباً بخصائص دل على أنهم خير أمة لا شر أمة كما تروج له مؤسسة (راند) الاستعمارية وأذناها .. وتمثل ذلك الاجتناب بنصوص الوحي:

أولاً- قال تعالى: (هو اجبتاكم) أي اصطفاكم واختاركم .. فهل اختار لنشر دينه في العالم أمة شريرة؟.

ثانياً- جعلهم خير أمة أخرجت للناس .. فكيف صارت خير أمة عند الخالق شر أمة عند المخلوقين؟ .. والخيرية مرتبطة ارتباطاً لزومياً بحمل الرسالة (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فهم أمناء الوحي ومثلهم من دان بدينهم.

ثالثاً - جعلهم أمة وسطا (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...) (2) فهم وسط في الاعتدال .. فكيف توصم الأمة الوسط بالتطرف و(الإرهاب)؟ .. ووسط في المكان ليسهل الحج إليهم، ولتنتظم صفوف المصلين في العالم على مركز الدائرة وهي الكعبة، وليكون مطلعهم مقياساً لمدة الصوم لمن طال عليهم جداً أو قصر .. ويمكن إضافة وسط في اللون فلا يظن أن دينهم دين البيض ولا يظن أنه خاص بالسود .. وهذه الوسطية معللة بقوله: (لتكونوا شهداء على الناس) وإنما تقبل شهادة العدل الثقة، وهذه منقبة أخرى.

رابعاً- أنزل بلغتهم أعظم كتاب هو القرآن الكريم، فجعله كتاب تحد وإعجاز، (إننا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وفيه منقبة لا تقارن .. قال تعالى: (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون) أي فيه شرفكم وحضور مكانتكم وقال: (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) أي تحاسبون على نعمته المنزلة بأن جعل العرب لغة ومكاناً وهوية مجال ذكر الآخرين، فلا تقبل صلاة إلا باللغة العربية، ولقد تعهد الله بحفظ كتابه، وبه حفظت اللغة العربية لأنها مرتبطة بالعبادة.

1 - قد يقال إن هذه المعاني صار الغرب يتمثل بها أكثر من العرب في استقبال المطاردين سياسياً والمشردين والمهاجرين، ويجب أن نتعرف أن هذه القيم جديدة على التاريخ الغربي، كما يجب أن ندرك أن الغرب موجود في البلاد العربية والإسلامية والفقيرة لا كأفراد بل كدول تستنزف قدرات هذه الشعوب وتمتص خيراتها وتحشر أنفها في سياسة الدول ثم يقال هناك ملونون يعيشون في الغرب بأمان؟

2- [البقرة : 143].

خامسا- بعث فيهم خير الأنبياء وخاتمهم إلى الناس كافة (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ...) ومنهم إلى الناس كافة (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا).

سادسا- جعل فيهم أقدس بقاع الأرض فلا تصح صلاة مسلم ولا حجه بغير التوجه إلى بيت الله المحرم في مكة.

سابعا - جعل أرضهم مهبط أعظم الديانات السماوية .. ومن هذه البقعة المباركة كان أولو العزم من الرسل (وهذا بمعايير هوية الأمة وثقافتها .. وللدهرابين والماديين معايير متعينة شهوية دنيوية مختلفة عن معايير الأمم).

على أن هذا الفضل ليس من منطلق التحيز لأمة على أمة، بل هو اجتناب رسالي، فقد جعل الله قبلهم بني إسرائيل أفضل العالمين .. وجعل فيهم أنبياء (نزيرة بعضها من بعض) .. وجعلهم ملوكا .. وكتب لهم الأرض المقدسة .. وكانت قبلة المؤمنين إلى بيت المقدس عاصمة مملكتهم .. وأنزل الله عليهم التوراة والإنجيل والزبور .. قال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا)⁽¹⁾ فذلك فضل أمة انتهت وظيفتها الرسالية، وتحولت فضائل دين الله عنهم إلى أمة النبي الخاتم التي حسدوهم عليها .. ولقد أنفذ الله وعده في أمة محمد فاستخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم، وحكموا العالم بأنوار دين الله، فكانوا مثالا للإنسانية والتسامح بين الديانات المختلفة وسادت الفضيلة بسيادتهم.

* سياسة إيقاع الهزيمة في النفسية العربية.

عندما توالى هزائم الصليبيين ووجدوا ألا مجال لهزيمة المسلمين عسكريا حولوا إستراتيجيتهم الحربية من هزيمة العرب ماديا إلى هزيمتهم معنويا، فأرسلوا جيوشهم الفكرية ممثلة بالبعثات الاستشراقية لدارسة تاريخ الإسلام وثقافته بهدف تشويهه، فتعقبوا الأخطاء فضخموها وبحثوا عن المشتبهات ونشروها.

- فلا تكاد تجد في كتاباتهم من تاريخ العرب إلا فتنة علي ومعاوية (على سبيل الإبراز) .. متجاهلين حروب كنائسهم التي استمرت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

- ولا تكاد تجد من سير خلفاء المسلمين إلا الجواري .. متجاهلين الطبقة الغربية التي صنفت المجتمعات إلى سادة وعبيد وقيامهم ببيع شعوب من القارة الإفريقية في أسواق النخاسة لعدة قرون.

- ولا تجد من القرآن إلا آيات الجهاد .. متجاهلين حروبهم الصليبية واحتلالهم لشعوب أفريقيا والعرب من قبل بزوغ فجر الإسلام الذي جاء محررا للمستضعفين، ثم امتدت حروبهم حتى العصر الحديث.

- ولا تجد من الشريعة إلا جواز الزواج بأربع .. متجاهلين المشاعية الجنسية عندهم .. والإنجاب غير الشرعي .. وزواج المثلية التي صاروا يطالبون العرب والمسلمين بترك (رذائل) العفة وتعليم الأبناء (فضائل) اللواط والسحاق الحضاري والجنردة .. وثقافة زواج المحارم والنوم مع الكلاب والبهائم على مخدع الحب النبيل.

- ولا يكادون يطلقون اسم الإسلام إلا مقرونا بالإرهاب .. متجاهلين أنهم صناع الإرهاب وأسأذنته فكريا وماديا .. فهم يشتمون مقدساتنا في رسومهم ويحرضون على قتل العرب في أفلام هليود وعلى مستوى التأليف والتصريح لأرباب السياسة والفكر كل هذا قبل ظهور الحركات العنيفة المشبوهة عندهم .. أما على المستوى المادي ففيهم ظهرت النازية والفاشية لا في بلاد العرب .. وفيهم ظهرت أسلحة الإبادة الشاملة وقبل إبادة هيروشيما وناجازاكي وإبادة ما يصل إلى المائة مليون في الحربين العالميتين، تم قبلها إبادة المسلمين في الأندلس، وإبادة الهنود الحمر في أمريكا، فضلا عن الإبادة المعاصرة مثل قتل عشرات الملايين من الشعب الفلسطيني والجزائري والسوري والعراقي والأفغاني .. بينما يحرم الإسلام تحريما قاطعا الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل ولايجز سوى قتل المحارب المعتدي.



الشبهة (34)

أين أنبياء الصين واليابان وكوريا .. الخ؟

- مُلحد يتساءل لماذا فقط المنطقة العربية فيها أنبياء؟ أين أنبياء اليابان والصين وأوريا .. الخ؟

*الجواب:

أولاً- قد ذكر الله أنه أرسل أنبياء إلى كل الأمم فقال: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)⁽¹⁾ وقال: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ...)⁽²⁾ وقال: (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ...)⁽³⁾ فجهلنا بالشيء لا ينفي وجوده، فإذا لم نعلم عن أولئك شيئاً فقد نص الله على وجود عدله في عباده بأن أرسل رسله إلى الجميع وعلل ذلك بقوله : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل...)، فعدل الله يفتضي عدم محاسبة الإنسان على تكاليف لم تصله ومن حق الإنسان أن يحاجج ربه في ذلك .. وقد يكون جهلنا بهم لعدم وجود توثيق في تلك الأمم في تلك الأحقاب، وإنما وثق بنو إسرائيل لموسى وعيسى لكثرة الأنبياء فيهم وتتابعهم فجعل كل نبي يوصي بحفظ تعاليم من سبق منهم، وهنا سؤال لماذا أرسل الله الكثير من الأنبياء إلى بني إسرائيل؟ .. وهذا ما سنجيب عليه تاليا بعون الله.

ثانياً- هناك مناطق رسل ذكرها القرآن الكريم ولم يقطع هو بمكانها مثل المؤتفكة .. والأيكة .. ومكان الجودي منطقة نوح عليه السلام .. ولم يقطع بأماكن بعض الأنبياء وإنما اجتهد المفسرون في تحديد أماكنهم، وذكر صالحين لم يخبرنا أين كانوا وهل كانوا بدرجة أنبياء مثل ذو القرنين والرجل الصالح الخضر، ورجح الكثير من العلماء أن يكون مثل بوذا وزرادشت وبعض الآلهة التي تعبد اليوم وحكام مثل (بيدباء) حكيم الهند و(كونفوشت) حكيم الصين وفلاسفة اليونان مثل (سقراط) و(إفلاطون) .. الخ رجحوا أنهم كانوا أنبياء، ولكن تم تحريف سمو رسالتهم فوصلت تعاليمهم وثنية محرفة كما حرفت اليهودية والمسيحية، وكما عبد بعض الصالحين ولعلمهم كانوا أيضا أنبياء مثل (ودّ) و(سواع) و(يغوث) و(يعوق) و(نسر) وكما عبد نبي الله عيسى عليه السلام.

1 - [فاطر : 24].

2 - [النحل : 36].

3 - [النساء : 164].

ثالثاً- لم يذكر الله أماكن من العالم سوى القليل النادر مثل الروم ومصر ومكة لارتباطها بأحداث القصص، ولم يذكر فارس والحبشة والصين وكوريا .. الخ ذلك أن القرآن كتاب هداية لا كتاب تاريخ ولا معجم بلدان ولو قيست مسألة العدالة بإثبات تلك الجهات وأنشطتها الرسالية لوجب أن تكون كل الأمم والأقوام مذكورة فيه وهذا يصرف رسالة القرآن إلى مهمة أخرى.

رابعاً- كانت البشرية عند نشوئها متركزة في المنطقة العربية التي هي وسط بين المناطق الباردة جدا والحارة جدا فهي مناطق دافئة وكانت معدلات سقوط الأمطار فيها أعلى فهذه المنطقة الوسط كانت مسرحا للرسالات الكبرى، وفيها أرسل أولو العزم من الرسل الذين ذكر القرآن الكريم أنشطتهم الرسالية ومنطقي أن تستأثر منطقة الوسط بمركز الإشعاع التي منها يصل نور الهداية إلى بقية الأطراف.

خامساً- وفيها نجيب على إرسال الكثير من الرسل إلى بني إسرائيل وهو أن العبرة ليس في كثرة الأنبياء المرسلين إلى منطقة ما ولا في قتلهم بل العبرة في الانتفاع بالهداية؟ فقد يكون من لم يسمع بالرسالة أفضل حظا ممن سمعها وكفر بها فالأول لن يعذب ما لم تقم عليه الحجة ، حيث يقول المولى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) والثاني سيعذب لأنه جاءه النبي ولم يؤمن به، وبالتالي لم ينفع بني إسرائيل كثرة الأنبياء فقد استقبلوا الأنبياء غالبا بالتكذيب والقتل (فريقا كذبتهم وفريقا تقتلون) وظلوا رغم كثرة الأنبياء يسعون في الأرض فسادا كما ذكر الله، لذلك غضب الله عليهم، ولعنهم، وضرب عليهم الذلة والمسكنة؟ وباؤوا بغضب من الله، وجعل منهم القردة والخنزير وعبد الطاغوت وقطعهم في الأرض أمما، وذكر أنه أنزل عذابه على من كذب بالرسل، فهل فعل الله بالصين أو اليابان كما فعل ببني إسرائيل ومن جاءتهم الرسالات؟ لا بل أكثر ما ذكر لنا القرآن هو كفر أهل الكتاب وعنادهم وحر بهم الله ورسوله رغم أنهم أهل كتاب .. فليست العبرة كم وإلى من بعث الأنبياء فالله قد يؤتي فضله من يشاء ابتلاء لا تفضيلا لهم على غيرهم كما فضل أمما على أخرى في الخيرات والأنهار مثلا ولكنها لم تنتفع بها وقد يرزق الله آخرين عقولا ذكية فتعيش في أرض فقيرة ومن لا شيء يكونون الأغنى وأفضل من الرابضين على بحار من الخيرات .. فلا بنو إسرائيل والعرب هم الأفضل، ولا الصين واليابان هم الأسوأ بل العبرة بالنتيجة من ينتفع من؟ ولربما أرادت حكمته تعالى أن يكون من عباده في النار وهم الكافرون برسله، ومنهم في الجنة وهم المؤمنون بهم، ومنهم بين هذا وذلك وهم أهل الأعراف الذين لم تصلهم الرسالات ولم تقم عليهم الحجة .. وقد ورد أن الله يبتلي من لم تصله الرسالة يوم القيامة ليحدد مصيره إلى الجنة أم إلى النار.



الشبهة (35)

هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب؟

- نزل منشور يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن أمياً بل كان يجيد 63 لساناً فهل حقا كان يجيد القراءة والكتابة؟

الجواب:

هذه شبهة قديمة جديدة وقد كتب بعض المستشرقين يقول إن مسألة أمية محمد مسألة غامضة، وقال بروكلمان إنه كان للنبي اتصال ببجيري الراهب .. فقد كان أحد أهم مداخل ادعاء اختلاق النبي للدين عندهم هو تأثره بمن سبق عن طريق رحلته التجارية إلى الشام وادعاء أنه تتلمذ على أيدي أهل الكتاب لكنهم اصطدموا بموضوع أميته .. ولقد ذكر الله هذه الشبهة في كتابه فقال:

(وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (1).

ومن ملاحظ العناية الإلهية بالتنصيص على أميته في الكتب السماوية فإذا قرأنا [الإصحاح 29 من سفر أشعياء] كاملاً، وجدنا الإصحاح يبدأ بتوعد أهل الغفلة والمعاصي ويعرج على الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ثم ينتبأ بالصحة والتوبة والأوبة" قال الله إشارة إلى ذلك: (... وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (2) لأن الله يعلم أنه سيعزى إلى دين من سبق وهذا ما حدث قال الله:

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنِ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (3). فكانت شبهة الأولين أنه اكتتبها ونسخها حيث كانوا يملونها عليه بكرة وأصيلاً، ولا يملى إلا على إنسان يجيد القراءة والكتابة، وقادر على تلقي علوم من سبق وتدوينها، هكذا رغم تأكيد كفار مكة من أميته لكنهم لم يجدوا أنسب طريقة للتشكيك في القرآن سوى ادعاء القدرة على المهارات العلمية ومنها القراءة والكتابة والتأليف.

1 - [النحل : 103].

2 - [الشعراء : 193 - 197].

3 - [الفرقان : 4 - 5].

ولم يكن غريبا أن تثار هذه الشبهة مرات ومرات لنفس الغرض وقد نزلت ضمن منشور يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجيد 63 لسانا؟! .. وهذا يعني أنه كان عبقريا أكثر منه نبيا .. وأن ذلك قد مكنه من الاطلاع على الكتب الماضية، بل وتراث البشرية التي تسهل صياغة كتاب يدعي أنه من الله أي القرآن ومعلوم ما في هذا من دس خطير .. لقد كانت أمية النبي صلى الله عليه وسلم إلى جانب كونها مظهرا إعجازيا حصانة من شبهة التأثر والاطلاع على الكتب السابقة (وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) إي لم يكن لك سابق اطلاع على كتاب، وأنى لك ذلك وأنت رجل أمي قال الله : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ...) والأمي في المعاجم الذي لا يقرأ ولا يكتب نسبة إلى أنه لا يزال كما جاء من عند أمه.

ومن ناحية ربما أدركت قريش مشكلة أمية النبي فجعلت تضغط في اتجاه وجود كتاب يأتي من السماء جاهزا، ولا يمكن أن ينزل كتاب برموز قرائية على إنسان لا يفهم ما بداخله ويكون أجهل الناس به .. فجاء القرآن منجما فيما نجد بعض كتب السابقين كالألواح نزلت على موسى عليه السلام فيها هدى ورحمة مدونة لأنه لم يتصل إعجازها بحاملها .. من أجل ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليه وحيه خوف النسيان كونه أميا لا يدون فأنزل الله (سنقرئك فلا تنسى) فكان جبريل عليه السلام يقرأ القرآن على النبي صلى الله عليه وعلى آله أكثر من مرة كما ذهب إلى ذلك الإمام الزمخشري لكي لا ينسى .. إذن الله يقرئه القرآن (سنقرئك فلا تنسى) وهو ما يعني أنه لم يكن هو يقرأ وإلا لما احتاج للتدخل الإلهي ومساعدة من جبريل فلدیه مدونات جاهزة يقرأ للناس منها، ويستظهرها.

كما تعهد الله بحفظه أيضا تسرية لنفس النبي الخائفة على ضياعه من عدم جمعه وترتيبه لأنه نزل على قلبه وحسب فهو إنما يأمر كتاب الوحي بتدوينه ولا يدري إلى أين منتهى ذلك فقال الله: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (1).

وقد تم جمعه على يد الصحابة رضوان الله عليهم بعده تنفيذًا لوعده الله، ولو كان يقرأ ويكتب لكتبه بيده الشريفة، وإلا فهو تخل منه عن أهم خطوة كان يجب أن يضطلع بها لو كان يجيد القراءة والكتابة، وهو تدوين القرآن كاملا بيده حتى آخر آية ويختتم على نسخته الأصلية ويشهد عليها ويعممها .. ولكانت شبهة أكبر وهي كيف يترك ما جاء به لكي يعني به غيره وهو من هو في القراءة والكتابة هل لم يكن واثقا مما جاء به حتى يتخلى عنه؟

وقد اشتبه على بعض العلماء السابقين في الأندلس قول الله: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِبَيْمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطُلُونَ) (1).

التي هي دليل صريح على كونه أميا، وقالوا نعم كان أميا ثم صار يقرأ بعد ذلك، وأرادوا بذلك الرفع من مكانة النبي وإنما هم ينسفون شرط القرآن المعجز عن طريق نبي أمي وأتوا ببعض القرائن التي لا تصح الاستدلال بها لضعفها أمام النص الصريح والتواتر .. وأن يمكن إعجاز القرآن في أنه معجز مع كون صاحبه أميا (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (2) يعني إذا كان القرآن صناعة محمد كونه ماهرا في القراءة والتأليف فاصنعوا مثله، وإن كان قد افتراه فهو بشر وأنتم بشر، انثوا بسورة من مثله.

وفي الآية استدلوا بالصيغة أنها جاءت للماضي (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ...) وهو ما يعني برأيهم أن ذلك كان في الماضي من عمره، وسيصير كاتباً وقارئاً بعد ذلك .. والواقع أن الفعل جاء بصيغة الماضي لأنه يحتمل الأزمنة جميعا كونه ماضيا مستمرا والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى كقوله: (... وكان الله على كل شيء مقتدرا) فهل كانت قدرته في زمن مضى وانقضى أم كانت ولا تزال وستظل .. ومنه (وكان الشيطان للإنسان خذولا) فهل كان خذولا في الماضي فأصبح صديقا في الحاضر وقال: (قد أفلح المؤمنون) دال على الماضي بصيغته وعلى الاستمرار بسياقاته. لذا قال (الذين هم في صلاتهم خاشعون) واسم الفاعل دال على الثبوت والاستمرار.

وكقوله (أنا فتحنا لك فتحا مبينا) وكان ذلك قبل الفتح، وإنما هو فتح مستمر ابتداء من صلح الحديبية حتى فتح مكة .. وهكذا فلا يلزم أن يقول الله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا ولا تخطه بيمينك لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل فهذا حشو كلام لا تستغيه العرب.



1 - [العنكبوت 48].

2 - [يونس 38].

الشبهة (36)

ادعاء النبوة والمهدية

سألني أحد الشباب على الخاص سؤالاً قاد إلى مناقشة خلاصتها أن رجلاً ادعى أنه رسول وصار له اتباع .. انقله كما ورد مع تعديل طفيف ليناسب النشر يقول:

- في شخص يقول إنه يوجد رسول الآن وليس نبي ويستدل على ذلك من القرآن .. ويذكر لي حاجات من القرآن أقف عاجزاً عن الرد وكنت قد اقتنعت بكلامه ثم تراجع، ولقد بحثت ولم أجد أي نتيجة.. فسألته:

- هل يقول إنه مسلم أم غير مسلم؟

- أكيد مسلم.

- **الجواب** والله أعلم بالصواب كيف يستدل هذا الشخص الموسوس بالقرآن ويدعي أنه يوجد رسول بعد رسول الله؟ فالذي يستدل بالقرآن المفترض أنه من جملة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وليس رسولاً قال الله: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) بدون تخصيص بزمن محدد فذلك المدعي جزء منها ويقول: (ولكل أمة رسول) ورسول هذه الأمة هو محمد صلى الله عليه وسلم نص عليه باسمه قال الله: (محمد رسول الله) وبصفته حيث قال: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) ونص على اتباعه ابتداءً بمن بعث فيهم (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ...) ثم بمن أرسل إليهم قال جل ثناؤه: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...) (1) للناس جميعاً بطول الزمان والمكان للسابقين واللاحقين ولاحظ أن الآية تتحدث عن الرسول تحديداً، فلا رسول بعده سواه كما لاني بعدة.

وبما أن محمداً مرسل إلى الناس جميعاً فيجب العمل من قبل كل مسلم بجميع ما أنزل إليه، ويجب أن لا ينحرف عن سبيل من اتبعه من المؤمنين بادعاء رسالة جديدة قال تعالى: (وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (2).

فانظر كيف نص على متابعة الرسول محمد واتباع سبيل المؤمنين به، وسمى الخروج عليه مشاققة أي شق عنه الطاعة فصار له هدي غير هديه وشريعة غير شريعته ..

1 - [الأعراف : 128].

2 - [النساء : 115].

والمؤمنون مسلمون متابعون لنبيهم محمد وهذا الرجل قد خرج عن المؤمنين بأقواله وكذب بالرسالة الخاتمة التي قال الله فيها: (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) أما أنه قال: (وخاتم النبيين) ولم يقل وخاتم المرسلين فذلك لأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، فيستلزم من ختم النبوة ختم الرسالة، ولو قال وخاتم المرسلين لما استلزم أنه خاتم الأنبياء.

ودين محمد عليه الصلاة والسلام هو الإسلام .. ولادين غير دين الإسلام، قال الله: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) وهو مصطلح خاص بدين المسلمين، كما قال الله: (هو سماكم المسلمين) وليس المراد هنا معناه اللغوي أي الاستسلام والطاعة، بل الاصطلاح، وصحيح أن الإسلام بمعنى الاستسلام دين كل الديانات، إلا أنه صار اصطلاحاً دين المسلمين مثل (مسجد) لغةً مكان السجود لكل الديانات، ولكن صار معنى مسجد خاصاً ببيت عبادة المسلمين لذلك ذكر المسجد في القرآن الكريم إلى جانب صوامع النصارى وبيع اليهود.

وجاء دين محمد صلى الله عليه وسلم ليظهره الله على الدين كله فقال: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) قال إنه دين الحق يعني أن ما عداه باطل وأنه جاء ليظهره على كل الأديان فلا دين غير دين الرسول محمد وبشكل شامل .. فمن أين يكون هناك رسول آخر غير محمد ودين غير دينه وأمة غير أمته؟.

ولم يعترف المولى تعالى بغير أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا)⁽¹⁾ حصر وقصر أن المؤمنين هم من آمن بالله ورسوله وهو محمد ومن آمن بسواه بعد رسالته فليس من المؤمنين.

كما أن كتاب النبي الخاتم هو القرآن لا سوى (... وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ ... لم يقل (حق) بل الحق، فما عداه باطل.

وشريعته هي الشريعة الحق (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عمّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا).

ولا عبادة سوى ما جاءنا بها رسولنا عليه الصلاة والسلام قال: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)⁽²⁾.

مما سبق نخلص إلى القول إنه لا رسول ولا مشرع ولا هادي سوى الرسول النبي الأمي الخاتم الذي هذه صفاته التي أوردتها القرآن، فمن قال سواه بغير ذلك فقد افتري على الله كذباً وادعى ما أثبتته الله لنبيه ونفاه بالنتيجة عن سواه.

1 - [الحجرات : 15].

2 - [النور : 56].

- كلام ورد جميل ومنطقي .. هو لا يدعي أن لديه ديناً جديداً بل مجدد بأفكار وطريقة أخرى ودينه الإسلام!

- أخي قل له الرسالة هي أعلى من النبوة، وتكون بمعجزات ودين جديد وشريعة جديدة، وإذا أراد أنه بذلك يشبه عيسى عليه السلام الذي اتبع شريعة موسى فذلك نص عليه القرآن فهل نص القرآن على هذا المدعي؟ ثانياً عيسى جاء بخوارق العادات لإثبات رسالته فأين هو منها؟ وثانياً يناقض نفسه فهو يؤمن بالقرآن وهذه آيات القرآن تقول: (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) فما هذا التجديد الذي سيخالف به سبيل المؤمنين بادعاء الرسالة؟ وقد حذر الله نبيه أن يتنازل عن بعض ما أنزل إليه .. أما إذا كان القصد تجديد الدين بإحياء شريعته، واستخراج مضامينه، وكشف مقاصده فلا يحتاج أن يقول إنه رسول فقد ورد في سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" والتجديد يجعله جديداً بكشف محاسنه وليس بهدمه وادعاء الرسالة.

- هو معتقد أن في آيات القرآن آيات هي له وتخطبه شخصياً وهي مخصصة لزمانه وإن نزلت في عهد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

- سبحان الله! لولا الدليل لقال من شاء ما شاء فأين دليله في ذلك والله يقول: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) وأنى له ذلك بعد انقطاع الوحي؟ وعلى هذا كل موسوس سيدي مالم يأذن به الله .. وديننا دين النص في المقام الأول لادين التطير والقياسات الفاسدة.. وعلى كل هذا لا يخلو أن يكون واحداً من اثنين .. إما أن له من هذه الدعوى التي أضل بها الناس كما ذكرت غرضاً أو أغراضاً يرمي إليها منها الشهرة والمجد الذاتي والاسترزاق وإضفاء هالة القداسة على نفسه والسيطرة على الاتباع، أو أن يكون قد لبس عليه الشيطان وزين له عمله واتبع هواه، وفي كلا الحالتين يلزم الحذر منه فلا يخلو زمان ولا مكان من أدياء النبوة أو المهذوية من ضحايا الهواجس والوساوس .. ويجب عليك أخي أن تنبه من وقع في حباله وترسل له هذا النقاش .. والله الهادي إلى سواء السبيل.

إن ادعاء النبوة ظاهرة تتكرر كما تتكرر ظاهرة المهذوية، وإنما يكثر ذلك طبقاً لثقافة اللحظة المعاشة التي غالباً تأتي من طبيعة الثقافة السائدة التي يعكسها نظام الحكم فإذا كان السائد العلم والبحث والتحقيق والتوثيق كان هذا شغل الناس، وإذا كان السائد هو حديث الخرافات والاشتغال بالغيبيات والكرامات وتقديس الأشخاص انسحب ذلك على تفكير الناس وأحاديثهم.



الشبهة (37)

كرامات الأنمة والأولياء ومعجزاتهم

- لماذا تتكرون أن يؤيد الله بعض أوليائه الصالحين بقدرات وكرامات خارقة أليس الأنبياء والخضر كانت لهم معجزات بهدف تبليغ الناس دعوة الله .. هل تتكرون إن الله على كل شيء قدير؟

الجواب:

أولاً- ليس معلوما على وجه اليقين أن الرجل الصالح (الخضر) لم يكن نبيا بل الراجح أنه نبي، فربما بعث أكثر من نبي في وقت واحد، ثم إن خرقه للشريعة بقتل الغلام يفسر بأن الله له أن يجري قدره بأي سبب سواء عن طريق مرض، أو ترد من شاهق، أو بيد إنسان مكلف .. إلخ ولقد كان إلى جانبه نبي الشريعة الذي علم أن قتل الخضر للغلام ليس جريمة قتل وراءها الشيطان، بل تنفيذ أمر قديري وراءه الرحمن فلا يقاد به، ومن يقس بعض أفعال أئمة الضلال بالعلم اللدني فإنه يحتاج إلى جانبه نبيا كما كان إلى جانب الخضر نبي ليقول إن كان ما يفعله هو من الله أم من تلقاء نفسه .. ولا نبي بعد النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم.

ثانيا- ما كان خرقا للعادة وفوق النواميس يظل موقوفا على ما ذكر في الكتاب العزيز ولايصح القياس عليه بتاتا، ومن ادعى أن الله أيده بكرامات فتلك من خصوصياته هو لا يترتب عليه حكم ولا شرع ولا اعتبار .. إذ إن المؤيدات كانت بغرض إثبات نبوة النبي أنه مرسل من الله، فيما أن النبي جاء من عند من أنشأ النواميس فإن برهان نبوته وبعثه من الله هو القدرة على خرق تلك النواميس .. ولا يقدر على خرقها إلا من أوجدها، وعندئذ تكون نسبة رسالته إلى الله صحيحة، ولو كان مدعيا لما استطاع خرق قوانين الطبيعة، قد يسحر أعين الناس في الظاهر إن كان ساحرا ولكن سحره مؤقت ولا يثبت، وإن كان يجيد ألعاب الخفة فسيظهر سره وينكشف ستره.

ثالثا- لو قلنا بالقياس الفاسد وهو وجود معجزات أو كرامات خارقة للقوانين بعد الوحي قياسا على الخضر لجاز لكل مدع أن يدعي أنه مؤيد من الله، وأنه يوحى إليه وأنه واجب الاتباع، بل وربما قتل نفسا بريئة وقال أن ذلك أمر من الله؟ وهذا ما يقوله أنبياء كذابون وأدعياء دجالون استنادا على هذا القياس الفاسد.

وبسبب تصديق هذه الدعاوي الباطلة انحرف الناس في أقطار إسلامية وصارت بعض الفرق وثنية تدعو المخلوقين من دون الله وتتقرب إليهم أكثر من الله ولا ينفع معها أن تقول لا إله إلا الله فقد كان عبد الله بن أبي يقولها، لاسيما أن تلك الفروق لا توجد شهادة التوحيد ضمن أركان الإسلام عندها.

ثالثاً- من مغالطاتهم أنهم يقولون: إن الله على كل شيء قدير فلماذا تستكثرون على الله أن يؤيد بمعجزاته من يشاء؟

والرد على هذه المغالطات أن قدرة الله لا تبطل القوانين إلا للأنبياء وإلا فقد تعبدنا الله بالعمل بها .. وعليها تقوم الشرائع .. وتثبت الحقوق .. وتسير الحياة وإنما مثلهم في هذا مثل ذلك السائل الذي سأل شيخ علم إن كان الله قادراً على أن يجعل زوجته تحمل بعد استئصال رحمها؟ فقال الشيخ: إن كنت تسأل عن قدرة الله فهو قادر على أن يجعلك أنت تحمل وليس فقط زوجته .. وإن كنت تسأل عن القوانين التي يسيّر الله بها كونه فإن زوجته لن تحبل بعد استئصال الرحم.

رابعاً- ما الحاجة إلى معجزات ووحى بعد كتاب الله الذي قال: (...مَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (1) وسنة رسوله التي قال الله فيها: (... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (2) فالإسلام بذلك تام لا يحتاج إلى من يزيد عليه .. أليس الله تعالى قال: (...الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...) (3)؟ فمن أضاف على الكامل شوهه .. ومن زاد على التام أنقصه .. وهذا ما يهدف إليه الأعداء والمبطلون.

ثم إن مؤيد نبوة النبي الخاتم والمعجز الأول، ليس في ادعاء الكرامات ولا الإلهامات ولا ادعاء الكشف والفيض، المعجز الأول والخالد الكافي والشافي الذي تحدى الله به الإنس والجن هو القرآن الكريم، ومن لم يكفه كتاب الله فلاشيء يكفيه، ومن لم يستغن بكتاب الله فلاشيء يغنيه .. وإن التزيد عليه ناتج عن توهين مقامه .. وتصغير شأنه، أو ناتج عن الرغبة في الاتجار بالدين وادعاء خصوصيات ليس عليها من الله برهان .. أو الرغبة في

1 - [الأنعام : 38].

2 - [الحشر : 7].

3 - [المائدة : 3].

التشويش على حجة الله البالغة وهو هدي الإسلام (فله الحجة البالغة) ولا حجة أعظم مما في أيدي الناس جميعا وما عداه لا ينبغي أن يعتد به ولا أن يلتفت إليه.

حتى تلك الكرامات التي نسبت لبعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلك أخبار تخص أصحابها، والسبب أن الإيمان بخرق الأسباب خاص بالنبوة فإذا كان الله قادرا أن يعين عباده الصالحين عن طريق الأسباب فلاحاجة أن يعينهم عن طريق خرقها .. ما الحاجة أن يقال إن فلانا مثلا يكشف له رؤية النبي كما تدعي بعض المتصوفة؟ إذا كانت عنده سنة النبي صلى الله عليه وسلم وهدية فالنظر إلى شخص النبي لا يضيف شيئا، إلا أن يقال بأن فلان خصوصية دينية دون سائر الناس فيفتتن الناس به، مع أنه لا يستطيع أن يفسر أهميتها في الدين ولا أن يثبتها لهم .. وبالتالي فالعقل والنقل إلى جانب نفيها وتكذيبها وتسفيه صاحبها. وإذا قيل إنه يراد بمثل ذلك الكشف إظهار مقام هذا العبد عند الله فالجواب أن الضابط الشرعي الصحيح هو العمل والتقوى وقد بين الله في كتابه من هم خير البرية .. ومن هم أصحاب الدرجات العلى .. ومنهم أكرم العباد عند الله، فلا يحتاج أن يتميز بشيء لمعرفة مكانته ولو كان مقام المؤمن لا يظهر إلا بهذا الكشف وبذلك الخصوصيات فإن عدل الله تقتضي أن يعرف كل عبد مقامه عنده والله لا يظلم الناس شيئا، لكن الإيمان قائم على الغيب لا على الكشف (الذين يؤمنون بالغيب) والله ابتلى المؤمنين بالتصديق الغيبي، ليعلم من يخافه بالغيب ومن ينصره بالغيب فقال: (... لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ...) (1) (... وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (2) والذي ينتظر ألا يزداد إيمانه إلا بالكشف فأفضل منه من يؤمن بالله بالغيب .. والذي ينتظر أن يؤمن بالله عن طريق آية خاصة فإن أفضل منه من يكتفي بآيات الله في كتابه المنظور وكتابه المسطور .. وإنما جاءت الآيات على يد الأنبياء للكافرين فإذا انتظر المؤمنون معجزات الأنبياء فلا فرق بين جودهم وقصور نظرهم من الكافرين المكذبين.

لذلك يلزم التحذير الشديد من المتطعين الذين استحوذ عليهم الشيطان فاخترعوا للناس الخرافات واستنوا بسنة من قبلهم الذين حرفوا الدين وقالوا (هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون).



رابعاً - شبهات وردود في:

قضايا الصحابة وأهل البيت

الشبهة (38)

أخطاء الصحابة والخلفاء الراشدين

أرسل إلي الدكتور العزيز جميل معليف منشورا تضمن شبهات جديدة في شكل أسئلة للرد عليها تشمل عدة تجنيات في خلفاء رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وهذه الشبهات غالبا ما يكون مصدرها مطابخ الاثني عشرية وغرف حريمهم ضد الإسلام والمسلمين:

والجواب:

وقبل الرد عليها نسأل صاحب الأسئلة الشيعي الاثني عشري:

هل لنا أن نعرف أولا من أنت وما هو دينك؟ إذا كان القرآن عندكم ناقصا .. وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مطعون فيها .. وأنصار رسول الله مرتدين ومنافقين .. ونساء رسول الله موضع طعنكم ونبزكم .. ورسول الله مطعون في رجولته .. وعلي مطعون في كرامته لأن عمر فعل به وبفاطمة الأفاعيل كما تزعمون؟!.

ما هو دينكم إذا كان حركم إلى كربلاء .. وصلاتكم طواف حول الأوثان .. ومساجدكم استبدلت بحسينيات لعبادة الحسين .. وزكاتكم تأخذ من المسلمين خمس أنفال الكفار .. والكعبة يهددها مهديكم أنه سيدمرها ويبدل دين محمد بدين داود .. ويبدل القرآن بقرآن علي ومصحف فاطمة..ومقدساتكم النجف وكربلاء وقم بدل مكة والمدينة والقدس؟؟.

ما هو دينكم أصلا إذا كان الكذب عندكم دينا باسم التقية .. والزنا دينا باسم المتعة .. والشعائر زحف السحالي ونبج الكلاب ولطم وتطبير وجلد الظهور بمقامع وسلاسل من حديد تجلدون أنفسكم جلد المفتري؟! لطنكم في عرض رسول الله عذاب من الله وخزي في الدنيا قبل الآخرة.

قبل أن تنتشروا شبهاتكم المتدحرجة قولوا لنا من أنتم؟ وما هو دينكم؟

الآن نجيب على التساؤلات المفخخة لخداع البسطاء مضطرا لتصحيح أخطائها اللغوية .. ويلزم التنويه إلى أن عادة الشيعي المشكك يتقمص دور السني المنبهر بفكر الشيعة فيضع الأسئلة على لسان سني حتى ليقول لماذا الفكر الشيعي أكثر إقناعا من السني؟ وإنما هو شيعي؟

يقول: أسئلة حيرت علماء السنة عن إجابتها أمام حشد من المسلمين في الرياض

العام الماضي.

الجواب: هذا إيهام بأن العلماء توقفوا عند خزعبلاته وإنما هي محض هراء، ويفتق من رأسه وقائع لم تقع لإضفاء المصداقية عليها.
يتابع:

س1 : لماذا تخلف الخليفة أبو بكر والخليفة عمر عن جيش أسامة؟؟ وماهي الأسباب؟؟

الجواب: تخلف أبو بكر ما تخلف أين المشكلة؟ وأين الشبهة أنفذ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أسامة رغم أن المرتدين أوشكوا على تطويق المدينة فأنفذ ما أمر به الرسول وبعث بالجيش باتجاه الروم .. مع أنه هناك من المعارضين لتنفيذ جهة الجيش إذ كيف تبقى المدينة مكشوفة وقد ارتدت الكثير من قبائل العرب؟ .. وهذا المتسائل يقول لماذا لم تخل المدينة بتاتا من أهلها للمرتدين؟ ولماذا لم يخرج أبو بكر الذي بقي بمشورة المسلمين فهو الآن الحاكم وله أن يضع التدابير التي يراها ملائمة، كونه صار مسؤولاً أمام الله .. وأما عمر فقد استأذن الخليفة أسامة في أن يبقيه معه فقبل أسامة ذلك .. بل السؤال: لماذا تخلف علي بشهادة كتبكم وهو من عامة المسلمين عن جيش أسامة؟ ونحن لا نتجنى عليه لكن اسألوا أيضا أنفسكم إذا كنتم أشياعا لعلي مع أن علي هو تبع المسلمين لا تبع التشيع الكاذب؟؟

س2: لماذا لم يحضر الخليفة عمر وأبو بكر لدفن الرسول؟؟

الجواب:

من أين جاء بهذا الكلام هل لديه حديث صحيح بلا معارض؟ .. هم يستدلون بانشغال أبي بكر بالبيعة وهذا غير صحيح فالبيعة تمت يوم الاثنين ظهرا ودفن رسول الله صلى الله عليه وسلم تم في منتصف الليل، وأبو بكر هو الذي حدد مكان موت رسول الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول تدفن الأنبياء في الأماكن الأحب إليهم" وهناك صيغ أخرى يضيق المقام بسردها فدفن في غرفة عائشة مما يدل على حضور أبي بكر وبقية صحابة رسول الله.

س3 : لماذا قال الفاروق عمر أن الرسول ليهجر (أي أنه يهذي بسبب الحمى) حسينا كتاب الله؟؟ وما الذي كان سيقوله النبي لهم حتى لن يضلوا؟؟

الجواب:

هذا محض كذب من الشيعة لا يوجد حديث صحيح يروي ذلك، وأشهرها هذه الفرية وصارت في حكم اليقين القطعي عندهم .. ولو أن عمر قد قال ذلك قياسا على بقية البشر الخطئين فقد أخطأ في حق رسول الله، إذ لا يقاس النبي بغيره في التخليط عند الموت لكنه

تلفيق وللعلم أن رسول الله كان قد اشتد به الوجد في ذلك اليوم حتى أغمي عليه ثلاث مرات فرأى بعض الصحابة عدم الإقبال على رسول الله، ثم إنه بقي بعدها ثلاثة أيام الجمعة، والسبت، والأحد، وقبض صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، وبعد ما أسموها برزية الخميس خرج رسول الله وصلّى بهم فلو كان ما سيكتبه مهما لكتبه في أي وقت، ولعل ما كان سيكتبه هو رأي منه لا وحي، مثلما كان له رأي في عدم الخروج لملاقاة قريش إلى أحد، ونزل على رأي الأغلبية، ومثلما كان له رأي في إعطاء غطفان ثلث تمر المدينة ليرجعوا عن حصارها في غزوة الخندق فلما وجد الأنصار أنه مجرد رأي رآه لهم أبوا .. ولو كان وحيًا لوجب كتابته ولأنفذته إرادة الله .. ثم تتقاذفهم الأوهام والخيالات ويتشوفون لأي نص فيه عهد أسري بالحكم فتمنوا في رزية الخميس تسمية علي بما يرجونه، والحقيقة لو افترضنا أن فيه عهدا لن يكون إلا لأبي بكر وهذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحة عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: في مرضه " ادعي لي أبا بكر، أباك، وأخاك، حتى أكتب كتابا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر"⁽¹⁾ وله معززات "مروا أبا بكر فليصلي بالناس" وقال للمرأة: " إذا لم تجدني (المراد بعد موته) فأني أبا بكر" وأمر أبا بكر أن يحج بالناس في سنة وفاته، ولم يأخذ المسلمون بهذه المؤشرات كأمر ديني واجب التنفيذ لذلك أعملوا فيه عند مبايعته مبدأ الشورى.

س4 : الانتخابات التي جرت في السقيفة .. لماذا تمت بغياب علي؟؟

الجواب:

لم تكن بيعة ولا انتخاب بل ترشيحا لأبي بكر من قبل عمر، حيث أراد الأنصار أن تكون فيهم الخلافة فحسم عمر الخلاف بترشيح من أمره رسول الله أن يصلي بالناس وأن يحج بالناس في عهده ثم جاءت البيعة في المسجد من المهاجرين والأنصار بعد الترشيح، والشيعية يبحثون عن حقوق الدنيا المضاعة منذ علي وحتى اليوم فليس علي رضي الله عنه سوى علامة تجارية للمتاجرة بحقوقه الموهومة لكي يجنوا تركته من بعده ويتحكموا في عباد الله وينهبوا ويسلبوا وعلي منهم براء.

س5 : لماذا غضبت فاطمة الزهراء من أبي بكر وعمر حتى رحلت شهيدة؟؟

الجواب:

هذه من مناحات الشيعة أن فاطمة رضي الله عنها وجدت على أبي بكر بسبب قطعة أرض اسمها (فدك) في خيبر وجعلوها كما لو كانت قطعة في الفردوس الأعلى وتقصوا من

زهد فاطمة وقالوا إنها غضبت على أبي بكر بسبب قطعة أرض، وجعلوها (شهيدة فذك) كما ورد في التساؤل ونقول: اسألوا عن علي من كان وراء استشهاد بنت رسول الله وهي في عصمته؟ كيف رعى رسول في أحب الناس إليه دون أن يقوم بواجب حمايتها؟ .. الطعن في علي قبل غيره يا هؤلاء.

نعم. ربما لم تقتنع بقول أبي بكر رضي الله عنه حين قال لها سمعت رسول الله يقول: "نحن لا نورث ما تركناه صدقة" .. ولئن وجدت عليه فقد قيل إنها ماتت راضية عنه بعد أن استرضاه، والسؤال الأهم لماذا علي رضي الله عنه لم يسلم فذك للحسين حين صار خليفة المسلمين فقد صرحت الروايات بعدم تسليمها لهما؟؟

س6: لماذا أخفى علي قبر فاطمة؟؟ ودفنها ليلا.

الجواب: هب أن عليا دفنها ليلا ولم يؤذن أبا بكر لأنه وجد على الخليفة في أول الأمر ثم عدل من موقفه، وقبل بحكمه وبايع خليفة رسول الله، فالقضية لا تتعلق بالتفريط بالدين ولا بردة عن الدين بل بلعاعة من الدنيا اقتدى فيها بهدي رسول الله .. وخلافات الدنيا تتكرر بين أتقياء الناس والعصمة فقط لصاحب العصمة .. ولو أخذ أبو بكر فذك لنفسه واستأثر بالدنيا لكان هذا من الفساد في الأرض لكنه كان ينفق من مال رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل بيت رسول الله ومنهم الزهراء وبنيتها ومنها يتصدق على المستحقين.

س7: كيف توفيت السيدة الزهراء قبل العشرين من عمرها؟؟ ما هي الأسباب؟؟
أليست بنت نبيكم؟.

الجواب: وجه السؤال يا شيعي إلى الله كيف قبضت إبراهيم، وأم كلثوم، ورقية، وفاطمة أبناء رسول الله في مرحلة الشباب؟ ما دخل المسلمين في قضاء الله وقدره .. أو ترى أنها ماتت حزنا على حظوظ الدنيا الزائلة فهذا انتقاص في حقها.

س8: لماذا لم يكن هناك أي هاشمي في السقيفة؟؟

الجواب: سقيفة الكرسي والمنصب والحكم هذا هاجسكم، أما الهاشميون والصحابه كان واديهم الزهد وتقوى الله لم يكن في السقيفة سوى الأنصار فأتاهم أبو بكر وعمر لسد باب الفتنة وقطع دابر الاختلاف وانتهت بترشيح أبي بكر خليفة ثم تمت له البيعة بالإجماع.

س9: لماذا امتنع علي عن مبايعة أبي بكر؟؟

الجواب: بايع علي أبا بكر، ولئن تأخر في الوقت فقد بايع في النهاية .. لنفرض أنه كان يرى أنه أولى بالخلافة ثم لم يجد نصا صريحا قطعيا ووجد إجماعا على أبي بكر فمن

حقه أن يجتهد وليس عند الله والمسلمين معصوما بل بشرا اجتهد وعدل رأيه في الاجتهاد، وإذا كان علي رضي الله عنه هو جد العائلة فليس هو الإسلام وليس هو الدين .. هو صحابي من أكابر صحابة رسول الله ومن أجلهم وأعظمهم وكفى.

س10 : لماذا ليس للسنة إجابة واضحة بخلاف الشيعة؟؟

الجواب:

يعني سنة المتعة والخمس والطواف حول القبور والتطبير والزحف على البطون من وثن إلى وثن والشرك بالله والحج إلى كربلاء هي السنة الصحيحة .. اللهم اقبضنا إليك غير فانتين ولا مفتونين.

س11: الأمة الإسلامية تصلي على الرسول الأعظم فتقول :

اللهم صل على محمد وآل محمد وأصحاب محمد.

أولا من أين جاءت الصلاة على الأصحاب أليست هي بدعة؟ فأنتم تروون حديثا للنبي بأنه قال حين سأله كيف يصلون عليه: "قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد" ثم هل تستطيعون ذكرهم بالصلوات الخمسة .. أليست الصلاة تبطل بذكرهم فيها؟ ولا تتم بعدم ذكر آل النبي فيها؟

ثم أيضا هل يجرؤ احد على أن يقول :اللهم صل على محمد وأصحاب محمد وآل

محمد

فالسؤال هو : اذا كانت الصلاة تبطل بذكر الأصحاب فيها ولا تتم إلا بذكر آل النبي

كيف تفضلون أبا بكر وعمر وعثمان على علي؟؟؟

الجواب:

وهل الله عندما قال (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) بدون آله قد جاء بغير الأصل حاشا لله .. الصلاة من العباد هي الدعاء فلو قلت صلى الله عليك يا فلان فقد أجازته البعض وكرهه البعض .. أما الصلاة الإبراهيمية فالمراد بالآل أتباع النبي وإلا لكنا نصلي على ننتياهو وفنحوس لأنهم آل إبراهيم وهذا خطأ (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا) وقال (فمن تبعني فإنه مني) وقال (وصل عليهم) أي جميع المسلمين وقال: (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) وليس على أقرباء النبي .. ولنفرض أن من آل النبي عشيرته فلم يعد لرسول الله بعد موته وموت عشيرته من يُصلى عليه .. ولم يبق سوى الأدياء المنتحلين كذبا وزورا وبهتان انتسابهم إلى رسول الله .. والله يقول (ادعوهم لأبائهم) وقال (وما جعل أدياءكم أبناءكم) وقال: (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله

(.. وقال: (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) وليس بنات .. ودخول سلمان الفارسي من فارس ووائلته بن الأسقع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل بيت النبي دليل على أن المسألة لا تتعلق بالعرق بل المسألة نسبية لا يترتب عليها دين ولا عبادة ولا تمييز .. ولكن هؤلاء يمنون أنفسهم مثل بني إسرائيل الذين قال الله فيهم: (تلك أمانيتهم) لماذا؟ (بل أنتم بشر ممن خلق).

س 12 : قلت مرة أن النبي نص على أبي بكر كخليفة له!! وقلت مرة أن النبي ترك الأمر شورى!! فإن كان الأمر أن النبي نص على من يخلفه فمبدأ الخلافة إذا النص .. فتكون خلافة عثمان باطلة لأن عمر لم ينص عليه .. أما إن كان الأمر شورى فتكون إذا خلافة عمر باطلة لأن أبا بكر نص عليه قبيل مماته .. والوحيد الذي كانت خلافته نص وشورى هي خلافة أمير المؤمنين علي فقط فتأملوا .. السؤال هو: من ستختارون لتسقطوا خلافته؟ الثاني أم الثالث؟

الجواب:

أي سؤال عبقرى هذا السائل؟ النبي لم ينص على أبي بكر ولكن استتج الصحابة بجعله أبا بكر إماما وقائدا للحج، فقالوا إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره على ديننا لهو خليف بأن يؤمر على ديننا أو كما قالوا .. والشورى هي الأصل .. وأبو بكر لم ينص على عمر بل أوكل الأمر إلى نخبة من الصحابة فاعتدروا .. وأعادوا عليه أمر الاستخلاف فرشح عمر ترشيحا ولم تعقد له الخلافة إلا بالبيعة من المسلمين فالسؤال تليفى خاطئ.

س 13 : قال الرسول الأعظم (ص وآله) : إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه. والمعروف في كتبكم أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة الزهراء عليها السلام على التوالي ورفضهما رسول الله (ص وآله) فالسؤال هو : أيعقل أن يأمرنا النبي بالبر وينسى نفسه؟؟؟ حاشاه { ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى } .. إذن لماذا رفض الأول والثاني وقبل عليا؟؟؟

الجواب: والله ما أدري أسئلة عالم فاهم وإلا صاحب عقل ملثا لا يتأدب مع رسول الله حين يجعل (ص) مقابل الصلاة عليه مع أنها محتملة لأي شيء .. وإن كان قد صح ما يقول السؤال فرسول الله كان أعلم بمن هو أصلح لدين ودنيا ابنته حين رفض وزيريه .. كما كان أعلم بمن يصلح دين ودنيا المسلمين حين أمر أبا بكر أن يصلي ويحج بالناس فهذا ينفع لهذا وهذا ينفع لذلك .. لكنهم يضخمون الصغائر حتى تبدو في عيون نخالاتهم كبيرة وبينون عليها أفكارا ضالة.

س 14 : أعطوني (اسم شخص واحد) قتله أبو بكر أو قتله عمر .. أو ضربه بوكس ... أو جرح أحدا من الكفار .. أو رمياه بحجر في أي معركة .. أنا لا أسقط أحدا ولكن كتبكم تقول وتقر بشجاعة علي ولم تذكر منقبة لهم في الشجاعة أبدا في كل الحروب.
الجواب:

انظروا هذا الذي قدم نفسه كسائل سني مختار كيف نسي قميص السنية وبدأ يقول أنتم وكتبكم وهم مفضوحون وعرايا فكر وعلى كل منذ 1400 وأنتم تمنون على الله ورسوله والمسلمين أن عليا قتل من المشركين .. وقلع باب خيبر .. وقتل عمرو بن ود .. وتطلبون من المسلمين دفع فواتير تضحيات أهل البيت .. على أن عدد القتل من الكفار ليس كل مناقب المسلم وإلا فرسول الله أقل فضلا من علي لأنه لم يقتل إلا أبي بن خلف، وعلي أقل منقبة من الخلفاء الذين فتحو الفتوح ورفعوا راية الإسلام وأنهى علي بالدفاع عن منصبه (لو صح أن نتقم الخباثت كالشيعة وحاشاه رضي الله عنه) ثم هل نقول إن معاوية كان أفضل وأشجع من علي لأنه انتصر عليه؟؟ هذه خبايير عجائز وليس القتل منقبة ولكنه اضطرار، فإذا كان لعلي بلاء في القتال فلأبي بكر بلاء في الصحبة والإنفاق وعمر في الفتوح وعثمان في تجهيز المسلمين والإنفاق على فقرائهم ...ووالخ

س 15 : ألم يذبح يزيد الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء؟؟ .. إذن لماذا تترضون عنه وتقولون أمير المؤمنين .. أليس الحسين ابن الزهراء ابنة نبيكم محمد (ص وآله)؟؟

الجواب:

الحسين أحد عظماء المسلمين ويلعنون من قتله ولا علاقة للشيعة به إلا استثمار دمائه لمصالحهم الخاصة .. ولا أحد يترضى على يزيد وهناك من يحاول تبرئة يزيد وتحميل شيعة الكوفة مقتلة إذ لم يأمر بقتله ولكن دأب الشيعة على الغدر فقد غدروا بمسلم بن عقيل سفير الحسين الذي استدعوه لتهيئة للحسين، ثم ألحقوا به الحسين نفسه، وهو يقيم الحجة على من استقبلوه لقتله في أنهم راسلوه يحضونه على القوم لكنهم فنكوا به كما فعلوا بأخيه وأبيه من قبل وكما خذلوا زيد بن علي من بعد فأنتم أولى باللوم .. وأول من سيقاضيك يوم القيامة ليس والله أبو بكر وعمر بل علي وذريته من بعده.

س 16 : ألم يلعن معاوية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمدة أربعين عاما على المنابر؟؟ فلماذا تترضون عنه .. أليس علي خليفة رابع ولايجوز التطاول عليه باعتباره ولي أمر المسلمين؟؟

الجواب:

هنا كتَبَ صاحب التساؤلات (عليه السلام) مع علي ولم يضع (س) كما يفعل هذا المشبوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على عنصرية جاهلية، فهذا أبو أبينا وذاك أبو أمنا هذا إن صح نسبهم إليه .. عموماً هذه من تهريجات الشيعة مرة ثانية .. فعلي خليفة المسلمين ولو كنا في زمنه لما قاتل المسلمون اليوم إلا في صفه .. وليس له من الشيعة إلا العويل والشعارات وهم الذين خذلوه في كل المواطن .. وما نعلمه أن معاوية كان يجلس علياً ويكنيه بأبي الحسن، ويسمع عن ضرار من ورع علي وزهده فلا يملك أن يحبس دموعه تتحدر على خديه .. ثم إنه قد كان بين الطرفين صراع بالسيوف فإذا تخلل هذا حرب في الكلام فكل مسلم لا يقره ولا يرضى به فعيشوا بثاراتكم وغيظكم الذي لا يسكن نارها سوى نار أمم الهاوية.

س17: ما هو موقفكم من بيعة الغدير .. التي نص عليها علماءكم في كتبهم المعتمدة؟؟ إذا لم يكن لديكم جواب فاتركوا علياً وشأنه .. هو خليفة منصب من الله ورسوله.

الجواب:

عن أي بيعة يتحدث أكذب من دب على ظهرها؟ لا توجد بيعة إنما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر بمكانة علي بعد أن سرت في علي قاله حينما ركبوا على دواب الفئفأ فأنبهم عليه وقد نهاهم عنه، وتلك كل الحكاية، ارجعوا للقصة قال من كنت مولاه فهذا علي مولاه يعني ناصره ومحبه وليس معناه الحاكم وإلا فقد قال الله في النار (مأواكم النار هي مولاكم) أي صاحبكم وليس معناه حاكمة عليكم؟ ثم إذا كانت بيعة فلماذا لا تكون في الحج الذي حضره غالب المسلمين نحو 120 ألفاً لماذا هذه البيعة في غدير خم بعد عودته من مكة.

أما أن الله ورسوله قد عينه كما يقول السؤال فلا غرابة على من ادعى أن الله تخلى لعلي عن ولاية الكون كله أن يدعي أن الله عينه الخليفة الأول أو ولياً فهذه فرية أقل حملاً من ولاية الكون كله.

علي رضي الله عنه لم يستدل بحادثة غدير خم ولا بكل الروايات المؤولة على حقه في الولاية في وجه معاوية وأهل الشام فهذا من تلفيفاتكم الهادفة لتحريف الدين عن مساره وجعله ديناً حصرياً على فئة بعينها.



الشبهة (39)

هل آيات النفاق نزلت في الصحابة؟

- يقول الباطنيون إن كل آيات المنافقين المراد بها الصحابة .. فما ردكم؟

الجواب:

يكثر الباطنيون من الاستدلال بآيات المنافقين، وحينما بآيات الكفار، وحينما آخر بآيات أهل الكتاب ويسقطونها على الصحابة.

فلم يعد حول النبي سوى كفار ومنافقين ويهود ونصارى، وكل آيات الثناء على الصحابة من المهاجرين والأنصار لا طائل من ورائها فقد استبدت أسطورة الولاية السياسية بعقولهم وصاروا يخلطون.

الجواب على ذلك:

من عناية الله تعالى أنه فصل بين صف المؤمنين وصف المنافقين بتدابير كثيرة ب(الوقائع) و(الصفات) و(الأقوال) و(السياقات) التي تتحدث عن الصنفين المنفصلين.

أ- الوقائع:

في غزوة أحد تم التمييز والفرز بين الصنفين حيث رجع المنافقون بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول، ولم يشتركوا في المعركة وكان عددهم 300، وهو تقريبا عدد المنافقين في المدينة، وكان عدد الصحابة في هذه الغزوة 700 ودوما على رأسهم الخلفاء الراشدون .. انظر ماذا قال الله في غزوة أحد وفي المنافقين قال: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (1).

إذن صف المنافقين انشق عن صف المؤمنين في أحد وقعدوا ولم يشتركوا بتاتا في المعركة، وتحدث الله عن الصنفين وتحدث عن صف المؤمنين أنه تضعض أثناء المعركة،

بسبب صدمة النبأ الذي شاع بأن رسول الله قد قتل ولقد عفا عنهم في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (1).

أما غزوة بدر فلم يشترك فيها منافق واحد، أي أن ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً أنزل الله السكينة عليهم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم على رأسهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكذلك لم يشهد المنافقون بيعة الرضوان ويعني أن 1500 من المؤمنين رضي الله عنهم وعلم الله ما في قلوبهم، وكانت يد الله فوق أيديهم على رأسهم الخليفان، وكانت البيعة بسبب اعتقاد قتل المشركين لعثمان بن عفان رسول رسول الله فضرب رسول الله على يده وباع عنه.

* غزوة الخندق:

في هذه الغزوة ظهر صف المنافقين نابياً نبوا سافراً عن صف المؤمنين، وتم الفصل بينهما في التخذيل والإرجاف والانسحاب من ساحة المعركة، ومنها قول المنافق معتب بن قشير حين قال رسول الله فتحت لي قصور صنعاء ومدائن فارس قال إن الذي يقول لهم لهم الغرور فأنزل الله: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (2) وقالت طائفة أخرى منهم وهم أوس بن قيطي وأصحابه من بني سالم (يا أهل يثرب لا مقام لكم).

ومن المعلوم أن كل المنافقين كانوا من أهل المدينة حيث لم يذكر الله المنافقين إلا من أهل المدينة ومن الأعراب.

ولو لم يكن حول النبي في غزوة الأحزاب (الخندق) إلا المنافقون واليهود لكانت نهاية الإسلام، إذ قد خرجت قبائل العرب عن بكرة أبيها لإنهاء الدعوة، لكن وقف لهم المؤمنون وكان المنافقون قلة رغم وقوف اليهود والكفار إلى جانبهم، لم ينالوا من الدين وثبت المهاجرون والأنصار وقال فيهم ربنا: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا) (3).

1- [آل عمران : 155].

2- [الأحزاب : 12].

3- [الأحزاب : 22].

إذن اتضح خذلان المنافقين للنبي في غزوة الخندق كما باقي الغزوات، وتركوا ساحة المعركة وقالوا إن بيوتنا عورة، وثبتت الطليعة المؤمنة وصدق الله إذ قال: (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) وقال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (1) .. فهل يمكن أن ينتصر 6 نفر هم المؤمنون بالولاية على جحافل الكفر وجحافل حصون خيبر والمنافقين ومن ورائهم الروم؟.

* غزوة تبوك:

وزادت الرؤية وضوحا في غزوة تبوك الغزوة الفارقة التي غربلت الصفوف ومحصت النفوس، فبرز المنافقون المتخلفون عن الجهاد بكل صفاتهم وبخلهم، وبرز الصحابة الذين خرجوا للغزوة وكان عددهم يربوا على ثلاثين ألفا 30000 الذي لا ينكره الشيعة على رأسهم الخلفاء الراشدون برزوا بكل فضائلهم وجهادهم وبلاتهم .. وسجل الله هذا الفرز بكل دقة ووضوح في سورة التوبة.

أما المنافقون فبرزوا بدور التثبيط والإرجاف، وفي حين كان المؤمنون ينفقون لتجهيز الغزوة حيث أنفق أبو بكر كل ماله، وأنفق عمر نصف ماله، وجهاز عثمان الجيش (جيش العسرة) في هذا الوقت برز صف المنافقين في موضع السخرية، يسخرون من المطوعين فإن جاؤوا بالكثير قالوا رياء، وإن جاؤوا بالقليل سخروا منه على رأسهم حكيم بن زيد ومعتب بن قيس قال تعالى: (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (2).

ثم تقدم المنافقون بأعدارهم ليتخلفوا عن الغزو، حيث رفضوا الخروج وفصل الله بين أصحاب الأعدار الواهية من المنافقين وبين صف المؤمنين فقال: (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) (3) إذن خرج الصحابة ولم يستأذنوا في غزوة تبوك وقعد المنافقون ولم يخرجوا بنص الآية السابقة، ولم يخرج منهم

1- [الأففال : 64].

2- [التوبة : 79].

3- [التوبة : 44-46].

سوى اثني عشر منافقا سنتحدث عنهم وقصتهم لكن سائرهم تخلفوا عن رسول الله فقال الله فيهم: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) (1) .. وكان من زعمائهم الجد بن قيس الذي قال (اأذن لي ولا تفتني) وعبد الله بن أبي بن سلول، ومعتب بن قشير.

أما المؤمنون فقال في خروجهم مع رسول الله: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (2).

وبعد أن ذم تخلف المنافقين بقوله: (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) (3) .. قال يثني على المؤمنين: (لَكِنَّ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (4) هكذا وصف الله نحو 30000 ثلاثين ألفا خرجوا مع رسول الله في تبوك، ولم يتخلف مؤمن عليم الإيمان سوى الثلاثة الذين خلفوا الذين عاقبهم الله على هذه المعصية بالمقاطعة المعروفة.

ويستثنى ممن خرج مع رسول الله في غزوة تبوك (12) منافقا كانوا قد خرجوا مع رسول الله حتى إذا وصلوا إلى الثنية عند العقبة قيل عند العودة من الغزوة هموا بالفتك برسول الله فعصمه الله منهم وكان منهم: سعد بن أبي سرح، وأبو حاضر الأعرابي .. والحلاس بن سويد بن صامت .. ومجمع بن حارثة .. ومليح التيمي .. وحصين بن نمير .. وطعمة بن أبيرق، ومرة بن ربيع .. وأبو عامر صاحب مسجد الضرار، وكلهم منافقون معلومو النفاق.

1- [التوبة : 81].

2- [التوبة : 117].

3- [التوبة : 87].

4- [التوبة : 88- 89].

*** تمايز الصفوف بأقوال المنافقين والهدف منها:**

أولاً - تثبيط عزائم المؤمنين (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا). [قال هذا منافقون كان منهم: أوس بن قيطي .. ومعتب بن مقشر].
(هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا). [قول عبد الله بن أبي]

- التشكيك في الدين (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم غر هؤلاء دينهم). [قالها مجموعة المنافقين الذين لم يخرجوا في غزوة بدر].

- التهديد بطرد المهاجرين (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعداء منها الأذل). [قول عبد الله بن أبي].

*** صفات صف المنافقين:**

- كثيرو التدرع بالحلف الكاذب للمؤمنين (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يحلفون لكم لترضوا عنهم). (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى). (يحلفون بالله ما قالوا).
- يطلبون رضا الصحابة أكثر من رضا الله ورسوله (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) (1).

- التربص بالمؤمنين وإيذاؤهم من ذلك: (اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله) هم حي بني عمرو بن عوف من الأنصار وكان على رأسهم المنافق أبو عامر الراهب.

*** المقاطعة للمنافقين بعد وضوح الفرز.**

وعلى هذا الفرز ترتبت المقاطعة من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة للمنافقين وسجلها الله في كتابه العزيز وهي:

**** عدم قبول الصدقات منهم بعد أن اتضح كفرهم بالله (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ) (2) .. لماذا؟ لأنهم كانوا بخلاء بمالهم (لاينفقون إلا وهم كارهون) (يقبضون أيديهم**

1- [التوبة : 62].

2- [التوبة : 54].

نسوا الله ففسدهم) (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون).

- بينما قال الله في المؤمنين (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (1) وقال: (والَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (2).

*** * عدم قبول خروجهم للقتال مع رسول الله .. فكان صحابة رسول الله يجاهدون ولا يجاهد أهل النفاق: (فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) (3) .. لماذا؟** لأنهم كانوا متخلفين عن القتال وكانوا جانب غدر حربي غير مأمون .. (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأنوالهم وأنفسهم في سبيل الله) (وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا). [منهم الجد بن قيس وعبد الله بن أبي في غزوة تبوك] .. فالمنافقون لم يكونوا يجاهدون ولو خرجوا لكان ضرهم أكثر من نفعهم: (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة).

- بينما قال الله في الصحابة على رأسهم الخلفاء الذين تابعوا النبي في كل غزواته: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم) (4) وقال: (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) (5).

1- [التوبة : 88].

2- [الأففال : 74].

3- [التوبة : 83].

4- [التوبة : 117].

5- [الأففال : 62].

**** عدم الصلاة على أحد منهم مات أبدا ولا يقم رسول الله على قبره.**

(وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) (1).

- في حين يقول الله في صحابة رسول الله: (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) وقال: (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) (2).

**** عدم غفران الله لذنوبهم حتى وإن استغفر لهم رسول الله:** (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ...) (3) لماذا؟ لأنهم كفروا بالله وكانت صلاتهم وعبادتهم رياء وخداع كما قال الله (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) (4) (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) (5) في حين قال الله في المؤمنين: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود) (6) فالمنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى بينما الصحابة تراهم ركعا سجد إلى آخر المدح والثناء .. وقال: (أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) (7) وقال: (لكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) (8) وقال (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) (9) لذلك أمر الله نبيه أن يستغفر للمؤمنين: (... فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ...) (10) بخلاف المنافقين الذين منع الله الاستغفار لهم الوقوف على قبورهم.

1- [التوبة : 84].

2- [الأحزاب : 43].

3- [التوبة : 80].

4- [النساء : 142].

5- [المنافقون : 3].

6- [الفتح : 29].

7- [الأطفال : 4].

8- [الحجرات : 7].

9- [الفتح : 26].

10- [آل عمران : 159].

وكان الله ينزل سكينته عليهم: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (1) (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (2).

فمن يُسقط بعد هذا آيات المنافقين على المؤمنين إنما هو جاهل بالإسلام أو أعمى البصر والبصيرة.

ولكن كالعادة يحرف الباطنيون الكلام عن مواضعه ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض كما فعل أسلافهم من قبل، فهم يجعلون لآيات فضل الصحابة تخريجات لغوية للتلبيس على العوام، فمثلاً يقولون أنظر ماذا قال الله في نهاية آية المعية (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيماً) فقال منهم ولم يقل كلهم، فـ(من) عندهم للتبعيض.

والجواب : هذه واحدة من المغالطات المأزومة التي يلجؤون لها، وإلا فـ(من) هاهنا للجنس وليس للتبعيض، فهي كقوله تعالى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (3) والمراد ليمسن الذين كفروا منهم أي جميعهم، وليس بعضهم فكلهم كفار، ومثله (...فَاجْتَنَّبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْوُثَانِ ...) (4) من جميع الأوثان وليس من بعضها، وهي نحو أن يقال لماذا نجح كل الطالب؟ فتزداد لم ينجح إلا من اجتاز الامتحان بجدارة وعلم دون محاباة لأحد، فهل المقصود من كلمة (من) لم ينجح إلا بعض الطلاب؟ فاحذروا تدليس وفيركات الشيعة أصحاب الثأر الساساني الحاقدين على الإسلام والمسلمين.



1- [الفتح : 4].

2- [الفتح : 18].

3 - [المائدة : 73].

4 [الحج : 30].

الشبهة (40)

هل ارتد الصحابة بعد رسول الله؟

- ما قولكم فيمن يقول إن الصحابة قد ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى: (... أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ...)⁽¹⁾.

الجواب:

نعم قالوا ذلك قالوا إن مصيرهم إلى جهنم ، فمن لم يؤمن بالولاية فقد ارتد، ويقولون إنه لم يثبت منهم على الدين أي الولاية سوى القليل نحو 6 هم إلى جانب الإمام علي المقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وحذيفة ابن اليمان، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن عباس وقيل ثلاثة، وأما البقية فقد ارتدوا بعد رسول الله، وأنهم كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون النفاق وبخاصة الشيخين أبي بكر وعمر.

قبل الرد يخطيء من يظن أن الطعن في الصحابة مجرد مذهب، وأن ذلك معصية وحسب، بل الطعن في الصحابة هو كفر بالقرآن الذي أثنى عليهم في آيات تربو على الحصر، ومن رد كلام الله عن علم فهو كافر خارج من الملة، إلا أن يكون جاهلاً بذلك.

لقد جاء الوحي ورسم مكانة ودور مجتمع النبي ومنه علمنا أن الله اجتباكم (هو اجتباكم) ليكونوا أمناء على الرسالة المحمدية، ونقلها إلى الناس، قال الله: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) الله هو الذي جعلهم أمة وسطا قال محمد رشيد رضا في تفسير المنار: "الخطاب للمؤمنين في عصر التنزيل" وقال: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (...)⁽²⁾ قال الله أنه أخرجهم للناس .. وأولى الناس بهذه المهمة الصحابة المبلغين عن رسول الله، ثم عامة المسلمين من بعدهم.

وجعل إيمانهم نموذجا يحتذى به لغيرهم فقال في أهل الكتاب: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم فقد اهتدوا)⁽³⁾ فالله ربط هداية أهل الكتاب بما ارتضاه من نموذجية إيمان الصحابة وقال:

1- [آل عمران : 144].

2- [آل عمران : 110].

3- [البقرة : 137].

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ...) (1) أي من يتبع غير منهج الصحابة مآله جهنم عيادا بالله، فكيف يجعل الله دين أناس متآمرين نموذجاً يحتذى به للغير؟.

ولقد ضرب الله لأهل الكتاب بالصحابة مثلاً في التوراة والإنجيل، في قوله تعالى: (مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) قال بن محمد جرير الطبري في تفسير الآية هذا مثل ضرب به الله لأهل الكتاب: "بِيعَتَ اللَّهُ النَّبِيَّ وَحَدَّهُ، ثُمَّ يَجْتَمَعُ إِلَيْهِ نَاسٌ قَلِيلٌ يُؤْمِنُونَ بِهِ، ثُمَّ يَكُونُ الْقَلِيلُ كَثِيرًا، وَيَسْتَعْلِظُونَ، وَيَغِيظُ اللَّهُ بِهِمُ الْكُفَّارَ" فكيف يضرب الله لأهل الكتاب مثلاً بنموذج فاسد؟ إن الطعن في حفظة الرسالة ونقلتها طعن وتشكيك في القرآن والإسلام، وإجهاز على النموذج المجتمعي والرموز الرسالية التي أخرجتها يد العناية الإلهية، والتربية المحمدية، وهذه هي النتيجة التي هدف للوصول إليها أعداء الإسلام.

وإنما تعود النظرة الانقلابية الغربية هذه لأنصار النبي صلوات الله عليه من قبل الفرس إلى ثقافة نظام العائلة المالكة الساسانية المقدسة، فجعلوا أهل النبي والمراد (أهل علي) عائلة مالكة كالأسرة الساسانية التي كانوا يرون أنه يجري في دمها نور الأنوار، وبالتالي لا يصلح للحكم غير وريث ملكي مقدس مختلف عن الخلق .. من هنا جاءت فكرة الوصية والاصطفاء السلالي في الفكر الشيعي وفكرة أنه وقع انقلاب عليها.

يضاف إليه السبب الأهم وهو رفض فكرة حكم الإسلام لفراس على أيدي أمة لم تكن فارس كامبراطورية لها دينها الزرادشتي وملكها المهاب لتقبل أن تصير تابعة بعد أن كانت مهابة متبوعة، وهو الوضع الذي كان يمنحهم الشعور بالتفوق العرقي على غيرهم، فكيف يصيرون في الفكر الديني الإسلامي بقاعدة المساواة كبقية الخلق؟ .. فعمدوا إلى بناء حائط مبكى على ملكهم يلعنون فيه العرب والمسلمين الذين أدلوا إمبراطوريتهم، وشردوا ملكهم، وإنما كانت إمبراطورية طبقية استعبادية رديئة في الواقع .. لكنهم تحولوا عن خدمة الإسلام واستبدلوه بعبادة عائلة النبي المقدسة التي صارت هي الدين .. وهي القرآن .. وهي السنة .. بل وأعلى من الله، فلو عبد الله العبد ألف عام بين الركن والمقام ثم لم يؤمن بركن الدين

الأعظم الباطني (الولاية) لأكبه الله على منخريه في جهنم كما تقول مروياتهم الاستعبادية الجهنمية، فلم يعد سر الخلق عبادة الخالق بل عبادة هذه الوثنية السلالية التي نحتوها، وذلك لهدم مرجعية الدين بمرجعية مصطنعة هم يتلاعبون بها.

* الرد على هذه الشبهة:

أولاً- أما أن الله قال في اضطراب صف المسلمين في غزوة أحد بعد أن أشيع أن رسول الله قتل: (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ...) فهذا استفهام إنكاري على تخلخ صفهم للتحذير من تكرار ذلك وليس حكماً بكفرهم .. وإلا فإن الله تعالى قد فعل الشيء نفسه بتحذيره للنبي في مواضع عدة مثل قوله جل ثناؤه: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) ⁽¹⁾ فهل رسول الله بهذا التحذير قد طرد ضعاف المسلمين من مجلسه وصار ظالماً عياداً بالله؟ .. وقال (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) ⁽²⁾ فهل رسول الله بهذا التحذير كفر بالله وأطاع الكافرين والمنافقين؟ وعشرات الآيات في العتاب: (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ⁽³⁾ فهل النبي كان يخشى الناس أكثر من خشية الله؟ وإنما المراد تحرجه أن يأمر زيدا بتطليق زوجته زينب بنت جحش؟ وقال: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) ⁽⁴⁾ هل النبي حرم ما أحل الله؟ أم مجرد تحريم امتناع عن أكل العسل (كما في القصة) ولكل نص تخريج بريء القصد سليم الغاية، وقال تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ⁽⁵⁾ فهل هذا التحذير يترتب عليه حكم عياداً بالله على النبي صلى الله عليه وسلم؟. ولو نزلت آيات عتابات الله وتحذيره لنبيه في الصحابة لما كان من مناص في كفرهم البواح وإيداعهم في الفكر الباطني في جهنم.

1- [الأنعام : 52].

2- [الأحزاب : 1].

3- [الأحزاب : 37].

4- [التحریم : 1].

5 - [الزمر : 65].

على أن المولى كان يعاتب عباده من صحابة رسول الله ثم يصدر حكمه فيهم بالعفو نحو (ولقد تاب عليكم) (ولقد عفا عنهم) (فتاب عليكم وعفا عنكم) (ثم تاب عليهم) .. فمن له بعد حكم الله حكم وبعد عفو الله إدانة؟.

ثانياً- يقولون إن مصيرهم إلى جهنم لأنهم كفروا بالولاية.

والجواب: نعم عند الشيعة من آمن بالولاية وإن كفر بالله فهو في الجنة ولذلك يقولون إبليس الذي كفر بالله سيدخل الجنة لأنه آمن بولاية علي؟!، فإذا الحق والباطل ضابطه ليس الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله بل الإيمان بالولاية، ويكفي عندهم اتباع الولاية وحب علي وأهل البيت حتى وإن كان المحب فاسقا فاسدا فهو بحبهم من أولياء الله، والعكس لو عبد الله العبد بين الركن والمقام ألف عام وهو لا يؤمن بالولاية لأكبه الله على منخريه في جهنم، ولذلك الملتزم دينيا والحافظ للقرآن الذي لا يؤمن بخرافاتهم هو داعشي إرهابي وهابي، ومساجدهم غير المؤمنين بالولاية مساجد ضرار تغلق أو تهدم أو تدنس، فتحول دين الله إلى دين أهل البيت.

وعلى هذا فالصحابية ومن تلاهم ممن لا يؤمنون بولاية علي كحق قدري ومكتوب هم كفار .. فهذا دين الولاية وليس دين رب العالمين فدين الله خلاف دين الشيعة ولا مناص من أن المسلم صار مخيرا بين اتباع كلام الله أو كلام الشيعة، فالله يقول إنه أنقذهم من النار بعد أن كانوا على شفا جرف منها .. وأنه أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار .. وأنه لن يخز النبي يوم القيامة والذين آمنوا معه .. وأنه قد رضي عنهم ورضوا عنهم، فكيف يفعل الله لهم كل هذا ويضمن لهم الجنة ويرضى عنهم ثم يكفروا به؟ هل الفرس صاروا أعلم من الله بما سيكون؟

قال تعالى: (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) ⁽¹⁾ فإذا كان قد أنقذهم الله من النادر لإيمانهم به فلا اعتبار لإدخالهم النار بسبب كفرهم بأسطورة الولاية .. وقال: (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) ⁽²⁾ قال (معه) فمن الذين

1- [آل عمران : 103].

2- [التحریم : 8].

الجواب: هذا كلامهم، لكن كلام الله غير، فالله يحدثنا أنه (ألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) ⁽¹⁾ قال ألف (بين قلوبهم) مرتين ولم يقل ألف بين أجسادهم، فقد تجتمع الأجساد والقلوب شتى لكن أكد على أنه تأليف قلوب، والذي ألف بين قلوبهم هو الله وما ألفه الله لا يفترق، وقال: (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) قال فأصبحتم بنعمته إخوانا لا أعداء متربصين .. وقال فيهم (أذلة على المؤمنين) (رحماء بينهم) (بعضهم أولياء بعض) فمن نصدق كلام الخالق أم كلام المخلوق؟ .. وأما مسايفتهم في الفتنة الكبرى فقد كان نتيجة اختلاف اجتهاد وتأويل، فلا يعني أنهم تحولوا بمنزلتهم إلى ملائكة يمشون على الأرض ولا إلى أنبياء معصومين .. فقد اختلفوا وهم مؤمنون قال الله: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ...) ⁽²⁾ سماهم مؤمنين، ولقد بقي الدين وبقي أهله ينصرونه ويعزرونه، واستمروا كما وصفهم الله: (أشداء على الكفار رحماء بينهم).

رابعا- يقول أصحاب هذه الشبهة إن الصحابة كانوا يجاهدون وعينهم على الدنيا. فالرد على هذا بأن هذا أيضا كلامهم. لكن للمولى في إخلاصهم للدين حديث آخر حيث قال في مواضع عدة أنهم (جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) قال في سبيل الله وليس في سبيل الدنيا. وأنهم باعوا لله أنفسهم وأموالهم لله (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) ⁽³⁾ .. وأنهم (أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله وأولئك هم الصادقون) ⁽⁴⁾ قال (يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله) وليس مناصب ومكاسب، أصحاب المناصب والمكاسب هم من حولوا الإسلام بمجملته إلى مجرد متاع يورث لصالحهم.

وقال: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ⁽⁵⁾ قال: (يرجون رحمة الله) وليس الدنيا ومتاعها .. وقال في الأنصار (يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو

1- [الأفال : 63].

2- [الحجرات : 9].

3- [التوبة : 111].

4- [الحشر : 8].

5- [البقرة : 218].

كان بهم خصاصة⁽¹⁾ فإذا كان هذا حالهم في الإيثار والتجرد كيف تكون الدنيا منتهى غايتهم؟
(ومن أصدق من الله حديثاً) (ومن أصدق من الله قِيلاً).

خامساً - يقولون إن الصحابة كانوا يظهرون الإيمان ويبطنون النفاق.

الجواب: كيف يستقيم أن يكونوا منافقين والله يقول لنا أنه هو رباهم وزكاهم بيده فقال:
(أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه)⁽²⁾ .. وأنه هو حبيب إليهم الإيمان وكره إليهم
الكفر والفسوق والعصيان .. الله فعل هذا حيث قال: (لكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في
قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان وأولئك هم الراشدون)⁽³⁾ الله حبيب إليهم الدين
بيده، وكره إليهم الانحراف عنه بإرادته فما أودعه الله في القلوب وأثبتته في النفوس لا
ينحل. وقال أنه (ألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها)⁽⁴⁾ فالله ألزمهم كلمة التقوى، هو
ألزمهم لا غيره لتبقى ملازمة لهم لا تبارحهم وأنه لم يلزمهم إياها وهم ليسوا أحق بها ولا أهلها
لها، بل كانوا أحق بها وأهلها فخرج عن هذه الأحقية من ليس منهم .. وقال فيما قال فيهم:
(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ...) (5) الله يصلي عليهم
وملائكته وأمر نبيه بالصلاة عليهم (... وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ...) (6) فهل من
يصلي عليهم الله وملائكته ورسوله ينحرفون؟ وبفضل تلك التربية والعناية الإلهية جعلهم (خير
أمة أخرجت للناس) .. و(خير البرية) و(أعظم درجة عند الله) .. (والسابقون الأولون) ..
وجعلهم (أمة وسطا) .. فيما لا نجد آية واحدة في بني هاشم صريحة واضحة بينة من
عشرات الآيات نزلت في تزكية الصحابة وهذه مفارقة عجيبة، هذا لو قيل إن أهل البيت من
غير الصحابة وأنهم أفضل من الصحابة .. فإن كانوا كذلك فأين نجد هذه الأفضلية يا ترى ..
لكننا نقول إنهم من الصحابة وحسب.



1- [الحشر : 9].

2- [المجادلة : 22].

3- [الحشر : 7].

4- [الفتح : 26].

5- [الأحزاب : 43].

6- [التوبة : 103].

الشبهة (41)

الرد على الدكتور أحمد مطهر الشامي في دعوى ارتداد الصحابة

الأخ الدكتور العزيز .. أحمد مطهر الشامي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فقد اطلعت على بعض منشوراتك ومقطع الفيديو في موقعكم على الفيس بوك بتاريخ 21 يونيو 2019 الذي عنوانه شبهات وردود حول موضوع الصحابة وهو في الواقع شبهات وليس ردودا ومنه القول بما خلاصته أن عموم الصحابة (المهاجرون والأنصار) قد ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (عدا القليل طبقا لفهمي حيث ذكرت أن من ثبت ليسوا فقط أربعة) يعني لنقل ستة أو عشرة وهو ما يعني أن الغالب قد حدث لهم الارتداد، وتقول إن ذلك ممكن فقوم موسى قالوا (اجعل لنا إلهها) بعد إيمانهم وغير ذلك من الأدلة .. ويطيب لي عمل مداخلة معكم لمناقشة موضوع لايمت لواقعنا بصلة ولكن لا بد مما ليس منه بد وأمل أن يتسع صدرك للرأي الآخر.

فالجواب: بالنسبة لليهود أخي انقلبوا على ربهم في عهد نبيهم وقد طلب الله منهم التوبة بقتل أنفسهم .. ولا ننسى أن بني إسرائيل كانوا أكثر لججا وعنادا ذمهم الله في كتابه في مواضع عدة .. وليس كذلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي خير أمة لخير نبي قال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) فكيف تتردد طليعة خيرة أمة أخرجت للناس .. زكاهم رسول الله وعلمهم الكتاب والمحكمة!.

ثانيا - ما ذكرته من الاستدلال بقوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (1) .. كدليل على وقوع ذلك فاسمح لي إذا قلت لك إن هذا استدلال خاطئ، فالله تعالى إنما أنكر على الصحابة جعل الدين مرتبطا بحياة رسول الله حين اضطرب صفهم في غزوة أحد بعد أن أشيع بأن رسول الله قد قتل، فكبر ذلك عليهم، إذ كيف يقتل رسول الله وهو مؤيد من الله؟ فالله نبههم أن موت النبي أو قتله كبشر وراذ في أي وقت فلا ينبغي أن يرتبط بقاء الدين ببقاء النبي فيقودهم إلى التخلي عنه .. فهو إذن مجرد تحذير

وتصحيح مفاهيم وتصورات عقديّة .. ولقد عفا الله عنهم في أحد بقوله (ولقد عفا عنكم) وانتهت القضية .. فمن ذا الذي يرد حكما قضاءه الله وعفوا أصدره الله وهو الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه إلا أن يضع نفسه موضع الذات الإلهية عيادا بالله.

ثالثا- لو قلنا إن التحذير يصير حكما من الله لوجدنا الأمر قد وقع مع رسول الله صلوات الله عليه أضعاف ذلك .. فالله حذره قائلا (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) فهل يسمح لنا هذا المنهج القياس هاهنا؟ بل نجد ذلك في عشرات الآيات .. قال الله محذرا إياه (فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك) وقال: (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين* ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين) (1) وقال (فلا تكونن من الجاهلين) (فلا تكونن ظهيرا للمجرمين) (ولا تكن للخائنين خصيما) وعشرات من الآيات تحذير من الله لنبيه كما حذر الصحابة فهل يجعل في ذلك احتمال أن النبي يشك في الدين الله وأنه وأنه الخ .. حاشا لله. بل باستعمال منهج غير بريء النية سنقول بحدوث عصيان تعالى الله عن ذلك، ولو نزلت في الصحابة لقلنا كفروا حيث قال، (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وقال (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) فهل رسول الله يخشى الناس أكثر من خشية الله؟؟ وهل النبي يحرم ما أحل الله؟ سنقول حاشا بل لها توجيهات سليمة وتخريجات سياقية معينة .. فلنقل الشيء ذاته مع من نصره واتبعوا النور الذي أنزل معه.

رابعا- ثم تقول إن من المؤمنين من قد يؤمن ثم يكفر مستدلا بقوله تعالى (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (2) ثم تبني عليه أن الله قد يرضى عنهم ثم قد يسخط عليهم بعد ذلك إذا غيروا .. هذا يا أخي لا يقال حتى في حق البشر وليس في حق من يتصف بالعلم المطلق .. أرأيت لو أن أحدا أحسن إليك وأنت تعلم أنه سيكون ضدك في المستقبل هل سيكون عندك مرضيا ويشفع إحسانه عندك لما سيكون عليه من الانحراف؟ فالله جلت عظمتة قوله عدل .. وحكمه

1- [يونس : 94-95].

2- [آل عمران : 86].

فصل .. وقضاؤه لا يرد، ومن يرضى الله عنه لا يمكن أن يسخط عليه .. ومن أحبه لا يمكن أن يبغضه، ومن زكاه لا يمكن أن يتلوث بالردة القادحة .. ثم كم سيكون من تصادم في آيات الكتاب الحكيم فبعد أن يزكي الله أناسا ويرضى عنهم .. ويفتح لهم جنات تجري من تحتها الأنهار .. وينقذهم من النار بعد أن كانوا على شفا حفرة منها .. وبعد أن يقول إنه علم ما في قلوبهم .. وأنهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا .. وأنهم هم المؤمنون حقا ... وأنهم الراشدون والمفلحون والصادقون وأنه رباهم بيده حيث حبب إليهم الإيمان .. وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان .. و يجعل إيمانهم نموذجا لأهل الكتاب حيث قال: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) وقال: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم) فجعل في جهنم من يتبع غير سبيل أصحاب النبي .. وقال لنا نحسن إليهم لكي يرضى عنا (والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) ثم قال لنا ندعو لهم (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) ثم وبعد أن يقول (اليوم ينس الذين كفروا من دينكم) كدليل على ثباته وقوته ورسوخه يأتي بعد ذلك من يقول إنهم فجأة كفروا بعد إيمانهم؟ كأن الله استغفل أو ناقض نفسه تعالى الله، إن هذا لا يكون حتى مع آحاد الناس فكيف يكون مع رب العالمين .. إذن التعامل مع القرآن لا يكون بهذه الطريقة في الواقع بل بالبحث عن خصوص السبب، دفعا للتناقض وتنزيه كمال الله عن صفة الجهل والغفلة، ولا ينقض وعد الله ورضوانه وغفرانه وتزكيته إلا بنصوص صريحة واضحة مثلها، فالصحيح أن هذه الآية نزلت في رهط من قريش والأنصار آمنوا ثم ارتدوا منهم طعمة بن أبيرق الأنصاري الذي حكم عليه بالسرقه في المدينة ففر إلى مكة وارتد، ووجج بن الأسلت الأنصاري .. ومقيس بن ضبابه الليثي .. وأبو عامر بن النعمان الراهب .. هؤلاء بالإضافة إلى عبد الله بن جحش معروفون مثبتون بأعيانهم وإلا قد يأتي غلاة يقولون أنها نزلت في أقرباء النبي أو أصهار النبي .. ولولا السند لقال من شاء ما شاء.

خامسا: ارجع إلى آيات القرآن الكريم وانظر في الآيات المنزلة في معارك بدر، وأحد، والحديبية، وحنين، والخندق، و صلح الحديبية، كم كان عدد الصحابة .. كانوا بالمئات وأحيانا بالآلاف وغزوة (تبوك) نحو 30 ألفا .. انظر كيف كان الله يثني عليهم فهل أتتى الله على ستة

أو عشرة؟ هل نصر الله دينه بعشرة أو عشرين قال المولى تعالى: (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) كم هؤلاء المؤمنون الذين أيد بهم الإسلام؟ علما أن رسول الله لم يحارب الكفار حتى صار له مجتمع مؤمن ودولة مؤمنة قادرة على مواجهة أهل الشرك (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة).

سادسا- استدليت أيضا بحديث الحوض الذي يقول أن من أمة محمد أو من أصحابه من ارتد القهقري، وهنا تحاشيا لوقوع التناقض الكبير أيضا يلزم قراءة جميع الأحاديث الصحيحة الواردة لمعرفة نوع اللفظ وضبط العدد، فقد تم تقييد عددهم بحديث الرهط في البخاري رقم (٦٥٨٥) والرهط من الثلاثة إلى العشرة يؤكد حديث آخر بلفظ (أصحابي أصحابي) جمع قلة فهم ما دون العشرة .. قد يكونون من المنافقين من الأعراب أو من أهل المدينة الذين يعرفهم رسول الله ولا يعلم نفاقهم كما جاء في سورة التوبة: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) ^(١) قال (لا تعلمهم) كان ظاهرهم الصلاح فغيروا تحلهم بالصلاح بعد موت النبي .. أو أنهم من أمة النبي ممن سيأتون بعده فقد جاءت روايات بلفظ أمتي أمتي .. وأما أنهم أصحابه فقياسا على أصحاب بقية الأنبياء .. وأما أنه يعرفهم ويعرفونه فبكون أمة محمد يأتون غرا محجلين.

على أن غالب المنافقين كانوا معروفين في المدينة بأفعالهم وتصرفاتهم .. فكانوا يرجفون في المدينة .. ودون الله كلامهم من نحو قولهم (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) (ذرنا نكن مع القاعدين) (وقالوا لا تتفروا في الحر) (أأذن لي ولا تفتني) (جاءوا بالإفك عصابة) (يحلفون بالله ما قالوا ...) فهؤلاء هم أصحاب المسجد الضرار الذي أحرقه رسول الله كانوا هؤلاء أحياء من أهل المدينة معروفة ليس فيهم من المهاجرين، وكان على رأسهم زعماء مثل عبد الله بن أبي ومعتب بن مقشر .. والجد بن قيس .. فممنع الله خروجهم مع النبي للقتال بعد ظهور نفاقهم .. ومنع أن تقبل صدقاتهم .. أو أن يصلي عليهم .. فكان هناك تمايز في الصفوف وفرز واضح .. بحيث يمنع جعل آيات المنافقين أو المرتدين في أنصار النبي رضوان الله تعالى عليهم.

سابعاً- لقد حسم الله معية الذين آمنوا مع رسول الله وهاجروا معه وجاهدوا معه في الدنيا بأنها باقية وممتدة غير منقطعة إلى يوم القيامة حيث قال (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) (1) فهذه معية يوم القيامة رد من الله على الذين يقولون كانوا مؤمنين فارتدوا بعد النبي فهي شهادة من الله على ثبات إيمانهم بعد نبينهم؟ فكيف يكون مع رسول الله يوم القيامة من ارتد؟ فالذين قال إنهم معه في الدنيا أشداء على الكفار رحماء بينهم سيستمرون معه كذلك يوم القيامة.

نعم يقول المبطلون من الاثني عشرية لكن انظروا قال الله في آخر الآية (... وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (2) فقالوا قال (منهم) فـ(من) للتبعيض أي من بعضهم، ونقول هذا دس فـ(من) هنا لبيان الجنس وليس للتبعيض وعلى ذلك أمثلة في القرآن الكريم منها قول الله: (واجتنبوا الرجس من الأوثان) فهل المراد اجتنبوا الرجس من بعض الأوثان بل من جنس الأوثان جميعها؟ وقال (ولاتطع منهم آثماً أو كفوراً) فهل المراد ولا تطع من بعضهم أم من الجميع؟ (3) وقال (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) (من القرآن) ليست الرحمة والشفاء من بعضه بل من جميعه.

ثم كيف يثني عليهم المولى تعالى جميعاً هذا الثناء ثم يستثني منهم؟ هذا يترك تناقضاً لا يستقيم مع مقام الله تعالى.

ثامناً- نسأل أصحاب نظرية ارتداد أمة محمد بعد موت نبينهم ونقول ارتدوا على ماذا؟ أليسوا هم الذين حفظوا القرآن الذي نستدل به جميعاً وقد جمع على يد الخلفاء الراشدين؟ أليسوا من نشروا الإسلام وتم ذلك على يد الخلفاء الراشدين؟ بل أليسوا من قمع الردة؟ كان حري أن يساعدوا المرتدين لا أن يقضوا عليهم طالما وقد بيتوا النية للارتداد .. أما إذا كان المراد أنهم ارتدوا على نظرية الولاية السياسية، فليست هذه النظرية هي المعبود حتى يكفروا به وليست هي الإسلام حتى يرتدوا عنه، إنها نظرية لا يدعمها أي نص صحيح صريح قطعي

1- [التحريم : 8].

2 - [الفتح : 29].

3 - انظر شح المفصل لابن يعيش (854/4). وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد (2857/6) والبحر المحيط

(189/3).

الدلالة قطعي الورود، والله لا يلزمننا بغير محكمات الدين، ولا يمكن أن يترك الناس هملاً فيما يعدونه أصل الدين وأساسه قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (1) حتى أحاديث قريش خبرية غير ملزمة من نحو قوله صلى الله عليه وسلم "الإيمان يمان والحكمة يمانية" فلا يعني أن الإيمان والحكمة حكر على أهل اليمن؟ وهل تنهي الأماني والأوهام حقائق الدين الواضحة ورسالته الخالدة.

أخيراً- ما الذي سنربحه من سحب إيمان أنصار الرسالة الخاتمة؟ ما سنربحه هو التشكيك في صحة وصول القرآن الكريم الذي جمعه .. وبطلان جهادهم في سبيل الله الذي أقاموه .. وبطلان سنة رسول الله التي نقلوها .. وبالتالي بطلان الدين الإسلامي وهذا هو الوتر الذي دق عليه المستشرقون والفرس في محاولة منهم للتأثر من الفتوحات الإسلامية التي أدالت إمبراطورياتهم .. فلسنا بهذا ندافع عن أشخاص بل ندافع عن القرآن الذي زكاهم وعن الإسلام الذي حملوه وحفظوه ونشروه.

متى لبيت شعري أخي نركز على حياتنا ونترك الماضي ومشاكله ونسمع لكلام الله الذي قال: (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) (2).

مع التحية

د. بشير المساري

صنعاء- ٢٥/شوال/١٤٤٠هـ

- الموافق 27/يونيو/2019م

1- [التوبة : 115].

2- [البقرة : 134 و141].

الشبهة (42)

الظن في أم المؤمنين عائشة

- ما قولكم في من يقول في عائشة زوجة النبي قولا عظيما؟

الجواب:

نعم يقول الوالغون في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عائشة وحفصة رضي الله عنهما كافرات بالله، ويضيفون إلى أمنا عائشة رميها بالإفك عيادا بالله.

الرد على هذا القول:

أولا كيف يتزوج رسول الله مشركات أو واقعات في الفاحشة والله يقول: (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين) (1). الزاني أو المشرك هو من يتزوج زانية فهل يريدون أن يقولوا إن النبي عيادا بالله هو أحد هؤلاء لإبقائه عليهما؟ أما المؤمن فلا يفعل ذلك، قال الله: (وحرّم ذلك على المؤمنين) وقال (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) إلى أن قال: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) (2) فكيف يستمسك رسول الله بكافرات أو فاجرات؟ والله يقول: (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ...) (3) أيكون رسول الله متصفا بكل هذه الصفات؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .. بل هي طيبة لطيب (وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قال (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) قال ابن كثير رحمه الله: " قد ذهب بعضهم إلى أنها خاصة بعائشة رضي الله عنها، قال ابن عباس: نزلت في عائشة خاصة ... وروي عنه يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رماهن أهل النفاق، فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وبأؤوا بسخط من الله، فكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم" (4) (5) قوله: (أولئك مبرعون

1- [النور : 3].

2- [المتحنة : 10].

3 - [النور : 26].

4 - تفسير ابن كثير (2/594).

5 - [النور : 26].

مما يقولون) أي مما يقول المنافقون الذين طعنوا في عرض رسول الله بقولهم الإفك (لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) - ولا يزال لهم بقية باقية تظهر خلاف ما تبطن مع أن الله قال: (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين) ومع أن رسول الله ذكر المؤمنين بأهل بيته كما جاء في صحيح مسلم «أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاث مرات، إلا أن طعن المنافقين في عرض النبي لم يتوقف، فلا يفتأون يحيون مهرجانات الطعن والقذف في أهل بيت النبي، وانتشر بسببهم الوباء وظهر كتاب مثل سلمان رشدي يردد نفس الطعن في كتابه آيات شيطانية، (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) (1).

ولعظم كبيرة الطعن في الأعراض شدد الله تغليظ العقوبة على الوالغين فيها بغير حق، واشترط في شهادة الشاهدين على الزنا أن يكونوا أربعة الشهود وبشروط مشددة، بينما جعل شهادة الشاهدين على القتل اثنين شهود لا أكثر؛ لأن الطعن في الأعراض يعني الشهادة المفضية إلى وأد حياة الكثير وأذا معنويا، وأذا للأسرة وطعنا في الشرف والكرامة وخرما للمروءة، يتبعه حجب عن ميراث النسل غير الشرعي، وتمزيق أبوة وأخوة ورحم نسب طفل مجهول الهوية، فيصير أجنبيا على أخواته أو إخوتها، ويعيش مقطوعا فرعا بلا أصل وفردا بلا سند ولا أهل ولا عشيرة.

لذلك وجدنا أن النبي يكون له أبا كافرا أو ابنا كافرا أو عما كافرا أو زوجة كافرة، لكن لا يمكن أن يكون له زوجة زانية، لأن الكفر اختيار فكري ذكره الله في القرآن، أما الزنا فتلويث للجميع وكيف يدعو النبي إلى الفضيلة وهو ملوث ومطعون في فضائل أهله، وفي حسن اختياره وفي فضيلة نفسه ومراقبته لأهله ويصير نسله في نظرهم كله موضع شك عيادا بالله؟ لذلك جعل الله الطعن في عرض النبي إيذاء له تبارك وتعالى كما وجدنا في سورة الأحزاب، وإيذاء لرسوله فالناس لن تقبل برسول يأتي بوحي عن الله في كمالات الخلق وهذا وضعه في بيته.

ثم إن الواغين الطاعنين في رجولة النبي صلى الله عليه وسلم يريدون الوصول إلى أن كل نسله مطعون فيهم جميعا كونه لم يكن يتحرى مراقبة حركة زوجاته عيادا بالله وبالتالي هدم مصدرية الإسلام برمته.

ربما قال أصحاب هذا الزعم الآثيم إن نساء النبي كن صالحات حتى إذا ما توفي رسول الله ارتدتا عن الدين، ويستدلون بخروج عائشة على علي رضي الله عنه في المطالبة بدم الخليفة عثمان.

الجواب: لنقل إن عائشة قد أخطأت في خروجها في معركة الجمل وخالفت قول الله: (وقرن في بيوتكن) فقد كان ذلك عن غير عمد وتقصد، حيث حثها زوج أختها الزبير بن العوام رضي الله عنه على الخروج للإصلاح بين الناس، فلما نبحتها كلاب الحوآب، أدركت أنها تلك التي عندها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أيكن تتبجها كلاب الحوآب؟ فأدركت أنها وقعت في خطأ اجتهادي، فأعادها علي رضي الله عنه مع أخيها محمد وندمت واستغفرت، ولا يخرجها خطأ عن وصفها زوجة رسول الله وأنها أم المؤمنين، فقد حكم الله من عليائه أن زوجات النبي جميعا أمهاتنا، فحرم الزواج بهن جميعا لهذه المنزلة فقال: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) بدون استثناء كل نساءه أمهات المؤمنين، غير أن أشياع علي الغلاة حكموا بالخروج من الملة على من وقف في وجه علي وإن كان للمطالبة بقتلة عثمان، فلا توبة، ولا صلاح، ولا قرابة، ولا سابقة، ولا ثناء من الله كله يذهب عندهم هباء منثورا، فالتكفير من أمامه وجههم من ورائه .. وما في اليد إن كان علي قد صار عندهم ربا لا يغفر وحاشاه مما ينسب إليه .. ثم كيف يريد الله أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين ((كلهن)) بما آتاهن رسول الله بدون استثناء، داخلة فيهن بنص القرآن عائشة وحفصة رضي الله عنهن جميعا، لو كانت خاتمتهن على غير ملة الإسلام حيث قال: (ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا) (1) ثم قال: (والله يعلم ما في قلوبكم) ما الذي يعلم في قلوبهن سوى الخير؟ فلو كان يعلم أن ما في قلوبهن غير الصلاح لاستنتاهن.

ونجد في توجيهات المولى تعالى لنساء النبي في سورة الأحزاب أنه ينادي عليهن جميعاً بـ(يا نساء النبي) تأكيداً على شرف انتسابهن جميعاً إلى بيت النبوة ويقدم توجيهاته العلية لهن ويقول: (لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) أي مقامهن عظيم لاختلاط بشرتك بأشرف خلق الله وحرمة علي المؤمنين الزواج بهن لهذه الخصوصية .. حتى عندما أفشتا سر رسول الله ذكر أنهما زوجتاه (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ...) فلم يخرج هذا الخطأ عنهن وصف زوجات النبي .. فالصحابية عندنا وزوجات النبي ليسوا معصومين ولم تفارقهم بشرتهم لكن فرق بين الخطأ وبين الخطيئة .. فكيف بعد كل ذلك يأتي من ينحرف برأي ليس عليه الواقع ولا العقل ولا النقل ويقول على الله غير الحق في أظهر نساء العالمين؟

ولعل أهم مما ذكر في حق مقام زوجات النبي أن الله جعلهن مصدر تبليغ لكتاب الله وسنة رسوله قال: (وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) ⁽¹⁾. أي اذكرن للناس ما كان يتلى في بيوتكن مع القرآن والسنة على لسان النبي، فأيات الله هي الوحي المنزل، والحكمة هي سنة رسول الله، ذلك أن للنبي خصوصيات زوجية وأسرية في مقام التشريع، لا أحد يعرفها غير نساء النبي، فهن ناقلات للمسلمين هذه الخصوصيات فكن محدثات ومعلمات وبخاصة أمنا عائشة رضي الله عنها، فكيف ينقلن للناس ما يتلى في بيوتهن وهن ملوثات كما يقول المنافقون لعنهم الله في الدنيا والآخرة.



الشبهة (43)

قذوات المسلمين

- جاء في بعض الملازم المتداولة أنه ليس للمسلمين قذوات سوى أهل البيت والبقية قذوات منحطة لا تشرف .. فكيف ردكم؟

الجواب:

إن المرجعية الأولى لكل مسلم هو كتاب الله وسنة رسوله، فما وجدناه فيهما فهو الذي سيحاسبنا الله عليه يوم القيامة، ومن ادعى غير ذلك أو جاء بما ليس في كتاب الله فهو مبتدع وضال.

لقد دعت الكثير من آيات الكتاب الكريم إلى جعل منهج صحابة النبي صلى الله عليه وسلم (المهاجرين والأنصار) مثالا للاقتداء به من المسلمين ومن غير المسلمين وذلك كنموذج مجتمعي فريد، فهل دعت إلى انتهاج طريق معوج وفاسد؟! حتى خلافهم في الفتنة كان راقيا ومسؤولا ووقافا عند كتاب الله تعالى.

قال الله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (1) فإذا تقيأنا إلى ظلال الآية السابقة من سورة التوبة وغيرها من الآيات سنجد أنها تنص على اتباع الصحابة بإحسان وليس بالإساءة إليهم، ويتضمن الاتباع الاقتداء أيضا بمنهجهم، قال الفخر الرازي في سبب الاقتداء بهم بعد أن عدد فضائلهم: "وإنما كان السبق موجبا للفضيلة لأن إقدامهم على هذه الأفعال يوجب اقتداء غيرهم بهم، فيصير ذلك سببا للقوة والكمال، ولهذا المعنى قال تعالى: (ومن أحيائها فكأنما أحيانا جميعا) (2).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ...) قال: "يريد يذكرون المهاجرين والأنصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم ويذكرون محاسنهم" (3) يعزز ذلك آية الدعاء للسابقين رقم 10 من سورة الحشر: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا

1 - [التوبة : 100].

2 - (مفاتيح الغيب 15/516).

3 - (مفاتيح الغيب 16/130).

تَجْعَلُ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ⁽¹⁾ و(من) في قوله (من المهاجرين) قيل للتبعيض وعليه فالآية خاصة بالمهاجرين والأنصار القدامى على رأسهم الخلفاء الراشدين، وقيل بل (من) للتبيين فهي تشمل جميع الصحابة رضوان الله عليهم، وبالأخص الذين هاجروا قبل الفتح وشهدوا بدرًا وبيعة الرضوان.

كما يؤخذ من قوله: (والذين اتبعوهم بإحسان) أن الذين لا يتبعونهم بإحسان يخرجون من رضوان الله وجزائه؛ لأن الإحسان إليهم قيد؛ ولأن الإساءة إليهم تكذيب بالقرآن الذي زكاهم، ومن كذب بالقرآن فقد كفر .. ولهذا المعنى شاهد من سورة الفتح آية 29 قال تعالى في أنصار دينه بعد أن شبههم بالزرع البهيج المتين الذي استوى على سوقه: (...يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ...)⁽²⁾ روى ابن كثير عن الإمام مالك رحمه الله قال: " من غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية"⁽³⁾.

ولا ينقضي العجب ممن يقول عن منكر إيمان الصحابة ورده عشرات الآيات أنه مجرد عاص لله .. أترون لو أنكروا مسلم إسلام ملكة سباً رافضاً كلام الله في إسلامها أيكون رده للقرآن مجرد معصية؟! فكيف بأجمل الثناء وأكمل الوصف في هذه الطليعة المؤمنة؟!

وقد تعهد المولى تعالى أن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، أي الدين التام الذي هو راض عنه (... وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ...)⁽⁴⁾ فكيف يمكن لهم ديناً لا يرتضيه أو ديناً قائماً على التآمر والغش كما يقول الباطنيون؟! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ولقد مكن لهم دينهم وكان في عهد الخلفاء الراشدين إلى نهاية الخلافة الإسلامية أعلى ما يكون التمكين .. ويلحظ اشتراط الله تعالى نموذجية إيمان الصحابة ليشمل أهل الكتاب كما في آية 137 من سورة البقرة قال تعالى: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ...)⁽⁵⁾ كأنه معيار للبناء عليه في إسلامهم وصلاح هدايتهم، (بمثل ما آمنتم به) والخطاب للصحابة والبناء للتوكيد .. ما لم ففي بقية الآية نتيجة المخالفة لهم: (... وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله ...) فلا يوجد نموذج حوارى نبي أفضل من نموذج حوارى محمد صلى الله عليه وسلم على الإطلاق، من يقول غير ذلك؟ فقد كان النبي قبله إما يكذب، أو يُخرج، أو يُقتل، أو يتبعه القليل على شقاوة وتعنت، فهو لاء بنو إسرائيل الذين فضلهم الله على العالمين

1 - [الحشر : 10].

2 - [الفتح : 29].

3 - (تفسير ابن كثير 7/362).

4 - [النور : 55].

5 - [البقرة : 137].

في زمانهم، يمتنعون عن الجهاد مع نبي الله موسى عليه السلام: (... فَاذْهَبِ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (1) وعبدوا العجل بعد أن نجاهم الله من فرعون ورأوا آية شق البحر، وقالوا: (... لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ...) ومواقف كثيرة من اللجج والتعنّت، ولو قورنت جملة مواقفهم مع جملة مواقف صحابة النبي محمد لكان البون شاسعا.

ومثل أهل الكتاب أيضا دعا الله الكفار إلى الإيمان كما آمن أتباع محمد صلوات الله عليه، قال المولى تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ...) (2) قال (كما آمن الناس) وليس آمنوا بالله ورسوله كما أمرهم وكفى، فكان هذه العبادة القلبية باتت صالحة للقياس بمجمل أنشطة حوارى رسول الله وأنصاره رضى الله عنهم جميعا .. وعندما سمي الكفار إيمان الصحابة بإيمان السفهاء (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) رد الله عليهم بقوله: (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) وهذا تأكيد إضافي إلى أنه إيمان يستوجب الدفاع عنه، وأن من نال من إيمان صحابة النبي الخاتم أو سبهم أو شكك في عدالتهم وقد جعلهم الله شهداء على الناس فهو في موضع حكم هؤلاء الكفار وسفيه مثلهم.

ويستمر هذا النموذج سياقاً قائماً كما في منطوق آية 115 من سورة النساء قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (3).

وقد كان يكفي التذكير بشقاق الرسول ولكنه أكد على نوع الاتباع وهو اتباع القدوات التي رباهم الله بيده فنص عليهم بقوله: (ويتبع غير سبيل المؤمنين) ورتب على شقاق النبي وعدم اتباع سبيل المؤمنين دخول جهنم عيادا بالله! لأن الله اصطفاهم لهذه المثالية قال (هو اجتباكم) وذكر أنهم هم المؤمنون حقا (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (4).

وأنه تولاهم بعنايته (... أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ...) (5) وما كتبه الله لا يمحي وقال: (... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ

1 - [المائدة : 24].

2 - [البقرة : 13].

3 - [النساء : 115].

4 - [الأنفال 74].

5 - [المجادلة : 22].

وَالْفُسُوقَ وَالْعَصِيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (1) وما أودعه الله بيده لا يضيع ما تعاقب الليل والنهار.

كما تولاهم صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم بالتركية والتربية النبوية الفريدة قال الله: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (2) ولا ينتج عن تزكية خير نبي سوى خير أمة وخير أنصار؟.

ولقد أثنى المولى تعالى عليهم في المواطن كلها، وآخرها غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة والتي بلغ عددهم فيها ما يربوا على 30 ألف صحابي وفيهم قال الله: (لَكِنِ أَرْسَلْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ أَكْفَرُ الْأَعْظِيمِ) (3).

لذلك جعل الله هذا الرعيل السابق بالهجرة والإيمان أعظم درجة عند الله فقال: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (4) فلا درجة أعظم من درجة صحابة محمد بعد الأنبياء، بقطعي دلالة الآية.

وبعد كل ما رأينا من ذلك الشقي المتجاسر على الله وآياته ليخفض ما رفع الله، ويمحي ما أثبت الله، ويتخوض في كمالات البشر بعد صاحب المقام الأرفع صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟

* من مظاهر الاقتداء الواجب على المسلمين بقدواتهم:

- أن يكون المسلمون أشداء على الكفار رحماء بينهم كما كانوا قال: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...) (5).

- أن يكون عمل المسلمين ابتغاء وجه الله كما قال في أسلافهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا...).

1 - [الحجرات : 7].

2 - [آل عمران : 164].

3 - [التوبة : 88-89].

4 - [التوبة : 20].

5 - [الفتح : 29].

- أن يكونوا إخوة متآلفين كما كان الذين آمنوا مع نبيهم: (... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (1).

- أن يؤثروا على أنفسهم في العسر واليسر كما ذكر الله السابقين الأولين : (... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...) (2).

- أن يكونوا مثلهم أشد حبا لله إذا أحب الناس أندادا وأصناما من دونه: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ...) (3).

- أن ينصروا رسول الله بإحياء سنته كما نصره أولئك في حياته قال الله: (وَإِن يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) (4) أراد الكفار أن يخدعوه وأراد أهل الكتاب أن يخدعوه وأراد المنافقون أن يخدعوه فكان الله كافيهم وأيده في وجوه هؤلاء جميعا بالصحابة الكرام.

- وأن لا يبذلوا كما لم يبذل الصحابة ليكونوا مع رسول الله يوم القيامة كما سيكون أنصاره معه قال الله: (... يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (5).



1 - [آل عمران : 103].

2 - [الحشر : 9].

3 - [البقرة : 165].

4 - [الأنفال : 62].

5 - [التحریم : 8].

الشبهة (44)

القول باصطفاء (أهل البيت)

س- إذا كان الله اصطفى من الملائكة والناس رسلا واصطفى من الزمان والمكان للتعبد فلماذا لا يصطفى آل بيت النبي؟

- الجواب كما يلي:

ما هو الاصطفاء بادئ ذي بدء؟ الاصطفاء من الله هو اختياره لعبد من عباده أو لأمة من الأمم اختيارا وظيفيا، لمهمة رسالية واختصاص تكليفي، قال تعالى في موسى - عليه السلام - : (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) (1) (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ...) (2) اختاره الله للتبليغ واصطفاه بالرسالة لا بالجينات ولا بالنطفة الطاهرة كما في الذاكرة الثقافية لبعض الهاشميين .. فانه يصطفى من يشاء لما يشاء، فاصطفى من الملائكة ومن الناس رسلا، كما اصطفى أزمانا لغاية وهي موافقت تعبدية، واصطفى أماكن كمواضع لأداء العبادة وهي مكة والمدينة والمسجد الأقصى، واصطفى آل إبراهيم وآل عمران بأن جعل منهم رسلا وأنبياء، واصطفى من عباده لميراث الكتاب، واصطفى أمة محمد للرسالة والجهاد قال تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنَبِّئُكُمْ إِنَّكُمْ بِرِأْسِهِمْ هُمْ سِمَاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (3).

هذه الآية نصت على الاجتباء العام للأمة المحمدية لمهمة خاصة، قال الإمام ابن جرير الطبري، هو اجتباكم" أي اختاركم لدينه" لأنهم الأقدر على النهوض بها على أكمل وجه. (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ...) (4) واصطفى مريم أي اختارها ليجعل من

¹ - [طه : 13].

² - [الأعراف : 144].

³ - [الحج : 78].

⁴ - [النمل : 59].

ولادتها الخاصة لعيسى آية للناس، وطهرها من لمس الرجال والحيز والنفاس .. واصطفى طالوت وهو من عامة الناس ليقوم بمهمة خاصة وهي الانتصار على جالوت وجنوده؛ فزاده الله بسطة في العلم الجسم الخاصيتين اللتين تناسبان المهمة، علم الجندي والقدرة على النزال والفروسية، وإلا فقد كان هناك نبيان في عهده، هما صاموئيل وداود عليهما السلام، لكنهما أعلم منه بعلم التبليغ والتشريع الذي هو أشرف العلوم، وليس أعلم منه بما اختصه الله به، فهذا نبي الله موسى يذهب ليتعلم من رجل صالح اختصه الله بعلم لدني غير علم الشريعة، وهذا نبي الله سليمان يبحث عن من لديه علم الطبيعة فيأتي بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين، ومحل الشاهد أن الأنبياء اصطفاهم الله لمهمة خاصة هم أفضل من غيرهم، فيها وهي الرسالة وهي أعظم مهمة لأعظم الخلق، كما اصطفى آخرين ليسوا أنبياء لمهام أخرى غير الرسالة، فالاصطفاء وظيفة يتم تعيينها بالنص ولا تأتي بالقياس، ولا بالأمانى والأوهام، ولا بقرب النسب ولا بالوراثة، كما لا تعني بحال أن الاصطفاء تمييز في أصل الخلق، وإلا لقلنا إن طالوت هو أفضل من نبي بني إسرائيل وأفضل من داود ولم يقل بهذا أحد.

كما أن الاصطفاء هو تعيين بالنص على أفراد بأعيانهم، ولا يعني بحال أن الاصطفاء هو جعل المصطفى خلقا متميزا بعنصر الخلق، وإنما اكتسب الأنبياء شرف المكانة من شرف المهمة، ولا شك أن اختيار الله لأداء مهمة الرسالة كان لأقرب الخلق إلى الله، كما تكتسب الحجر في بناء المسجد شرف القدر من شرف العبادة التي تقام في المسجد، وتكتسب ورق المصحف شرف القدر من قيمة الآيات التي كتبت فيها، فالمسألة كسبية من شرف الملابس للشريف، وليس الحجر ولا الورق شريفا في ذاته، وشرف الأنبياء بشرف المهمة وهي الرسالة، وكل من تلبس بهذا الشرف وكان إلى الله أقرب كان له قيمة ورفعة، لذلك قال الله: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)⁽¹⁾ .. ولا يوجد دليل من عقل أو نقل بأن أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم وأحفادهم مختارون لمهمة خاصة ولا أنهم تجري فيهم نطفة طاهرة وتتقلب فيهم أنوار نبوة فما الحاجة لنطف نظيفة ومعقمة إذا كانت المسألة اصطفاء لمهمة؟ هذه المهمة يشرف بها حاملها ولا تشرف هي بحاملها .. ثم أين التكليف الإلهية لهؤلاء الأقرباء التي ميزهم الله بها عن بقية الخلق؟

إنه التفكير الرغبي والأمني المجردة عن البرهان (... تلك أمانهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) فصار الاصطفاء يعني الجودة في الخلق، والمكانة الفوقية والتفوقية على بقية العباد، ورتبوا عليها التبرك والتماس النفع والضر كحقوق محفوظة، وأحكام مفروضة، تنتقل كجينات وراثية من الآباء إلى الأبناء .. وبعضهم يذهب به الإسراف في الخيال والخبال والوثنية إلى أن كبير مقامهم وعظيم جاههم قدرى سرمدى من قبل كون الكائنات وخالدة أبدية إلى يوم الدين؟! فأين نجدهم أولا في مقام الذكر إذا كان الله قد امتدح المهاجرين والأنصار في ما يزيد على 100 آية في القرآن فأين (آل البيت) هؤلاء المميزون في القرآن⁽¹⁾؟ كل ما يستدلون بها من آيات قلبت في تأويلهم على وجهها وعلى ما نرى في التالي:

أولا- يستدلون على التطهير والاصطفاء بآية 33 من سورة الأحزاب سموها التطهير قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)⁽²⁾.

وهذه الآية قطعية الاختصاص بنساء النبي- رضي الله عنهن - فالسياق كله يتحدث عن نساء النبي (يا نساء النبي .. يا نساء النبي) حتى قال: (واقمن الصلاة وآتين الزكاة) لماذا يا ربنا؟ قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) أي: يريد أن تكون هذه التدابير التعبدية ومظاهر الصلاح سببا لصلاح نفوسكن، وتطهير قلوبكن، أهل البيت قال: (أهل البيت) أي: يا أهل البيت فالنداء متصل التوجيه والتعليم إلى نساء النبي هن أهل البيت، وأهل بيت الرجل أولى به من يعولهم، لكن أخرجوا نساء النبي منها وتم الاستيلاء عليها كبعض الآيات، واستبدلوا النص القطعي بالظني، وقالوا إنها في علي، وفاطمة، والحسين- رضي الله عنهم أجمعين- بحديث أم سلمة الوارد في أهل الكساء .. واستدلوا بميم الجمع أيضا حيث قال: (ليذهب عنكم) ولم يقل ليذهب (عنكن) خطاب للنساء.

والواقع أن هذا الاستدلال اللغوي ليس باستدلال وجيه .. ففاطمة - رضي الله عنها - أيضا من النساء والميم يصح إطلاقه على النساء إما من باب لغة التعظيم أو لدخول الذكور معهن، قال الله في سارة زوجة نبي الله إبراهيم: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ

1 - لا يوجد في اللغة (آل البيت) بل (أهل البيت) وآل فلان.

2- [الأحزاب : 33].

وَبَرَكَاتُهُ (عَلَيْكُمْ) أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ⁽¹⁾ ولم يقل (عليك) ثم إذا أخرجوا نساء النبي فقد أخرجوا منهن خديجة رضي الله عنها وهي أم الزهراء، فهل ليست خديجة من أهل البيت؟.

2- دخول الأربعة هو إلحاق بفضيلة بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ولذلك حين أرادت أم سلمة أن تدخل في الكساء جذبته رسول الله وقال: "إنك على خير" كما في رواية وفي رواية للترمذي: "أنت على مكانك أنت على مكانك" يعني أنت من أهل البيت، ورواية أصرح منها في مشكل الآثار للطحاوي قال: "أنت من أهل بيتي" يؤكد رواية لأحمد قالت: فقلت: "يا رسول الله ألسنت من أهلك؟ قال: "بلى، فادخلي في الكساء، قالت فدخلت بعدما دعا لابن عمه وابنيه، وابنته فاطمة" رضي الله عنهم جميعاً، يعني أن نساء النبي هن الأصل، فلا يوجد في القرآن نص تضمن الأهل إلا وأريد به نساء الرجل ومن يعولهم، ذلك أن لبيت النبي اختصاصاً تشريعياً كونهن زوجات من شرفه الله بأعظم رسالة، فصرن بهذا الشرف أمهات المؤمنين، قال (وأزواجه أمهاتهم)⁽²⁾ ولهذه المكانة حرم الله زواجهن من بعد النبي، ونسبهن الله إلى النبي مرتين (يا نساء النبي) ولم ينسب غيرهن إليه، وقال بتقدهن (لستن كأحد من النساء)⁽³⁾ وجعلهن مصدر تعليم الناس خصائص بيت النبوة: (واذكرون ما يتلى في بيوتكم من آيات الله والحكمة)⁽⁴⁾ أي اذكرون للناس ما تسمعون من النبي من أحكام القرآن والسنة، وأراد الله رضائهن: (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن)⁽⁵⁾ وهذا مقام رفيع بسبب ملابستهن للنبي عليه الصلاة والسلام، فكان دخول الأربعة إلحاقاً بهذا الشرف، وإلا أين مكانة غيرهن في القرآن حتى يكونوا هم الأصل، ولقد تم رفع سقوف معاني بعض الأحاديث، وتلفيق زيادات أخرى لكي تتجاوز ما نص عليه الله من الفضل لنساء النبي، وليقال أن أهل بيت النبي غير أزواجه، ثم لبيت شعري إذا كان علي والحسنان هم أهل بيت النبي فمن هم أهل بيت علي إذن؟ كيف صاروا هم أهل بيت النبي، ويطرد أهل بيت النبي منه؟ بأي لغة وبأي شرع وقانون؟ بل من هم أبناء علي وذريته إذا كان الحسنان هم أبناء النبي وذريته،

1 - [هود : 73].

2 - [الأحزاب : 6].

3 - [الأحزاب : 32].

4 - [الأحزاب : 34].

5 - [الأحزاب : 51].

فيقولون أبناء النبي وماله أبناء، والله يقول: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ...) (1) فلا يسمى الفرد باسم الأم ولا يقال ابن فلانة ولا بنت فلانة حتى وإن كان الأب مجهولاً يطلق عليه أي اسم مثل (زياد بن أبيه) المعروف، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من ادعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا .." الحديث.

لقد عظموهم بغير سند، ثم يقولون كيف يعقل أن يكون ابن عمه ونسبه ليس أفضل ممن سواهم .. وكيف يعقل ألا يكون أبو لهب عم النبي أفضل من غيره لو كان الموضوع عرق وقربة نسب؟ يحكمون العقول وقد أهملوا العقل والنقل والعرف .. والسؤال يكونون أفضل بماذا؟ متى وأين نجد أن النسب والقرب الأسري وحده معيار تفضيل بدون تقوى الله والقرب من مشكاة النبوة ومنبع الرسالة كما ذكر القرآن، وأين علي وبقية الخلفاء من بيت النبي وهم لهم بيوتهم وأسرهم المستقلة حتى يقال إن عليهم وفي بيوتهم نزل الوحي؟

ثم لو سلمنا تسليم جدل بقول من قال إن آية التطهير كما سموها نزلت في علي، والزهراء، والحسنين، وأخرجنا منها أمهات المؤمنين وهذا محض مجافاة للنص، فإن أحداً من الراسخين في العلم لم يفهم من هذا التطهير في الآية شيئاً اسمه اصطفاء وسمو معدن .. وإلا فإن كل مؤمن مصطفى بما هو أكثر وضوحاً من هذا الاستدلال قال الله: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (3) .. فهاهنا تطهير، وتزكية، وصلاة على المؤمنين من رسول الله معززة بصلاة الله وملائكته في آية من سورة الأحزاب نفسها، تقول: (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (4).

1- [الأحزاب : 5].

2- رواه البخاري ومسلم.

3- [التوبة : 103].

4- [الأحزاب : 43].

وخذ دليلاً آخر في حق تطهير جماعة المؤمنين من الرجس الحسي قال: (... وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ ...) (1) فهذه نحو قول الله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) كيف صار المراد بهذا التطهير العصمة ونقاء عنصر؟ وقال تعالى: (... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (2) ويقول في المتذبذبين في إيمانهم: (... أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ...) (3) فالمراد بالتطهير في كل ما سبق هو التطهير المعنوي قبل الحسي أي تطهير القلوب من النفاق والغل ونحوه، فلا عصمة في الواقع ولا تعظيم ولا تقديس في آيات واضحة الدلالة في مرادها وإنما أريد بها المجاز وهو نقاء السرائر من الأمراض القلبية؟

وأكثر وضوحاً من الآيات السابقة في دلالة تزكية الصحابة قول الله: (... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (4) .. فالله تولى تنقية قلوبهم وتحبيبها للإيمان وتزيينه فيها وتكريه كل مظاهر الانحراف إليها، ولا يجوز أن يقال بهذه الآيات إنهم معصومون ولا أنهم بشر غير البشر، ولو نزلت فيما سموه آل البيت لادعوا الألوهية، وقال في آية أخرى: (... وَأَلْزَمَهُمُ الْتَقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ...) (5) .. فلو صح أن يقال إن هناك معصومين بعد النبي بدليل يمكن حمله معنى العصمة لكان أصحاب هذه الآيات وهم المهاجرون والأنصار.

ثانياً- يستدلون بقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (6).

ويقولون كيف يصطفي الله آل إبراهيم ولا يصطفي آل محمد وقال: (ذرية بعضها من بعض) ونحن ذرية بعضها من بعض؟

1- [الأففال : 11].

2- [المائدة : 6].

3- [المائدة : 41].

4- [الحجرات : 7].

5- [الفتح : 26].

6- [آل عمران 33-34].

والجواب: قال الفخر الرازي في تفسير الآية" وأجمعوا على أن المراد بهذا الاصطفاء إنما هو النبوة"⁽¹⁾ فإن هذا الاصطفاء اصطفاء رسالي لا سلالي، اصطفاء لشجرة متصلة من أنبياء بني إسرائيل .. قال إبراهيم وآل عمران سلسلة أنبياء .. ولذلك لم يقل إن الله اصطفى آل آدم، وآل نوح لأن سلسلة آل إبراهيم وآل عمران متصلة من النبوة، ولم يكن من نسل آدم ونوح هذا الاتصال النبوي المباشر .. فأما آل إبراهيم فهم إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب ويوسف .. وآل عمران هم موسى وهارون ومنهم جاءت ذرية أنبياء بعضهم من بعض، داود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى ولذلك قال: (ذرية بعضها من بعض) لأنهم أنبياء أيضا ذكرهم الله بآيات مفصلة من آدم ونوح ومن جاء بعدهم قال المولى تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)⁽²⁾.

وإن كان الجميع يعودون إلى أبي البشر الصغير نوح عليه السلام قال الله: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ...) ⁽³⁾ غير أن ذرية إبراهيم متصلة بالنبوة، ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء فلا اصطفاء من بعده لأحد.

ثالثا- أليسا عمران هو أيضا من ذرية إبراهيم لو كانت المسألة ذرية فقط، فلماذا قال: (وآل عمران) ؟ الجواب: لوجود تفرع نبوي اصطفائي جاء في تفسير روح البيان: "آل عمران وهو موسى وهارون"⁽⁴⁾.

رابعا- لو كان المراد بهؤلاء الآل الذين اصطفاهم هم مطلق الذرية، لكان شارون ورايين ومنتياهو تجري فيهم أيضا النطفة الطاهرة .. وأنهم داخلون في دعائنا في صلاتنا كل يوم "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .. الخ". سيقال .. كيف ذلك وليسوا بمسلمين؟ .. والجواب فبالله استحلفكم كيف جاز أن يصير أبناء سلسلة من الأنبياء كفارا ملعونين وكانوا مطهرين من الرجس طينتهم خاصة وجيناتهم نورانية

1 - (تفسير مفاتيح الغيب 13/151).

2- [الأنعام : 84 - 86].

3- [الحديد : 26].

4 - تفسير روح البيان لأبي الفداء المتوفى : 1127هـ - دار الفكر - بيروت 25/2.

تتقلب في أصلاب الأرحام؟ كيف يفضلهم ويطهرهم ويزكيهم ثم تنتهي أسطورة التميز هذه وتتبخر الجينات، فنجد الله يلعنهم، ويغضب عليهم، ويجعل منهم القردة والخنزير وعبد الطاغوت؟ هل ذلك إلا لأنهم بشر كالبشر، فعصوا وبغوا كبقية البشر وقتلوا أنبياء الله وحرفوا دين الله فحق عليهم ما يحق على أي إنسان .. ولو كانوا مطهرين ومن طينة مختلفة لما انتهوا إلى هذا المآل، وكل من يفعل فعلهم ويدعي ادعاءهم ويتكبر تكبرهم فهو مثلهم ملعون ومطرود من رحمة الله، لا جينات ولا وساطات، ولا ما يظنون قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)⁽¹⁾.

ثم من قال إن (الآل) يطلق على الذرية، الذرية تعني نسل الرجل، وإلا لصح أن يقال عنا آل آدم، ولكن الله سمنا ذرية آدم وأبناءه .. فالآل هم في المصطلح القرآني بشكل أرجح الأتباع، أما قول الله (ذرية بعضها من بعض) في أنبياء بني إسرائيل فلأنهم أنبياء من نسل رجل واحد، صح أن يقال لهم ذرية وآل.

خامسا- يستدلون بحديث ورد في صحيح مسلم وغيره عن واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

وبهذا الحديث يقولون نحن من بني هاشم، وبنو هاشم اصطفاهم الله فهم خيار من خيار. **والجواب:** لا وجود للفظ فأنا خيار من خيار في الأسانيد الصحيحة، أما الاصطفاء فالمراد الاختيار، وليس التفضيل وإلا فالكل كانوا كفارا ومشركين، فكيف يصير كفر أفضل من كفر والكفر ملة واحدة؟ وعلى تفسير الروافض الذي يجر إلى تطهير وعصمة، كيف يكون كفارا مطهرا ومعصوما وهو يسجد للأصنام ويفعل الموبقات؟ (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)⁽²⁾ قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: "وأما من لم يسلم فلا اعتبار له سواء كان شريفا أو مشروفا"⁽³⁾ ثم إن على أيدي قريش يكون هلاك الأمة كما جاء في البخاري "هَلَاكُ

1- [الحديد : 26].

2- [آل عمران : 164].

3- فتح الباري (530/6).

أُمَّتِي عَلَى يَدَيَّ غُلْمَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ" وكان من ألد أعداء الدعوة عم النبي أبو لهب وبهذا تصطدم نظرية الاصطفاء مع النقاء الجيني والتوارث السلالي.

سادسا- يستدلون بحديث سمّوه (التقلين) جاء بصور وزيادات مختلفة لا حصر لها .. منه هذه الصيغة التي أوردتها الترمذي "تركتم فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي".

فهذا الحديث بهذا اللفظ هو الثالثة الأثافي، وأحد بوابة الشرور والفتن كلها بين السنة والشيعية، ليس لأننا نحسدكم عليه كما يقولون بل لأنه قصم ظهر الإسلام بزيادة ضعيفة منكورة تخالف القرآن وعشرات الأحاديث الصحيحة هذه الزيادة هي قوله (لن تضلوا) غير صحيح مسلم وكلها مروية عن زيد بن أرقم وأبي سعيد، وحذيفة بن أسيد ونفس الموقف النبوي جاءت بعدة صيغ وزيادات مقحمة قال أبو حاتم في الزيادات منكر وقال الذهبي ليس بشيء .. فكيف جاءت الزيادة التي ذكرت كتاب الله وألغت رسول الله وحلت محله عترته؟ إن لم نقل إنها أفحمت عمدا، أو على محمل آخر وهو أنها دخلت بسبب اللبس بأحاديث تقول "تركتم فيكم كتاب الله إن تمسكتكم به لن تضلوا" .. ولا وجود فيها لعترتي ولا أهل بيتي مثل حديث خطبة الوداع " وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد إنك قد بلغت." (1)

أما أنه يقصم ظهر الإسلام فلأنه معارض للدين كيف يصبح الأهل أو العترة مصدر تشريع إلى جانب القرآن بدل رسول الله؟ فإن قيل بل هم سيبلغون عن رسول الله.

فالجواب: هذا يعني أن حصر الدين بات في سلالة وهو ما لا نجده في كتاب الله، فخطاب التكليف لحفظ الدين ونشره مفتوح لعموم المسلمين؟ وعدل القرآن هو السنة وليس العترة هذا ما نجده في عشرات الآيات قال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (2) وقال في نحو 12 آية: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) قال والرسول وليس أهل البيت، فإذا كانت طاعة الله في الأخذ بما جاء في كتابه فإن طاعة رسوله في الأخذ بسنته، فكيف صار أهل بيت النبي عدل القرآن كما صاروا يزعمون؟ وكيف سقط رسول الله من

1- رواه مسلم.

2- [الحشر : 7].

حسابهم الذي قال لنا الله: (وإن تطيعوه تهتدوا)⁽¹⁾ الجواب: هو هذه الزيادة المدرجة حتى صاروا يحاربون سنة رسول الله لأنها تعارضهم كعدل للقرآن؟ ومن عجيب التلاعب بحديث الثقلين أن تجد بعض الروايات تقول: " لا تَقَدِّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم" كيف يكون تعليم الناس للقرآن؟ لا تدري. ولا يخلو أن تجد في الزيادات المنكرة راويا شيعيا مغاليا.

أما الرواية الصحيحة لحديث الثقلين فهي المثبتة في صحيح مسلم التي نصها: " أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به " فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: " وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ".

قد يقال: حسنا فالثقل الثاني معناه عدل القرآن. فلم يذكر سوى القرآن وأهل بيته.

الجواب: وهذا وهمٌ عظيم وقعوا فيه، فالحديث دعا فقط إلى التمسك بالقرآن (فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) وليس بأهل البيت .. والتمسك بالقرآن يعني استمسكوا أيضا بالسنة التي أمركم القرآن في عشرات الآيات باتباع هدي النبي، وهذا يكفي من القول وسنتي؛ لأن متى تمسكنا بالقرآن ففيه وجوب اتباع النبي .. من هنا فإن طلب التمسك بكتاب الله يعني بأوامره التي منها اتباع سنته، والتي لها أحاديث أخرى صحيحة مثل: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" الذي رواه أحمد .. وأحاديث تحث على اتباع السنة كما في حديث البخاري "من رغب عن سنتي فليس مني" ..

قد يقال فلا يزال أهل البيت ثقلا رغم ذلك.

الجواب: ما معنى الثقل هنا أولا؟ معناه الحمل الذي يتقل على صاحبه، وهي الأمانة فقد وصى رسول الله المسلمين بالقرآن وأهل بيته كأمانة .. أما القرآن فباتباع هديه، وأما أهل بيته فببرهم وعدم إيدائهم، فقله: (وأهل بيتي) منصوب بفعل دل عليه ما بعده أي؛ أذكركم الله أهل بيتي .. وإنما وصى المسلمين بهم لما وجد من قالة قيلت في علي عند العودة من حجة الوداع فالقد بعث النبي علياً أميراً على جيشٍ إلى اليمن، فوقع بينه وبين بعض من معه من الجيش

جفوة وخلاف، وقد أكثروا من الشكوى منه عند النبي. قال البيهقي بعد أن شكك في صحته: والمراد به: ولاء الإسلام ومودته، وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضا ولا يعادي بعضهم بعضا " (1) وسيأتي مزيدا من الرد على نظرية الولاية.

وقد يكون التذكير بهم لأنهم ربما يكونون رعايا تحت حكام لا يؤمن جورهم بسبب التزامهم على السلطة، وقد حدث فعلا في محاربة معاوية لعلي والحسن من بعده واستشهاد الحسين في حكم يزيد بن معاوية على يد عبيد الله بن زياد واليه على البصرة ثم على الكوفة، وقد حدث ذلك بسبب جور السلطان وبسبب خذلان أهل العراق لهم، الذين تنكبوا أيضا لوصية النبي في أهل بيته، ولو كان النبي يعلم أن الحكم لبني هاشم أو لعلي وذريته، لوصاهم بالمسلمين وليس العكس، فالنبي دعا إلى عدم إيذائهم ظلما وعدونا، وهذا حق على المسلم ألا يلحق الأذى بأخيه المسلم.

ولا يفهم من هذا التذكير اختصاص بسيادة ولا بشرف رياسة، ينسحب على كل من وصيت به من ولي أمره، فقولك أذكرك بأخيك يعني احفظه ولا تتاله بسوء، ثم إن الأمر متعلق بأهل بيته المرتبطين به سكن ووحيا وتشريعا ورحما، لا بأهل بيوت زعماء سلالة لم يعد لهم علاقة ببيت ذهب إلى الله ساكنوه فـ(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت) وليس لغيرها كسبها.

كذلك في حديث الثقلين تذكير بعدم إيذاء أهل بيته وهو الطعن في نساء رسول الله الذي لا يزال بيئا حتى يومنا هذا، فأهل بيت علي -رضي الله عنه- لا يوجد من ينالهم اليوم بأذى من طعن أو نقيصة كما يفعل الروافض الناهشين في عرض رسول الله واستمرار عصابة الإفك أحفاد رأس النفاق عبد الله بن أبي في النيل من أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- فمصاديق الحديث أصدق في نساء النبي وأظهر، فقد كان يعلم رسول الله يعلم أن عرضه سيتعرض للطعن والتشويه سواء من الروافض أو حتى من أهل الكتاب وأدواتهم مثل سلمان رشدي وأصحاب الرسوم المسيئة والأفلام المغرضة .. وما سوى هؤلاء (الأربعة ونساء النبي) لا يكون من ذرية بني هاشم المتتابعين أهل بيت رجل توفي قبل مئات السنين، فأهل

1 - الكتاب : الاعتقاد للبيهقي -تحقيق- أحمد عصام الكاتب - دار الآفاق الجديدة - بيروت ط1- 1401هـ.

بيت الرجل كما سبق هم من يسكنون معه في بيته ويعولهم، وربما سماوا آل بيت النبي في عهده، ف(الآل) وليس (الأهل) قد يطلق على العشيرة كما يطلق على أهل الملة.

سابعاً: يستدلون بالصلاة الإبراهيمية في الصلاة (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ... الخ على أنها دليل اصطفاؤهم إذ كيف يختصهم الله بالصلاة في التشهد دون سائر الناس؟

الجواب: هذا أيضاً وهم، فال محمد غير أهل البيت.

1- لأن الآل لا يضاف إلى الجماد، فغير صحيح قولهم آل البيت بل أهل البيت، لأن البيت جماد يضاف إليه الأهل نقول في الجماد: أهل اليمن، وأهل الحجاز، أهل الدار، وآل يضاف إلى الأعلام آل فرعون، وآل إبراهيم، وآل عمران، وآل محمد وآل رشيد، ولا يقال آل اليمن وآل مصر وآل الجيران بل أهل.

فآل محمد ليسوا أهل البيت بل هو لفظ أعم، قد يطلق على العشيرة يقال نحن آل فلان، كما نصت على ذلك أحاديث تحريم الزكاة على آل محمد، وكذا يطلق آل الرجل على أتباع ملته، قال الله (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب)⁽¹⁾ ولم يكن لفرعون سوى زوجة وبنت كما هو مشهور، والراجح أن المراد بالآل في الصلاة الإبراهيمية هي أمته كلها، دليل ذلك قوله تعالى: (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)⁽²⁾ أي ادع لهم بهذا الدعاء، أما أن الله يصلي على أتباع ملة نبيه ففي قوله تعالى: (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور)⁽³⁾ ونحن نصلي على النبي بقوله: (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)⁽⁴⁾، فهذا جماع تفسير الصلاة الإبراهيمية، وإلا لكانت صلاة عنصرية لا مناسبة لها لأصل جنس بعينهم، وبالتالي نصلي في كل صلاتنا على من ليسوا له تبع قال العلامة نشوان الحميري:

آل النبي هم أتباع ملته** من الأعاجم والسودان والعرب
لو لم يكن آله إلا قرابته** صلى المصلي على الطاعي أبي لهب

1- [غافر : 46].

2- [التوبة : 103].

3- [الأحزاب : 43].

4- [الأحزاب : 56].

وقد استدلينا في غير ما موضع على أن قرابة الدين هي المقر بها اعتبارا واختصاصا، وقيمة، ورفعة، في القرآن: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا) فقط لا غير، وقال على لسان إبراهيم: (فمن تبغني فإنه مني) .. وقال صلى الله عليه وسلم "إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا"⁽¹⁾ وجاء في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول: "إن آل أبي - قال عمرو: في كتاب محمد بن جعفر بياض - ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين" وروي عنه بزيادة «ولكن لهم رحم أبلاها ببلاها» يعني أصلها بصلتها قال أبو عبد الله: «ببلاها كذا وقع، وببلاها أجود وأصح»⁽²⁾.

وإن ادعاء التميز السلالي لما أسموه بآل البيت والمراد ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه هي كذبة كبرى، ضخمة لصوص النصوص في عقول الناس عن طريق التمسح بنصوص ظنية وتحريف وقلب أوجه دلالات نصوص أخرى، ولو قيل يجب أن نحب العباسيين ونبرهم لم يكن لذلك معنى عند الناس، ولو قيل أمرنا الله بحب وبر نساء النبي لم يزد على أن ذكر بحب جزء من مجتمع النبي وصحابته بدون اختصاص وتقصد فتوي، ولكن عندما يقال نحب (آل البيت) صار لها معنى تعديدا وإنما هو صناعة عمد إلى تعميقها التنظيم السلالي العالمي لكي يستأثرون بتبعية الناس وتوجيههم لطاعتهم.

نعم النسب العضوي في الأنساب موجود، لكنه رابط لمعرفة حدود مصالح الدنيا، وأعلى منه نسب الدين فهو رابطة هدف وغاية تتصل بمهمة الاستخلاف، فإن اجتمع نسب القرابة بالدين فذاك، وإلا طرح فلا تزواج، ولا ميراث، ولا حقوق بين كافر ومؤمن، إلا طاعة الوالدين في غير معصية الله .. من هنا فجميع المؤمنين السابقين واللاحقين ومنهم وعلى رأسهم أهل البيت هم آل النبي بشكل عام.

ثامنا - على أن الخطورة تكمن في أن القول بوجود خلق متميز ومتفوق، باسم التطهير بغير الطاعة المحضنة نوع من الشرك بالله فمعناه أن الله قد خلق معه أندادا استوجبوا الرفعة لعلو ذاتهم وتميز خصائصهم، وبما أنهم متميزون فيعني أن لهم قدرات ليست لبقية الخلق، إذن من حق بقية الخلق أن يديروا ظهورهم للخالق ويولوا وجوههم شطر هؤلاء الذين خلقهم

1 - (رواه أحمد) وفي صحيح مسلم.

2 - ورواه مسلم وقد أورد ابن العربي قوله آل بني فلان آل أبي طالب.

متميزين ومتفوقين، إذ لا بد أنهم يتميزون بأفعال وصفات تفوق بقية البشر، فلم أن يسألوهم قضاء الحوائج وجلب النفع ودفع الضر .. وهكذا يكون الله بخلق عنصر متفوق قد أشرك نفسه بآلهة حق لها أن يستغاث بها ويطلب منها النفع والضر، وإلا ما قيمة هذا التفوق إذن، والذي يملك يعطي من لا يملك .. مثل الطبيب رغم أن بقية الناس ممكن يتعلموا الطب إلا أنه يكفي أن تتوفر القدرة لدى البعض ليستفيد البقية منها .. وهكذا يتضح الاستحالة على الله أن يخلق أناسا متميزين جينيا أو مطهرين بأصل الخلق لأنه حرم أن يشرك به شيئا، وجعله أعظم كبيرة فكيف يحرمه ثم يحله باسم التفوق .. أما الاصطفاء الرسالي فهو الاختيار من موجود للقيام بمهمة مثل الرسالة كما سبق، لذا قال الله لتأكيد بشرية النبي وأنه لا يختلف عن الناس إلا بأداء هذه المهمة (قل إنما أنا بشر) لم يكنف بالقصر ب (إنما) بل أكدها بقوله (ماتكم) والفرق فقط في مهمة أنه (يوحي إلي) وبمحمد عليه الصلاة والسلام انتهت الرسالات (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) فلا نبي بعده، وأما العصمة فهي لحفظ الرسالة من القصور البشري منصوص عليها للأنبياء، ولا عصمة بعد إكمال الدين وإتمام النعمة .. ولا يصح أن يقال: إن الأئمة ليسوا شركاء الله وأنهم لا يقدرّون على فعل شيء إلا بإذن الله لتبرير شركهم، بل بهذا الاعتقاد في التميز يكون معناه أن الله قد قبل به ابتداء ووهب لغيره الشراكة، ورضي بوجود ند له يمتلك بأصل تكوينه ما لا يمتلكه البشر من القدرات، أي أن هناك شركاء لله لكن بإذنه ورضاه؟؟ ولا يستقيم.

وللأسف بالفعل الذين صاروا يعتقدون أنهم أرقى ومختلفون عن غيرهم، صاروا والناس من حولهم يظنون أنهم يمتلكون من القدرات ما لا يملكها البشر العاديين، فيستغيثون بهم ويشركونهم بالدعاء من دون الله، ويرجون رضاهم ويخشون سخطهم، وصار هؤلاء الأئمة الوثنيون يعطون العامة الرقى والتمايم ويطلون عليهم البركات، ومنهم من ييصق في إناء العامة بركة منه، ومنهم من يمنحهم بركة التمسح به وبأقدامه ومتعلقاته، أما الطواف حول قبورهم والسجود أمامها كما تفعل القرامطة فحدث ولا حرج .. وهذا الشرك أول بوابة الخروج من دين الله، الذي أراد أن يصل إليه أعداء الإسلام .. ولقد كان في ادعاء إبليس التفوق على آدم نفس هذا البعد، قال (أنا خير منه) ، إذ الخيرية الذاتية بدون طاعة الله تعني استحقاقا آخر للأعلى على الأدنى فالمسألة لا تتوقف عند معصية رفض السجود مجردة، بل سجود الأعلى

برأيه للأدنى فيه انعكاس للمقامات، إذ حق إبليس بهذا الفهم أن يسجد له آدم وليس العكس، فأبى الله هذا التكبر وأغلظ له العقوبة، وهنا تأملوا جيدا قال: (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج إناك من الصاغرين)⁽¹⁾ قول الله (فما يكون لك أن تتكبر فيها) ، يعني ما يحق لمخلوق ادعاء أنه كبير على الآخر بأصل الخلق، ولا يكون في الجنة متكبرا، فطرده منها طردا احتقارا له، و(تتكبر) يعني تتعالى على أمر الله وعلى من سواك، ولطالما ذم الله الكبر والمتكبرين في كتابه، ثم حكم عليه بأنه من (الصاغرين) ، فمآل التكبر التحول إلى ضده وهو الوضع الحقيير، لأنه عصى الله، ونازعه في صفة من صفاته وهي الكبرياء، والجزاء من جنس العمل .. وهذا سر معنى أن الله يحشر المتكبرين يوم القيامة أصغر من الذر تطوهم الخلائق بأقدامها .. ويفسر سر خصوصية عذاب الله لبيبي إسرائيل الذين ادعوا التفوق على الغير، واعتقدوا أن الآخرين خلقهم الله في محبتهم لاستعبادهم، فلم يرسل عليهم الريح ولا الصيحة، بل ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، ومسخهم إلى قردة وخنزير، وهذا النوع من العقوبة الخاصة فيه احتقار وازدراء لهم لأنهم تكبروا على خلق الله فجعلهم من الصاغرين.

تاسعا- لقد ذكر الله المهاجرين والأنصار في عشرات الآيات وما لهم من الفضل والمنزلة، وذكر الله التابعين لهم بإحسان وأنه رضي عنهم ورضوا عنه، وذكر نساء النبي في آيات جليلة وقال (لستن كأحد من النساء) وذكر الله أمة محمد بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وأنه جعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس وهذه فضيلة إضافية، وأنه اجتباهم، وذكر عموم المؤمنين بأنهم خير البرية، والسؤال الذي يقفز هنا: أين (أهل البيت) المراد بهم علي وذريته عند الشيعة في القرآن الكريم؟ إن لم يكونوا جزءا من عموم الصحابة بلا مزية ولا اختصاص، والواقع أنهم في التصور الشيعي حالة تضخيمية ناتجة عن أفكار رغبة تسلطية، لماذا لا يحسم الله أمرهم في آيات صريحة محكمة؟ فإذا سألنا الله عن ولايتهم وتقديسهم يوم القيامة كان عندنا من الله برهان.

ختاما: علاقة الناس بالأنبياء والرسول هي علاقة مصدرية غذاء القلب وإنارة العقل لعبادة الخالق، وليس علاقة مصدرية الجهاز التناسلي وغذاء الذرية وتمييزها وكأنهم هدف

الاستخلاف الذي تركز على مفهوم عبادة الله، وهذا الفكر السلاي امتهان لمعنى الرسالة
الإلهية وقدسيتها.



الشبهة (45)

حقيقة اختصاص أقرباء النبي بالمودة

- يقولون إن الله اختص في كتابه العزيز أقرباء النبي بالمودة فلماذا تردون كلام الله؟

الجواب:

قال تعالى: (... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ...) (1) للآية تفسيران ليس في أحدهما اشتراط حب أقربائه مقابل تبليغ فهذا أبعد ما يكون عن القصد.

الأول: لا أسألكم عليه أجرا ولكن إذا كان لي حق صلة القرابة فامنعوني كما كنتم تمنعون أحدكم إذا وقع عليه الظلم والبغي من العرب ولا تؤذونني، روى ابن جرير، والطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال في تفسير قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) "قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم، ولا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي فيكم".

وفي تفسير المنار تجلية أخرى: " وإنني اكتفي منكم بالمودة، وأقلها أن لا تعادوني ولا تؤذوني، وأعلاها أن تمنعوني وتحموني ممن يؤذوني" (2) وقال القرطبي: " (القربى) هاهنا قرابة الرحم، كأنه قال: اتبعوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوّة " (الجامع لأحكام القرآن).

ذلك أن ما من بطن في قريش إلا ولسول الله فيه قرابة" كما ورد عن ابن عباس بمعناه، وقد كان المعهود عند العرب الانتصار لذوي الرحم، وأرادها رسول الله نصرته في الخير إن لم يسلموا، وعليه فالاستثناء منقطع "ليس باستثناء متصل بالأولى حتى يكون ذلك أجرا في مقابل أداء الرسالة" (3) فليس المراد لا أسألكم على دعوتي إياكم أجرا إلا أن تؤذوني لقرابتي منكم .. بل المراد لا أسألكم عليه أجرا البتة لكن انصروني لقرابتي منكم كما كنتم تنتصرون لبعضكم البعض ذلك أن التجرد شعار الأنبياء جميعا.

الثاني: لا أسألكم عليه أجرا لكني أبتغي نفعكم فأخذ بحجزكم من أن تتساقطوا في النار لأن للقرابة حق النصح في الخير، فإذا كان من نفع حقيقي في الدعوة فهو لقريش نفسها قال

1 - [الشورى 23].

2 - محمد رشيد رضا.

3 - انظر تفسير البغوي.

تعالى: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (1) أي هو عائد عليكم في النهاية، وفيها من بُعد الوفاء لقومه والرحمة بهم ما لا مزيد لمستزيد، كأنما يقول إن كنتُ أريد أخذ أجر مقابل دعوتي إياكم فهو أن تدخلوا الجنة وتتجوا من النار، على إيدائهم إياه، ولا يأتي توجيه كهذا إلا من رب رحيم لصاحب الخلق العظيم، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري في تفسير هذه الآية قال: "يريد بالأجر ما أراد في قوله تعالى: (قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً) (2) وفي قوله: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) لأن اتخاذ السبيل إلى الله، نصيبهم وما فيه نفعهم" (3).

ونجد الخطاب يتكرر على مستوى خطاب النبي التجريدي الذي يؤكد انتفاء حظوظ النفس ومصالحة الذات من دعوة الناس إلى الله، وفي أكثر من آية من ذلك: (قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكر للعالمين) (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين) (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) كلها تفيد توكيد نفي أي أجر ذاتي على التبليغ لا حبي وتمجيدي ولا حب أهلي وقرابتي.

ذلك أن أي دعوة إصلاحية وعلى رأسها دعوة الأنبياء لا يستقيم معها سوى مبدأ التضحية الدنيوية ونكران الذات، التي تعزز من مصداقية صاحبها، وينهي ازدواج المصالح بين الفرد والمجموع، وأي مصلحة ذاتية فهي المطعن التي بها تُرفض وتُلفظ الدعوة وينظر إليها كحيلة وصولية غير بريئة، لذلك قال حبيب النجار لأهل القرية: (اتبعوا من لا يسألكم أجراً) كشرط لا غنى عنه لتصديق الدعوة، وليس تذكيرهم بقرابته منهم وقرابته منه إلا لمصلحة الدعوة في الحفظ والمدعو بالآخرة وليس مصلحة الداعي بالدنيا.

قال الزمخشري: "ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول؛ لأن شأنهم النصيحة، والنصيحة لا يمحّصها ولا يمحّصها إلا حسم المطاعم، وما دام يُتوهم شيء منها لم تنفع ولم تتجح" (4).

من هنا لم يكن عجباً أن يتكرر الحديث عن صفة التجرد هذه على لسان نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط عليهم الصلاة والسلام في قول الله: (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين).

1 - [سبأ : 47].

2 - [سبأ : 47].

3 - تفسير الكشاف.

4 - الكشاف (402/2).

كما جاءت بصيغ أخرى مختلفة، وفي سور متعددة، وبما من شأنه تأكيد التجرد من التوظيف الدعوي لجر قيمة اعتبارية، أو مالية، أو جاه أو منصب، أو معنوية كاشتراط المودة لذات المودة سواء للنبي أو لعشيرته أو لمن يحب، بما في ذلك الولاية العامة وتولي السلطة لمن جعل هذه الآية من ضمن أدلة اختصاص ذرية أقربائه بالحكم، فلم نجد نبيا واحدا دعا قومه إلى توليته مقاليد الحكم، مع أن ذلك ليس مُحَرِّمًا على الأنبياء، لكنه لم يكن الغاية ولا الهدف، بل الغاية والهدف هو تعبيد الناس لخالقهم وحده: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ...). هذا هو مدار خطابهم وجوهر دعوتهم.

ولما احتاج بنو إسرائيل إلى ملك يقودهم وفيهم النبي صموئيل لم يتوجوه ملكا عليهم، ولم يطلب هو أن يكون ملكا عليهم، فلو كانت النبوة تجر إلى حق الإمامة لكان هو أولى بها، ولقد ذكر الله لنا ذلك للعبرة، قال: (ألم تر إلى الملاء من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ...). فسأل النبي ربه ذلك، فبعث لهم ملكا ليس أيضا من أسباطهم، ولا من أغنيائهم بل دباغا يعمل الآدم من عامتهم وهو طالوت، فاحتجوا أن يكون من عامة الناس، وقالوا أنهم أحق منه بالملك، فرد عليهم نبيهم بأن الله فضله عليهم .. بماذا؟ بمؤهلات الحكم، وهي العلم بتدبير شؤون القيادة وبالبنية الجسمانية القادرة على حرب جالوت: (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) وقبله قدم يوسف عليه السلام نفسه للوظيفة بمؤهلات إدارية (إني حفيظ عليم) أي عندي مهارة في التخزين وعندى الأمانة، و(عليم) بهذا الجانب ولم يقل إني ابن سلسلة من الأنبياء .. ثم ختمت الآية بالرد على أبناء الأسباط الذين قالوا: (ونحن أحق بالملك منه) ليقرر أنه تعالى طلق التصرف في ملكه: (والله يؤتي ملكه من يشاء ...). فهو يعطيها من يشاء وينزعها ممن يشاء بدون تقييد، وإن كان قد وعد أحدا بملك وتمكين فهو للذين آمنوا وعملوا الصالحات بصيغة العموم: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ...). فالإيمان والعمل الصالح هو الضابط، وليس التمكين صكا قَدْرًا لنوع الجنس، بل لنوع العمل: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ولما طلب أبونا إبراهيم - عليه السلام - أن تكون الإمامة مطلقة في ذريته أبى الله ذلك؛ لأن الإطلاق تقييد لسلطانه، ولأنه سيدخل في الاستخلاف العادل والظالم: (... قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين).

وإمعانا في نفي النفع المالي حُرِّمت الزكاة على عشيرة النبي ومواليهم، كما حرم على ورثته ميراثه من بعده، ففي الصحيحين عنه صلوات الله عليه "لا نورث ما تركناه صدقة" فحُرِّمت نساؤه وبناته من ميراثه المادي، لنفس السبب وجعل لنسائه وبناته نصيبا مما يأخذه

بجهاده وتضحيته وهو الأنفال، فينتهي بذلك الاختصاص المادي والمعنوي، وتبقى عالمية الدين مفتوحة محررة من الأسرية فلا فضل ولا مزية إلا بالعمل: (ولكل درجات مما عملوا). وهنا يلفت الانتباه تساهل قلة من المفسرين فربما أتوا بالتأويل المدعم بصحيح النقل والعقل كتفسير آيتنا هذه: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ...) ثم يلمون إلى جانبها ما بقي من آراء شاذة وأخبار موضوعة، وتوجيهات تصادم ما توارد من النصوص، فقالوا من معانيها: لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوا قرابتي .. فكيف يستقيم أن يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرة على دعوته أيا كانت تلك الأجرة؟ فلا مقايضة بالتبليغ لا بحب أقربائه ولا بحبه هو .. قال الطاهر بن عاشور (الهاشمي) رحمه الله: "وما فسر به بعض المفسرين أن المعنى: إلا أن تودوا قرابتي تليفق معنى، عن فهم غير منظور فيه إلى الأسلوب العربي، ولا تصح فيه رواية عن يعتد بفهمه" (1).

ولربما حمل على هذا التأويل من المحامل ما لا يحتمله الدين، ولو كان في هذا الاختصاص فضيلة تعبدية، أو كان لذرية بنت النبي أهمية دينية فقد كان أحق الناس به نسبا وميراثا وصلة رحم أبناؤه الذكور وذريتهم، لكن الله قبضهم وهم في سن الطفولة، حتى يجنب هذه الرسالة العالمية مظنة الفردية والأسرية، والاعتقاد بالتميز السلالي كما اعتقد بنو إسرائيل فقادتهم إلى انحراف كبير في التصور، فحسم الله ذلك بأن أخذ عقب النبي عليه الصلاة والسلام؛ لتتمحور الأمة حول الدين لا حول الطين، حول الخالق لا حول المخلوق، وهذا ما نص عليه بقوله: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) فهل كان على الله أن يقبض أيضا أبناء قريش ونسلها لتنتهي شبهة القرابة وجدلية الحق الإلهي التي استهلكت حياة الأمة بسلسلة من الصراعات الدائمة التي لم تنتهي؟.

ثم إن النبي لا يملك أن يهدي من أحب (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) فقد ذهب ابن نوح إلى النار، وأبو إبراهيم إلى النار وزوجة لوط إلى النار، وعم محمد إلى النار، فليس في القرب من النبي مزية بذاتها على الإطلاق ولكنه العمل فقط لا غير.



الشبهة (46)

ما اخص به أقرباء النبي دون سائر المسلمين

- إذا كان للنبي مكانة الحاكم بين المسلمين فلماذا لا يكون لأقربائه مكانة وتقديم على غيرهم في المسؤوليات؟

الجواب:

قد نلاحظ تشددا أكثر في إلزام قرابة النبي في خدمة الدين وتمثل القدوة الصالحة، مثل تقديم عشيرته أكثر من غيرهم للمبارزة في الحروب .. وتحريم الصدقة عليهم ومواليهم .. وتحريم ميراث النبي على ورثته .. ومثل اختصاص نساء النبي بمسائل من مثل ذكرهن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة، وأن يقرن في بيوتهن، وأن يبالغن في الستر، ولا ينكحن زواجا غير النبي من بعده، ولكننا لا نجد اختصاصا دنيويا لقرابة النبي في شيء وهذا ما يمكن ملاحظته في التساؤلات التالية:

- لماذا أعطى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مفتاح الكعبة لعثمان بن طلحة بن شيبه عند فتح مكة، ولم يختص به بني هاشم ورفض عرض عمه العباس - رضي الله عنه - أن يكون بحوزة بني هاشم؟

- لماذا ذكر الله في كتابه الكريم نساء النبي بالثناء، ولم يذكر بناته إلا في معرض حكم الحجاب، ولم يذكر أحدا من أقربائه إلا عمه أبا لهب، الذي وعده بدخول النار دون أن يذكر أبا جهل بذلك وهو رأس الكفر.

- لماذا قبض الله إبراهيم ابن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يكتب له الحياة كما كتبها لأبناء أنبياء كإبراهيم، إسماعيل، وإسحاق عليهم الصلاة والسلام؟

- لماذا جعل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعفر الطيار، تاليا لزيد بن حارثة المولى غير القرشي في قيادة المسلمين في غزوة مؤتة، وجعل جعفرا تاليا له؟

- لماذا أمر رسول الله أبا بكر من بني تيم أن يصلي بالناس أثناء مرضه ولم يأمر أحدا من أقربائه الهاشميين بهذا الشرف؟

- لماذا أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا بكر ولم يؤمر علياً ليؤم المسلمين في حجة في آخر حجة في حياة النبي، ولما لحق به علي - رضي الله عنهما - لإعلان آية البراءة من المشركين، قال له أبو بكر: أجنئت أميراً أم مأموراً؟ قال بل مأموراً.

- لماذا أشار المولى تعالى إلى صحبة أبي بكر في القرآن الكريم ولم يذكر فدائية علي الذي نام على فراش النبي - صلى الله عليه وسلم -؟.

- لماذا دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - الكعبة عند فتح مكة هو وبلال وأسامة بن زيد بن حارثة، اللذان كانا عبيدين في الجاهلية، ولم يدخل معه أحد من أقربائه في هذا الشرف وفي هذا اليوم المشهود؟

- لماذا ذكر الله المهاجرين والأنصار في عشرات الآيات في القرآن الكريم دون أن يذكر بني هاشم ولو لمرة واحدة، لو لم يكونوا جزءاً من الصحابة؟

- لماذا كان النبي يقدم أهله حين الفزع ويؤخرهم عند الطمع، فقدم للمبارزة في بدر علياً، وحمزة، وعبيد بن الحارث وكلهم هاشميون، وبرز علي لعمر بن ود وهو شاب صغير وعمر بن ود فارس العرب.

- لماذا حرمت الزكاة على بني هاشم في عهده وجعل رزقهم من خمس أنفال الجهاد الذي فيه مصابرة ومرابطة وبذل الجهد؟ ومنع النبي تقسيم تركته في أهله وقال - نحن الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة؟

- لماذا عندما دعا رسول الله نصارى نجران إلى المباهلة دعا علياً، وفاطمة، والحسين؛ ليكون هو وأهله عنوان التضحية من طرف المسلمين أمام وفد نجران، والمباهلة تعني أن يدعو النبي والنصارى الله تعالى أن يهلك الكاذب من الفريقين بعد جدال بينهما، فلماذا لم يدع من الأبعدين لمقام التضحية هذه؟ لماذا لماذا؟

- لماذا انتصر معاوية على علي بن أبي طالب وعلي أفضل من معاوية وأعظم درجة ومن أهل السابقة ولم يكن ينكر معاوية هذا رضي الله عنهما؟

هل لأن الهاشميين وأقرباء النبي أقل مكانة؟ لا. بل مكانتهم عند الله وعند الصحابة وعند المسلمين في مقام التجلّي والتقدير إذن ما هو السر؟

السر أن هذه تدابير ربانية وهو إبعاد هذا الدين العالمي عن شبهة العائلية، وشبهة استغلال القرابة للاستثمار بمتاع الدنيا والحصول على مكاسب خاصة .. وإزالة الاعتقاد أن لمجرد القرابة من النبي ميزة على بقية الناس بدون العمل وبذل الوسع .. لذلك كان يقدمهم عند الفزع ويؤخرهم عند الطمع فإذا كان ثمة ميدان يجدر بالنبي أن يقدم أقباءه فيه فهو ذلك الذي فيه ابتلاء وامتحان، والذي يقود إلى الربح الحقيقي ربح الدين وإن خسروا الدنيا .. وربح الآخرة وإن خسروا الأولى.

أما فضائل علي رضي الله عنه في الخندق وخيبر وغيرها من ميادين التضحية فهي قربات أَرادها الله لوليه قاصرة عليه غير متعدية لغيره يثقل بها حسناته، ويعلو بها درجاته، ويكون عند ربه مرضياً، وهو بها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

غير أن السلايين اليوم ما أرادوا بمنزلة علي وأهل بيته إلا تسليعها لصالحهم، وجعلها مادة استثمار لأطماعهم، والبغي في الأرض باسم القرابة، وليس لهم في خدمة الدين لا قديماً ولا حديثاً نصيب في العير ولا في النفير، وصدق من قال إن السلايين يؤمنون بالله كمانح للسلطة وليس مستحقاً للعبادة .. ويؤمنون بالرسول كجدّ للسلالة وليس رسولاً للبشرية .. ويؤمنون بالقرآن كبرهان على الاصطفاء وليس كتاباً للهداية .. ويؤمنون بالإسلام كدين يأمر بطاعة الإمام وليس ديناً يدعو إلى تكريم الإنسان.

ولم يكن هذا الدين عظيماً إلا بالتجرد كما وصف الرعيل الأول (... يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) ⁽¹⁾ وليس دنيا وجاهاً، ولو كان فيه شيء من الاستئثار العشائري لانتفت عنه صفة السماوية العادلة وتمحض لنفع الدنيا وتأسيس ملك عائلي كأبي ملك فيه توريث وولاية عهد.



الشبهة (47)

موقف الإسلام من الطبقة

- من أين أتيتم بقضية المساواة بين الناس والله فضل بعض الرسل على بعض وبعض الطعام على بعض، كيف تسوون بين شريف قرشي هاشمي وبين غيرهم؟

الجواب:

دائماً وفي كل الديانات الإنسان صناعة فضائل كسبية، والقرآن مليء بمفردات (كسب واكتسب) وليس بمفردات جودة الخلق وفرادة الهندسة الوراثية، فبقدر الفضائل التي يحملها الإنسان تحمله على غيره، والجميع يمجّدون خلة المساواة كصفة فطرية متأصلة في الخلق، صحيح ليس الجميع صادقين في ذلك رغم ادعائهم نبذ الطبقة، فثمة من يرى أنه أفضل إما بالعرق، أو باللون، أو بالقيمة .. وغير ذلك، غير أن الإنسان سليم الفطرة .. صحيح العقل لا يجد مسلكاً للتكبر والتميز على أخيه الإنسان .. وتضايقه لغة الادعاء، وقد حسمها القرآن: (فلا تزكوا أنفسكم)⁽¹⁾ .. حتى العبقرى يرتكب في حق نفسه جناية كبيرة، إذا عدّد مناقبه وأشهر تقرده بدون مناسبة سوى التسامح وانتقاص الغير .. فمقام العظيم دوماً مرتبط بإحدى خصال العظمة وهي خلة التواضع وإنكار الذات ونفع الناس وخدمتهم .. وليس ذلك الذي يمنح نفسه شهادة التفوق على الآخر حتى وإن كان متوقفاً فعلاً .. فليس أمامه سوى انتظار الإنصاف من الناس وحسب، ومتى ادعى التفوق نقص منه شرط من شروط كمال الكاملين، وهو التواضع .. اللهم إلا أن يعرض مهاراته ومؤهلاته وتفوقه ليشغل مكاناً يستحقه ويستحقه المكان، كما قال يوسف عليه السلام: (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) نعم. كانت هناك الكثير من الإثنيات البدائية المتخلفة في التاريخ تحقن أتباعها بداء العظمة وتحرضهم على الادعاء وتكبير الذات، وتوهمهم أنهم الأفضل من غيرهم والأطهر والأكمل، ليس بالفضائل الكسبية بل بأصل الخلق .. ويمتنعون عن الاختلاط بالأغيار والمستويات الدون كما يصنفونهم، نجد هذا في طبقة اليونان، والهند، وفارس واليهود وبعض الأفخاذ في البطون العربية .. ثم جاء الإسلام فكان من أعظم خصائصه العدل والمساواة .. فالجميع سواء عند الله في التسخير، والكفاءة، والتكاليف، والحقوق، والواجبات، والعقوبات .. والله بدأ كتابه العزيز

بـ(رب العالمين) وانتهى بـ(إله الناس) لا رب شعب من الشعوب، ولا إله خذ من الأفخاذ .. وأرسل نبيه (كافة للناس) وليس رسولا لأمة ولا ملكا لعشيرة أو سلالة .. وأنزل القرآن (هدى للناس) وجعل البيت (مثابة للناس) (والأرض وضعها للأنام) ، لغة عامة موجهة للناس جميعا واضحة متواترة، لا فرق بين أبيضهم وأسودهم، ولا امتيازات خاصة بسبب جنس أو قرابة.

قبل مجيء الإسلام كانت قريش تميز نفسها عن الآخرين بالحج والطواف حول الكعبة .. فكانوا يقولون إن الطواف حول الكعبة بغير ثياب قريش وأحلافها باطل، وإلا فليطف من شاء عُرِيَانَا، فجاء الإسلام وأبطل ذلك، فليس ثياب أناس من الناس هو من يصح عبادة المخلوقين لخالقهم، وكانوا لا يقفون مع الناس في عرفات، وقالوا نحن الحمس أهل الحرم، لا نفيض عن مزدلفة إلى عرفة كغيرنا، ثم جاء الإسلام، فأنزل الله: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ...) (1) .. فمثلا أن الناس في القيمة الإنسانية سواء، هم أيضا في الفروض العبادية سواء .. وفي الشريعة سواء .. وفي السلوك سواء .. كلهم عند الله سواء بأصل الخلق، والذي يفرق بينهم هو القرب والبعد من الخالق، وليس القرب والبعد من المخلوق (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(2).

وفي ذات جولة من جولات الصراع مع نظام الإسلام جاءت سادات قريش إلى النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - على رأسهم أمية بن خلف الجمحي، فوجدوا في مجلسه غلمانهم، كبلال، وخباب، وصهيب، وعمار، فعرضوا عليه عرضا رأوه من زاوية موروثهم الاستعلائي عادلا ومعقولا، وقالوا يا محمد: كيف تنتظر منا أن نجلس إليك ونسمع منك وحولك الأعبُد والسوقة؟ .. فاجعل لسادات قريش وملئها يوما نجلس إليك، ليس فيه هؤلاء الموالى وسفلة الناس، وربما حينها رأى رسول الله أن المسألة باتت إجرائية، وليس من المتعذر قبول طلبهم، فأنزل الله في هؤلاء الصحابة العظام عند الله .. الصغار في نظر المتكبرين .. آية محذرة ونهاية عن قبول طلب الكفار: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) (3) .. إن الطرد لا يكون إلا عن ذنب اقترفوه، فهل ذنبهم أن الله

1- [البقرة 199].

2- [الحجرات : 13].

3- [الأنعام 52].

خلقهم هكذا حتى يكونوا عرضة لهزء الهازئين وكبر المتكبرين؟ لقد رفض المولى هذا العرض الجاهلي أي فصل السادة عن العبيد .. وسمى التجاوب مع كبر قريش ظلماً.

إن الله لم يقبل أن نسمي المسترقين عبيداً، حتى وإن كانوا نكرات الأصل بل نسميهم إخواننا في الدين، فهو النسب الأسمى، وموالينا، بمعنى الموالاتة كأنهم طرف كفاء ومحالف، فليس شرف النسب هو من يرفع ويخفض قال: (... فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ...) (1) .. وسمى المسترقات فتيات، ومنع المتاجرة بأعراضهن حتى وإن كنا مملوكات، قال: (ولا تکرهوا فتياتکم على البغاء إن أردن تحصناً) (2) فقيمتهن الاعتبارية محفوظة ولسن بلا حامي يحمي كرامتهن .. وأمر السادة بالمساواة الحقوقية مع مواليتهم فقال: (وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ) (3) ثم عمل على تحرير العبيد بالمكاتبات والكفارات المختلفة، حتى أنهى هذه الظاهرة .. ليعيش الناس سواسية .. وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يفرق بين الأصل ولا النسب ولا اللون، فيزوج الأسود الحبشي بالبيضاء العربية، والمولى بالسيدة القرشية، فقد زوج صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة المولى بزینب بنت جحش ابنة عمته القرشية الهاشمية، وعندما رفضت الزواج من زيد هي وأخوها عبد الله قول الله: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) (4) أي أن هذا الزواج كان إرادة إلهية دينية حتى ينهي الإسلام بهذا الحدث العام التمايز الطبقي الجاهلي (5) إلى جانب إنهاء التبني، وقد خلد الله

1- [الأحزاب : 5].

2- [النور : 33].

3- [النور : 33].

4- [الأحزاب : 36].

5- وأما ما ذهب إليه بعض الفقهاء من اشتراط كفاءة النسب ونحوه غير كفاءة الدين فهو تقمص فعل جاهلي عثر فيه بعض الفقهاء عثار مبصر تنكب طريق الحق، مخالفين بذلك صريح النصوص والسيرة النبوية ومقاصد الشريعة وهي المساوات في كل شيء غير التقوى، وهذا التشريع مع وجود نص مردود ومضروب به عرض الحائط، بما أن المرأة تقبل بصاحب الدين فلا يرد، إن قبلته المرأة ورضيت به زوجها لها « إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ تَرَضُّونَ بَيْنَهُ وَخُلِقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ ». قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَالَ : « إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ تَرَضُّونَ بَيْنَهُ وَخُلِقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ». قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بَلْفُظٍ وَغَيْرَهُمَا، وَقَدْ جَرَّ عَلَى أُمَّتِنَا هَذَا الاجتهاد المتطع الوليات وأدخلها حقا في فساد كبير، وعنصرية منها أخرج الله الناس إلى مساواة الإسلام، ففي حين طرحت الكثير من الملل والنحل هذا التمايز بقي الكثير من المتمسحين بأراء بعض الفقهاء يمارس على الموحدين طبقية الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ذكر اسم (زيد) في أشرف كتاب لأنه بالإسلام شرف قدره، وقد كان عبدا يباع في الأسواق، ولم يذكر الله غيره في كتابه من قوم النبي سوى اسم آخر، قال إنه: (سيصلى نارا ذات لهب) وهو عم النبي (أبو لهب) لأنه بغير الإسلام لا وزن له ولا كرامة (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا)⁽¹⁾ المؤمنون فقط لهم شرف الانتساب إلى الأنبياء .. ومن ليس كذلك انتهت صلة قرابته بالنبوة، حتى وإن كان من صلب النبي: (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح)⁽²⁾ نعم بغير التقوى والعمل الصالح هي قرابة مطروحة لا وزن لها .. ونادى رسول الله بين المسلمين (سلمان منا أهل البيت) ينسب الأعجمي الذي كان عبدا ليهودي إلى بيت النبوة؛ وعندما سمع خادم النبي واثلة بن الأسقع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو في أهل الكساء الذين ألحقهم بأهل بيته: (... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)⁽³⁾ قال واثلة: فقلت من ناحية البيت: وأنا من أهلك يا رسول الله؟ قال: «وأنت من أهلي»⁽¹⁾. لأن قرابة الدين فوق قرابة النسب وأولى منه؟ ولو كان أهل البيت بشرا غير البشر وكفأتهم فوق الناس ما ألحق بهم من ليس منهم، وبمعايير البشر هذا أعجمي وهذا خادم كيف يصيرون من أهل بيت النبي؟ .. ونجده في فتح مكة يختص من كان عبدا وهو الحبشي الأسود بلال بن رباح - رضي الله عنهم جميعا - بشرف اعتلاء أظھر بقعة على وجه الأرض (سطح الكعبة) فيطأ بقدمه سطحها ليضع بذلك قيمة البشر عند الله على الحجر وهو عند الله عظيم .. ولينهي بذلك عنصرية اللون .. وعنصرية الجنس .. وعنصرية الجاه والمال .. فمن كان بلال هذا عند قريش ليرتقي هذا المرتقى؟ .. ثم يختاره هو وابن العبد سابقا أسامة بن زيد، وعثمان بن أبي طلحة حاجب الكعبة لشرف دخول الكعبة من دون سادات قريش، ويغلق الباب كأنما هي رسالة إن هؤلاء وإن كانوا في طبقة اجتماعية محتقرة لكنهم بالإسلام ذوو منزلة .. دروس متتابعة يعطيها الإسلام في المساواة بين الناس .. وبعدها يعطي شرف حجابة الكعبة لعثمان بن طلحة غير الهاشمي الذي قُتل أبوه في أحد وهو يقاتل المسلمين .. أعطاه المفتاح وقال: " عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم» - يعني

1- [آل عمران : 68].

2- [هود : 46].

3- [الأحزاب : 33].

حجابه الكعبة⁽²⁾ .. فلم يعط شرف هذه القيادة الرمزية الدينية لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقد كان طلبها من رسول الله لشرف المهمة؛ لكن رسول الله يعيد المفتاح لعثمان؛ لأنه لا يوجد في الإسلام كبير ولا صغير، ولا قريب ولا بعيد .. الكل كفاء في المهام والواجبات .. وليس بالنسب ولا بالسبب .. وفي غزوة مؤتة نجده - صلوات الله عليه - يؤمّر زيد بن حارثة، على عمه وتزبه أشبه الناس به خَلَقًا وخَلُقًا جعفر بن أبي طالب - رضوان الله عليه - أحب الناس إليه، ويجعل عمه الهاشمي تابعا لمولاه يسمع ويطيع .. وقبل وفاته يا للعجب يجعل أسامة بن زيد هذا المولى ابن المولى قائدا عاما تحت أمرته كل كبار الصحابة، وأشرف قریش والمدينة، على رأسهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف أغنى أغنياء المدينة، والهاشميين علي، والعباس والحسنين، وسعد بن عباد زعيم أهل المدينة .. أي عظمة هذه التي يعكسها الإسلام في باب العدالة والمساواة!؟

إن العرب كانت أمنع ما تكون من أن يقبلوا بضميم .. ولو شعروا بانقراض أو ترفع لانفضوا من حول رسول الله، لكنهم وجودوا المولى يعلم نبيه فضيلة التواضع لهم ويقول: (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)⁽³⁾ وتكرر ذلك في سورة (الحجر: 88) .. وقد اختار المولى كلمة خفض الجناح (خفض الجنب) كناية عن غاية التواضع، لم يأمر بها إلا أفضل خلقه المصطفى في حق أتباعه، والولد في حق أبويه: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) (1) .. فكيف يضع أفضل الناس في موضع الانخفاض ولين الجانب لغيره؟ الجواب، لأسباب يحضرنى منها:

1- أن التواضع الشديد لا يكون إلا لإنسان عظيم كالوالدين لعظم حقهما .. أو يكون من إنسان عظيم كالأنبياء لغيرهم .. لأن حق صاحب الخلق العظيم ألا يكون فيه ذرة من كبر أو ترفع.

2- لأنه لن يعلو مقام أتباعه إلا إذا رفعهم بخفض جناحه لهم. والتواضع معهم .. وبسوى ذلك لن يكون الذليل والمسحوق والمهان عظيما ولا كريما .. فكان هذا التواضع وعدم الترفع عليهم هو من جعل منهم خير أمة أخرجت للناس كما وصفهم الله .. وخير البرية ..

1- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (2/ 632).

2- المعجم الكبير للطبراني (11/ 120).

3- [الشعراء 215].

وأعظم درجة عند الله .. وما كان لتلاميذه هؤلاء أن يكونوا كبارا أيضا إلا بفضيلة التواضع التي علمهم نبيهم، فمن شدة تواضعهم لبعضهم وصفهم أنهم (أذلة) الواحد منهم أمام أخيه المؤمن ذليل (أذلة على المؤمنين) .. إن هذا الذل في حق المؤمن ليس ذلا بل هو (فضيلة) ولا منقصة بل هو رفعة .. وسيكون ذلا ومنقصة في حق المتكبر .. لأن التكبر وادعاء الخيرية بدون فضيلة التقوى صفة إبليسية (أنا خير منه) ، فحق كل من تشبه بإبليس أن يعاقب بما عوقب به إبليس وهو اللعن والطرده، ذلك لأن الكبرياء والعظمة لله وحده .. ولا شرف إلا لمن وضع في التراب أشرف ما فيه تواضعا لله .. وهذا أبو ذر الغفاري وهو من قبيلة غفار المشهورة بالطيبش وعدم القبول بالذل حين عير بلالا بسواد أمه بقوله : (يا ابن السوداء) قال له المربي الأول: (إنك امرؤ فيك جاهلية) لأن الترفع والتكبر صفة من صفات الجاهلية الأولى .. فماذا فعل أبو ذر لأخيه المؤمن؟ .. وضع خده في التراب وأقسم ألا يرفعه حتى يضع بلال بن رباح قدمه على صفحة وجهه: (أذلة على المؤمنين) ، وما كان لبلال أن يتصف بصفات اللئام ويقبل أن يهين أخاه، بل رفعه من الأرض واحتضنه، وقال: حاشا لله أن أضع قدمي على وجه يسجد لله رب العالمين .. إنك حين تدرس سيرة رسول الله تجد العظمة كلها .. يجلس حيثما انتهى به المجلس، فلا يترفع عن أصحابه، يلبس القصير من الثياب، ويأكل الخشن من الطعام، ويؤثر ما في يديه لسواه .. ويأبى أن يقوم له الناس كما تقوم الأعاجم لملوكها .. وكان إذا هابه أحد كما يهاب الملوك قال له: هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة صلى الله عليه وسلم .. ومع أن رسول الله اصطفاه الله بالرسالة إلا أن ذلك اجتناب رسالي لا تكويني، وهذا الاجتناب أدعى للتواضع لا التكبر، وحاشاه أن يتكبر وهو صاحب الخلق العظيم والقائل عليه الصلاة والسلام: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد"⁽²⁾ والله تعالى حين ذكر لرجال دين النصارى مزية التواضع ذكرها في معرض الإشادة على ما فيهم من ضلالات قال تعالى: (... ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)⁽³⁾.



1- [الإسراء : 24].

2- رواه مسلم.

3- [المائدة : 82].

الشبهة (48)

تأصيل المساواة في الإسلام

- إن نفي تفوق سلالة النبي لا يستند على دليل وهو مجرد حسد ونصب عدا .. فقد قال الله في نساء النبي (لستن كأحد من النساء) فأين مظاهر المساواة التي تدعون؟

الجواب:

علام الحسد؟ المسألة مسألة دين فلو أن الله أمرنا بعبادة أحد غيره لعبدناه (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدًّا فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ)⁽¹⁾ فالمساواة بأصل الخلق قيمة إنسانية عليا، وجعل التقوى مناط التكریم، ولقد جاء الإسلام بهذه القيمة قبل 1400هـ عام فخفض بها سادات العرب المستكبرين .. ورفع بها الموالي والأعبد المستضعفين .. فَمَنْ ذَلِكَ الَّذِي يَشْتُمُ الْإِسْلَامَ، ويشهد زورا أنه دين عنصري استعبادي .. وأنه جاء ليؤسس للطبقية ويفرق بين أناس عشيرة كريمة الأصل وعشيرة خاملة الأصلة .. أناس قبائل وأناس مزينين .. أناس سادة وآخرين عبيد .. أناس أشرف وآخرين أطراف .. أناس أصحاب مهن وضيعة وأخرى شريفة؟ فلقد سوَّى بين الناس في الأخوة الإنسانية والأخوة الإيمانية، كما سبق إجمالاً.

- إنهاء الإسلام الطبقيّة والعرقية بسابقة الدين:

أنهى القرآن الكريم التعريف بالقرشية، أو العدنانية، أو القحطانية، أو الأوس، أو الخزرج، وأعاد المعايير وفقا لضابط الديني فسمى القرشيين مهاجرين وسمى الأوس والخزرج أنصارا، وقسم المهاجرين إلى السابقين في الهجرة وأطلق على من لم يهاجر قبل الفتح اسم الطلقاء، فصار أبو بكر وبلال وعلي وصهيب وعمر وعمار تحت صنف السابقين، وصار أبو سفيان وصفوان بن أمية و(الوحشي - المولى) من الطلقاء، صاروا يعرفون في مقام الفضل بهذا التصنيف الجديد، فبلال أفضل من أبي سفيان لأن الله وصف السابقين بأنهم

(أعظم درجة) ثم الصحابة أفضل من التابعين طبقاً لتصنيف الهدي النبوي: "خير القرون قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" (1).

قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: "ألا إن الله سبحانه وتعالى قد أذهب
عنكم نخوة الجاهلية وتكبرها بأبائها، كلكم لآدم، وآدم من تراب، وأكرمكم عند الله أتقاكم" (2)
فمن دعا بدعوى الجاهلية فقد أحميا نخوة العصبية وتكبرها بأبائها ووقف في وجه هدي الإسلام
وتعاليمه.

وهنا نتناول مظاهر المساواة في الإسلام على النحو التالي:

أولاً - المساواة في الأخوة الإنسانية:

- 1- جعل الإسلام الناس سواسية في وحدة العنصر فقال: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ...) (3)
فلا يوجد أناس يسري فيهم نور الأنوار، ودم الآلهة والبقية مسخرة لخدمتهم كما تقول
الزرادشتية المجوسية، وبعض الملل والنحل في أمة الإسلام.
- 2- سواسية في وحدة الأصل: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ...) (4) فلا يوجد أناس خلقوا من
وجه الإله فهم الأرقى كما تقول الهندوسية وآخرون خلقوا من أقدامه فهم الأدنى.
- 3- سواسية في مقام التكريم: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ...) (5) لا يوجد أناس أبناء الله
وأناس (جوييم) حيوانات في شكل إنسان كما تقول الديانة اليهودية المحرفة وأضرابها .. بل
أصل الإنسان كله مكرم على بقية المخلوقات بشرف هدف الخلق ومهمة الاستخلاف.
- 4- سواسية في هدف الخلق: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ...) (6) (وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون) الكل عبد لله، (إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً)

1 - الألباني تصحيح العقائد وقد ورد في الصحيحين "خير أمتي قرني.

2 - أخرجه البيهقي بلفظ وانظر أخبار مكة للأزرقي.

3- [الأنعام: 2].

4- [الزمر: 6].

5- [الإسراء: 70].

6- [البقرة: 21].

لا يوجد ساقط التكاليف ولا فارض لها ولا (أنا ربكم الأعلى) فلا إله سوى الله الواحد القهار ..
ولا نصف إله ولا وسيط منزلة بين المنزلتين، ولم تتميز الملائكة والأنبياء عن غيرهم
بالتكريم إلا بطاعتهم لله فقط.

5- سواسية في تكافؤ الدماء: (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا
بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا
...) (1) فلا يوجد أناس دمهم آري أزرق أعلى من بقية الدماء، فتسقط حرمة دماء الآخرين
وتهدر كرامتها، ولا هؤلاء حاميون أرقى وساميون أدنا كما قالت نازية هتلر.

6- سواسية في وحدة الشراكة النفعية: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا
...) (2) فلا يوجد أناس تنازل الله لهم عن مطلق ملكه فأعطاهم صكا مفتوحا لا ينازعهم أحد
فيه إلا ظالم، لم يقيد الله ملكه بعرق ولا بجنس كلهم سواسية في أهلية الحكم: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ
الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ...) (3).

وقد أعطى الله الملك لطالوت من عامة الناس ولم يعطه لنبي لهم قائم بينهم .. ولا
للأسباط أحفاد الأنبياء .. وذلك لكي يعطي المولى حقيقة اعتقادية وهو أنه طلق التصرف في
ملكه ولم يتعهد لأحد بالتزام التمكين في الأرض إلا لـ (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فقال:
(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ ...) (4) فلم يشترط غير الإيمان والعمل الصالح (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) خطاب
شامل عام، ومتى أراد.

7- سواسية في وحدة المصير: (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ...) (5) لا يوجد أناس مخلصون
اختصهم الله بإقامة مفتوحة، ولا أرواح متحولة في صورة إنسان، أو قرد، أو شجر، كما تقول
الهندوسية، بل الكل يموت وراجع إلى الله بما فيهم الأنبياء (إنك ميت وإنهم ميتون).

1- [المائدة : 32].

2- [البقرة : 168].

3- [آل عمران 26].

4- [النور 55].

5- [المائدة 48].

8- سواسية في الثواب والعقاب: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ⁽¹⁾ (من يعمل) : أيا كان، شرط مرتبط بالعمل وليس بغير العمل .. (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ...) ⁽²⁾ (منكم) من جميع الناس .. وقال: (... مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا) ⁽³⁾ .. (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ) ⁽⁴⁾ (اليوم تجزي كل نفس بما كسبت) (لتجزى كل نفس بما تسعى) فمن يدل على موضع استثناء أو اختصاص بمزية في الإسلام بسبب الطين لا بسبب الدين، وأين نجد ذلك في كتاب الله؟ في أي سورة؟ أم في أي آية؟ ولاتغني كومات الأخبار البشرية من نقولات واجتهادات تتعارض مع القرآن.

إنه دين العدل والمساواة سير الخلق بقاعدة عامة دنيا وآخرة .. فلا تباين ولا تمييز لا بالتصريح ولا بالتلميح .. لا بالإشارة ولا بالعبارة .. لا بالتورية ولا بالتعريفية .. بل أكد على قاعدة المساواة بالتنصيص القرآني المتكرر .. ونفى أي انتفاع بالقرب الأسري والجيني كرسالة ربانية متكررة لمن وقع تحت جناية الأوهام وأحابيل الأمانى الخادعة .. وهيهات أن يسري على عدل الله ظلم، فيخلق أناسا أقل قيمة بلاذنب لهم إلا بسبب أصل الخلق لا بالعمل، فلماذا يخلقهم أدنا؟ ويخلق غيرهم أعلى؟ وإن الإنسان سليم الفطرة ليأبى أن يميز بين أطفالها لأم أو اللون .. أو يميز المدير بين موظفيه بسبب الانتماء الأسري أو العشائري بغير الكفاءة .. ولكي ينهي الإسلام التمايز عمل على إنهاء الرق بكل صورته ونادى بشعار المساواة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وترفض كل القوانين البشرية التمييز بين الناس بسبب العرق أو اللون فكيف بالشرائع السماوية .. والعجيب أن الله كرر نفي انتفاع الإنسان بالعرق أو النسب، لعلمه بما سيكون من شأن المتمنطقين بقرب النسب والسبب، فقال: (لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ...) ⁽⁵⁾ ولا الأنساب. (... فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) ⁽¹⁾ ولا الوالد ولا الولد

1- [الزلزلة 7 - 8].

2- [آل عمران 195].

3- [النساء 123 - 124].

4- [النجم 31].

5- [المتحنة 3].

.. (... لَأَجْزِي وَالِدٌ عَنِّ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِّ وَالِدِهِ شَيْئًا ...)⁽²⁾ ولا المولى الحليف .. (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنِّ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)⁽³⁾ فسبحان من هذا ميزانه ومن هذا عدله ..

وأما قوله تعالى: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن)⁽⁴⁾ الدالة على عدم استوائهن بغيرهن من النساء وفضلهن.

فالجواب: نعم لسن كأحد من النساء في الفضل وهذا الفضل كسبي وليس بأصل الخلق والجينات، ففيهن من أصل قرشي، ومن أصل عربي، ومن أصل يهودي، ومن أصل قبضي، فمن عظم قدره بالطاعة عند الله فقد صار أفضل من غيره.

وثانيا- لسن كأحد من النساء، في أن هن قد صرن أمهاتاً للمؤمنين، وبهذا لا يحل لهن أن ينكحن أزواجهن بعد رسول الله صلوات الله عليه، ورضوان الله عليهن.

وثالثا- إن كان أجر إحداهن يصير مرتين إذا أطعن الله ورسوله، وقبلن بضيق النفقة، والصبر على عدم الزواج بغيره من بعده، وتحملن عدم توظيف قريهن من النبي للحصول على منافع خاصة، فإن قريهن من النبي لن ينفعهن لو عصين الله بل سيكون عقابهن (مضاعفا) لأنهن ارتكبن معصيتين .. معصية المعصية، ومعصية إهدار كرامة بيت النبوة بالتجاسر على تشويه هذا القرب بالمخالفة، فقال: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ...) ⁽⁵⁾ وقس على ذلك من يرتكب المحذور من غير نساء النبي، ويستقوي باسم القرابة، فهذا عذابه ضعفين؛ لأنه ارتكب معصيتين، معصية المعصية، ومعصية تشويه النبي الذي لا يقبل توظيف نسبه في الإساءة لعدالته، فلا حصانة ولا محسوبية ولا اختصاص لأحد لا بقرب ولا بغيره، بل بالطاعة لله والتزام أوامره، والسير على هدي نبيه.

1- [المؤمنون 101].

2- [لقمان 33].

3- [الدخان 41].

4- [الأحزاب : 32].

5- [الأحزاب 30].

ثانياً - المساواة في الأخوة الإيمانية:

قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) وقال: (فأصبحتم بنعمته إخواناً) ولم يقل فأصبحتم بنعمته متميزين متفاوتين .. ولم يقل اذكروا نعمة الله إذ احتفظ لكم بأنسابكم، ونطفكم، ومنع اختلاطها بأفلكم قيمة وأوضاعكم نسبا .. فالنعمة في النسب إلى الدين هذا هو النسب الحقيقي، فمن هو مؤمن فهو أخو كل مؤمن أيا كان عرقه وأصله، ومن هو مؤمن فأبوه إبراهيم، أبوه دينية: (... مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) لماذا؟ قال: (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ...)⁽¹⁾ فأبراهيم - عليه السلام - بالإسلام - أبو محمد وأبو كل مسلم (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)⁽²⁾ ومن كان مؤمناً فأمه الحقيقي بالدين هن زوجات النبي، وأشرف من نسب الطين بنص كتاب رب العالمين: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ...) ⁽³⁾.

هذا كلام الله ودينه، ومن يقول بغير ذلك فكل أسلحته جملة من الأوهام والتخرصات ونقولات ظنية تتعارض مع صحيح النقل، وصريح العقل، وسليم الفطرة، وبضاهي في ذلك عنصرية ذمها الله في إبليس واليهود في آيات كثيرة.



1- [الحج 78].
2- [آل عمران - 68].
3- [الأحزاب 6].

الشبهة (49)

مسألة مقامات أئمة أهل البيت

- قال الخميني في كتابه حكومة الإسلام: "إن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث" فهذه مقامات الأئمة فأين مقامات التفضيل غيرها؟

الجواب:

من السهل أن يقول من شاء ما شاء، ولكن الانتماء للإسلام يقتضي حط هذا الزعم ورميه مهملا في سلة المهملات فلا ينقضي عجبني وحقّ لذي لبّ أن يعجب كيف يشتهه على مدح للإسلام حقائق ومسلمات ذكرها الله في كتاب يقرؤه ليل نهار، هي من الوضوح كالشمس في رابعة النهار .. ثم يصطنع الأكاذيب وينحت الأقاويل ولا يبالي على أي زاوية من جهنم سقط .. نعم الناس كما قال الله (هم درجات عند الله) وقال (نرفع درجات من نشاء) فمن أولئك الذين رفع الله درجاتهم وأعلى منزلتهم، في القرآن المجمل والمفصل، فإذا كان ذلك حكم الله إجمالا فأليكم التفصيل:

1- مَنْ (أعظم درجة عند الله)؟ هم في القرآن الذين آمنوا وهاجروا .. الخ على رأسهم صحابة رسول الله قال الله (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (1) وقال تعالى: (... لَأَيَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أُولَئِكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (2) هؤلاء هم أعظم درجة عند الله استحقوا بماذا؟ هل بالفخذ؟ أم استحقوا بجهادهم في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

2- من (فضل الله) على من؟ قال تعالى: (... فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ...) (3) هل قال فضل الله القرشيين على العرب أو العرب على الفرس أو الفرس على الروم .. فضل الله المجاهدين على القاعدين؟

1- [التوبة 20].

2- [الحديد 10].

3- [النساء 95].

- 3- من هم (خير البرية) ؟ إنهم الخيرون بإيمانهم وعملهم الصالح كل المؤمنين بـلاتخصيص ولا تمييز: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (1).
- 4- من هم (خير أمة) أخرجت للناس؟ إنهم الرعيل الأول من طليعة الإسلام، وكل أمة محمد، متى أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر وآمنت بالله، قال الله: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...) (2).
- 5- من الذين اصطفاهم الله من عباده؟ هم أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كافة فقال: (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ...) (3) يفسره قوله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ...) (4) اجتباهم: أي اصطفاهم، بالجهاد والعمل الصالح. وهم الذين اختصهم بالقرآن: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ...) (5) والكتاب القرآن كما قاله مقاتل وغيره.
- 6- من (الأكرم عند الله) ؟ إنهم الأتقى. (... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ...) (6) ومن صفاتهم الإنفاق في سبيل الله قال الله: (وَسَيَجْنِبُهَا النَّاتِقَىٰ * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ) (7) وقال (فأما من أعطى واتقى) ..
- 7- من هم أصحاب الدرجات العلى يوم القيامة؟ هل هم الأقرب بالنسب أم الأقرب إلى الله؟ قال الله يا أمة محمد: (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ) (8) وقال: (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ...) (9) هذه الدرجات ربطها الله بالعمل (مما عملوا).
- 8- من هم المؤمنون حقاً؟ هم الذين حصلوا على هذه الدرجة بالجهاد الكسبي وعلى رأسهم الصحابة فقال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (1).

1- [البينة 7].

2- [آل عمران 110].

3- [النمل 59].

4- [الحج 78].

5- [فاطر 32].

6- [الحجرات 13].

7- [الليل 17 - 18].

8- [طه 75].

9- [الأنعام 132].

9- من السابقون الأولون؟ السابقون الأول سواء في الهجرة أو الفضل، هم صحابة رسول الله بما فيهم عشيرته ونساؤه وبناته. قال: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (2).

10- من الذين رفعهم الله؟ (... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ... (3) (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) (4) (وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (5) الدرجات بالعمل وليس بالأمانى .. وحين قال قوم نوح لنوح عليه السلام : (قَالُوا أَنْوْمِنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذِلُونَ ...) (6) فظنوا أن الزيادة على الآخرين تتمثل في الرفعة الاجتماعية فرد عليهم: (قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ولم يقل وما علمي بأصولهم ولا بمكانتهم بل (بما كانوا يعملون) فالعمل هو الذي يحدد المنزلة والسبق.

هذه هي معايير الشرع وضوابطه في التكريم والسبق والفضل عند الله بالأدلة قطعية المتواترة.



- 1- [الأفعال : 74].
- 2- [التوبة : 100].
- 3- [المجادلة : 11].
- 4- [الأنعام : 132].
- 5- [الأحقاف : 19].
- 6- [الشعراء : 111].

الشبهة (50)

الفرق بين (أهل البيت) و(آل محمد) (أ-ج)

سؤال : الشائع لدى العامة أن أهل البيت هم علي وذريته فكيف تقولون أن المراد بأهل البيت نساء النبي؟ وما الفرق بين (أهل البيت) و(آل محمد)؟

الجواب:

أولاً- أهل بيت النبي:

إن إضافة (أهل) إلى البيت يعني ساكنوه عُرفاء، ولغة، واصطلاحاً، فالبيت البناء الذي يكون سكناً لأهله، ذلك ما ذهب إليه أهل اللغة أن (أهل البيت: هم ساكنوه) ⁽¹⁾ ولكن قد يدخل في الأهل غيرهم إلحاقاً للتكريم، كما ألحق رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - حُرمة المدينة بحرمة مكة .. جاء في الصحيحين : " إن إبراهيم حرّم مكة وإني أحرم ما بين لابتيها يريد المدينة" واللفظ لمسلم.

فألحق النبي صلوات الله عليه سلمان بأهل البيت بقوله: " سلمان منا أهل البيت" وقد صححه الألباني موقوفاً على علي رضي الله عنهم، وهذا يعني انتفاء الاختصاص العائلي، كما ألحق وائلة بن الأسقع خادم النبي كما ألحق علياً وفاطمة والسبطين رضي الله عنهم في حديث الكساء للتكريم أيضاً « اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس... » الحديث قال وائلة " فقلت يا رسول الله وأنا من أهلك؟ فقال: «وأنت من أهلي» ⁽²⁾ ووائلة الكنانية خدم النبي صلوات الله عليه ثلاث سنوات، فدخل الموالي في الأهل كما دخلوا في الآل، كما سيأتي من حديث أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما قالت أم سلمة زوج رسول الله "وأنا معهم يا رسول الله؟" أي هل أدخل في الكساء معهم؟ قال: "أنت على مكانك وأنت على خير" ⁽³⁾ يعني أنت على مكانك من الخير؛ لأنك من

1 - انظر معجم العين للخيل بن أحمد، وتهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهرى، ومقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس، وقال ابن منظور في لسان العرب أهل البيت سكانه، وأهل الرجل أخص الناس، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه وبناته وصهره أعني علياً عليه السلام" (الكلمة المفتاحية أهل البيت) ومنه يتبين أنه بعد أن أتى بمعنى أهل البيت لغوياً، اختص النبي بزيادة صهره وإنما دخل علي بحديث الكساء وإلا فأعمام النبي أقرب من ابن عمه.

2 - رواه ابن القيم والهيثمي.

3 - رواه الترمذي وصححه الألباني.

أهل بيت النبي بالأصالة، يُجَلِّي هذا رواية أصرح " إنك على خير، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم" (1) ثم إنه أدخلها في الكساء مع الخمسة كما سبق.

فإن قيل لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث الكساء: « اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» أليس قوله (أهل بيتي) حصر في الانتساب عليهم؟ الجواب: هذا من إطلاق الخاص على العام، فلو أشار مدير مدرسة إلى بضعة من طلابه قائلاً هؤلاء طلابي، فليسوا كل طلابه بل طلابه غيرهم كثير.

والأدلة التي تخص مصطلح أهل البيت بساكنيه كثيرة في القرآن الكريم، قال الله تعالى في لوط (...فَأَسْرِبْهُمَا بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ لَا يَلْتَقِي مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ...) (2) فالأهل هنا الساكنون في البيت وهم بناته وقد استثنى زوجه لأنها كافرة .. وقال تعالى على لسان أخت موسى: (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه ...) أي أصحاب بيت يسكنون فيه، وقال الله مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم: (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّءُ الْمُؤْمِنِينَ لِلْقِتَالِ ...) (أهلك) أي: نساءك، قال الفخر الرازي: " يُروى أنه -صلى الله عليه وسلم - غدا من منزل عائشة رضي الله عنها فمشى على رجليه إلى أحد" (3).

وقال في موسى: (قال لأهله امكثوا إني آنست نارا) (4) (أهله) أي: زوجه، وقال في سارة زوج إبراهيم عليه السلام: (قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) قوله (عليكم) ولم يقل (عليك) بكاف المخاطبة ليدخل إبراهيم - عليه السلام - كما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ...) ولم يقل (عنكن) وفي لغة العرب صحة إطلاق (الأهل) خطاب جمع المذكر على نساء الرجل، أو زوجه الواحدة، يعزز هذا المفهوم قول الله على لسان موسى عليه السلام الذي سبق: (قال لأهله امكثوا) قال امكثوا بصيغة جمع المخاطبين ولم يقل امكثي، فتبادل الضمائر في اللغة بين النساء والرجال وارد، ومنه تغليب صيغة المذكر ليشمل المؤنث نحو: (يا أيها الذين آمنوا) (فآمنوا) بصيغة المذكر لكنه للرجال والنساء و(يا أيها الناس) ولم يقل والنساء، لأن الصيغة للرجال والنساء، ونحو: (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) لجميع المكلفين ومثله آية التطهير (ليذهب عنكم) ليشمل رسول الله ونسائه كما سبق.

1 - تخريج مشكل الآثار حسنه شعيب الأرنؤوط.

2 - [هود : 81].

3 - تفسير مفاتيح الغيب.

4 - [القصص 29].

وتأسيسا على ما سبق فإن دخول سلمان الفارسي في أهل البيت ووائلته بن الأسقع خادم النبي، ودخول الأربعة مع رسول الله في الكساء والتطهير هو إلحاق بأهل بيت النبي لا بالأصالة، وسياق خطاب سورة الأحزاب لأهل البيت خاص بجهة الخطاب الأصلي وهن نساء النبي لا غير، قال أستاذ المفسرين في العصر الحديث الطاهر بن عاشور - رحمه الله - : " وأهل البيت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - والخطاب موجه إليهن، وكذلك ما قبله وما بعده لا يخالط أحدا شكاً في ذلك، ولم يفهم منها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون إلا أن أزواج النبي عليه الصلاة والسلام هن المراد بذلك وأن النزول في شأنهن" (1) قوله والخطاب موجه إليهن (فأهل البيت) في قوله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) منصوب على النداء، أي يا أهل البيت، ومتعلق بما قبله (يا نساء النبي) واستمر السياق في نساء النبي، وعزل آية التطهير عن سياقها تحريف وتحكم دافعه الهوى لا علاقة له بالعلم المنصف.

وقال تعالى: (فَأَنْجَبْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) (2) فاستثنى من أهله امرأته، والمستثنى جزء من المستثنى منه.

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه جعل النبي صلى الله عليه وسلم يمرُّ على نِسَائِهِ، فَيُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، كَيْفَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟ فَيَقُولُونَ: بَخَيْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ... الحديث.

فالسالكون في البيت هم أهل البيت لغة وشرعا وعرفا، وقد يدخل معهم من يلحقهم صاحبه ويجعلهم جزءا من أهل البيت إما للقيمة الاعتبارية أو للالتزامات كالموالي كما رأينا.

• تفسير زيد بن أرقم لحديث الثقلين:

وأما ما روي في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه في شرحه لحديث الثقلين وهو قوله إن أهل بيته، هم من حرمت عليهم الصدقة وهم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس .. فيرد عليه بالتالي:

- يرد على رأي زيد برأي ابن عباس قال في آية التطهير أنها نزلت في نساء النبي فيرد قول الصحابي بقول صحابي آخر.

1 - تفسير التحرير والتنوير.

2 - [الأعراف : 83].

- وبما ورد من أحاديث صحيحة عن عائشة رضي الله عنها تنص على أن نساء النبي من أهل بيته وقد سبق ذكرها.

- كيف لا تكون نساء النبي هن أهل بيته إلى جانب بعلهن وقد رأينا القرآن الكريم يذكر زوج إبراهيم، وزوج موسى من أهل البيت وقول الله في النبي: (وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنین مفاعد للقتال) من أهلك أي نسائك.

- لو كان كما اجتهد الصحابي الجليل بعلّة إن المرأة قد تطلق من الرجل وتلحق بأهلها فإن الله قد ذكر لنساء النبي خصوصية (لستن كأحد من النساء) كما سبق ذكره في الحلقة السابقة وجعلهن أمهات المؤمنين، وحرم على المؤمنين زواجهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونهى النبي أن يتزوج عليهن أو أن يبدل بهن من أزواج، وثبت الله هذا في كتابه العزيز بعد أن خيرهن الله فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وقد قال علي رضي الله عنه في عائشة عندما علم بخروجها إلى البصرة "وَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةٌ نَبِيكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" ولم يقل هذا إلا عن فقه في الدين، فنساء النبي هن نساؤه بالتلازم في الدارين، وهن أهل بيته بالأصالة، كما ذكرنا في الحلقة السابقة، وهن أيضا من آل النبي، وممن حُرّم عليهم الصدقة كما حرمت على موالي النبي، وكما حرم عليهن إرث مال النبي؛ لأن العلة واحدة وهي تجريد الدعوة من أي بعد استثنائي من النبي وأقربائه.

*البيتان المنسوبان للإمام الشافعي:

ولكن ماذا عما نسب إلى محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله أنه قال:

يا آل بيت رسول الله حبكم * * فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم * * من لم يصل عليكم لا صلاة له؟

والجواب أن هذين البيتين ليستا للإمام الشافعي صاحب المذهب ولكنهما لمحمد بن يوسف الشافعي الذي عاش في القرن السابع الهجري ذكره السخاوي في كتابه (القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع) (ص91) حيث قال وقد أنشدها المجد الشيرازي عن محمد بن يوسف الشافعي، والشافعي المنحول اسمه الكنجي الشافعي: قال صاحب (قاموس الرجال) (664/9): هو صاحب كتاب (مناقب أمير المؤمنين) وكتاب (البيان في أخبار صاحب الزمان) (1).

ومما يؤكد وقوع الكثير في هذا الوهم أن هذه الآيات فيها أخطاء لغوية وشرعية يستحيل أن تمر على الإمام الشافعي - رحمه الله - على خطئها منها قوله يا (آل بيت) ولا يضاف آل إلى الجماد، ومنها يقول حبكم فرض من الله هكذا بسبب العنصر لا يستقيم، ومنها قوله (يكفيكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له) وهذا محض خطأ فمنهم (آل البيت) هؤلاء لا يوجد شيء اسمه (آل البيت)؟! وثانيا المراد بآل الرجل هم الأتباع قال الله (ولقد جاء آل فرعون النذر) (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) (وأغرقنا آل فرعون) (ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) والمراد أتباعه.

* لماذا (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) ؟.

لقد هدفت التوجيهات الإلهية لنساء النبي - صلوات الله عليه - التزام خلق النبوة، من عدم الخضوع بالقول، وعدم التبرج تبرج الجاهلية الأولى، وبإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الله ورسوله هدفت تركيتهن ليذهب الرجس عن أهل البيت ويطهرهم تطهيرا وبما يليق ببيت النبوة، والمراد بالتطهير هنا أي تركية أخلاق أهل البيت، وتنظيف قلوبهم وطوايا نفوسهم من الآثام والتعلق بالدنيا وأضرارها، كما قال الله في المؤمنين: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليه إن صلاتك سكن لهم) وقال: (... ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن ...) (ذلك خير لكم وأطهر).

ونساء النبي أحوج إلى أن يتحلين بشمائل خلق أعظم رسول، ويقتربن قدرا من علو مقامه، ولأنهن كما قال الله في معرض ندائه لهن بلا واسطة تنبيها لمقامهن قال: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن) قال بعض أهل العلم أخذا بعموم جنس النساء (لستن كأحد من النساء) لا يشبهكن أحد من نساء العالمين إن اتقيتن، فاقضى هذا الاجتباء تربية إلهية خاصة، فكما اختار لنبيه خير أمة، واختار له خير الحواريين، اختار له خير النساء، فقال: (... والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات).

قوله في آية النور: (لهم مغفرة ورزق كريم) نص على أن زوجة نبيه الطاهرة في الجنة .. كيف وقد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة بعد أن خيرهن الله فاخترن، فشكرهن الله بذلك بأن نهى نبيه أن يتزوج عليهن، أو أن يبذل بهن من أزواج وكُنّ تسع زوجات في عصمته، ذلك لأن انتسابهن لبيت النبوة وشرف صحبة النبي في الدارين صار حقا لهن جميعا، وتطبيق إحداهن سيكون ظلما وحرمانا، وهذا سر عدم تطبيق رسول الله - صلوات الله عليه - ما زاد عن الأربع منهن، إذ لسن كأحد من النساء في الخصوصية رضوان الله تعالى عليهن جميعا.

ونجد من جملة التدابير الإلهية في إصلاح بيت النبوة أن يتدخل الله في تقسيم حظوظهن من النبي، ليكون ذلك أحرى أن تقر أعينهن ويرضين بما كتب الله لهن، فانظر كيف أن الله بكمال علوه تقصد تطيب نفوس نساء النبي، وتحقيق رضاهن فقال: (... ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ ...) (1) كما ابتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضاتهن قال الله: (... تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (2) ثم تأمل الإعجاز في قوله (كلهن) وذلك حتى لا يدع مجالاً للمناققين أن يستثتوا أحداً منهن، كبنتي عدويهما اللّودين وزيري رسول الله عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر رضي الله عنهما، فيطعنون فيهما ثأراً من عظيم بلائهما في التمكين لهذا الدين.

وسنجد من مظاهر التكريم أن الله ربط مكانتهن بمكانة النبي صلى الله عليه وسلم، فمن كان عنده لرسول الله مكانة، فمكانة نسائه من مكانته، وتعظيم حقهن من تعظيمه، نصا في كتاب الله، قال تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) فإذا كان النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فنسأوه أمهاتهم في الدين، ولهذا حرم الله عليهم نكاحهن بعد رسول الله كحرمة أمهاتهم عليهم، وجعل ذلك أمراً عظيماً قال: (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تتكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً) ومنه يؤخذ أنهن زوجات النبي في الأولى والأخرى، فلا زوج لهن غير رسول الله بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

ومن خصائص بيت النبوة التي نص الله عليها في كتابه توجيههن بتعليم الناس أمور دينهم، نجده في قوله تعالى: (واذكروا ما يُتلى في بُيُوتكن من آيات الله والحكمة) أي علمن المؤمنين من كتاب الله (آيات الله) وسنة رسوله (الحكمة) ، فكان لهن بذلك شرف الإسهام بتوصيل بعض مقاصد الوحي، وسنن خصوصيات النبي -صلوات ربي عليه- مع أهل بيته، فبرز منهن محدثات عظيمات، كعائشة التي روت نحو (2210) حديثاً، وأم سلمة نحو (378) وميمونة بنت الحارث (76) وأم حبيبة بنت أبي سفيان (65) .. وغيرهن .. وكن للصحابة في كثير من المسائل مرجعاً فتياً ومصدر تأويل، وفيه ملحظ لا يخفى من تكريم الإسلام للمرأة وإسناد بعض التكاليف العامة إليهن ومن بيت النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، من هنا وصى النبي في أهل بيته فقال (أذكركم الله في أهل بيتي) ثلاثاً بالنظر إلى ما سينال منهن الروافض من اللعن والطنع حتى اليوم أقمأهم الله.



الفرق بين أهل البيت وآل محمد (ب-ج)

ثانياً - معنى آل النبي:

أصل (الآل) ما يؤول إليه الشيء، آل إليه الأمر أي رجع، وآل الرجل ما يرجع إليه بالقرابة أو الانتساب أو الإتياع، ولا تضاف الآل كالأهل إلى الجماد، فلا يقال آل اليمن، وآل العراق، وآل البيت - قول الكسائي رحمه الله - وإضافتها إلى الجماد خلاف الأصل، و(أهل) تضاف إلى الجماد فيقال، أهل اليمن، وأهل العراق، وأهل البيت⁽¹⁾ وفي جميع المعاجم القديمة والتفاسير القديمة حتى القرن الثالث عشر الهجري لا تجد مصطلح (آل البيت) بل أهل البيت.

ثم ومن خلال الاستقراء فإن كل أهل بيت الرجل هم آل الرجل، وليس كل آل الرجل هم أهل بيته .. وعلى نحو ما نرى في التالي:

ب- من هم (آل الرجل) في اللغة؟

قال ابن منظور في معجم لسان العرب: "قول النبي، صلى الله عليه وسلم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد: من آل محمد؟ فقال: قال قائل آله أهله وأزواجه ... وقال قائل آل محمد أهل دين محمد ... وذهب ناس إلى أن آل محمد قرابته التي ينفرد بها دون غيرها من قرابته ... وقال قائل آل محمد أهل دين محمد ... وقيل: آله أصحابه ومن آمن به وهو في اللغة يقع على الجميع"⁽²⁾.

قال: "وهو في اللغة يقع على الجميع"، من هنا فالرجل في العربية على ثلاثة أقسام:

- أهل بيت الرجل ومواليه.
- أقرباء الرجل ومواليهم.
- أتباعه.

* أدلة إطلاق الآل على بيت النبي (نسائه) ومواليه:

قد سبق قول الله تعالى: (فَأَنْجِبْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) ⁽³⁾ وهو ما يعني أن الزوجة من أهل بيت الرجل، وكذلك الزوجة من آل بيت الرجل وأن أهل وآل يطلق عليها كما قال المولى في امرأة لوط عليه السلام في سورة الحجر: (إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ

1 - ينظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري 281/1 المكتبة الشاملة.

2 - حرف اللام فصل الألف. (28/11).

3 - [الأعراف : 83].

* إِلَّا امْرَأَتُهُ قَدَرْنَا إِنِّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ⁽¹⁾ قال الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسير الآية: "استثناء (إلا امرأته) متصل لأنها من آل لوط".

وورد في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لقد كان يأتي على (آلِ مُحَمَّدٍ) صلى الله عليه وسلم الشهر ما يرى في بيت من بيوت الدخان، ..⁽²⁾ والمراد بآل محمد ها هنا نساؤه وفي لفظ صححه الألباني: " إنه ليأتي على آل محمد الشهر ما يختبزون خبزاً، ولا يطبخون قدرًا"⁽³⁾.

وفي البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه والذي نفسي بيده ما أمسى عند آل محمد صلى الله عليه وسلم صاع بر ولا صاع حب، وإن عنده لتسع نسوة" والروايات الصحيحة في هذا المجال كثيرة.

قال الله تعالى في موسى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) آل هاهنا بمعنى أهل بيت فرعون، قال محمد رشيد رضا رحمه الله: "إن آل فرعون، أطلق على أهل بيته خاصة في موضع واحد لا يحتمل غيرهم، وفي موضع آخر محتمل لغيرهم"⁽⁴⁾ والمعروف أن امرأة فرعون آسية بنت مزاحم عليها السلام المرأة المؤمنة طلبت من فرعون تبني، موسى وفيه إشارة إلى أنها أتت به إلى فرعون وإلا من عسى أن يكون هذا المولود حتى يدخل إلى بلاط الملك واختصاصه بذلك؟.

* أدلة إطلاق الآل على موالى الرجل:

وأما الدليل على أن الموالى من آل الرجل ما رواه أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا من بني مخزوم يجمع الصدقات استتبعه، أي طلب من أبي رافع راوي الحديث أن يتبعه ليصيب من الصدقة، فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّا -آلَ مُحَمَّدٍ- لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ، وَإِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»⁽⁵⁾ بمعنى حيث لا تحل الصدقة لآل محمد فلا تحل لك يا أبا رافع لأنك مولى لي، وقد كان أبو رافع مولى للعباس عم النبي فأهداه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فألحق أبو رافع بآل النبي الذين هم هنا أهل بيت النبي، كما ألحق رسول الله واثلة بن الأسقع مولاه بأهل بيته كما سبق.

* أدلة إطلاق الآل على عشيرة الرجل:

1 - [الحجر: 59-60].

2 - متفق عليه.

3 - (صحيح ابن ماجه 3364).

4 - (تفسير المنار 9/75 الشاملة).

5 - (أخرجه ابن ماجه قال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم).

- يقال في العُرف آل الرشيد، آل عامر، آل العباس، كمثل، ويستعمل فيما فيه شرف وتعظيم.

روى أبو داود أن عبد المطلب بن ربيعة وفضل بن العباس وهما من بني هاشم طلبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستعملهما في الصدقات فقال صلى الله عليه وسلم: « لا، والله لا نستعمل منكم أحدا على الصدقة» وفي رواية عنهما « إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَةُ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لِأَلِ مُحَمَّدٍ» معنى أوساخ الناس أي أنها طهرة لهم من ذنوبهم، فلا نأخذ آل محمد ما لا يحل لنا فنتلوث بالذنوب بأخذ ما لا يحل، فإله دعا لتطهير المؤمنين من الذنوب بالصدقة فقال: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها) وفي الدعاء الشريف الصحيح "ونقنا من الخطايا كما ينقى الأبيض من الدنس"⁽¹⁾ فالأوساخ والدنس هي الذنوب.

وعن أبي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُؤْتَى بِالْتَمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ، فَيَجِيءُ هَذَا بِتَمْرِهِ، وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ، فَقَالَ: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ"⁽²⁾..

وهناك من استدل بقوله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ) أن قوله (من آل فرعون) أي من أسرته، ولم يقل من آل موسى مع أنه من أتباعه، لأنه والله أعلم يكتُم إيمانه فلا يزال أمره في الظاهر تابعا لآل فرعون .. غير أن هذا رأي فهناك من قال إنه من قوم فرعون فلامخصص، وهو رأي ابن عباس رضي الله عنه، وهناك من قال إنه من قوم موسى ومجاز الآية: وقال رجل مؤمن يكتُم إيمانه من آل فرعون، على تقدير وجود تقديم وتأخير، وقد يحمل على المجاز فهو من آل فرعون أي من عشيرته ولكن باعتبار ما كان كما قال الله (وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ) إنما ساهم أيتاما باعتبار ما كان إذ لا يجب أعطائهم أموالهم حتى يصلوا إلى سن الرشد كما قال تعالى: (...فَإِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ...) فلا يصح دفع المال إليهم إلا بعد الرشد فقوله (وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ) ساهم يتامى باعتبار ما كان مثلما تقول لإنسان شغل وظيفة مدير في وقت سابق (يا مدير) مع أنه لم يعد مديرا.

1 - رواه البخاري ومسلم.

2 - صحيح البخاري (١٤٨٥).

من هنا فقله (رجل مؤمن من آل فرعون) أي كان من آل فرعون .. وحديث جمع الزكاة يشير إلى أنه حرمت على أقرباء النبي الصدقة وعلى نسائه وعلى مواليه فقد سماهم (آل محمد) وبالتالي (آل) بنص الأحاديث ولغة العرب قال صلى الله عليه وسلم: «ومولى القوم منهم» وإنَّ قَصْرَ تحريم الصدقة على بني هاشم في الثقافة السائدة تحكُّم، وتتكب لصريح الأدلة، وتحجير واسع بلا مستند قطعي الورود عن رسول الله، فما هو وارد من الأدلة هو دخول الأصناف الثلاثة في مسمى الآل، وبالتالي تحريم الزكاة لم يكن لعنصر بل لقرابة عامة وغايته ليس تطهيرهم منها فذلك مبني على المجاز بل لنفي تهمة استنثار النبي ورحمه بها.



الفرق بين أهل البيت وآل محمد (ج-ج)

ثالثاً - أدلة إطلاق الآل على أتباع الرجل وأنه الأصل:

* أدلة المعاجم:

جاء في معجم مختار الصحاح: "آل الرجل أهله وعياله (وآله) أيضا أتباعه"⁽¹⁾. وجاء في المصباح المنير: "والآل: أهل الشخص وهم ذوو قرابته، وقد أطلق على أهل بيته وعلى الأتباع"⁽²⁾ ومثل ذلك ذهب صاحب القاموس، وقد سبق أن قلت إن كل أهل بيت الرجل هم من آله، وليس كل آل الرجل من أهل بيته لأنهم ثلاثة أصناف.

وجاء في لسان العرب لابن منظور: "قالت: طائفة آل النبي صلى الله عليه وسلم من اتبعه قرابة كانت أو غير قرابة، وآله ذو قرابته متبعا أو غير متبع"⁽³⁾ وبالتالي اصطفاء آل إبراهيم وآل عمران منصرف إلى أنبياء فهو اجتناب رسالي، على أن أقرباء النبي دينيا لا يعتد إلا بصلة الدين لا بصلة الطين فأبو لهب من آل النبي أسريا أما دينيا فلا (فمن تبغني فإنه مني) كما سيأتي.

قال محمد بن أحمد الهروي (المتوفى: 370هـ) في كتابه (الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي) بعد أن نقل قول الإمام الشافعي في أن آل الرسول هم أقرباؤه الذين حرمت عليهم الصدقات قال: "وقال غيره: آل الرسول أهل دينه الذين يتبعون سنته كما أن آل فرعون في قوله تعالى: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} هم أهل ملته الذين تابعوه على كفره وكأن هذا القول أقربها إلى الصواب"⁽⁴⁾.

- أدلة القرآن الكريم:

مما سبق نجد أنه يدخل في مسمى الآل في لغة العرب (الأتباع) ورابط اتباع النبي هو الأصل وموافق لنصوص القرآن الكريم التي تواردت في الدلالة على أن آل الرجل أتباعه، قال الله تعالى: (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ...) الآية .. والمراد أتباعه، أي قومه، و(السنين) أي الجذب واحدة من آيات تسع نزلت عليهم، وقد يفسر القرآن بعضه بعضا ففي سورة (هود 97- 98) (... وما أمر فرعون برشيد* يَفْذُمُ قومه يوم القيامة ...) فقومه الذين يقدمهم إلى النار هم في سورة (غافر 46) آله، قال الله: (أدخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ).

1 - (1/25) المكتبة الشاملة.

2 - (لأحمد الحموي 1/29).

3 - لسان العرب (38/11).

4 - تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني - دار الطلائع (ص 66).

ومنه (أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون) أي أتباعه، قال الله فيهم: (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين* فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) — (آل لوط) هاهنا المراد بهم أتباعه وإن كانوا قليلا، بدليل ذكر (المؤمنين) و(بيت من المسلمين) .. وغير ذلك من الآيات.

* الصلاة الإبراهيمية وأدلتها:

ما ورد في السنة:

الصلاة الإبراهيمية هي قول المصلي عند التشهد في الصلاة ما ورد في البخاري عن كعب بن عجرة قلنا يا رسول الله: "علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟" فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ... (إلى آخر الحديث) قال البيهقي في تفسير قوله: (كيف نصلي عليك؟) قال: المراد في القعود للتشهد .. وقال بدخولها في التشهد الشافعية والحنابلة والصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن المؤمنين الدعاء.

** تفصيل مهم:

وهنا تفصيل لا بد منه، فقد وردت الصلاة على النبي بعدة صيغ وكلها صحيحة، قال بعض العلماء قد يكون الاختلاف بسبب اضطراب استيعاب الرواة .. وندتاولها على النحو التالي:

1- التي بصيغة «اللهم صل على آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ..» إلخ .. (1) والمراد أتباع ملته، ويدخل النبيان في الآل ضمنا لأنهما من الآل من باب عطف العام على الخاص، وإنما أفرد النبيان بالذكر للاهتمام، كما أنهما من أهل البيت كما سبق تفصيله، ويدخل في الأتباع من قرب إليه نسبا ومن بُعد، وهذا مبسوط في نصوص الوحي كما سيأتي شرحه، فنحن في الصلاة الإبراهيمية ندعو الله بالرحمة للنبي وأتباعه، ومثلما يصلي الأتباع على النبي في التشهد هو يصلي عليهم (وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) ومثلما أمر الله الأتباع أن يصلوا على النبي بقوله (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فالله وملائكته يصلون عليهم في المقابل: (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما).

فمحور الصلاة في القرآن الكريم هي بين النبي وأتباع ملته عامة، وبينى عليه أن الصلاة الإبراهيمية في التشهد مقسمة بين النبي وعامة المسلمين بأدلة تفصيل القرآن.

2- التي بصيغة «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت ..» الحديث. (متفق عليه) المراد أيضا بالهما أتباعهما⁽¹⁾.

3- التي بصيغة «اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت ...» الحديث.⁽²⁾ هذه خاصة بالنبي وأهل بيته وذريته أي بناته ومن كان له صلة رحم القرابة من الحسين إلى من له مسمى القريب مثل الجد وجد الجد وينتهي بعد ذلك القرابة الشرعية واللغوية والعرفية، ولا أدري عن صحة التشهد بهذه الصيغة وهي أقل الصيغ ذكرا .. على أنه يُشترط في أقرباء النبي أن يكونوا أيضا من أتباعه أي مؤمنين، فليس منهم أبو لهب وإلا لزم أننا ندعو في كل صلاة لأبي لهب عم النبي ولصهاينة اليوم وكفارهم؛ لأنهم من ذرية إبراهيم؛ وهنا ندرك سر قول سيدنا نوح: (ولمن دخل بيتي مؤمنا) أي اغفر لمن دخل بيتي من أهلي إذا كان مؤمنا، فخرج بذلك من ليس مؤمنا من أهله، كامرأته وابنه كنعان مع أنهم من أهله نسبا، قال الله في ابنه: (... يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ...) لأن الانتساب المعتد به إلى الأنبياء هو بالدين لا بالطين، كمسؤولية السلطان في رعاية كل شعبه وانصباب جهده على حراسة حقوق كل أمته وليس تسوية أوضاع أسرته وحسب، فهذا رب أسرة لا سلطان أمة، وأبوية النبي الدينية أقوى من أبوية الملك الدنيوية، قال المولى: (ملة أبيكم إبراهيم ...) فأضاف الله المسلمين إلى أبيهم إبراهيم إضافة ملة لا إضافة نسب، فبحكم الوظيفة الرسالية للأنبياء فرابطتهم الأولى بالناس هي الدين، والإتباع بالدين هو المعيار الذي تبنى عليه العلاقة، كما سبق وأن ذكرنا على لسان سيدنا إبراهيم: (... فمن تبعني فإنه مني ...)، أي فمن اتبع ما أنا عليه فقد انتسب إلي، وقال الله: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ...) مؤكدة بأن المشددة ولام المزحلقة، ومناسبة هذا التوكيد هو نفي الاعتداد بنسب غير نسب الدين إلى

1 - ولماذا ذكر محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام هاهنا إذا كنا داخلين في كلمة الآل؟

الجواب : أن هذا من باب ذكر الخاص مع العام للاهتمام به، كما خص جبريل وميكال بالذكر بعد ذكر عموم الملائكة فقال الله : (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) [البقرة : 98]. فقد كان يُعني ذكر الملائكة ليدخل ضمنهم جبريل وميكائيل، لكن لأن اليهود خصوا جبريل بالعداء كونه كما قالوا يأتي بالعذاب خصه الله بالذكر إعظاما له، ولما قالوا إن ميكائيل يأتي بالخصب ذكر مع جبريل لأن من عادى جبريل فقد عادى ميكائيل .. ومنه قول الله : (رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات) فلم يقل (رب اغفر للمؤمنين). واكتفى بذلك كونه هو والداه ومن دخل بيته داخلين في عموم المؤمنين، ذلك لأنه حري بالمؤمن أن يستزيد لنفسه من فضل الله، وبما أن الله قد أمر المؤمنين بالدعاء لرسوله فقد خص نفسه في صيغة من الصيغ ولمن لهم عليه حق صلة الرحم وتكون فيهم خاصة.

2 - (رواه البخاري).

الأنبياء، فجاء تفصيل نوع الانتساب للنبي في القرآن نهائياً وحاسماً وليس قوله: (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) إلا من هذا الباب، ولأن النبي ليس أباً لأحد قبض الله أبناءه ليخلصه للرسالة الخاتمة وحسب.

وقد ورد البخاري عن ابن عباس قال: (آل إبراهيم وآل عمران): المؤمنون من آل إبراهيم، وآل عمران، وآل ياسين، وآل محمد؛ يقول الله تعالى: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين).

عن الحكم بن مينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر أجمع لي من هاهنا من قريش فجمعهم ثم قال يا رسول الله أخرج إليهم أم يدخلون قال بل أخرج إليهم فخرج فقال: يا معشر قريش هل فيكم غيركم؟ قالوا لا إلا بنو أخواتنا. قال: ابن أخت القوم منهم" ثم قال: يا معشر قريش إن أولى الناس بالنبي المتقون فانظروا لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها فأصد عنكم بوجهي ثم قرأ: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) (1).

وورد في البيهقي والطبراني من طرق عدة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من آل محمد؟" قال: «كلُّ تقيٍّ من أمة محمد» ثم قرأ (إن أوليائوه إلا المتقون) (2).

وجاء في صحيح مسلم عن عمرو بن العاص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاً غير سراً يقول: «ألا إن آل أبي -يعني فلاناً- ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين» (3).

ثم إن القرب من النبي بالنسب إن لم يكن معه الاتباع أخطر من النسب إلى غير النبي قال الله: (يا نساء النبي من يأتي منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) لماذا (ضعفين)؟ لأن معصية العاصي من أقرباء النبي مركبة من معصيتين:

الأولى: معصية معرفة الحق بقربه من النبي أو ادعاء قربه منه ولم يقتد به.

والثانية: معصية مخالفته للنبي التي يشترك فيها مع بقية الناس، ومثله قول الله في

النبي: (... لقد كدت تركز إليهم شيئاً قليلاً* إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ...)

1 - الهيثمي (ت ٨٠٧)، مجمع الزوائد ٢٣٠/١٠ • مرسل فيه أبو الحويرث وثقه ابن حبان وغيره وضعفه

غير واحد وبقية رجاله رجال الصحيح.

2 - (ذكره الألباني في الضعفاء).

3 - صحيح مسلم (٢١٥).

أي ضعف عذاب الدنيا والآخرة، لأنه قد عرف الله حق المعرفة فيكون الجزاء في حقه صلوات الله عليه أشد، وحاشاه أن يفعل ذلك.

** معنى العترة:

أخيراً: قد يسأل سائل فأين تذهب بأحاديث العترة التي يدعو النبي فيها إلى التمسك بالعترة الذين هم ذريته من فاطمة رضي الله عنها؟

والجواب من وجهين:

الأول- إن الأحاديث التي تعطف العترة على كتاب الله كلها ضعيفة، ومن صححها إنما صححها لكثرة طرقها لا لصحة سندها، والعجيب أنها تروي حديثاً واحداً في مناسبة واحدة وكل صيغة مختلفة عن الأخرى على كثرتها، وما صح منها هو ما رواه زيد بن أرقم في صحيح مسلم وليس فيها عطف العترة على القرآن ولا أهل البيت.

ثانياً- وهو الأهم ليس صحيحاً أن معنى العترة هم ذرية الرجل، بل الراجح أنهم أصله وأقرباؤه، والقول بأنهم ذريته قول مرجوح لا راجح، جاء في الفروق اللغوية للعسكري في الفرق بين الآل والعترة: "قال المبرد عترة فلان أي منصبه، وقال بعضهم العترة: أصل الشجرة الباقي بعد قطعها، قالوا فعترة الرجل أصله، وقال غيره عترة الرجل أهله وبنو أعمامه الأذنون، واحتجوا بقول أبي بكر - رضي الله عنه - عن عترة رسول الله يعني قريشاً، فهي مفارقة للآل على كل قول، لأن الآل: هم الأهل والأتباع والعترة: هم الأصل في قول، والأهل وبنو الأعمام في قول آخر" (1).



الشبهة (51)

نظرية الاصطفاء عند البخيتي

* الرد على شبهات محمد البخيتي عضو المكتب السياسي والنطاق الرسمي للحوثي:

توصل الأخ محمد البخيتي في منشوره إلى حق الاصطفاء بنتائج خاطئة بنيت على مقدمات خاطئة وتلك هي المصيبة التي وقع فيها أصحاب الاصطفاء وجروا علينا وعلى أنفسهم الويلات.

يقول في مقدمة منشوره ما ملخصه من يستكبر عن تفضيل أهل البيت كإبليس الذي استكبر عن السجود لآدم.

الجواب:

1- الاستدلال بسجود إبليس لآدم أوردتها مقلوقة فليست ذرية سيدنا علي يا بخيتي آدم وليس غيرهم إبليس، فإبليس لم يستكف عن السجود لآدم لأن آدم لم يجعله الله أفضل منه بأصل التركيب، بل لأنه اعتقد أن عنصر خلقه أسمى من آدم، وأنه لا يليق أن يسجد الأرفع للأوضع فهو من نار وآدم من طين .. فمنزعه كان عنصريا استعلائيا لذلك لعنه الله وطرده من رحمته، كما لعن بني إسرائيل بسبب هذا المنزع الذاتي الاستعلائي حينما قالوا: (نحن أبناء الله وأحباؤه) فقال الله لهم (بل أنتم بشر ممن خلق).

وإنما أمر الله الملائكة وإبليس أن يسجدوا لآدم لسبب ليس فيه العنصر، فأصل آدم من تراب وبقية الحيوانات من تراب لو كان العنصر هو السر .. بل ذكر الله السر في كتابه وحاو الملائكة على أساسه، ألا وهو التكريم باستحقاقات عبادية منها:

العلم قال الله: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَأَعْلَمُ مَا تُبْذُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ
وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١)

فأحد الأسباب هو العلم الذي ميز الله به آدم أما الملائكة فقالت: (لا علم لنا إلا ما علمتنا) وبهذا العلم رفع الله مقام الإنسان فقال: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) قال (منكم) لجميع المخاطبين وقال (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال في أحد علماء بني إسرائيل الذي استخدم العلم في غير محله (ولو شئنا لرفعناه بها) أي بالعلم (ولكنه أخذ إلى الأرض) .. وآيات أخرى كثيرة.

لأن آدم وذريته سيكون بالطاعة أفضل من كل البرية، لأنه سيطيع الله اختياراً لا جبراً وحوله الفتن والمغريات وهي الشيطان، والدنيا، والنفس الأمارة بالسوء، والهوى لذا قال الله: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) أي أفضل من كل ما برأ الله من الخلق يدخل فيهم الملائكة ويدخل فيهم إبليس، فهنا استحقاق إضافي.

ثم إنه كان ابتلاء للملائكة ولإبليس في مدى طاعتهم لله فإن كانت مطلقة فليقبلوا بأمر الله وليسجدوا للمخلوق لم يسجد لله بعد، وهذا اختبار عجيب، أن يسجد من عبد الله آماداً لمن لم يعبده بعد .. وإن كانت مشروطة بحظوظ ذواتهم فليرفضوا لأنهم أرقى طاعة كونهم عبدوا الله آماد السنين وعنصراً كون الملائكة من نور، وإبليس من نار، فيما آدم من طين لكن لا اعتبار لهذا التفوق بل التفوق يكون بطاعة الله المطلقة غير المشروطة، أما الملائكة فقد نجحت في الابتلاء وسقط فيه إبليس.

2- لقد أثبت محمد البخيتي مع ذلك أن بني آدم جميعاً أصحاب تكريم، وليس فقط سلالة معينة، فالسجود لأبي البشر جميعاً قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (2).

3- لقد كان أبونا آدم عليه السلام نبياً إذن الجميع تجري فيه النطفة الطاهرة لو كانت المسألة أصل خلق الجد الأول فما الفرق؟

1- [البقرة 31-34].

2 - [الإسراء : 70].

4- ما أمر الله ورسوله به العباد من مسائل العقيدة والعبادة يبقى موقوفا عليهما فلا يقاس بالسجود لآدم سجود لغيره، كما لا يقاس بتقبيل الحجر الأسود تقبيل غيره تعبدا بغير دليل، ولا يقاس الطواف بين الصفا والمروة طواف في غيرهما، ولا يقاس برفع عيسى وبقائه حيا آلاف السنين بقاء غيره حيا آلاف أو مئات السنين، وهكذا وإلا صح بهذا القياس أن يقول من شاء ما شاء وأن يقتل من شاء امرئاً بريئاً قياساً بقتل الخضر للغلام بدعوى أن الله أمره بذلك، ولم يفسد الناس ويضلهم عن طريق الله إلا هذه القياسات الفاسدة، فأين الأدلة الصحيحة الصريحة قطعية الثبوت والدلالة التي تساوي آدم في السجود لهم وتقديسهم؟.

ثانياً- تحدث الله في كتابه عن أصناف من عباده فضلهم ليس فيهم ذرية علي ولا بنو هاشم فقال عن بني إسرائيل أنه فضلهم على العالمين لأنهم كانوا أهل رسالة، وكان ذلك تفضيلاً نصياً واضحاً للناس جميعاً (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ)⁽¹⁾ وليس مجرد أوهام وأمان فارغة .. وأنه فضل مريم بنت عمران: (على نساء العالمين) .. وقال في المهاجرين والأنصار أنهم (أعظم درجة عند الله) وأنهم (السابقون الأولون) وأن أمة محمد (خير أمة أخرجت للناس) وقال فيها: (هو اجتباكم) وقال في كل من آمن وعمل صالحاً: (أولئك هم خير البرية) ومرد كل هذا الفضل لصالحهم وتقواهم في الدين وللمهمة الرسالية التي أنيطت بهم لا أقل ولا أكثر .. ولم نجد آية واحدة تتحدث عن أن ذرية علي هم أفضل الناس، ولا أنهم خير الناس ولا أنهم أعظم درجة .. ولا أنهم متميزون عن غيرهم في شيء البتة .. أما لو نزلت فيكم آية كآية النحل أو النمل لادعيتم أنكم خلقتكم السماوات والأرض، فلا نظير لكم في الجرأة على الادعاء وإن الكافر والصغير والكبير ليستحي أن يقول لإنسان آخر أنا أفضل منك وأشرف منك والأرض أرضي والحكم حكمي .. شيء يعجز القلم عن وصفه فائض غرور بلا مستند من عقل ولا نقل .. فأين وجودكم في القرآن؟

يرد محمد البخيتي على ذلك باستدلالات فاسدة بأن الله قد ذكر أنه اصطفى آل إبراهيم وآل عمران على العالمين فكيف لا يصطفى آل محمد ومحمد أفضل الأنبياء؟

والرد على ذلك ما يلي:

1- آل إبراهيم وآل عمران المذكورون في الآية الذين اصطفاهم الله هم أنبياء يا بخيتي هم إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) ⁽¹⁾ وعيسى فهل ذرية علي رضي الله عنه أنبياء؟ ولذلك لم يقل الله في أول الآية إن الله اصطفى آل آدم وآل نوح لأن ذريتهم الأذنين لم يكونوا أنبياء كآل إبراهيم وآل عمران.

2- آل الرجل هم قومه وأتباعه، (... أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) ⁽²⁾ ولا يضاف الآل إلى الجماد كالبيت فلا يقال آل البيت ولا آل الجيران ولا آل اليمن بل أهل البيت وأهل اليمن وإنما يقال في كلمة الـ(آل) آل إبراهيم وآل عبد الله وآل مكتوم وآل ثاني نسبة إلى الرجال فهم قومهم وأتباعهم، وإلا لكانا نصلي على ننتياهو وإسحاق رابين في كل صلاة لأنهم آل إبراهيم إنما المراد أتباعه ومن سار على سيرته قال (فمن تبغني فإنه مني) وليس من أنجبته، فالإتصال عقلي وقلبي وليس تناسلي.

3- ليس ذرية علي بن أبي طالب ذرية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم نهائيا لا شرعا ولا لغة ولا عرفا قال الله (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم).

قال الشاعر : بنونا بنو أبنائنا وبناتنا * بنوهن أبناء الرجال الأبعاد

وإذا قيل إنهم ذريته من فاطمة رضي الله عنها فالجواب أنه لا يكون ذرية الرجل من بناته، بل من أبنائه قال الله: (... وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ...) ⁽³⁾ فالحفدة يكونون من البنين وليس من البنات، والبنات غير البنين دليله الآية (... وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ...) ⁽⁴⁾ (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ) ⁽⁵⁾ ولو كانت البنين شاملة لم يذكر معها البنات.

وعند النسب ينسب الرجل لأبيه قال الله: (ادعوهم لأبائهم) فلا يقال فلان بن فلانة بن فلانة .. بل فلان ابن فلان، الشجرة تكون للأباء فيقال علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

1 - [الحديد : 26].

2 -[غافر : 46]

3 - [النحل : 72].

4 - [الأنعام : 100].

5 - [الطور : 39].

بن عبد المطلب وليس علي بن الحسين بن فاطمة بن محمد. أين ذهبتم بالأب؟ وكيف يصير للواحد نسبان من الأب والأم؟

وإذا قيل فالله يقول: (... فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ...)⁽¹⁾ وقد أراد ب(أبناءنا)

الحسن والحسين فهم من أهل الكساء والخمسة الذين برز معهم رسول الله للمباهلة.

والجواب: أن البنية هنا علي سبيل المجاز وليس على الحقيقة، كما تقول لابن الجبران يا بني، ومن قال أن الحسنين أبناء رسول الله على الحقيقة فقد أتى ببهتان عظيم فهو ليس أباهم ولا أبا أبيهم لا يرث منهم ولا يرثون منه.

4 - حتى لو كان أصلهم أبناء رسول الله (وهذا محض هراء) فلا يمكن بعد اختلاط الأنساب أن يستمروا يمثلون الثلاثين جدا وإلا لكان بنو إسرائيل أبناء أنبياء وهي نفس الإشكالية التي يعاني العالم منها اليوم وهي ادعاء طهورية وارتقاء سلالتهم وقالوا بسبب هذا الوهم: (ليس علينا في الأميين سبيل) لأنهم فوق البشر .. إنما يقال بني آدم لأنه أبو الجميع كذلك نوح لأن الذرية بعد الغرق ترجع إليه قال الله (وَجَعَلْنَا نُورِيَّهٖ هُمَ الْبَاقِينَ)⁽²⁾ غيرهم يختلطون ببعضهم ولا مفرق.

ولا اعتداد بأحاديث المهدي التي تذكر بعضها (يخرج رجل من أهل بيتي) فهي أصلا ضعيفة ومضطربة ومتعارضة مع العقل والنقل، وقد أفتى القرضاوي رحمه في بث تلفزيوني بأنه شخصية غير حقيقية، فعن أي أهل بيت تتحدث تلك المرويات بعد مئات السنين هل يصح أن نكون نحن من أهل بيت آدم وأهل بيت نوح (مالكم كيف تحكمون)؟

ولقد أيد القاضي العلامة الهاشمي محمد بن الوزير الوقشي عدم استمرار أهل البيت إلى ما لا نهاية في فتوى متناقلة وأثبتها في منشور على الفيس بوك.

على أنه لا علاقة للجينات الوراثية بهذا الوهم العريض وهم التميز، وقد ضرب الله لنا أمثلة في القرآن الكريم، فلو كان للعنصر أي تأثير لما كان ابن نوح في النار، وأبو إبراهيم في النار، وزوجة لوط في النار وعم محمد في النار .. ولما ذكر أبو لهب في معرض القدر

1 - [آل عمران : 61].

2 - [الصفات : 77].

وذكر زيد بن حارثة وهو مولى في معرض المدح ولما كان بلال الحبشي وصهيب الرومي أفضل من عمه القرشي.

ويستدل البخيتي على الاصطفاء المزعوم بقوله تعالى: (... قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ...) (1).

الجواب: 1- ما علاقة المودة بالاصطفاء؟؟ فالمودة تقوم بين إنسان وآخر وبين الرجل وزوجته (وجعل بينكم مودة ورحمة) بل حتى بين مؤمنين وكافرين محتمل إيمانهم كما قال الله (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً) (2).

وقال (... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ...) (3) فالمودة هي البر والميل النفسي قد تكون من كافر لمؤمن ومن مؤمن لكافر إذا كان في ودهم تأليف لهم ألم يقل المولى (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ [وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ] إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (4).

فالمودة يا بخيتي ليست تأليفا ولا استعبادا ولا سطوا للحقوق، ضخمت بالأوهام أدلة موهومة، وجعلتموها أساس الدين وتركتم عشرات الآيات المحكمة لوجود هوى في النفس وهو جعل الدين مطية لأطماع الدنيا.

2- الجهل هو الذي أحل بنا المصائب، وإلا فإن الراجح في التفسير هو (قل لا أسألكم عليه أجرا) لا أسألكم مقابل دعوتي إلا أنني أودكم لقرابتكم مني ومودتي لكم وأريد لكم الخير وتدخلوا الجنة، وليس المراد إلا أن تودوا قرابتي، فلا يمكن لرسول الله صلى الله عليه الصلاة والسلام أن يسأل الناس أجرا على التبليغ، لا مودة ولا غير مودة، يجلي قول الله على لسان نبيه (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ...) (5) أي لنفعمكم ودليل ذلك آيات عدة على لسان الأنبياء نحو عشر آيات تقول: (قل ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على

1 - [الشورى : 23].

2 - [المتحنة 7].

3 - [المائدة : 82].

4 - [المتحنة 8].

5 - [سبأ : 47].

رب العالمين) .. فكيف يطلب رسول الله أجرا على التبليغ؟ .. وكيف يصبح ذلك بمثابة المن والأذى إلى يوم القيامة؟

ولقد بنى البخيتي على المودة قياسا عجيبا فاسدا فيقول: "وكما اختبر الله أهل السماء بالسجود لأدم اختبرنا بمودة أهل البيت" وما علاقة مودة أهل البيت بالسجود يا رجل؟
ثم أقام على القياس الفاسد المتعسف قياسا خطيرا يذهب بإيمان المؤمنين أدراج الرياح حيث قال: "وكما لم تشفع لـإبليس عبادة ستة ألف سنة أمام جحوده بولاية آدم فإن عبادتنا مهما بلغت لن تنفعنا أمام جحودنا بمودة أهل البيت".

ثم يتناول طرد إبليس من الجنة وغضب الله عليه ووالخ ليقول إن مصير من لم يودهم - بعد أن صار معنى المودة هي الولاية والحكم وميراث الكتاب والاصطفاء- "سيكون مصيره مصير إبليس".

أرأيتم كيف يتم استدراج العقول بالوهم الخادع والتوصيف الفاقع؟ رغم عدم وجود دليل من أساسه على كذبة كبيرة اسمها الاصطفاء، ولا وجه شبه بين موضوع سجود إبليس لأدم وما يريد البخيتي أن يثبتته، فأسقط الواقعة القرآنية المفصلية العظيمة على ذرية سيدنا علي الذين أقامهم مقام آدم ومن لا يسجد لهم مقام إبليس؟

ثم يورد الآية للاستدلال على اصطفاء صناعي متوهم لذرية علي أو ذرية أبناء عم النبي رضي الله عنهم جميعا وهي: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُكَا عَظِيمًا) (1).

وهكذا يتوقف حسد العرب والعجم على ذرية بني هاشم أن آتاهم الله الحكم والسلطة .. ولم يكن في طول القرآن وعرضه مفاصلة بين الإسلام وأهل الكتاب إلا على الإيمان بالله واتباع الدين الجديد فالحسد هو على الرسالة قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) (2) وليس هل تتقمن منا على سلطة آل محمد؟؟ وقال (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (3)

1- [النساء 54].

2- [المائدة 59].

3- [البقرة 105].

هذا هو سر الحسد، وأما الملك المذكور في قوله: (وآتيناهم ملكا عظيما) فانه يقول إذا كان حسدكم على تحويل الرسالة هو محبة استنثاركم بها لجعلها بوابة للتسلط فقد أعطاكم الله من قبل النبوة والملك وأخذتم ما تتمنون من الدنيا والدين.

على أن سياق الآية السابق واللاحق تتحدث عن بني إسرائيل، وليس عن غاصبي الحكم من بني هاشم، الثقافة الاستعلائية التي حولت الدين إلى تجارة ومن وأذى.

وأنا أسأل البخيتي، هل هناك آية واحدة أوضح من آيات الشورى في الحكم إذا كنتم حقا قرآنيين وتدورون مع القرآن حيث دار؟ وأسأله ثانية: إذا كانت كل الآيات التي تستدل بها على الحكم غير قطعية ومتشابهة لاتصلح للاستدلال على كليات الدين التي أدلتها من المحكمات وإنما يتبعها الذين في قلوبهم زيغ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، أسألك سؤالا لماذا طلب ملاً من بني إسرائيل من نبي لهم أن يجعل لهم ملكا فيبعث الله لهم من يحكمهم رجلا عاديا ليس من أبناء الأسباط ولا من أبناء الملوك. فإذا كان الحكم مرتبطا بالرسالة وأبناء الرسل لماذا لا يكون هذا النبي نفسه هو الحاكم عليهم؟

وإنك لن تجد آية واحدة على لسان نبي تقول ابتعثنا الله لإعادة الحكم المغتصب إلى أهله؟ بل كله (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) كيف صار الحكم (الولاية) هو الركن الأعظم ومدار هدي الله قائم على عبادته وهي مهمة الاستخلاف الأولى؟

يستدل البخيتي بقول الله لأبينا إبراهيم: (إني جاعلك للناس إماما) ويريد البخيتي جاعلك حاكما وليس إماما هاديا كما قال الله: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) ، فإذا لم تكن إمامة الدين فأنا أسألك يا بخيتي هل وفى الله بجعله إبراهيم عليه السلام حاكما وهو الذي لا يخلف وعده فقال: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ...) وأين كان ذلك الحكم لو كان معنى الإمامة الحكم؟ وهو الذي عاش متنقلا بين المهاجر يطارده الحكام من قطر إلى آخر .. أين الحكم الذي حكم به حتى يقال ورث هذا الحكم ذريته الصالحين؟

لقد تحقق الاستخلاف لأمة محمد لأن الله وعدهم بآية واضحة وقصر الله الوعد (بالذين آمنوا منكم) أي من المسلمين بعامه.

ثم يقول الأخ محمد البخيتي: قد يجادل البعض بالقول أن هناك أشخاصا منحرفين وظالمين في ذرية محمد صلوات الله عليه وعلى آله. نقول لهم ألم تقرؤوا قول الله سبحانه وتعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (1).

ويشرح ويقول: "أي أن الاصطفاء لا يرفع التكليف عن الذرية، ووجود ظالمين ومقتصدين في ذريته لا يتعارض مع الاصطفاء" ويريد أنهم هم فقط ورثوا الكتاب بعد ميراث الحكم معززا ذلك بقول الله: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (2).

والجواب:

ما نقول لورثة الكتاب من عموم بني إسرائيل الذين وصفهم الله بأوصاف الإنحراف جميعا وليس بعضهم الظالم لنفسه قال الله: (وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُ الَّذِي أَخَذُوا ؕ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ؕ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْتَقُونَ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (3) فالله يتحدث عن ورثة منحرفين، وإنما القصد الأمة كلها والجيل كله، فالحديث عن كل بني إسرائيل ومنهم يهود المدينة فأين المصطفون منهم السابقون بالخيرات إذا كانت مسألة الوراثة والتوريث فقط للمصطفين؟.

أما آية التطهير فهي ككل الأدلة التي ضخموها وجعلوها دالة على سمو فوق البشرية واستلواها من بين آيات تمدح أمهات المؤمنين؛ لأنها كما قالوا قالت: (إنما يريد الله ليذهب عنكم) ولم تقل (عنكن) مع أنه قد ورد في خطاب الله لسارة زوجة إبراهيم بقوله (رحمة الله وبركاته عليكم) ولم يقل (عليك) لكن دعنا نسلم بأنها جزء من الحقوق المحفوظة .. وعليه نسأل المطهرين ما تقولون في قول الله: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ

1- [فاطر : 32].

2- [الأحزاب : 33].

3- [الأعراف 168- 169].

عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ⁽¹⁾ هذه الآية نزلت في عموم المسلمين فأيهما أوضح وأجلى وأولى بالقول بالتطهير ففيها زيادة (وصل عليهم) معززة بأخرى وهي قوله: (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) فإله طهرهم وصلى عليهم هو ورسوله وملائكته فأين هذه يا أمة محمد من تلك؟ .. هل نقول فقط أنكم أطهار لأن معكم آية طهارة فما نقول للآيات الأخرى التي نزلت في جميع من يزكي؟

أخيراً يستدل بأن الله ميز بني هاشم بأن حرم عليهم الزكاة.

الجواب: نصيحة كلوا من الزكاة والصدقة وخذوا كامل راحتكم، فالتحريم كان لأهل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأرحامه ومواليه في عهده، وتحريم ميراثه عليهم من بعده كمبدأ عظيم من مبادئ الدين العادل وهو إبعاد الدعوة من أي شبهة أسرية أو سلالية واستئثار بالمال من دون الناس، أو الحكم والتسلط بل كان يقدم أرحامه وأحابيه للاستشهاد فيقول أقدم يا علي للمبارزة .. أقدم يا حمزة .. ويا حارث ويقدم زيد بن حارثة حب النبي ثم عمه جعفر أحب الناس إليه في غزوة مؤتة وهو يعلم أنهما سيصابان في المعركة وعندما جاء علي رضي الله عنه يطلب مفاتيح الكعبة أبي عليه ذلك وقال: " معاذ الله أن أعطيكم إلا ما تُرزؤون لا ما تَرزؤون".

فيا أهلنا .. الدين ليس استكباراً ولا علواً ولا فساداً في الأرض، ولا استئثاراً ولكنه هدي وتواضع وإيثار ولين جانب ومحبة بين الناس.

وقفنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه

د. بشير المساري

صنعاء - 19/فبراير/2018م



الشبهة (52)

تصنيف المسلمين بين حسيين ويزيديين

- يقول الشيعة أنهم اختاروا الحسين رضي الله عنه في تشيعهم وأنهم ينصرون مظلوميته وأن غيرهم اختاروا يزيد كيف الرد على ذلك؟

الجواب:

هي دعوى تبريرية لا وجود لها في الواقع، تبريرية لأنهم يتمسحون باسمه ويتباكون كذبا عليه وهم يعلمون جيدا ملابسات استشهاده وأين وكيف .. فلا يوجد مسلم يحمل للحسين أي ضغينة، بل كل مسلم يتعبد إلى الله بحبه، والمسلمون المتبعون أولى بغيرهم من نصرته والدفاع عنه، وفي نصره سيدي ومولاي الحسين - رضي الله عنه - أقول ابتداء: إن قاتله ملعون في السماء وفي الأرض .. أمرا كان أو مأمورا .. أيا كان اسمه ومسماه .. من يزيد الشام إلى (ذو الجوشن) العراق .. كل يتقلب في أمه الهاوية، من أشار بأمر .. أو أشار برأي .. أو رضي بقول .. أو رمى بسهم .. أو طعن برمح .. أو ضرب بسيف فالأمر من هذه الناحية محسوم مع كل مظلوم فكيف بالحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ .. على أن ما يهم الحسين هو ألا يُخذل مرتين .. مرة في حياته وأخرى بعد مماته .. بل يجب أن ننصره ونُدبَّ عنه ما ينسب إليه ويمارس باسمه .. ننصره ونقول: إذا كان قد قُتل الحسين في كربلاء بسيوف شيعة أهل الكوفة فلماذا تكون توبتهم بقتل أهل السنة في الأنبار والثار من الأبرياء في سوريا؟ .. هل يريدون أن يقولوا إن تتصلهم عن المسؤولية وتحميل البريء جريرة الجاني هو مما يرضي الحسين - رضي الله عنه - ويرفع عنهم الحرج؟ أم هل يريدون أن يقولوا إن مما فيه رضا الإمام علي رضي الله عنه أن تقصف منارة مسجد مثلا باسم نصرته، والجاني يهتف (يا علي) ؟ .. هل يريدون أن يقولوا إنه يُرضي الحسين أن يكتب اسمه في عصابات الرؤوس، وعلى صواريخ التدمير التي قد تنزل على مدرسة أو مستوصف والجاني يهتف (يا حسين) ما للحسين وما لظلم العباد؟! .. هل يريدون أن يقولوا إنه يرضي زينب - رضوان الله عليها - أن تدمر المدن وأن يُحاصر الأطفال والنساء باسمها ويمنع عنهم شربة الماء التي منع منها أهل الطف؟ .. هل يريدون أن يقولوا إن أهل البيت

يبحثون عن أي ضحية ليثأروا منها ويتلذذون بقتل الأبرياء فقط لكي يشفوا غليلهم بمقتل الحسين؟ .. وهل صورة الوحشية هذه التي يريدون أن يلصقوها بأهل البيت بالشيء الذي يرفع من قدر أهل البيت أم يزري بهم ويحقق مآرب أخرى ليس لأهل البيت فيها ناقة ولا جمل؟

ننصر الحسين ونقول: من كانت له مصالح دنيوية فليترك اسم الحسين، واسم علي واسم أبي الفضل العباس، واسم زينب، وجميع آل النبي من الصراعات الدنيوية والأطماع التوسعية .. فليقاتل من شاء على دنياه، ولكن ليكفوا عن المتاجرة برموز لها قيمتها عند الناس .. وليتركوا إطلاق أسماء أهل البيت على مليشيات فاشية من مثل كتائب الحسين .. كتائب زينب .. لواء أبو فضل العباس .. سرايا الحسين .. الخ فأهل البيت آثروا أن يعيشوا مظلومين في حياتهم مغدور بهم من أشياعهم قبل أعدائهم، وتركوا الدنيا لأهل الدنيا من أجل حقن دماء المسلمين، فهل من مصلحتهم أن يصوروا كظالمين بعد مماتهم؟ .. هل يرضي الحسين أن يتحول استشهاده أو استشهاده أبيه وبطولاته إلى مجال استثمار من أجل مكاسب الغير .. وتوظيف مستمر لتصفية الحسابات مع الخصوم .. وإشهار أسماء أهل البيت في وجه شريحة من المسلمين يتعبدون إلى الله بحبهم؟.

ننصر الحسين بالدعوة المترجية أن لا تبدأ قصة السباق على المناصب والمكاسب من قصة مظلومية الحسين، وألا تتحول عاشوراء إلى حفلات إشهار سياسية للكسب الرخيص .. وإشهار سيوف انتقامية يتكرر التلويح بها نحو عناوين خاطئة لمجرد الابتزاز غير الشريف، فهؤلاء العظماء أكبر من أن يتحولوا إلى مجرد أدوات استعمالية للاستثمار المادي، أو التوظيف السياسي، وممارسة التجبر والتكبر على البلاد والعباد .. هناك من ينقب في ثنايا التاريخ عن مظلوميات لأهل البيت لكي تظل مجال ابتزاز ومن .. كما يمنون على الإسلام بعدد قتلى علي من الكفار .. ويمنون عليه بقتل عمرو بن ود العامري .. ويمنون عليه بفتح خيبر .. ويريد من المسلمين تسديد فاتورة بلاء سيدنا علي وجهاده .. فهل يرضي علي رضي الله عنه تسليع رصيده من الجهاد والتضحيات، الذي ما أنذر حياته إلا لله؟

يجب أن ننصر الحسين أيضا ونقول: افصلوا اسم الحسين عن البدع والمنكرات التي ابتدعتها باسمه .. فلم يقل إن الحج إلى كربلاء أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام .. ولم

يقول إن الطواف حول قبره أفضل من الطواف حول بيت الله الحرام .. فالحسين ابن بنت سيد
الموحدين وحاشاه أن يقود الناس بعد الهدى إلى الضلال.

ننصر الحسين ولا نتركه يُخذل مرتين .. مرة بتركه طُعماً للسيوف .. ومرة بتحميله
عبء أهواء الناس وأطماعهم بعد مماته .. وهو عن نصر كهذا في الوقت الضائع في غنى،
فمن خذل الإمام علي .. وخذل الحسن وأخيه الحسين .. وخذل زيدا بن علي أحياء لا يمكن
أن ينصروهم أمواتا.

كما ننصر سيدنا الحسين بالذنب عنه من ردة فعل العباهلة في اليمن بأن جعلوه المسؤول
عن الفتنة في خروجه إلى العراق، ولئن لم يقدر الموقف فقد أنصف مستقبله عمر بن سعد
وقادة أهل الكوفة الذين استقبلوه لقتاله أو لقتله بالأصح إذ دعاهم أن يتركوه ليعود من حيث
أتى، أو يذهب إلى يزيد في دمشق ويضع يده في يده، أو يذهب إلى ثغر من الثغور ليجاهد في
سبيل الله، لكنهم أبوا إلا الاستسلام دون قيد أو شرط فهتف هيهات منا الذلة وقدم روحه في
سبيل العدالة.

ننصفه كذلك ممن يحملونه جريرة أدياء حبه وما يمارسونه من منكرات لا ترضي الله
ولا رسوله ولا آل النبي كما سبق، فما ذنبه إن كانوا يتمسحون باسمه واسم أبيه، وهل يُحمَل
المسيح عليه السلام ذنب من ادعى ألوهيته وعبده من دون الله؟ قال تعالى: (ولا تزروا وزارة
ورز أخرى).



الشبهة (53)

الباطنية الدين الموازي

- أليسا الباطنيون مسلمون يحبون الإسلام ومظاهرهم إسلامية أكثر من أهل السنة؟

الجواب:

الشكلانية الدينية جزء من الخداع الفكري، فليس المظهر دليل بالضرورة على المخبر، فهي طقوس تلبسية حتى على مستوى الشعائر، فقد أسفرت انحرافاتهم عن ابتداع دين جديد غير ذي صلة بالإسلام .. فبسبب غياب القواعد الأصولية الضابطة لعقيدتهم، وقع الفكر الباطني في ظلمات الظنيات، وأمواج الأوهام المتلاطمة .. فأسفر عن دين مشوه، ليس بدين الإسلام في جملة ولكنهم يريدون أن يحلوه محل الإسلام .. هل جاء ذلك عبثاً أم مخططاً له؟ الأدلة النقلية وشواهد الواقع تقول جاء بنية الانتقام من الإسلام، لقد حلت طقوس صناعية محل شعائر الدين؛ لتكون بديلاً عما في الإسلام من طقوس وعقائد ويعمل مشروع (تصدير الثورة) على تعميمها.

- ف(الولاية) حلت محل شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ففي أركان الإسلام في الاثنا عشرية المسمى عندهم (دعائم الإسلام) كما أوردوها (عن جعفر قال بني الإسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية ولم يناد بشيء كالولاية)⁽¹⁾ وهذه تشير إلى مسألة خطيرة وهي عدم القبول بالدخول في الإسلام من بوابته، فالإسلام هو الإيمان بوحداية الله وبرسالة محمد بن عبد الله أما بقية الأركان فهي في كل الديانات تقريباً؟ وقد حولوا وجهتها أيضاً كما نرى.

والمراد بالولاية ولاية علي رضي الله عنه وذريته من بعده، ويقسمونها إلى ولاية سياسية، ودينية، وتكوينية، فقد استولت بهذا المفهوم على مفهوم العبودية حتى الشجر، والحجر، والبشر، والحشرات، والخضروات، من باذنجان، وملوخية، وجزر، يصنفونها بين موالٍ ومعادٍ بين محبٍ وناصبي، وكذا البراءة مما سموه بأعداء أهل البيت وهم الخلفاء

1 - انظر كتاب الكافي للشيخ الكليني (ج2/ص18).

الراشدون الثلاثة ومن والاهم من المسلمين، كمعطى من معطيات الموقف الثأري من الفاتحين وذريتهم الذين أدلوا حكم الفرس.

- وحل عندهم (الخمس) محل الزكاة، وإنما الخمس في القرآن خمس أنفال الجهاد صدقة جارية مفتوحة لله ولرسوله، ولذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن سبيل، لخمسة مصارف تصرف من بيت مال المسلمين للمسلمين، وليس تجبى من المسلمين للأئمة كما لو كان المسلمون كفارا وأرضهم أرض خراج .. وهذا ما حدث فقد حلت محل الزكاة، وصاروا يأخذونه من كل دخل فقرائهم وترد على أغنيائهم، أما الزكاة فهي نسبة بسيطة تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء.

- وحلت (الحسينيات) محل المساجد التي هُجرت وازدهرت الحسينيات بدلا عنها، وصارت تسكب بين يدي الضريح العبرات وتطلق الزفرات، فيما لا تكاد تجد واحدا منهم يبكي من خشية الله، والتدبر في آياته، قال جل ثناؤه: (... خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ...) (1) (... وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (2) فالخشوع والخشية هي لله ومن الله لا للبشر لكنهم اتخذوا أئمتهم أندادا من دون الله: (... يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (3).

- وحل (الحج إلى كربلاء) الذي يعلنون أنه مجرد زيارة لأبي عبد الله الحسين، لكنها في كتبهم وفي فتاوى علمائهم، حلت في الأجر والثواب محل الحج إلى بيت الله العتيق، وتزيد على الحج إلى مكة من 20 ألف إلى 200 ألف إلى ألفي ألف مرة طبقا لما يطلع في رأس المرجع، ويفتخرون أن الناس تحج إلى كربلاء أكثر من مكة .. ويضاهئون بها بيت الله الحرام، ويضللون أتباعهم، وإلا فإن مئات الملايين من المسلمين يتمنون لو يسمح لهم بالحج إلى بيت الله.

- وحل (قرآن فاطمة) أو (مصحف علي) محل القرآن، بعضهم ينكر ذلك تقية، وأكابر علمائهم يقولون في كتبهم إن الأخبار بتحريف القرآن مستفيضة بل ومتواترة، ويذكرون أن القائم (المهدي) سينهي العمل بالقرآن المتداول ويطبق قرآن فاطمة رضي الله عنها، [وأنا الآن

(1) [آل عمران : 199].

(2) [الأنبياء : 90].

(3) [البقرة : 165].

أكتب تأملة محققة لا أنشر بحثا حتى أطلب بالنقولات المستفيضة وتوثيقها، ويمكن البحث لمن يريد التأكد والنقد].

- أحلوا مقولات نُسبت إلى (جعفر الصادق) رضي الله عنه عن طريق المدلس جابر بن يزيد الجعفي وغيره من محدثي الكوفة محل سنة النبي، هؤلاء الكوفيون لا مستند على تتلمذهم على يد جعفر ولا أنهم زاروه لكنهم فصلوا لهم أحاديث تناسب الدين المخترع فليس إلا ما رواه لهم جابر بن يزيد الجعفي عن أبي عبد الله جعفر ورواة آخرون وكلهم من الكوفة وجعفر مدني ولم يخرج من المدينة، فكيف استقل رواة من العراق بمئات الآلاف من الأخبار عن جعفر المدني الذي كان له تلاميذ أكثر من أهل ملة الإسلام ولم يرو عنه ابتداء ولا غلو؟ مما يشير إلى أنهم كذبوا عليه واستعاروا اسمه لتمرير دين منتحل.

- وحل (الإمام) محل النبي فهو معصوم مثله ويتلقى الوحي مثله، بل جعلوا مرتبة الإمام أكبر من مرتبة النبي فكل إمام نبي وليس كل نبي إمام، وقد يبلغ الإمام منزلة - كما كتب الخميني في كتاب الدولة الإسلامية - لا يبلغها نبي مرسل ولا ملك مقرب.

- بل لقد حل الإمام محل الذات الإلهية، فبعد أن نفوا عن الله الصفات والأفعال بحجة التنزيه، صار الإمام هو المتحكم في ذرات الكون، ويسمونها الولاية الكونية، فهو العالم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون إلى يوم القيامة، وهو من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء .. وببده النفع والضرر، وهو الذي يقضي الحوائج .. وينفس الكربات .. ولذلك يسألون إذا سألوا المخلوق ولا يسألون الخالق إلا قليلا، ويذكرون إذا ذكروا المخلوق ولا يذكرون الله إلا قليلا. وفي مقاطعهم المتداولة وكتبهم المنشورة أن كل لفظ (الله) في القرآن المراد بها علي، ويقولون علي ربنا يوم القيامة، وأن أعلى مقامات العبودية أن يكون الشيعي عبدا لأهل البيت؟؟ قال: (علي الكوراني) أحد مشايخهم من الاثناعشرية من الأردن على البث المباشر: (إذا قلت يا الله ولم تقل يا علي فقد أشركت) قالها هو وغيره!. نعم يشددون على مسألة أن المولى تعالى هو الذي أعطى الأئمة هذه الصلاحيات التي تغيبه عن تقدير خلقه وإدارة ملكه، وليت شعري ما هي المناسبة حتى يتنازل الله عن ربوبيته وألوهيته وصلاحياته لأحد مخلوقاته؟ وأين هذا التنازل التي تم لأنتمهم؟ لقد تفوقوا بهذا الزعم على كفار قريش الذين كانوا يؤمنون بالله، وإنما يعبدون الآلهة لتقربهم إلى الله زلفى كما زعموا لا أنها في نظرهم تتحكم في ذرات الكون .. وبالتالي فالعقيدة الرافضية عقيدة وثنية، منتحلة من فكرة أن الله

خلق خلقه ثم استراح وتركه للقوانين المسيرة ولوكلائه، وهذا مأخوذ من دين من سبق .. وبالتالي فعشرات الآيات التي تدل على قيوميته على خلقه، وأن له وحده ملك السماوات والأرض لا قيمة لها عندهم.

- واتخذوا لهم مقدسات ثلاثة مقابل مقدسات المسلمين، هي كربلاء، والنجف وقم .. بدل مكة، والمدينة والقدس، ويقولون عن النجف أنه (أشرف) بصيغة تفضيل أي أشرف من غيره من المقدسات، وليس القدس عندهم إلا واحدة من السلع التي يتاجرون بها وإلا فليس له أي قدسية، وهم يقولون إنه في السماء لا في الأرض.

- أما التاريخ والأعلام عندهم فلم يعد يذكر من الصحابة إلا عليا، ولا من زوجات النبي إلا خديجة، ولا من بناته إلا فاطمة، ولا من التابعين إلا جعفر¹، وما عدا ذلك فتاريخ غير سيرة أهل البيت كله عندهم ضلال، ورموز غير أهل البيت كلهم رموز مرتدة ومنقلبة على الإسلام. ولقد تم ذلك كله أي الانحرافات الفكرية بلا أدلة من نقل أو عقل، وكونها تمس جوهر العقيدة الإسلامية، فإن العقائد وأركان الدين لا تؤخذ إلا بدليل قطعي الورود قطعي الدلالة، ثابت عن الله أو عن رسوله، أما أن يكون الأمر مخالفا مخالفة صارخة للأدلة قطعية الورود قطعية الدلالة فذلك انتحال ودس ومحاولة مفضوحة لطمس معالم الإسلام وتحت لا فتة نسجوها بأيديهم أسموها آل البيت.

- وجاءوا بطقوس شعائرية من المسيحية وديانات تقوم على ثقافة تراجيدية وهي العبادة عن طريق إلحاق الألم بالنفس، كتعبير عن الشعور بالذنب والحب في آن للمعبود، فجاءت فكرة مظلومية الحسين من فكرة صلب المسيح، فعاقبوا أنفسهم بقتلهم الحسين بأمر عبيد الله بن زياد بالآلام الحسية، كالتطبير وهي ضرب الجسد بالسلاسل ومقامع من حديد، الذي جاء كما تذهب بعض الروايات كعادات ومراسيم من الكنيسة الأرثوذكسية، التي يعذب بعض أفرادها أنفسهم ألما على صلب ربهم المسيح بزعمهم .. ومنها المشي على النار كما يفعل أصحاب بعض المعتقدات الوثنية .. ثم ظهرت مظاهر إضافية تمس بالكرامة الإنسانية وكلها لم يأذن بها الله، وهي اللطيمات أي لطم وجوههم وصدورهم .. وتطيين أجسادهم بالقاذورات والأوحال .. والسير زحفا على بطونهم كالسحالي والنبج كالكلاب كما تفعل فرقة الكلية ويتم

1 - من أول صرخة إلى آخر طلقة لعبد الله الصنعاني (67).

هذا الزحف الحيواني يوم عاشورا بكريلاء وإلى مزار الحسين بن علي رضي الله عنهما الذي لا يعرف قبره .. وظهر منهم النطحية وهي التي تتطح رأسها في الجدران لزعمهم أن زينب بنت علي رضي الله عنها كانت تتطح برأسها في الجدران حزنا على الحسين وهذا محض افتراء .. ويطعنون أنفسهم وأطفالهم بالآلات الحادة في مختلف الجسد حتى تسيل الدماء .. ومنهم من يرمي نفسه بعيارات نارية حتى الموت .. ولا يبعد ما بلغنا أن منهم من يذبح ابنه في إرضاء الحسين .. وإنما هذا الخبال حزني في الدنيا قبل الآخرة فإذا كان الله قد مسخ اليهود إلى قرود فهؤلاء مسخهم إلى كل شيء.

إن الباطنية كفكر لم تعد مجرد نموذج صارخ لصناعة الخرافة .. بل ونموذج صارخ لنظام موازٍ لأعمدة الإسلام محاولة منهم لطمسه، وزيادة على ذلك سيل الخرافات التي يستحي منها كل وثنيي العالم.

فلا يوجد دين غير الباطنية كرس جهده كما كرست الباطنية جهدها ووقتها وقنواتها في نشر الوثنية مدعية أنها من الإسلام لتثويه الإسلام .. ولا يوجد أعداء لمحمد طعنوا في نسائه وأصحابه وسنته وسيرته كما طعننت فيه الوثنية الباطنية ثم يقولون إنهم يحبون النبي وأهل بيت النبي!؟.

قد يقال فاتركوا الناس وشأنهم، وطرائق تفكيرهم ونمط أسلوبهم، فإذا اختاروا لأنفسهم طريقا مخالفا لكم فهذا شأنهم اتركوهم وما يعبدون. والجواب: ليت أن الشيعة قد اقتنعوا بشأن أنفسهم وتركوا الآخرين وشأنهم لكنهم اتجهوا لنشر (هذه الفضائل بزعمهم التي اخترعوها) وتعميم فوائدها على الآخرين بالقوة العنيفة باسم تصدير الثورة! مشفوعا بشعار عدواني استباحي ضد المسلمين (بالثارات الحسين) قتلة الحسين يستثمرون دمه للتأثر من المسلمين وبهجوم متعدد الأساليب والاتجاهات حيث سخروا المال، والقنوات، والمواقع .. وشروا الكتاب والمفكرين .. ونشروا الكتب المفخخة بالخرافات .. وقضوا الليل والنهار مكرا وتخطيطا لإحلال الدين الموازي محل الإسلام، من أندونيسيا شرقا إلى المغرب العربي غربا، وبتحالف لم يعد يخفى مع الدوائر الاحتلالية المعادية للإسلام .. وإذا أمكن تنفيذ الهجوم بالقوة العسكرية، والقيام بتطهير عقائدي وتجريف طبوغرافي فعلوه، كما حدث في سوريا، والعراق، واليمن.

لقد كانت الدول الاستعمارية المعروفة بما فيها الكيان الصهيوني تستهدف التوسع في الأرض ونهب المقدرات، أما الاستعمار الفارسي، فالمطلوب استعمار العقول أولاً لمسح الهوية انتقاماً وتأتي الأرض نتيجة طبيعية وثانياً لإعادة حلم إمبراطورية فارس كأنهم أول من حكموا في الدنيا، وكأن كسراهم أول وآخر من وضع على مفرق رأسه تاج ملك!!! لقد نصبوا لإمبراطورية النار الآفلة هذه حائط مبكى في كل حي يعولون عليه ليل نهار وتركوا تطوير أنفسهم كما فعل الروم بعد سقوط القسطنطينية، وظلوا يسخرون مقدراتهم لمواجهة حالة مرضية اسمها الثأر، واستمر الفرس رغم حكمهم لأنفسهم منذ ما يزيد على 900 سنة من عهد البويهية والصفوية استمروا من أكثر بلدان الأرض تخلفاً رغم الخيرات التي يربضون فوقها، وحقول الطاقة التي يسبحون عليها، لأنهم مشغولون بالثأر، وبعهد عهد إليهم به مؤسس نظرية ولاية الفقيه روح الله الموسوي الخميني قائد ثورة 1979م التي أطاحت بالشاه، وذلك العهد المشؤوم الذي دمر مقومات إيران قبل غيرها هو (تصدير الثورة) يعني تصدير الخرافة وجعفرة المنطقة وتغيير الهوية الإسلامية السنية التي أقامت صرح الإسلام وأدالت إمبراطوريات البغي والظلم، فارس والروم فأرادوها هجمة مضادة على أبناء الفاتحين، فيؤمنوا صراعهم الحضاري مع الإسلام وتأمين إسرائيل، ولكي يتم لهم ذلك تقمصوا قميص الدين وركزوا على شكلانية التدين فالراية دينية (الله) والاسم ديني (جمهورية إسلامي إيراني) واللبس محتشم رجالاً ونساءً، والخطاب ديني في ظاهرة .. واختطفوا قضايا المسلمين العليا مثل فلسطين فزادوا بها في ظل غياب حكام المسلمين عن واجباتهم وحصلوا بذلك على بعض التشيع السياسي في المنطقة، لكنه زبد سينتهي ويتبخر (... فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ...) (1).

• الوجه الثاني لمنزلة علي رضي الله عنه في كتب الشيعة:

إنما هو مجرد علامة تجارية للاستثمار فعلي رضي الله عنه في الوقت الذي يضعه أهل السنة (النواصب) موضع التجارة العالية والمنزلة الرفيعة تجده في كتب الشيعة ورواياتها مجرد بعوضة .. ودابة .. وبهيمة .. وجمل .. وحمار .. إضافة إلى إظهاره وهو من عشيرة بني

هاشم الضاربة مسلوب الإرادة أمام الخليفين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهما من بني تيم وبني عدي من أضعف أفخاذ قريش معرّضا لعرضة وأمانة رسوله زوجته فاطمة الزهراء للضرب والتكيل ومهدرا قتل (ابنه المحسن كما زعموا) وهو في بطنها، ولا يدافع عنها فلم ينل حقيقة من الازدراء والتنقيص في كتب الشيعة أحد كما نال علي رضي الله عنه ولا تصدقوا التمجيد الخرافي له في وجهه الثاني؛ لأنهم يعلمون أن هذا يمكن توجيهه عقليا أما التنقيص فيبدو أنهم أرادوا به أنه متى نجحوا في توظيفه وأهل بيته لأهدافهم البعيدة أخرجوا تلك الإساءات ضده ليقولوا إنه وأهل بيته لا يمثلون قيمة حقيقية في كتبهم ودينهم وإنما هم مجرد وأنهم كانوا هدفا لغاية وقد تحققت .. وإليك روايات الازدراء الشيعية لعلي.

علي بعوضة (حاشاه):

حدثني أبي عن النضر بن سويد عن القسم بن سليمان عن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام ان هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين عليه السلام فالبعوضة أمير المؤمنين عليه السلام وما فوقها رسول الله صلى الله عليه وآله والدليل على ذلك قوله: (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) يعنى أمير المؤمنين⁽¹⁾.

علي دابة (حاشاه):

مناقب ابن شهر آشوب: قال الرضا عليه السلام في قوله تعالى: " أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم " قال: علي.
أبو عبد الله الجدلي: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا دابة الأرض⁽²⁾.

علي بهيمة (حاشاه):

- عَنْ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: سَأَلْتُ الصَّادِقَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: (أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ) قَالَ: "الْبَهِيمَةُ هَاهُنَا: الْوَلِيُّ، وَالْأَنْعَامُ: الْمُؤْمِنُونَ"⁽³⁾.

علي جمل (حاشاه):

1- تفسير القمي الجزء 1-الصفحة 35.

2- مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب الجزء 1 الصفحة 579.

3 - تفسير العياشي 290/1:13.

قال المجلسي في بحار الأنوار ج 82 ص 64 " و قوله فقد أخربا بيت النبوة اه إشارة إلى ما فعله الأول (يريد الخليفة الأول أبا بكر) والثاني (يريد الخليفة الثاني عمر) مع علي ع و فاطمة ع من الإيذاء و أرادا إحراق بيت علي ع بالنار و قاده قهرا كالجمل المخشوش و ضغطا فاطمة ع في بابها حتى سقطت بمحسن و أمرت أن تدفن ليلا لئلا يحضر الأول و الثاني جنازتها وغير ذلك من المناكير"⁽¹⁾.

وهنا تدليس كأن فاطمة رضي الله عنها ماتت وقت البيعة إثر هذا الحادث المختلف والحقيقة أنها ماتت بعد مضي ستة أشهر من وفاة أبيها صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

علي حمار (حاشاه):

عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنخل بن جميل عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: يا جابر ألك حمار يسير بك فيبلغ بك من المشرق إلى المغرب في يوم واحد؟ فقلت: جعلت فداك يا با جعفر وأنى لي هذا؟ فقال أبو جعفر: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام: والله لتبلغن الأسباب والله لتركبن السحاب"⁽²⁾.



1 - ينظر كتاب : مأساة الزهراء عليها السلام - السيد جعفر مرتضى الجزء 2 الصفحة 47.
2- بحار الأنوار للمجلسي - ج 25 - الصفحة 380 الاختصاص - الشيخ المفيد - الصفحة 317.

خامسا - شبهات وردود في:

قضايا المرأة

الشبهة (54)

المرأة والرجل في القرآن الكريم

- هل في القرآن تحيز ضد المرأة أم العكس؟

سألت طلابي بنين وبنات: ألم تترك فيكم الشبهات أثرا في أغوار نفوسكم بوجود تحيز ما في الإسلام ضد المرأة لصالح الرجل؟ فقالوا ما حصلته: مع إيماننا بعدالة الإسلام إلا أننا لم نجد من رد على تلك الشبهات بالدرجة التي تجعلنا نتحصن بها. فقلت: إنه لا فرق بين الرجل والمرأة من حيث التكريم، والتكليف، والواجبات، على أننا لو أخذنا بظاهر بعض الآيات الكريمة لبدا وكأن ثمة انحيازاً فيها لصالح المرأة ضد الرجل وليس العكس؟ .. قالوا: كيف؟

- في سياق الحديث عن الإنجاب كهبة من الله قدم الأنثى وأخر الذكر قال تعالى: قال تعالى: (... يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) ⁽¹⁾ وفي هذا إزالة رواسب الجاهلية من انتقاص الأنثى واغتمام أحدهم بسماع خبر ارتزاقه بأنثى كما قال: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) ⁽²⁾ حتى كان منهم من لا يتحمل وجودها فيئدها في التراب .. الجريمة الجاهلية التي يحاسب الله عليها يوم القيامة: (وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) ⁽³⁾.

- من ذلك أيضا قوله تعالى: (... وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ...) ⁽⁴⁾ فإن يجعل الله الأنثى المشبه به والذكر المشبه فذلك ظاهره التحيز للمرأة، إذ المشبه به أقوى من المشبه، فعندما تقول: (زيد كالأسد) مثلا فقد جعلت مزايا الأسد أكثر من زيد .. ليس وراء هذا التركيب فواصل الآيات برأيي كما ذهب إليه بعض أهل العلم، فالضرورات الإيقاعية حاجة البشر

1 - [الشورى : 49].

2 - [النحل : 58-59].

3 - [التكوير : 8-9].

4 - [آل عمران : 36].

لمواجهة عجزهم أما الخالق تعالى فلا يوصف كلامه بذلك إذ إن التقديم والتأخير يترتب عليه دلالات، وأضعف من هذا الرأي القائل إنه تشبيه مقلوب، فلماذا يقلب الله التشبيه ولا قرائن مرجحة، فمن زاوية نظري أن قوله: (وليس الذكر كالأنثى) ولم يقل /وليس الأنثى كالذكر/ له بعد خاص، و تعزيز لمكانة المرأة في الإسلام خلاف ثقافة الجاهليين، ومنه نأخذ مراعاة سياق الخطاب المعاصر اليوم، فلنا أن نتصور لو جاءت التركيب /وليس الأنثى كالذكر/ لكانت مشجبا للمغرضين يعلقون عليها شبهاتهم في ادعائهم بتحيز الإسلام ضد المرأة غير أن ورود التركيب بهذه الطريقة ملجم لهم ومفحم.

- ومنه قوله تعالى : (... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ...) (1) عند ذكر الحقوق قدمهن على الرجال، لهن حقوقهن مقدمة وواجباتهن أمام الرجل نتيجة، فمهرها مثلا يسبق حق الرجل في الوطاء .. والنفقة عليها يسبق حق الرجل في الطاعة، أما قوله تعالى (وللرجال عليهن درجة) فتلك الدرجة لا درجة تفضيل في النوع بل المراد بها درجة قيادة، فقد يكون المقود أفضل من القائد في القيمة عند الله إلا أن أي مؤسسة لا بد لها من مسؤول أول، وعلى المقود تلقي توجيه القائد لانتظام السير الآمن، فلو نازع قائد السيارة على مقودها شخص آخر لهلك الجميع، ثم إن الله علل الدرجة أو القوامة: (بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) أيضا التفضيل إنما هو في تزويد الرجل بخصائص قيادية ليست في المرأة كما زود المرأة بخصائص تربوية ليست للرجل، ولذلك قال: (ولا تتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض) لا تتمنى المرأة لو كانت رجلا والعكس، لأن كليهما يكمل الآخر، فالرجل أفضل من المرأة في جوانب، والمرأة أفضل من الرجل في جوانب، وهي خصائص تكامل لا تمايز .. كذلك قال (وبما أنفقوا) لأن الذي عليه النفقة هو المسؤول عن جلبها وعن إدارة دفة الأسرة بما لديه من إمكانيات فكيف يصير من يملك يتلقى توجيهات من لا يملك ومن ليس عليه مسؤوليات، فهو الأدرى بمستوى مصادر دخله ومستوى إنفاقه والتزاماته، إنه هنا رب الخزينة الأسرية وقيم على من يعولهم، فلو كانت القوامة للمرأة لربما قدمت ما حقه التأخير وأخرت ما حقه التقديم، فهي تحمل هم الصادر أكثر من هم الوارد كما سيأتي تفصيلا في الموضوع التالي.

- ومن عدالة القرآن في حق المرأة أنه جعلها ربة البيت، فإذا كان الرجل هو رب البيت فيما يتعلق بشؤون الخارج فهي ربة البيت فيما يتعلق بشؤون الداخل، فهي التي توجه في مصلحة البيت من احتياجات وترتيبات، حتى إنها لتتزع الثوب من على ظهر زوجها

فالتجهيزات من شأنها هي، لذلك المولى أسند إليها بيت الرجل فقال تعالى: (... لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ...) (1) ولم يقل من بيوتكم، وقال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا...) (2) فالرجل يسكن إلى المرأة وفيها لفظ (لتسكنوا) من معنى السكن أي البيت، ومعنى السكن أي الاستقرار، ومعنى السكنة أي الموادة والوقار، فإذا تحلت المرأة بهذه الصفات تحقق معها جنة دنيا الرجل، وإذا لم تكن متصفة بهذه الصفات قدمت إلى دنياه جحيمه وعذابه.

- كذلك من مظاهر عدالة إنصاف المرأة في القرآنية أن الله ذكر المؤمنين أولاً في غض البصر قبل المؤمنات، كما جاء في سورة النور: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ...) (وقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...) وقد قيل إن متعة الرجل في أن يرى، ومتعة المرأة في أن ترى، لذلك تحرص بعضهن على لفت انتباه فضول الرجل بالضرب بأرجلهن فيطلع صوت الخخال كما في القديم، أو صوت الكعب العالي كما في الحديث، كما أن الطرف الذي يملك مخزون الإثارة والجاذبية أكثر هي المرأة، فإذا وقعت عين المرأة على الرجل فهو في النهاية رجل.. ولا يعني أنه خال من مواصفات الإثارة، لكن النظر في المرأة غالباً ينتهي بحصيلة أكثر من الإغراءات أودعها الله فيها.. ونظر الرجل قد يؤدي إلى فتح مقدمة الغواية من قبله لأنه أجراً الطرفين، غير أن نتيجة المقدمة هو بيد المرأة فلا يستطيع أن ينال منها إذا لم تقبل هي ذلك.. لذلك بدأت الآية في الزنا بالمرأة فقال: (والزانية والزاني...) لأن العملية لا تتم إلا بموافقة المرأة، وموافقتها يعني مجاراتها لرغبة الرجل ابتداءً.. أما إذا أخذ منها ما يريد من غير رضاها فذلك اغتصاب ولا تسمى هي زانية، بل ضحية، فلبدء بها هاهنا لأن موافقتها هي التي تجعل من العملية زنى وإلا فهي عملية اغتصاب، يعاقب الرجل ولا تعاقب هي.

- ومن مظاهر إنصاف القرآن الكريم للمرأة أن الله حمل آدم خطيئة أكله وزوجه حواء عليهما السلام من شجرة نهاهما الله كليهما عن أكلها بقوله: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (3) لكنهما عصيا أمر الله قال: (فأكلا منها...) غير أن الله تعالى أسند العصيان إلى آدم وحده ولم يذكر معه حواء قال: (... وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (4) مع أنهما سواء في مبدأ التكليف، حيث قال: (وَقُلْنَا

1 - [الطلاق : 1].

2 - [الروم : 21].

3 - [البقرة : ٣٥].

4 - [طه : ١٢١].

يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ... (1) قال (اسكن أنت وزوجك) ولم يقل اسكن وزوجك لينص على الاشتراك في التكليف، فعطفُ الاسم الظاهر على الضمير المستتر المؤكد بضمير منفصل يفيد الإشراك، ولو جاءت اسكن وزوجك لم يمنع أن تكون الواو للمعية .. وإنما لم يذكر الله حواء في المعصية؛ لأن تنفيذ الفعل لن يتم بغير رضا الزوج لأنه القائد المالك لقوة الفعل فهي في ظل وجوده مغلوب على أمرها، وبما أنه تحمل عبء المعصية فإنه منعي بالتوبة قال ربنا: (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (2) .. في حين أن تراث أهل الكتاب يحملون حواء معصية آدم بلا مستند من عقل ولا نقل، وجعلوها سبب ذنوب البشرية.

- ومن المظاهر القرآنية في سياق إنصاف المرأة أن الله تعالى ذكر البر والإحسان والدعاء كثيرا مقرونا بـ(الوالدين) وليس بالأبوين ومعلوم أن كلمة والدين تغليب والدة؛ لأن البعل لا يلد وكلمة أبوين تغليب أب .. ولأن المرأة هي التي تتحمل مشاق الحمل والولادة والرضاعة فجعل البر ألصق بها.

ولقد سمي الله سورة في القرآن باسم النساء ولا يوجد سورة باسم الرجال.

هذا ما توارد إلى خاطري في القرآن فضلا عن الأحاديث الكثيرة جدا في إبراز مكانة المرأة في الإسلام، بنتا، وأختا، وزوجة، وأما، ورحما فأخرجها بذلك من الواد المادي والمعنوي (3).

نعم ثمة عادات جاهلية ألحقت الأذى بالمرأة استنقاصا وتهميشا وهضما لحقوقها، وأحيانا حرمانها من إرثها، أو منعها من التعليم، وتفضيل الذكور على الإناث، وكل ذلك لا علاقة له بالإسلام بل فيها أحيانا مخالفة صريحة لتعاليمه، وإنما هو موروث قبلي وامتداد لعادات جاهلية يدخل فيه التحكم الذكوري مستندا على ثقافة العيب المبالغ فيه والغيرة ومس الشرف فسيجوها بسيجات كثيرة الدين منها بريء.

وبالمقابل فهتمت بعض النساء أن التساوي في الكرامة الإنسانية والتكاليف الشرعية يعني التناظر في المسؤوليات والندية التي تجعل من الزوجين شريكين متساويين، لا رب أسرة يقود وأسرة تطيع.



1 - [البقرة : 35].

2 - [البقرة : 37].

3 - وقد سبق من المباحث في شأن مكانة المرأة في الإسلام وصون حقوقها ما يغني عن إعادة سردها هنا.

الشبهة (55)

فضية القوامة والعصمة بيد الرجل

- بماذا فضل الله الرجل على المرأة حتى تكون القوامة والعصمة بيده؟

أ- القوامة:

هذا سؤال يفترض أن لا يكون هناك متبوعين وتابعين ورؤساء ومرؤوسين، والحديث عن المساواة في القيادة الحديث عن قيادة مركبة بسائقين .. وإدارة مؤسسة برأسين .. فلا بد لنجاح السير ونجاح الإدارة من قائد واحد ورأس واحد، وإلا أدى تعدد التوجيه وتنازع الأمر إلى الفشل الذريع.

ولكن السؤال؟ من يقود الأسرة الرجل أم المرأة؟ الجواب: الرجل لأن من صفات القائد الناجح القوة وبسطة الجسم لكي يكون أقدر على مغالبة مشاق الحياة وتصريف شؤونها.

وهل يكون الرجل قد تفوق على المرأة بقوة الجسم وأن على المرأة لكي تكون كاملة أن تتخشن كالرجل؟

الجواب:

إذا كان الرجل يرفض أن يقال له يا امرأة .. فأن يقال للمرأة أنت رجل فهذا أيضا عند المرأة شتيمة .. فهي لا تحب أن يقال فيها أنت خشنه الجسد .. مفتولة العضلات .. جهورية الصوت .. شديدة البأس .. تجندل الأبطال .. وتصطاد الوحوش .. وأنها تلزم وتحزم .. وتأمر وتنتهى .. بقدر ما تحب أن تسمع أنها كائن رقيق الطبع .. جميل الشكل .. ناعم الصوت .. عميق العاطفة .. ولذلك غضبوا حين جعلها الإسلام القلب الحاضن أكثر منها الجسد العامل .. فلا بد من مشاكلتها بالرجل في الصفات والمسؤوليات.

بل إن قوة المرأة لفي ضعفها ودلالها وأنثويتها التي لا تقاومها فحولة الرجل .. ألم يقل

جرير:

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ * * * وَهَنَّ أضعفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانًا

ووصفهن النبي صلى الله عليه وسلم بأنهن "أغلب لذي لب".

لكن المرأة ترجو كل صفات الفحولة، والرجولة، لزوجها لكي تعتمد على ركن شديد يحمي عشاها .. ويجبر ضعفها ويتحمل مسؤولية مواجهة احتياجاتها، ثم إنه العقل أكثر منه العاطفة، وقد خرجت الأبحاث العلمية بحقيقة اختلاف حجم دماغ الرجل عن دماغ المرأة يصل إلى نحو 40% زيادة لصالح الرجل، ولذلك أغلب القادة والمفكرين والشعراء والزملاء على مر التاريخ هم من الرجال، هذا هو واقع الحال على أنه قد تكون من النساء ما هن أكثر حزماً وعزماً ومضاء من الرجال وقد ذكر الله تعالى حكمة ملكة سبأ ونفاذ بصيرتها في معرض المدح وقصر نظر الملأ من حولها ولكن ذلك استثناء وليس القاعدة.

فالمراة من حيث المبدأ لا تعلق قيمتها بأن تسترسل فهذا يعبر عن واقع انهزام واحتقار من ذاتها لذاتها كامراة وتقديم شهادة للرجل على تفوق خصائصه عليها، ومتى استرسلت انتجت وضعاً من المسخ مضطرب الهوية، كما أن الرجل إذا تأنت تقاصر عن مهام الرجال وعجز عن مهم النساء ونازع الفطرة .. فيجب أن تعيش المراة معتزة بنفسها كامراة بمالها من مهام إنسانية عليا، وأن تحتفظ بأنوثتها ورقتها كاملة لتشكل ثنائية تكاملية مع فحولة رجل كامل، وملائم أن تخاف من الصرصور ومن العنكبوت ومن ما هو أقل من ذلك، فذلك يعبر عن حقيقة رقتها وأنها لم تخلق لهزيمة مصادر الخوف فذلك من مهام الرجل، الذي لا يليق به في المقابل أن يخاف بذات القدر الذي هي عليه أخته الأنثى لأنه المسؤول عن حمايتها.

وبناء على تكوينها فإنها لا تأبى ولا تأنف أن تكون القوامة والعصمة التامة بيد فحلها ورجلها .. ولا تطمع في السيطرة على القرار العائلي إلا أن تكون تلك المراة المترجلة ذات الوضع الشاذ .. فمتى مالت المراة إلى تقمص الصفات الذكورية شكّلت مع زوجها ثنائية ضدية .. وأدى ذلك إلى النقاء قطبين متنافرين .. وشريكين متشاكسين، ينتهي بهما التصادم إلى إنهيار الأسرة وانفراط عقد نظام المؤسسة المقدسة ونواة المجتمع الأولى.

فالمراة الطبيعية لا تفكر أن تكون القوامة بيدها .. فما يفعل ضعف قوتها وقلة حيلتها بقوامة ليس لها من شروطها حظ ولا نصيب؟ .. فهي تحمل، وتتجب، وتأتيها الأمراض الدورية، والاضطرابات النفسية عند الحمل والولادة .. ولا طاقة لها بمصارعة الرجال في حلبة الحياة .. ومفهوم القوامة أنها قيام من يملك بحماية من لا يملك .. وجلب الرزق لمن تقوم هي بما لا يقوى هو عليه .. إنها قسمة بيولوجية وانتهت .. وليس مهام هذا الطرف

بعلامة تكريم ولا تشريف في مقابل مهام الطرف الآخر .. قال الله تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا ...) (1) وقال: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ...) (2).

وملخص الآيتين أن القوامة أعطيت للرجل وجعلت العصمة بيده؛ وعلل القوامة بقوله (بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا) قال الله بما فضل الله بعضهم على بعض ولم يقل بما فضل الله الرجال على النساء، والفضل هاهنا الزيادة في جوانب لطرف ونقصها في طرف آخر، فالمرأة أفضل من الرجل في أشياء لا يمكن أن يقوم بها، فهي ذات حنان وعطف وقدرة على التربية، فعندها بكاء الطفل إيقاع مُطرب، ورائحة فضلاته عطر مستعذب، ومواجهة احتياجاته متعة غريزية أودعها الله فيها، ولا يكاد الرجل يطيق ذلك .. كما فضلها على الرجل بأن أعطاها جمال خلق زائد .. ونظارة شكل .. وفيض عاطفة .. ورقة طبع يحبها الرجل فيها.

وفضل الرجل على المرأة في غلبة قدرته على إدراك ظروف الحياة الخارجية .. ومواجهة احتياجات الحياة الداخلية ومتعة السعي لتأمينها .. وكذلك فضله في البسطة في الجسم وذلك له اعتباره، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) (3) وما سبق تمثل العلة الأولى وهي الجَدُّ النفسي والقوة الماضية التي تنتزع القوامة فالضعيف محكوم بالقوي قانون إنساني عام .. والعلة الثانية الإنفاق، فالذي ينفق هو الذي يتحمل المسؤولية العامة وتبعاتها، فإذا نزعته منه القوامة رفع يده عن المسؤولية ولا يصح أن يتمنى أحدهم ما للآخر من خصائص (و وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ⁴ فكل منهما يفضل بخصائص يجبرُ بها حاجة الآخر ونقصه .. فهما معا يشكلان الكمال، فما في هذا الطرف من خصائص هي ملك للآخر ومصدر كماله .. وبهذا التكامل

1- [النساء 32].

2- [النساء 34].

3- [البقرة : 247].

4- [النساء : 32].

تسكن النفس وتنشأ المودة والرحمة؛ لأن خصائص كل طرف يكتمل بناؤها بوجود خصائص الآخر .. فبتحقق المعادل الموضوعي بين اتحاد القطبية يحدث الاندماج .. وتهدأ خصائص كل طرف وتسكن إلى ما لدى الآخر من مكملات .. وهو معنى أن المرأة من نفس الرجل قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ... (1)).

وهناك على مستوى إنفاق الرجل وإدارة عجلة الحياة ملمح وظيفي مهم في الآية الكريمة من سورة طه (... فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) (2) ولم يقل فتشقى بل أسند الشقاء إلى آدم، وما ذلك إلا لأن عبء الكد والكدح والتموين واقع على الرجل، ومن يتحمل مسؤولية التموين لا شك أنه مطالب بتحمل إنجاز هذه المهمة، وحسن التدبير، وإدارة شؤون الأسرة .. وأن يعود إليه مصدرية الأمر .. فلا يستقيم أن يكون مسؤولاً عن كل شيء ما عدا حركة وتصرف وسلوك من يطعمهم ويكسوهم ويأويهم فيقال عليهم أحرار .. وأمرهم في الدخول والخروج والمصاحبة والمخادنة بيدهم .. فبأي جريرة يعاقب الزوج بالخدمة المجانية لأسرة لا تقر له بوجود .. ولا تعترف له بفضل .. ولا تنفذ له أمراً .. إن مدير المؤسسة يعطي توجيهات بلا حدود لأنه يعطي أجراً، فكيف بالمنفق وأبي الأولاد، وحامي العش، وشريك الحياة، هل يكون طاعته امتهاناً للمرأة؟ لماذا يوصف هذا بالامتهان بينما مدير المؤسسة لا يقال عنه ذلك؟ ثم أن لها أوامرها أيضاً عليه تتمثل في تأمين متطلباتها والقيام على خدمة الأسرة، فربما كانت أوامرها أكثر من أوامره.

وقد يشقى الزوج سائر يومه ليواجه احتياجات امرأة طَلَّقَةَ التصرف سيدها نفسها .. قد تعتمد إلى تلويت منبت أطفاله، وتأتي بأطفال طارئين من رجال طارئين، ثم يتعين عليه هو أن ينفق عليهم أيضاً دون قيد أو شرط .. هذه هي خيارات قوانين الحضارة المنفلتة والمشاعية .. لا خيارات دين الإسلام .. فإن قيل بل كل واحد ينفق على نفسه، فهذه لاتسمى أسرة بل تسمى شركة تساندية يكون الرابح فيها الرجل لأنها ستتحمل ما ليس بمقدوره أن يتحمل.

على أن القوامة لا تعني الاستبداد، فقد جاءت محددات قرآنية لصلاحيه الرجل التي تبقى على المرأة كشريك تام لا ملحق إحقاقاً بالزوج أو ولي الأمر، ووضع جملة من النواهي

1- [الروم 21].

2- [طه : 117].

والضوابط التي تذكر بحقوق المرأة وتلجم تصرفات الرجال في غير ما حق باسم القوامة أو ولاية الأمر فقال: (... وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا...) (1) (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ...) (2) (... وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا...) (3) (... لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ...) (4).

وهنا سؤال شرعي وهو: ماذا إذا تغير الوضع وصارت المرأة هي التي تنفق على الرجل؟ هل تنتقل القوامة إلى المرأة كأن صارت هي الأقدار على إعالة الأسرة كأن تكون غنية وهو فقير، فمن محدود علمي إن كان لا يزال بكامل قواه البدنية والعقلية فلا تزال إدارته شرعية (الرجال قوامون على النساء) (وللرجال عليهن درجة) ولا يزال مسؤولاً هو عن النفقة، ولا تسقط عنه، وليست من مسؤولية المرأة، وإن تنازل عن بعضها لعجزه فذلك يتم بالتوافق والتشاور ويمكن القياس على فصال الطفل (عن تراض منهما وتشاور) فبالتالي تقوم بجميع شؤون البيت من بيع وشراء، وحرث الأرض واستصلاحها.. إلخ عدا أمور مثل عقود نكاح بناته فتبقى من حق الزوج (الأب) وليس ذلك للمرأة، وهذا الإسناد استثناء، ذلك أن العرف قد انحرف أحيانا بالوظائف والمسؤوليات، فنجد في بعض مناطق الريف يرفع الرجال أيديهم عن العمل تقريبا، والنساء يتولين كل الأعمال الخارجية بالإضافة إلى أعمالهن في المنزل كأم وربة بيت وبما يشبه الأشغال الشاقة، فهذا إجحاف في حق المرأة ولزوم ما لا يلزم.

ب- العصمة:

وهي أن يكون الطلاق بيد الرجل لا بيد المرأة هذا هو الأصل .. وعلة ذلك أن الأسرة انتماء ورعاية مستحقة ومؤسسة يملك الرجل مصدرية أمرها ومسؤولية إعاشتها وبناء مستقبلها .. فمتلما أنه المنفق والراعي الذي دفع المهر فمن حقه أن تكون العصمة بيده .. ولا يستقيم أن يطلب بماله يد امرأة والعقد عليها لكي يصبح هو ملك يمينها.

1 - [البقرة : 229].

2 - [الطلاق : 6].

3 - [البقرة : 231].

4 - [النساء : 19].

والمسألة في النهاية عقد طاعة مقابل وجوب نفقة، فإذا رفع يده عن الإنفاق فلا طاعة له عليها فلنطلب إذن مفارقتة .. وإذا قرر عدم الإنفاق عليها فليعطها صداقها، إن بقي لها شيء منه وليطلقها ولا يذرها كالمعلقة .. ولكن من يستطيع أن يجبره إذا كره دوام عشتها أن يبقيا عنده ويستمر في الإنفاق عليها؟

الأمر الثاني لو كانت العصمة بيد المرأة لربما كان سهلاً أن تترك زوجها وتخلّف وراءها ما تركت له من ذرية ضعاف، ينوء هو بحملها؛ كونه المسؤول عن إعاشة نواتج زواجهما لا هي، فإن راق لها البقاء مع زوجها وإلا فهي خفيفة المحمل في حلّ منه، قد تتركه مع أبنائه مع أي هبة مشكلة أو عاطفية أخرى لسبب بسيط وهو أنه المسؤول الأول عن ترتيب البيت .. فالزوج من هذه الناحية أحرص على بقاء زوجته إلى جانبه وأكثر إدراكاً لمآلات انفراط عقد نظام الأسرة وهذا بشكل عام.

الأمر الثالث من النساء من تتعرض لاضطرابات نفسية عند الحمل تعاف معها الرجل وتكره حياته وملتصاته .. ولربما طلبت الذهاب لشهور في بيت أهلها كراهية البقاء إلى جانبه، ولو كان الطلاق بيدها لتركته بسبب هذا العارض الخارج عن إرادتها.

ونحن هنا إنما نتحدث عن شبهة حق الرجل في القوامة .. لا عن حقوق المرأة على الرجل وهي كثيرة، فمن حقها أن يعاملها كجزء من نفسه لا حتى كمجرد شريك .. فالشريك يحق له شرعاً ترك الشراكة بسبب أو بدون سبب ما لم يكن ملزماً باتفاق مقيد .. بينما الزوجة تكون مع زوجها رابطاً مقدساً .. كونهما معا برابطة الزواج مصدر النوع الإنساني .. (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ...)⁽¹⁾ فهي من نفسه، فإذا كان له حق الرأي الأخير، فإن ذلك لا يعني انتفاء حياة الشورى بينهم، كما في موضوع فصال الطفل .. وهاهو النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أم سلمة فتعطيه الرأي الصائب، وعمر يقول أصابت امرأة وأخطأ عمر .. فلها رأيها ولها عضويتها الفاعلة في تسيير عجلة الحياة، إنما الكلمة الأخيرة تكون لواحد وهو

من بيده القوامة حتى لا يحدث التنازع .. وقد قال المولى في تدبير ملكه: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (1).

أخيرا هل يجوز أن تشترط المرأة أن تكون العصمة بيدها؟

غالب الفقهاء لا يفتون بجواز اشتراط المرأة عند عقد النكاح أن تكون العصمة بيدها فتطلق نفسها من الرجل متى أرادت فكل شرط أحل حراما فهو باطل .. ولكن قد تنتقل العصمة من الزوج إلى زوجته إذا فوضها في تطليق نفسها بالوكالة عنه، إن أرادت أن تطلق نفسها أو متى أرادت، أو يقيد بها بقيد كأن يقول أنا فلان بن فلان أعطي زوجتي الحرة فلانة بنت فلان تفويضا أن تطلق نفسها بالوكالة عني ويكون هذا متاحا في ظرف يومين من تاريخ الوكالة أو شهر أو شهرين ..إلخ.

وهذا مخرج من المخارج كأن يكون الزوج غير متأكد من رغبة زوجته في البقاء معه، وأنها جادة في تركه ولا طاقة لها به، وليس الأمر مجرد تمظهر بالانفصال عنه وغير ذلك من الأسباب.



الشبهة (56)

ادعاء ذكورية الخطاب القرآني

- الرد على منشور يتضمن شبهة ذكورية القرآن وتحت عنوان (من هو زوج آدم)؟

يقول المنشور من كلام طويل حافل بالكذب والدس الرخيص أن القرآن لم يعر حواء اهتماماً في قوله تعالى: (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجِكَ...) (1) ولم يقل ويا حواء.

والجواب: أن قصة مهمة الاستخلاف بدأت بآدم فهو الذي أسجد الله له الملائكة، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها وليست حواء، لكن نتائج التوجيهات تنسحب عليه وزوجه .. فآدم هو أبو الجميع وحواء مخلوقة منه، فهو إذن أصلها وزوجها ونبيها .. فدور حواء ليس مركزياً بدرجة القائد، فلا بد من وجود قائد واحد لأي مؤسسة .. والأسرة في الإسلام هي أهم مؤسسة، في بناء المجتمع.

تضيف الشبهة : المشكلة أنه بعد هذا التحذير قال القرآن: (إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَكَأَنَّ تَعْرَى...) (2) ولم يذكر حواء.

الجواب: في اللغة العربية مجاز عقلي فإذا وجهت الخطاب لرب البيت ومعه زوجته وهو يسأل عن عنوان مثلاً يمكن أن يقال له، يتعين عليك الذهاب نحو كذا ستجد أمامك كذا.. ومن لغو الكلام وحشوه أن يقال سيتعين عليكم أو عليك وزوجتك أن (تفعلوا) .. ولو خوطب قائد عسكري سيقال له اتجه نحو كذا وافعل كذا .. وليس اتجهوا يا قادة ويا ضباط ويا جنود، فهذا تزيد وتنطع ولزم ما لا يلزم.

يقول صاحب الشبهة: ثم إن القرآن قال: (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) ولم يذكر حواء.

الجواب: لقد حمل القرآن آدم المعصية وليس كالكتاب المقدس المحرف حمل حواء الإغواء وزعم أنها تحالفت مع الشيطان ضد آدم وبراؤ آدم وجعلها من أجل ذلك شيطاناً في شكل إنسان، وصارت عندهم أصل الخطيئة، ونحن الآن في معرض غواية فإذا همش فيها

1 - [طه : 117].

2 - [طه : 118].

ذكر حواء وكان بطل المعصية آدم عليهما السلام فهو تكريم للمرأة ومراعاة لواقع اقتداء التابع بالمتبوع، وواقع قوامه الزوج على زوجته، فأدم نبي وهو رب البيت وبالتالي هو الذي يتحمل القرارات التي يتخذها، لأنه قدوة وصاحب الكلمة الأولى وعليه تحمل مسؤولية الأخطاء .. وحواء في حكمه فلماذا تحمل جنائية زوجها صاحب الأمر النافذ.

يقول مطلق الشبهة: الكارثة إن القرآن وهو يقرر خطأ آدم خرجت حواء معه من الجنة فما ذنبها؟.

الجواب: هاهنا عدول عن اشتراط المساواة؛ لأن في خروج حواء مساوية لآدم في العقاب هي عند صاحب الشبهات الملققة فرصة للإيحاء بوجود خطأ في المقدمات والنتائج .. والواقع أن فصل حواء عن زوجها سيكون عقابا لها وعقابا إضافيا لآدم، فعن أي واقع سيسفر عنه تصور حواء في مكان لا أنيس فيه ولا جليس؟ .. رأيت لو حكم على زوج بالنفي وزوجته في مكان مقفر فهل ستختار النفي مع زوجها أم تختار بقاءها منفية عنه بلاذنب .. وإن كانت على مقربة من أناسي آخرين فإن مبدأ الحب والوفاء سيجعلها تواصل ربط مصيرها بمصيره .. وإنما خلقت حواء لتكمل حياة آدم فهو ارتباط شرطي وبقاؤها بدونه ينهي الغرض من وجودها فالشبهة تتم عن قصر نظر صاحبها ومحاولة نحت فاشل لثغرات في كتاب أحكمت آياته.

يقول ومن عجب ما يقول: إن القرآن ذكوري لا يخاطب إلا الرجال.

الجواب: لك أن تستشف أن صاحب هذه الشبهات يحمل عقل جاهل كامل المواصفات .. فكل لغة من لغات العالم يوجد فيها تغليب خطابي شامل وهذا المشوش العقل يفترض أن يتساوى الرجل والمرأة في ضمير الخطاب مثل أن يقال صنع اليابانيون واليابانيات .. وبينى الألمانيون والألمانيات .. وحضر السياح الأمريكيون والأمريكيات .. ويريد في التشريع أن يقول الله يا أيها الذين آمنوا وآمن .. ويا أيها الناس والنسوان .. كتب عليكم وعليكن .. قوا أنفسكم وأفسكن .. حقا شر البلية ما يضحك.

يقول ويا لعجب قوله أيضا : لماذا يقول القرآن إذا طلقتم النساء ولم يقل للنساء إذا طلقتن الرجال، ولماذا يقول نساؤكم حرث لكم ولم يقل رجالكن حرث لكن؟

الجواب: بنفس القاعدة الخربة بينى قواعد شبهاته وهو أن ما بين الزوج والزوجة هي شركة أسهم قائمة بالمناصفة، وليس أسرة فيها رب عائل مسؤول عنها وعن نفقتها ومدير

مؤسسة يشرف عليها فيكون بيده العصمة وصاحب القوامة، فإذا كان القائد يقرر ونائبه يقرر بخلافه .. والزوج يطلق والزوجة تطلق عملاً بالمثل بحجة المساواة تدمرت الحياة كما تدمرت الأسرة الغربية .. فهناك الزوج يقرر .. والزوجة تقرر .. والابن يقرر .. والبنت تقرر .. والشارع يستقبل القرارات السيادية .. ثم إنه يرسم صورة ذهنية للمرأة مضحكة فينتظر أن تعطى حق حرث زوجها، فنفقد وجه الشبه بين حرث الزرع وحرث الزوج، فكيف تحرث الزوجة زوجها ليت شعري؟ ثم يرى شرفاً للمرأة أن تكون طالبة للنكاح لا مطلوبة .. رغبة في الوطء والحرث لا مرغوبة .. وهذا إهانة لها ككائن حي لا تواتيها جرأة الرجل ولئن طلبت ذلك ورخصت بينما كل مطلوب مرغوب .. ولم يرد لها الإسلام هذا الوضع بل أراد لها تجار الجنس فصارت تتسكع لبيع الهوى على أرصفة النخاسة.

أخيراً يختم كلامه بهذرمات وطلاسم وعجن لعله أراد بها توفير ملجأ آمن لطابور المسوقين من طلائع الهزيمة لكي يكون قابلاً للتأويلات عندما يضيق عليهم مسالكهم، على أن محاولاته الخائبة تهدف إلى تحقيق ما ملخصه أن القرآن لا يعدو عن كونه كاتلوج لأقوام سبقت قبل 1400 عام وليس متصالحا مع عقولنا ولا متفقا مع معطيات العصر التي منها قضية مساواة المرأة بالرجل الشتيمة التي تكال للمرأة من حيث لا تدري وكأنها ناقصة والرجل هو الكامل فلا بد من مساواة نقصها بكماله فتكون مثله سواء بسواء .. فخابت مساعيكم أيها السالكون وعرا الحاطبون ليلاً.



الشبهة (57)

مساواة المرأة بالرجل

- لماذا تخافون من مساواة المرأة بالرجل؟

الجواب:

لا أجد إهانة في العصر الحديث بحجم الإهانة التي وجهت للمرأة حين قالوا يجب مساواتها بالرجل .. وكأنها كيان وضع والرجل عنصر رفيع؟ فصارت المرأة الجيدة والمتحضرة هي تلك التي تتأفف من أنوثتها وتحاكي الرجل في خصوصياته .. وتترجل في شؤون حياتها .. فتلبس كما يلبس .. وتعمل كما يعمل .. وتقاتل في جبهات الحرب كما يقاتل .. وتعمل على البلدوزر والبوكلين .. وتخرج لتفريق المظاهرات جنباً إلى جنب مع الرجل .. حيث صارت أنوثتها في مفهومها سبباً وحياتها شتيمة .. ورقتها إهانة .. وتربيتها لأبنائها عبودية .. حتى اسمها ألحقوه بالرجل فلانتسب إلا إليه.

من هنا سادت الذكورية في المجتمعات ذات التحضر المادي .. ولم تعد تدري إن كان سائق البوكلين، أو سائق شاحنة النقل، أو القطار، أو رئيس قسم الشرطة، أو رجل المرور لم تعد تدري أهو ذكر أم أنثى؟ .. ولم تستطع المرأة أن تعود إلى وضعها كأنثى .. لذلك تركت الحمل والإنجاب .. وغادرت بيتها غالباً .. وقالت للرجل بلسان حالها: متى ما أردت أن أنجب لك أطفالاً فتعال شاركني في أنوثتي كما شاركتك في ذكورتك .. أنت تحمّل أنا أحمل .. أنت تُتجب أنا أنجب .. أنت تحضن أنا أحضن .. أما أن أعمل كما تعمل .. وأنفق كما تنفق ثم أضيف إلى عمل الخارج عمل الداخل، فهذه أشغال شاقة بلا حكم قضائي وعقوبة على جريمة لم اقترفها.

والواقع أن لهذا في الغرب خلفيته الفكرية فلم تأتي مسألة تحرير المرأة من نفسها وتخليصها من أنوثتها من فراغ .. فقد كان التصور الكنسي للمرأة أنها شيطان في شكل إنسان؛ لأنها مصدر الخطيئة .. ولذلك فالمسيحي الجيد هو الذي لا يقرب النساء ولا يتزوجهن .. فرجل الدين لا يتزوج النساء .. تقرباً إلى الرب بعدم ملامسة هذا الكائن الذي جاء للبشر بالغواية .. أما الإسلام فقد تعامل مع المرأة كما هي .. وكرمها كالرجل مع مراعاة خصائصها البيولوجية المستقلة .. والتي تساوي قيمتها في الحياة قيمة خصائص الرجل .. فلم

يلحقها بالرجل إلحاقاً، ولم يلغها ويجعل اسمها تابعا لاسمه .. ولم يلزمها بالتخلي عن أنوثتها كما فعلت الحضارة المادية .. فهذا اسمه مسخ لا تحرير .. وإلغاء للأنوثة لصالح الذكورة .. بل نظر الإسلام إلى خصائص كل طرف على أنه مكملٌ لنقص الطرف الآخر .. قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم "النساء شقائق الرجال" أي المرأة نصف الرجل .. فالتفاحة تكتمل بالجمع بين شقيها إذا فُصِلت إلى شقين .. فكلاهما نصف للآخر .. وإنما يكتسبان الكمال باتحادهما طبقا لقانون الزوجية .. ولا مجال إذن للقول بفضل هذا على هذا .. إذ لا معنى لأحدهما بدون الآخر .. فإذا كان الرجل هو العقل القادر على مهمة التدافع فإن المرأة هي العاطفة القادرة على استقبال مكابدة الحياة وتربية الأبناء بسعة صدر ودفء مشاعر فهل في هذا ما يُخجل؟ العاطفة معنى إنساني نبيل والعقل معنى إنساني وآلي أيضا، حيث لم يعد العقل حكرا على الإنسان فعندنا العقل الإلكتروني لكن لا يمكن أن نكسب الجماد المشاعر الإنسانية التي تميزت بها المرأة عن الرجل وصارت المرأة العصرية تخجل منها، لذلك قالوا إن المرأة إنساني والرجل شيئي، أي أنها تميل إلى الأنشطة ذات الطابع الإنساني كمعلمة، ومربية، وطبيبة، والرجل يميل إلى التعامل مع الأشياء بشكل عام، فأى المهن أرقى؟ هل التعامل مع الإنسان أم مع الجماد، لكنهم صوروا لها مجالاتها على أنها باعث خجل.

وكيف ينظر الإسلام إلى عمل المرأة؟ الإسلام لا يمنع عمل المرأة عند الحاجة .. ولكنه لا يوجب عليها وهذا هو الفرق بين حرية المرأة هناك .. وحريتها هنا .. فهناك عملها في الخارج واجب .. وهنا عملها في الخارج جائز إذ المسؤول الأول عن الكسب هو الزوج .. ذلك أن الوظائف المهنية مترتبة على الوظائف العضوية والخصائص النفسية .. فليس من العدل أن تتجب المرأة ثم تلزم بالقيام بعمل الرجل تماما بتمام وتنفق كما ينفق تماما بتمام .. إلا أن تغادر طبيعتها وتترك الإنجاب وهذا ما حدث في الغرب وهو تفكك للأسرة .. وتدني نسبة الإنجاب .. والجنوح إلى عملية العزل والإجهاض كضريبة لا مناص منها لثورة تحرير المرأة .. ولو طبق العالم هذا النظام لانقرض النوع البشري وانتهت قصة وجود الإنسان في الحياة.

على أن الإسلام الذي فرق بين وظائف الجنسين لم يفرق بينهما في الكرامة الإنسانية ولا في التكاليف الشرعية .. أما في الكرامة الإنسانية فقد نص الله على الجنسين في ذلك فقال:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ...) (1) فداء التكريم للإنسان شاملا الذكر والأنثى.

ومن أدلة المساواة في التكاليف الشرعية والجزاء قوله: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ...) (2) .. قال: بعضكم من بعض.

ومن أدلة مساواة المرأة للرجل في إسناد المهام قوله: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (1) .. قال (أسكن أنت وزوجك) ولم يقل اسكن وزوجك .. فالعطف مع الضمير المنفصل يفيد المشاركة في الفعل .. أما توجيه الخطاب وبدون الضمير فإنه يرجح المعية ولا يفيد حتمية مشاركة ما بعد الواو لما قبله في الفعل. وسيكون المعني أن آدم فقط هو المعني بالخطاب أما حوى فمجرد تابع له. ولذلك تكرر ضمير المخاطب بالمسؤولية للثنتين الذكر والأنثى (وكلا .. حيث شئتما .. ولا تقربا .. فتكونا) لكن العجيب أن الله نص على آدم في العصيان ولم يذكر حوى فقال: (وعصى آدم ربه فغوى) فهما شريكان في التكاليف لكن في المسؤولية النهائية حمل الرجل مسؤولية الأكل من الشجرة بما أنها في كنف ذي قوامة .. لأن للرجل القوامة في اتخاذ القرار إذ لا تستطيع حواء إلزامه بفعل ما لا يريد .. لكنه يستطيع بحكم الغلبة المادية وقوة الجسم وحقه في القوامة أن يحملها على ما يريد .. فظهر وكأنه وحده الذي عصى .. هذا هو جمال الإسلام في تفهم وضع المرأة وخصوصيتها .. وإننا لنجد لفات قرآنية عجيبة مثيرة للاهتمام .. إن لم يفهم منها ترجيح كفة المرأة على الرجل فلا أقل من أنها تنهي شبهة تفضيل الرجل عليها حيث قال الله: (وليس الذكر كالأنثى) ولم يقل وليس الأنثى كالذكر، فجعل المرأة في الآية هي المشبه به .. والمشبه به في البلاغة أفضل من المشبه .. بل لا أجد صعوبة في حمل المعنى على تفضيل المرأة الصالحة على الرجل الصالح؛ لأن صلاحها متعد إلى الأبناء وليس كذلك الرجل بطبيعة مسؤولياته، فهي مصدر كسب تربوي بينما الرجل مصدر كسب مادي كعائل.



الشبهة (58)

مشاركة المرأة الرجل في العمل

- إذا كانت النساء شقائق الرجال فمن حقها أن تزاحم الرجال في شتى المجالات، كما فعلت في الدول المتحضرة.

الجواب:

فرق بين الإسلام وغيره من النظريات الوضعية في قضية عمل المرأة، فعملها في الإسلام مباح من حيث المبدأ ولكنه ليس واجبا عليها أيضا من حيث المبدأ، والعكس صحيح في الدول المتحضرة العمل واجب عليها كالرجل تماما بتمام وهذا إجحاف فهل من العدل أيضا أن يكلف الأطفال بأعمال الرجال الأقوياء على التحمل والمجادة فهذا من ذلك .. ثم على فرض توفرت لها الكفاءة المطلوبة كالرجل في أعمال شتى فهل قررت الحضارة إعفاء النساء من رسالتها الأسرية الخاصة وهي الحمل والولادة .. فإذا قيل تؤدي كلا المهمتين العامة والخاصة فهذا ظلم في حقها وإجحاف، فحملها في القرآن كره ووضعها كره، أي مشقة ومعاناة .. وإن قيل بل هي حرة في الإجهاد كما أقرته بعض الدول، فالنتيجة أنها ستجهض وتطرد مخلوقا زائدا على حصة وضعها الذكوري، فلقد تحولت إلى رجل من غير فرق .. فكيف تلتفت إلى فطرتها التي تجاهلتها الحضارة؟

على أنه ليس صحيحا أن المرأة قد أخذت مكانها في كل المجالات مناصفة في العمل مع الرجل في الدول المتحررة من ضوابط الأسرة، وإنما نشط وجودها بشكل طاغ في المجالات التي فيها امتهان لكرامتها، فلم تنشط تجارة الرقيق الناعم وبيع اللحوم البيضاء في أسواق النخاسة كما نشطت في عصر تحرير المرأة حيث بلغ نحو 200 مليون امرأة يتاجر بهن الرجال في البغاء (الدعارة) من سن التاسعة وما علا .. في ألمانيا وحدها سجل لخدمة الدعارة في التسعينات 400 ألف داعرة طبقا لموسوعة (الويكيبيديا) .. هذا غير صناعة الجنس كالرقص الفاضح .. والتعري والمواقع الإباحية .. وتعدد الخدمات الجنسية كتوفير

بورصات لبيع النساء طبقا لأذواق الرجال في المقاسات والأوزان والألوان، وشيء فوق مستوى التصور أن تذكر فتاة من أوروبا الشرقية أنها تواجه فقرها بمضاجعة ما يصل في ثلاث أسابيع إلى نحو 400 رجل في إحدى الدول الغربية الثرية طبقا لبعض التقارير في شبكة العنكبوت .. ففي حضارة المتعة والترفيه احتلت المرأة الصدارة في مواجهة حاجات الرجل الغريزية .. فربحت المرأة المحررة مقدرات جسدها وثروة مفاتها، كأى بضاعة على حساب رصيد إنسانيتها .. فمن أين بدأ في الحديث عن المرأة المتحررة في هذا الجانب .. وعن جريمة الصمت الأممي في استرقاق النساء في الوقت الذي صموا آذان المسلمين بحديث زواج القاصرات والختان الذي هو نادر ومعزول وفي مجتمعات محصورة؟

من أين نبدأ في اضطهاد النساء في حضارة الجنس والدعارة؟ هل من أسواق بيع النساء والقاصرات من الدول الشرقية الفقيرة كراقصات، ومومسات، وعارضات لحوم رخيصة لدر أرباح القراصنة والمحتالين؟ .. أم من المتاجرة بكرامة المرأة لعرضها في المواقع الإباحية ليجمع ديناصورات الكسب الحرام الثروات؟ .. أم من إجبارها على السباحة في الشواطئ وحمامات السباحة بمايهوات خاصة يمنع فيها الحشمة كما منعت بعض النساء المسلمات في فرنسا؟ .. أم من إجبارها في الفنادق والمؤسسات المختلطة على استخدام حمامات مشتركة قصيرة الجدران؟ .. أم من التسويق التجاري في تقديم جسدها كمجرد عامل جذب وإغراء وفتح للشهية في سوق المستهلكين .. فأصبح جسدها رافعة سلعية لاغنى عنها لأي تاجر وأي سلعة .. فأى شركة لا يفوتها لتسويق منتجاتها أن تتقّب أولاً في مناجم الخدود، والقُدود، والأرداف، والأعجاز، والسيقان من أجل وضع العضو المناسب في السلعة المناسبة .. فيرفق صورة عضو المرأة المتحررة كهدية غريزية من أجل تمرير سلعته والحصول على رضا الجمهور الذي يحب بدوره السياحة الداخلية في عالم أسرار المرأة الخفية .. هذا هو التحرر من قيود الإنسانية إلى عالم السوائم الرخيصة .. ثم تطور التسابق على استثمار مناجم أعضاء التسويق الرخيص، ودخل السباق على عروضات الأزياء الحية والمباشرة .. فيسخر التاجر للترويج للسروال الواحد عشرين من الإماء المسخرات والعاريات المهانات، كل عارضة تعرض سرواله على الجهات الست فينسى الزبائن السلعة المعروضة وترسوا مناقصاتهم على السلعة العارضة .. فهل هذا هو التحرير الذي حرر المرأة .. أم هو تحريرها من كرامتها وشرفها؟

وبهذه الرسائل الجسدية صارت المرأة المعاصرة تعيش حياتها باحثه عماذا يعجب الرجل فيها لكي تفعله، أكثر مما تبحث عن ماذا يعجبها هي من الحقوق لكي تحصل عليها، وهذا نتاج عمر طويل من إلهائها في الموضوعات، والمساحيق، والتقاليع لكي تكون مغرية للرجل أكثر .. تفعل هذا بالمرأة حضارة حقوق المرأة فأين حقوقها من تسليعها؟

قد يقال لكن المرأة مع ذلك نالت نصيبا وافرا من حقوقها في العمل إلى جانب الرجل فصارت مذيعة، ومديرة، ووزيرة، ورئيسة وزراء .. ونرد: بأن هذا حقا قد حدث .. ولكن لا يمكن أن تسبق مؤهلات المرأة العلمية مؤهلاتها الجسدية في كل ظرف إلا القليل عند عدم وجود مؤهلات جسدية منافسة .. فالمرأة وهي تتسّم هذه المناصب لا تستطيع أن تتنصر لإنسانيتها وتترك رسائل جسدها وتخفي مفاتها؛ لأنها ستكون عندئذ متخلفة وغير متحررة، حتى رئيسة الوزراء وهي عجوز شمطاء لايمكن أن تلتزم الحشمة كالرجل .. لابد أن تعرض ما بقي منها من مؤهلات غريزية .. فتمشي كاشفة عن ساقها بملابس تشف وتصف .. فمع أنهم ساووها بالرجل في كل شيء إلا مساواته بالحشمة فهذا يتعارض مع مهمة العرض الأهم .. ثم ما هي الوظائف التي أسندت إليها من غير المناصب العليا القليلة جدا؟ .. إذا ما استثنينا الطب والتعليم فهي لا أكثر من مجرد سكرتيرة مسرية عن هموم مدير الشركة .. أو مجرد جمال صوت في التحويلة لجلب الزبائن .. أو جمال أنامل في شباك تذاكر كدعاية ترويجية لتفضيل خدمات الشركة .. أو مذيعة جلبتها القناة بعناية خاصة لتحصل على فخر العروض النسائية .. ولسان حال القناة يقول لسنا الوحيديين ولكننا الأفضل .. ففي معرض السباق على عرض مؤهلات المرأة كجسد صرنا نرى كيف تتسابق بعض القنوات العربية على ملكات جمال الصحافة والإعلام .. لكي تجد متابعين لأخبارها، فإذا جاءتهم المذيعة بأحداث تسونامي البحر تابعوا معها أحداث تسونامي الجسد وصور تدميرها لنفوس المشاهدين .. فينسوا البيوت المدمرة وتابعوا فيها الأعضاء الناسفة والمدمرة.

من هنا ادخلوا المرأة في عالم خاص .. عالم ملك الجسد .. وعملوا لهذا الجسد مسابقات تخضع فيها أعضاء المرأة المسكينة المخدوعة لعملية فحص وفحص ووزن وقياس، ليطلعوا منها بأفضل مؤهلات جسدية في العالم .. وتحصل على لقب ملكة المؤهلات الجسدية الأولى .. أو ملكة جمال العالم .. فالمرأة ملكة نعم .. ولكن ملكة ليس في العبقرية والاختراع

.. بل ملكة للحوم البيضاء، والشقراء، والسمرء، ملكة أعضاء تحولت إلى مقتنيات تحفية يتم تقديمها للرجال للتسلية والإمتاع.

ولو سألنا عن حقوق المرأة في المؤسسات الدولية؟ ودورها في إيقاف تسليع المرأة والاتجار بها سنجد أن هذه المؤسسات نفسها متهمه بانفاق الأموال الطائلة لعقد المؤتمرات الدولية من أجل جندرة المرأة والمزيد من استرخاها .. وتحويلها إلى حمام عام للاستفراغ الشهوي .. ومكب نفايات لكل عابر سبيل .. هذه هي الحقيقة؟ لذلك كان الإسلام حاسما عندما لفت الانتباه بدعوته لغض الطرف إلى أن المرأة ليست مجرد كائن للفرجة والإمتاع (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (1) إنها إنسانة لا مجرد جسد .. ومن أراد المرأة مجرد جسد فهذا جسدها بعيد المنال صعب المتناول .. وضع عليه سياجات العفة وأسوار الحشمة: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ^٣ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ^٤ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (2).

ورفض تسليعها عن طريق البغاء: (... وَلَا تُكْرَهُوا فَتْيَاتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...) (3) .. كما أغلق أسواق الرقيق عن طريق الأمر بالعتق فلاسبيل للعودة إلى عبوديتها من جديد .. من هنا يظل خط الاتصال الإنساني معها الأبرز هو مع فكرها، وعقلها، ورسالتها في الحياة.

ولقد بالغ الشعراء في تخيل الجمال المستور وأوغلوا هياما في ابتغاء النظرة والكلمة، وقبل الدين منهم أدبهم ورفض قلة أدبهم، فالمطلوب بعيد المنال غير بائر، ومن يبتغي تحصنا فبالطرق التي تحفظ لشقائق الرجال قيمتهن كشريكات حياة لا غير.



1 - [النور : 30].

2- [الأحزاب 59].

3- [النور 33].

الشبهة (59)

توريث الذكر مثل حظ الأنثيين

-أليس من التحيز جعل حظ الذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث؟

الجواب:

الرد على هذه الشبهة بالعلة الاقتصادية الواضحة، سأبدأ بحسبة ميراث بسيطة (ترك المتوفي ابنا وبناتا وخلف وراءه تركة تقدر بثلاثة مليون ريال 3000000 .. ذهب 2مليون للابن و1مليون ريال للبنات).

ثم إن الابن أعطى 1 مليوناً صداقاً لمرأة يريد الزواج بها كون المهر لم يحدد في الإسلام بسقف قال الله تعالى في حديثه عن المهر: (... وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ...) (1). والقنطار القدر العظيم من المال، قال بعضهم ملء جلد الثور ذهباً .. أي لو أعطها المتقدم لها إن شاء الله 100 مائة مليون ريال فهو حر في عطيته، ولها أن تحوز ما وصلها من المال قلّ أو كثر .. وقد ردت امرأة صحابية بهذه الآية على الخليفة العادل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عندما أراد تقنين المهر ونزل على كلامها وترك المهر مطلقاً بلا تقييد (2) .. ولكن دعنا نقول أعطها مليون ريال.

فيكون 1=2-1 الباقي للذكر مليون .. ثم حصلت أخته في نفس الوقت من متقدم لزوجها صداقاً ب 1000000 مليون ريال فسيصبح ما معها 2=1+1 مليونين .. أي أنها تجاوزت أخاها بالضعف وأصبح لها مثل حظ الذكّرين.

علاوة على أن أخاها سيواجه مسؤولية تأسيس حياة زوجية متكاملة لزوجته التي سيبنى بها من سكن ونفقة ولنقل إنه سينفق نحو 800 ألف على ذلك ليتبقى معه 200 ألف. وطوال عمره يظل متحملاً مسؤولية النفقة على زوجته وأولادها ولا يزال عليه التزامات صلة الأرحام منها أخته هذه التي ستحتفظ بمالها كاملاً.

1- [النساء 20].

2- إلا أن يصبح هناك متاجرة من أولياء الأمور لمصلحتهم في رفع المهور وضرر على النساء فيمكن تقنين ذلك والله أعلم.

ثم إن أخته ستذهب إلى بيت زوجها وأمامها حياة معدة ومتكاملة، لأن الله ألزم زوجها بالسكن فقال: (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ...) (1) .. وألزمه بالطعام والكساء فقال: (... وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ ...) (2) .. أي على الرجل صاحب الأولاد الطعام والكساء .. ونسب الأولاد إلى الزوج بقوله (وعلى المولود له) لأنه المسؤول عنهم وليس أمهم .. فالملفت العجيب أن الزوجة غير مسؤولة حتى عن ابنها الذي في بطنها .. فلو بانث من الزوج وهي حامل وجب عليه النفقة على ابنه وهو لا يزال في بطن أمه .. وستستمر النفقة عليها من الزوج بعد الولادة إذا أرضعت له المولود قال تعالى: (... وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ...) (3) فليست ملزمة بأولادها بل لها أن تفاصل مطلقها في النفقة وتشتترط شروطها .. وإذا رفضت إيجار الرضاعة لكون الأجرة غير مناسبة مثلا فليس عليها وجوب إرضاع ابنه .. بل عليه أن يلتمس مرضعة أخرى غيرها بمقابل أيضا، قال الله: (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُ فَاسْتَرْضِعُوا لَهُ أُخْرَىٰ).

إذن ليست الزوجة مسؤولة عن نفقة البيت، ولا عن نفقة أبنائها، ولا يحق للزوج أن يأخذ من مال زوجته شيئا، حتى وإن كانت هي غنية وهو فقير، إلا أن تتصدق عليه قال المولى تعالى: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) (4) وإن لم تعطه هي عن طيب نفس منها فلا يحل له شيء من مالها وإن كان لها قنطار من المال هكذا تقول الآية الكريمة: (وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) (5).

ولذا قد تجد المرأة وفي حوزتها رصيد من الذهب أو الأراضي والعقارات، وزوجها فقير إلى جانبها وتبقى هي محتفظة بمالها .. ولها أن تتاجر بمالها وتتممي مداخلها بالتنسيق مع الزوج في ترتيب وتوزيع عمل البيت كونه صاحب القوامة.

وقد ظهرت ظاهرة ملفنة وهي ظهور نساء أعمال كثيرات في بعض البلاد الإسلامية .. وآخر إحصائية لأكثر بلد عربي يحوي نساء أعمال هي المملكة العربية السعودية، حيث

1- [الطلاق 6].

2- [البقرة 233].

3- [الطلاق 6].

4- [النساء 4].

5- [النساء 20].

وصلت نسبة نساء الأعمال مقابل رجال الأعمال إلى 30% فتلت المصانع والشركات تديرها نساء أعمال .. ولك أن تتصور امرأة تملك الملايين أو حتى المليارات ثم لا تكون مسؤولة مسؤولية شرعية عن النفقة على بيتها .. والسؤال لماذا سقطت عنها المسؤولية المالية؟ الجواب لكي تأمن على مستقبل نفسها المقرون بالضعف وقلة الحيلة .. فقد تصبح يوماً بلا عائل .. ومهما يكن فلن تكون المرأة في قوة وجلد أخيها الرجل، وقد أراد الإسلام بذلك صون كرامتها وجبر ضعفها من اللجوء إلى حال الضعة لذا أحاطها الشرع بروافد تأمين مختلفة، وأبقى مالها حقا محفوظا غير قابل للتصرف .. أضف إلى ذلك أنها رَحِمَ والإسلام وصى بها وجعل الرحم معلقة بالعرش تتادي بلسان لها ذلق تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني.

وبالنتيجة المنطقية سيكون من الظلم البين أن يتحمل الرجل كل تلك المسؤوليات ولا تتحمل المرأة أي مسؤولية ثم يسوى بأخته غير الملزمة هي بمثل أعبائه.

ونحن هنا إنما نفلسف ميراث الأخ والأخت المذكورين في الآية الكريمة (بوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) قال (في أولادكم) وليس في كل حالات الميراث .. بل في نحو هذه المسألة التي بقيت محل إشكال .. وموضع تلاعب من أكثر شريحة المجتمع الإسلامي جهلا بدينها وهي شريحة الرؤساء والأمراء الذين يفاجئونا بين الفينة والأخرى وهم أناس ظلمة بعدالة من طراز فريد .. فبعد أن أنهموا تحقيق عدالة أهل الأرض ولم يبق سوى عدالة أهل السماء يأتي أحدهم ليقول بل العدل عندي أن يكون للذكر مثل حظ الأنثى؟ وعلى نحو ما رأينا من رئيس تونس الباجي قايد السبسي، ومن قبله الحبيب بورقيبة، وزياد بري في الصومال، ومصطفى أتاتورك في تركيا وغيرهم، ومن ورائهم الملعوب بعقولهم من أصحاب الشبهات .. فلفرط جهلهم أشكل عليهم الأمر وظنوا أن المسألة منسحبة على بقية حالات أنصبة المواريث .. فأن يأخذ الذكر مثل حظ الأنثيين فذلك إنما هو في حالة الإرث المتساوي في الدرجة .. وإلا فإن المرأة في أكثر حالات الفرائض الشرعية ترث أكثر من الرجل .. فإذا كان الذكر يزيد في 4 حالات في الميراث على الأنثى فإنها في أكثر من 30 حالة تزيد في نصيبها على الذكر أو تساويه .. جاء في كتاب حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين:

إنَّ هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذُ فيها المرأة مثل الرجل، أو أكثر منه، أو تَرثُ هي ولا يرث نظيرها من الرجال، في مقابل أربع حالات محدودة تَرثُ فيها المرأة نصف الرجل⁽¹⁾.

وللتدليل على تجاوز الأنثى للذكر أحيانا في نصيب الميراث نمثل بمتوفي ترك بنتا وأبا وأما .. فتأخذ البنت نصف التركة ويأخذ جدها (الذكر) السدس وجدتها السدس قال الله تعالى: (... وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ...) (2) أي إن كانت بنتا واحدة فلها نصف تركة أبيها أما أبو المتوفي فليس له من الإرث سوى السدس بصرف النظر عن التعصيب بما تبقى من الإرث.

إذن القول بأن الإسلام أعطى المرأة نصف الرجل في الميراث على إطلاقه قول مضلل وكذبة كبرى .. ومحض هراء ناتج عن محض جهل .. وإنما هي في الواقع فرائض شرعية متقلبة ومتحولة .. ولا علاقة للميراث بمسألة الذكورة والأنوثة على الإطلاق .. بل إنما يكون اختلاف الاستحقاق بوحدة من ثلاث:

- إما بسبب الالتزامات المالية كما هو حال الأخ مع الأخت التي وضحناها.
- أو بسبب حداثة سن الوارث أو كبره، فحديث السن يأخذ أكثر من كبير السن بصرف النظر عن النوع لأنه مقبل على الدنيا وكبير السن مدبر عنها.
- أو بسبب قرب أو بعد الوارث من المورث فيأخذ الأقرب أكثر من الأبعد دون اعتبار لمسألة الأنوثة والذكورة ..

هم يقولون لكن الآن المرأة صارت تعمل كالرجل إذن يسوى بين الذكر والأنثى!!!
والجواب أن الشرع يبني على قاعدة عامة، وهي إذا كان بعض النساء يستطعن مزاوله بعض أعمال الرجال في بعض الأوقات فليس كل النساء يستطعن أن يمارسن كل أعمال الرجال في كل الأوقات.

وثانيا إذا كنتم حملتم المرأة مالا تحتمل وألزمتموها ما لا يلزم فهذا شأنكم، أما الشريعة الإسلامية فهي وإن كانت قد أباحت للمرأة أن تعمل وفقا للضوابط الشرعية فإنه رحمة بها لم يوجبه عليها .. وإن إلزامها بالعمل سواء بسواء كالرجل لظلم في حقها أي ظلم لا إنصاف لها

1 - لمجموعة من الكتاب إشراف محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصري ص 558.

2- [النساء 11].

.. فهي لا كالرجل إنها تحمل وتنجب وتمرض مرض النساء .. وفرق بين عدالة السماء وعدالة الأرض .. ثم ماذا أعطت الكثير من القوانين الأراضية للمرأة سوى أنها حكمت عليها بعقوبة الأشغال الشاقة بدون ذنب؟ فهناك من الثقافات كالهند من تلزم المرأة بإعطاء المهر للرجل وبتأنيث البيت، وتكد هي وأسرتهما لكي يأتي الرجل على حياة جاهزة .. بل ومن التشريعات من تحرم المرأة البنت والزوجة تماما من الميراث وحتى الآن " ففي التشريع اليهودي قانون ينص على أنه إذا توفي الأب كان ميراثه لأبنائه الذكور وحدهم دون الإناث، كون الميراث سيؤول إلى رجل أجنبي ولا يزال إلى الآن إلا أن لا تتزوج فتعطى منه .. والفقهاء اليهودي المغربي الذي استقر عليه الأحبار المغاربة يتضمن أحكاما خاصة بالميراث تنص على حرمان الزوجة من الميراث فيما تركه بعلمها، وإن كان من حقها أن تعيش من تركه زوجها المتوفى بعده .. ومن خصوصيات الشريعة الموسوية كذلك أن المرأة اليهودية المتوفى عنها زوجها والتي لم تخلف منه أبناء تكون ملزمة بالزواج من أخ الهالك بالرغم عنها.

وفي القانون الفرنسي لا تترث الزوجة زوجها إلا إذا لم يكن له ورثة من أهله نهائيا. وكان القانون الفرنسي ينص على أنها ليست أهلا للتعاقد واستمر هذا الوضع إلى غاية 1931. ويمنع القانون المدني الفرنسي الزوجة و الزوج من الميراث إلا في حال عدم وجود أقرباء (1).

فأين عويل الأصوات باسم حقوق المرأة؟ متى تشبع تشكيكا في الإسلام وتتصرف إلى تحرير المرأة من نير الديانات والقوانين الأخرى التي تأكلها لحما وترميها عظما .. إن الرجال في الإسلام ليحيطون بالمرأة عناية واهتماما إحاطة السوار بالمعصم، وكلهم مسؤولون عنها زوجها، وأبا، وإبنا، وأخا .. فهل لم تلفت عيون حراس الظلام إلا (للذكورين مثل حظ الأنثيين)؟.



الشبهة (60)

= تعدد الزوجات

هل إباحة التعدد المحدود والمشروط هو الأسلم أم وجوب الأفراد؟

الجواب:

هذه الشبهة لم تكن إلى قبل مائة عام تقريبا شبهة متداولة في أي مكان تقريبا، إذا ما استثنينا بعض الطوائف المسيحية، وهناك جماعة (المورمونية) المسيحية تبيح التعدد بلا حدود .. مع أن الكتاب المقدس يتحدث عن تعدد زوجات الأنبياء، وكان التعدد في اليهودية أيضا مسموحا به حتى القرن الحادي عشر الميلادي حيث حرمه الحبر الإشكنازي (غرشوم) .. وكان التعدد قبل الإسلام مفتوحا حتى جاء الإسلام وجعل التعدد إلى أربع قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) (1).

وسأبدأ بالرد على هذه الشبهة من الآخر مستمدا العون من الهادي إلى سواء السبيل.

أولا - لو طرح سؤال على غير مسلم ذي فحولة كم امرأة خادنتها سفاحا في حياتك؟ سيكون الجواب: كثيرا لا أتذكر العدد ولا الأسماء فمن لا يعددون بالتشريع فلا حدود للمخادنة غير الشرعية عندهم كما أنه لا حدود لتنفس الهواء .. اشتبه عليهم فقط الجمع بقانون ولم يشتبه عليهم الفوضى الجنسية ..

ولأن التعدد ظاهرة إنسانية فقد فتحت الدول غير المسلمة لكل أنواع التعدد المحرم .. وقننت البغاء .. وفتحت بيوت الدعارة .. وأعطت تراخيص لبيع اللحوم البيضاء كما تباع الأنعام في سوق القصابين .. وزينت سبل الغواية بكل أشكالها .. ولا أجد تفسيراً لكل هذا الجنون الجنسي لو كان التعدد ترفاً ولا هم يستطيعون تفسير تحريم الحلال بخاصة؟

بينما حرم الدين المتأخرة بجسد المرأة كسوق البورصات فلها كرامتها وحرمتها، حتى الإمام يأبى الإسلام تدنيس عفتها التي هي رأس مال أنوثتها قال تعالى: (... وَلا تُكْرِهُوا

فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... (1) أي لا تکرهوا إماءکم على ممارسة التجارة الجنسية من أجل المال فصار بذلك محرماً.

ثانياً- التعدد في الإسلام رخصة، ويرضا الزوجة الثانية وإذا اشترطت الزوجة الأولى عدم التعدد فبعضهم أجاز لها ذلك .. كما أنه محمول على الاضطرار حملاً على ظاهر النص لأن الله قال: (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ...) (2) وقال: (3) فبعد تأكيد صعوبة العدل رغب في البقاء على الواحدة إذا خشي الرجل ضعفا في نفسه وعدم القدرة على شرط العدالة ثم قال (ذلك أدنى ألا تعولوا) قال الجزائري في (أيسر النفاسير): "ذلك أقرب أن لا تجوروا بترك العدل بين الزوجات" .. إذا التعدد في الإسلام ليس عزيمة بل هو رخصة اضطرارية وحسب، وبعضهم يقول غير ذلك ويجعله سنة، وأيا كان الأمر فإن السؤال الكبير هو ماذا لو أن الإسلام لم يبيح التعدد؟

الجواب: عدم إباحة التعدد بالطريقة الشرعية سيعني إباحة التعدد بالطريقة غير الشرعية، بما كان واقعا في تاريخ البشرية وبما هو واقع اليوم من ثقافة الشعوب غير المسلمة الذين يقدمون مواعظ تتدد بتعدد الزواج الحلال، لكنهم لم ولن يستطيعوا تقديم تجربة ناجحة تقتصر على المرأة الواحدة، وبفضل تعاليم الإسلام فإن نحو 80% على وجه التقريب من المسلمين يستغنون طوال حياتهم بزوجة واحدة، ونحو 80% على وجه التقريب من غير المسلمين قد لا يستطيعون تذكر عدد النساء اللاتي مروا عليهن لكثرتهم.

ثالثاً- قد يقال فلماذا يعدد الرجل ولا تعدد المرأة؟

والجواب: إن هذا إهانة في حق المرأة. فإذا وُجد أربعة أو أن أي أربع نساء لمصدر واحد أي لرجل واحد فإن كل إناء سيكون مستقلاً بما فيه غير مختلط بالآخر .. وستحصل كل واحدة على طفلها من مصدر واحد معروف يتحمل تبعات بذرهِ .. ولن يكون الأمر كذلك لو فتح إناء واحد لأربعة مصادر مختلفة أي امرأة واحدة لأربعة رجال فلم يعد إناء المرأة لهدف سام ونبيل وهو الإنجاب، بل سيتحول إلى مجرد مسلك غريزي لعدد من الطارئین لهدف

1- [النور 33].

2- [النساء : 129].

3- [النساء : 3].

بهيمي ولن يحصل كل واحد على طفله منها .. ولن يكون الولد منهم لأحد إذا أنجبت؟ فمن هذا الذي يقبل بولد جاء من إناء ملوث .. وبمن سيلحق؟ ومن سيرث من؟ لذلك يأبى الشرع والطبع والفترة السليمة أن تتحول المرأة إلى مجرد مجال استفراغ شهوي للرجال، فهي طرف مستقبل لشفرة نطفة رجل خاص والرجل طرف مرسل، فإذا تحول المستقبل إلى إناء يبحث عن تعدد مصادر تلوئته، تقلص الهدف من إنساني في استمرار النسل المشروع إلى شهوي بهيمي لا يخلو من مخاطر صحية وسلوكية مدمرة.

وأن تكون المرأة مطلوبة لا طالبة هو من مظاهر تكريم المرأة فالرجل من أول فجر التاريخ هو الذي يجري وراء المرأة وليست المرأة هي التي تجري وراءه، بل وسنجد هذا من حين قذف مني الرجل في رحم المرأة حيث يتسابق نحو 15 إلى 200 مليون حيوان منوي من أجل تلقيح بويضة المرأة في الرحم فيفوز بها واحد وتموت البقية، ولا تجري بويضة المرأة وراء حيوانات الذكور المنوية، ويا له من مخجل في حق المرأة لو أن بويضتها تجري وراء كل هذا العدد تطلب التخصيب؟ .. إنها فطرة الله التي جعلت المرأة موضع اهتمام الرجل وزودها بصفات الجذب والإثارة فصارت هي المطلوبة وكل مطلوب مرغوب، وكل معروض مرفوض أو بائث.

ولكي تتحقق القيمة الإنسانية للمرأة رزقها الله صفة الحياء فلا تذهب هي تبحث عن الرجال إلا أن تكون شاذة، بينما رزق الرجل الجراة في إبداء الرغبة والحاجة إليها ويعبر عن ذلك برسائل عدة، فالشعر الغزلي وقوة تصوير الوجد هو من الرجال غالبا لا من النساء وبذل الأموال والمهور هو من الرجال لا من النساء .. وتوفير السكنى هو من الرجال الراغبين والطالبيين لا من النساء المطلوبات .. حتى في ثقافة البغاء لم نسمع ببائعي هواء من الرجال للنساء .. فإذا كانت القاعدة أن المرأة مجال طلب الرجل وليس الرجل مجال طلب المرأة كيف نتصور أن تتخلى المرأة عن مكانتها وكرامتها وحيائها وتطلب يد العدد من الرجال.

فعيب يا من تقولون لماذا لا تتزوج المرأة أكثر من واحد كالرجل .. إن البهيمة وهي بهيمة إذا حملت من ذكر انتهى الاتصال الجنسي بأي ذكر آخر حتى تلد، في حين أن الذكر يمكن أن يلحق العدد من الإناث دون فاصل لأنه يرسل لا يستقبل ولا يحمل.

رابعا- كانت الكنيسة الكاثوليكية تحرم الطلاق إلا أن يزني أحد الزوجين فيحق للآخر طلب الطلاق أو يضطر أحدهما لبيع الآخر في السوق هكذا .. يفعلان هذا لضرورة ملجئة

أحيانا .. قد يكون حلُّها التعدد والزواج بأخرى، كأن يرغب الرجل في الذرية التي لم يرزق بها من زوجته الأولى وكلاهما يحب الآخر .. فلا يصح في قوانينهم بقاؤها معه مع وجود امرأة أخرى فالحل عندهم ما هو؟ الحل هو الانفصال .. وهذا تصرف لا حكمة من ورائه بما أن كل طرف راض بالبقاء مع الآخر في حال التعدد، وقبلت الثانية ببقاء الأولى، لكن فقط لأن القانون يرغب في تحريم التعدد بالحلال حرمة وأطلق التعدد في الحرام، وأجزم أن ظاهرة المخادنة وانتشارها في الغرب جاء من هذا الدين المقلوب ولو أجزت التعدد هناك لكان مخرجا ملائما وحكيما.

خامسا- الرجال يأكل بعضهم بعضا في حروب خالدة منذ أول البسيطة ويخلفون وراءهم ملايين من النساء الثكالي في كل زمان ومكان .. فإذا أضفت إليهن ملايين العوانس فما هو الحل لهن؟ المرأة ترغب في زوج يسترها وبيت تأويها .. ذكر الدكتور ذاكر نائيك وفي إحدى محاضراته كداعية مهتم بالشؤون الاجتماعية أن عدد الإناث في العالم أكثر من الرجال عموما، وأن في أمريكا تزيد النساء على الرجال ب7 مليون امرأة، وفي ألمانيا ب5 مليون امرأة، وفي روسيا ب9 مليون امرأة، كأمتلة وهو ما يعني أن لم يفتح باب التعدد سيكون عندنا ملايين النساء إن لم يتزوجن سيبقين في حكم الملكيات العامة.

سادسا- إن التعدد في المجتمع المسلم يكاد يكون اليوم هو النادر، ويكون ذلك لمن لديه شروط التعدد من نفقة، وسكنى، وقدرة على المعاشرة، والعدل بين النساء، فنحن هنا أمام رجل غني لديه رغبة زائدة في النساء ولديه القدرة على فتح عدة بيوت، أو رجل زوجته الأولى لا تتجب ويرغب في الأولاد، أو رجل طرأ على زوجته طارئ صحي ولا تستطيع أن تواجه احتياج زوجها، أو رجل أراد أن يصون امرأة أرملة وأولادها ويضمهم إليه من الضياع، والأسباب الإنسانية النبيلة من التعدد متعددة، فإن لم يتوفر شيء من ذلك فقد يحرم التعدد بل قد يحرم الزواج بواحدة، كأن لا يكون لدى الرجل الرغبة في النساء، فالمسألة ليس مجرد العبث والتسلي بالنساء.



الشبهة (61)

زواج النبي بإحدى عشر زوجة امرأة

-هناك من يقول إن زواج النبي بإحدى عشر زوجة يدل على أنه كان رجلا شهوانيا ثم إنه أمر الآخرين بعدم الزيادة على أربع ولم يطلق هو ما زاد على أربع وهذا تناقض .. كيف تردون؟

الجواب:

من لا يعرف سبب زواج النبي بهذا العدد، وعدم تطبيق ما زاد عن أربع فهي عنده حقا من المشتبهات حتى يعرف السبب، وإليك السبب.

أولا - قولهم تزوج محمد ب11 امرأة أو على إجمال بعضهم 15 امرأة وتوفي وفي عصمته 9 نساء وتعليهم ذلك بالتميز عن باقي الناس بزيادة عن الأربع لزيادة شهوة.

الرد على هذه الشبهة:

أولا- لماذا لم يطلق النبي ما زاد عن أربع؟

كان هذا بسبب الوضع النبوي الخاص وفيه تقييد له عن سائر الناس، وليس إطلاقا له ولا اختصاصا تجاوبا مع شهوة غريزية زائدة كما يقول المشتبهون .. كيف ذلك؟
معلوم أن الإسلام أباح التعدد للرجل إلى أربع، ولم يقيد بقيد كأن يمنعه عن مفارقة زوجته وتزوج غيرها .. بل إذا اقتضت الحياة أن يفارق الرجل زوجته فله ذلك (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) .. أضف إلى ذلك أن للرجل أن يتزوج بأخرى، وإذا بلغ الأربع أن يبذل بغيرهن طالما توفرت لديه الشروط الشرعية وهي القدرة على الباءة النفقة والمعاشرة.
وليس كذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فله خصوصية اجتماعية اقتضتها خصوصية النبوة .. فعلةً زواجه لا كعلةً زواج غيره .. ونساؤه لا كنساء غيره .. وحكمه فيهن لا كغيره من الناس .. فتم تقييده بقيود لم يقيد بها أحد سواه من ذلك:

1-منعه الله من أن يتزوج من النساء زيادة على اللائي تزوجهن بعد أن خيرهن في أن يطلقهن أو البقاء مع رسول الله كما روى الشافعي - رحمه الله - وبعد أن انتهت الحكمة من

زواجه بزيادة على ذلك العدد من النساء .. قال تعالى: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) (1) وهذا يعني أن وضعه خاص وعليه قيود أخرى ليست للمؤمنين.

2- منعه الله من أن يبدل بهن أزواجا أخرى، بل يقف على ما معه من النساء وحسب .. بمعنى أن المولى تعالى لم يبيح له لا أن يطلق من الموجودات، ولا أن يبدل بإحداهن أخرى .. وذلك بعد تخييرهن.

فلماذا حرم الله عليه تطليقهن أو استبدالهن؟

أ- لأن ارتباط إحداهن بالنبي صار حقا مكتسبا يترتب عليه:

- تميز في الفضل قال تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۗ إِنَّ اتَّقِيْتُنَّ ...) (2) فيصبح أزواج النبي بفضل هذا النسب الشريف أمهات المؤمنين قال المولى تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم).

وترتب عليه أنه لا يحل لأحد من الناس أن ينكح زوجه من بعده قال تعالى: (... وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۗ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا) (3).

لأن أزواج رسول الله صرن أمهات المؤمنين فكيف يتزوج الرجل أمه؟؟ و صار الباب أمامهن بهذا مقفلا أيضا.

لقد صرن بالالتصاق بمعاني الإنسانية الكاملة، واطلاعهن على أسرار خصوصيات بيت الوحي، والابتضاع من مجال الخير كله صرن ليس كأحد من النساء؛ لأن بعلهن ليس كأحد من الرجال .. فتغييرهن وتطليقهن محرم على النبي .. وزواجهن من غيره محرم عليهن وعلى المؤمنين و صار أجر إحداهن إذا صبرت وأطاعت مضاعفا .. وعذاب إحداهن لو أتت بفاحشة مبينة مضاعفا أيضا لهذه الخصوصية.

1- [الأحزاب : 52].

2- [الأحزاب : 32].

3- [الأحزاب : 53].

ب- لأن زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا هن زوجاته في الآخرة فلا ينتقلن لعظم مكانتهن إلى أحد غيره دنيا وآخرة .. وقد قال الإمام علي - كرم الله وجهه - عندما وجد من يحرض على أمنا عائشة - رضي الله عنها - في معركة الجمل قال: "إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة".

3- لقد خيرهن الله من السماء بعد أن انقضت مدة عزل النبي لهن عندما تظاهر بعضهن عليه من أجل النفقة .. خيرهن أن يخترن واحدة من اثنتين:

إما أن يخترن (الله ورسوله والدار الآخرة) وهو البقاء مع رسول الله وما فيها من خصوصيات مترتبة عليهن في الدنيا والآخرة .. أو أن يخترن الحياة الدنيا وزينتها ويتخلين عن فضل الاقتران بالنبوة فيسرحهن رسول الله سراحا جميلا .. فاخترن الأولى .. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرَحَنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا⁽¹⁾).

وتأمل أن الله تعالى لم يسم الاختيار الأول اختيارا للبقاء مع رسول الله بل هو إرادة واختيار لمن؟ (الله ورسوله والدار الآخرة) كون بقائهن مع رسول الله مترتبًا بمسئوليات ومهام الدعوة من المصابرة والتجرد من الدنيا ومتاعها .. الخ، فهن مع رسول الله مجاهدات في سبيل الله مؤثرات الآخرة على الدنيا .. ومنه الكف عن الضغط على رسول الله في التوسيع عليهن في الإنفاق .. وقد قبلن ذلك واخترنه راضيات .. ولم تكن لتترك إحداهن الله ورسوله والدار الآخرة إلا شقية .. ولما كان من عدل الله أن منحهن هذا الحق في الاختيار فاخترن .. فإن من عدل الله أيضا أن لا يطلقهن رسول الله بعد ذلك لأي سبب حتى وإن زدن في عصمته عن أربع ولا أن يبذل إحداهن بأخرى.

ولقد أنزل الله قرآنا يتلى يحصر زوجات النبي في صفات محدودة معدودة وتبين أن الله هو الذي أحل له هذا العدد الزائد على أربع قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ

اللَّاتِي آتَيْتَ أَجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ... قوله (أحللنا لك أزواجك) قال: أحللنا أي أبحنا لك بقاء التسع معك المحدودات المعدودات الزائد عددهن على نصاب المؤمنين .. وقد ذكرهن نوعين:

النوع الأول: من تزوجهن زواجا عاديا بصداق وهن اللاتي؛ (آتيتهن أجورهن) مثل عائشة، وسودة، وحفصة، وأم حبيب، وزينب بنت خزيمة، وزينب بنت جحش. وأم سلمة. والنوع الثاني: من أسرهن في الحرب في قوله: (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) ثم أعتقهن وجعل عتقهن صدقتهن وأكرمهن وهن جويرية بنت الحارث، وصفية بنت حيي بن أخطب، ومنهن الهبة من المقوقس مارية القبطية .. ثم تأمل قوله تعالى في نفس الآية : (قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) ⁽¹⁾ أي قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين بعدم الزيادة على أربع وفي الطلاق والتبديل بغيرهن وإضافة الإماء وأن ذلك حكم خاص بهم: (مجمل معنى قول أهل التفسير) وأن إحلال التسع للنبي هو مقابل هذا : (لكي لا يكون عليك حرج) أي لكي لا يكون في منعك التطبيق والتبديل فيما لو حرمتنا عليك أيضا الزيادة على أربع كبقية الناس (حرج) أي تضيق عليك ومشقة بأن حرمتنا عليك ما أحللناه لغيرك.

من كل ما سبق ندرك أن خصائص وظروف ومترتبات زواج النبي شأنه غير سائر الناس .. وأنه ارتبط بحقوق مكتسبة لم يجز بعدها لا التطبيق، ولا التبديل، ولا الزيادة، وأنه أقرب في العقل إلى التضييق منه على رسول الله لا إلى التوسع .. وأن الله لو أوجب عليه البقاء عند أربع فقط كغيره لكان ملزما بالبقاء معهن بقاء أبديا .. فلا يطلق إحداهن ولا يبدل إحداهن بأخرى لأي سبب كان، وليس لإحداهن الزواج بغيره من بعده للأسباب التي سبقت وكان فيه تضيق.

ثانيا- ما سبب زواج النبي بهذا العدد؟

كان الزواج قبل التقيد مفتوحا هذا أولا، وثانيا وهو الأهم لأن خصوصيات دعوية، واجتماعية، وتشريعية اقتضت وصولهن إلى العدد 11 وكن كلهن ثيبات عدا عائشة؟ وبعضهن تزوجهن كبيرات السن عائلات، لأسباب تأليف وتشريع.

أما خديجة فقد تزوجها وهي تكبره بنحو 15 سنة وكانت قد تزوجت قبله اثنتين في رواية .. ثم بقي بلا زواج بعدها حتى تزوج بعائشة وهي في سن 9 وذلك لما كان رسول الله يتردد على صاحبه في بيته ويتردد أبو بكر عليه للصحة فأراد أن يزول الحرج بهذا الزواج وتتمتن علاقته بصاحبه ووزيره .. ولما كانت عائشة صغيرة السن تزوج (سودة بنت زمعة) بعدها وهي تكبر رسول الله سنا ولديها 6 من الأولاد ولم تكن ذات جمال، وكانت بدرجة الأم لبناته وزوجته الصغيرة.

وتزوج ب(حفصة بنت صاحبه عمر) بعد وفاة زوجها في الجهاد ولم تكن ذات جمال أيضا، ولكن جبرا لمصابها وتطيبيا ل خاطر أبيها، الذي كان قد عرض زواجها على أبي بكر وعثمان فأبيا فتزوجها رسول الله.

وتزوج (زينب بنت جحش) بأمر من الله؛ لإنهاء ظاهرة التبني في قصة زيد المعروفة. وتزوج (أم سلمة هند المخزومية) بعد استشهاد أبو سلمة وتركها ب5 أبناء بلاعائل، وهي التي ابتليت بلاء عظيما في هجرتها، وكانت ذات عقل وفطنة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناؤك أبنائي وضمها وأبناءها إلى أهل بيته.

وتزوج أم المساكين (زينب بنت خزيمة) .. أرملة عبيدة الحارث بن المطلب الذي استشهد في غزوة بدر تزوجها رسول الله بعد زواجه بحفصة، ثم توفيت بعد هذا الزواج المبارك بثمانية أشهر في عهد رسول الله.

وأما (رملة بنت أبي سفيان) فتلك بنت سيد مكة، التي تركت دينه وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة ثم تنصر زوجها وتركها ودينها (في رواية) وقيل بل توفي فأرسل رسول الله يخطبها من النجاشي ملك الحبشة جبراً ومواساة لها.

أما غير الحرائر فهن على النحو التالي: (مارية القبطية) أهداها له المقوقس ملك مصر .. وأما (صفية بنت حيي بن أخطب) بنت زعيم يهود التي تزوجت اثنين قبل رسول الله فقد خيرها رسول الله في أن تبقى على دين آبائها ويعتقها ويعيدها إلى قومها، وبين أن تسلم فيمسكها لنفسه قالت يا رسول الله ما لي في اليهودية من أرب .. أما (جويرية بنت الحارث) فقد سببت في غزوة بني المصطلق وفيها قتل زوجها وكان أبوها سيد قومها الحارث بن ضرار فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتألف قلب أبيها بزواجها وبإطلاق أسرى قبيلته وتم ما أراد له وأسلم أبوها وأسلمت القبيلة.

هؤلاء هن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وهذه هي كل قصتهن .. أرامل .. عجائز عائلات .. أو سبيات مؤلفات .. رضي الله عنهن جميعاً فأين مغزى البعد الغرائزي لنبي كانت حياته كلها دعوة وجهاد وتضحية؟.



سادسا- شبهات وردود في:

قضايا السياسة والفكر

الشبهة (62)

ولاية الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- يقول أصحاب (نظرية الولاية) هناك أدلة كثيرة على أن الولاية بعد رسول الله هي لعلي منها حديث المنزلة الصحيح فما هو الرد على كلام صريح كهذا؟

الجواب:

يتعين علينا تناول بعض الأدلة التي استدلت بها أصحاب مقولة الولاية منها حديث المنزلة.

إن للحديث مناسبة كما هو معلوم وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف علي بن أبي طالب على المدينة ثم عيره المنافقون أنه تركه بين النساء والصبيان فلحق بالنبي فقال له الحديث وأعادته إلى المدينة.

وجه الشبه الاستخلاف في مهمة سبق مثلها وهي استخلاف موسى أخاه هارون عليهما السلام على قومه عندما ذهب موسى لميقات ربه، وانتهت المهمة بعودة موسى، كذلك انتهت مهمة علي بعودة رسول الله من غزوة تبوك، والدليل أنها لا تعني استخلافاً ممتداً بعد النبي أن هارون مات قبل موسى، فلو كانت ممتدة لكان خليفته بعد موته ولما قبضه الله إليه.

ومما يستدلون به حديث الثقلين فالنبي صلوات الله عليه قال في غدير خم في 18 من ذي الحجة وليس في الحج الأكبر بعد قالة قيلت في علي رضي الله عنه من أناس في قافلة اليمن التي كان علي أميرها في قصة معروفة (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) وهذا النص زيادة على رواية صحيح مسلم التي لم يذكرها وإنما ذكر بأهل بيته أي نسائه اللاتي يلعنهن الروافض حتى اليوم، وهذه الزيادة ضعفها المحققون ولم يصححها غير الألباني قال بسبب كثرة طرقها، وكثرة الطرق تجعل الحديث مشهوراً لا صحيحاً، ومع ذلك سترد على هذه الصيغة.

قال: (من كنت مولاه) ولم يقل من كنت (واليا) فلو وردت هذه الصيغة لكانت نصاً في الإمارة، بل قال من كنت مولاه و(المولى) باختصار النصير والصاحب قال الله: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) ⁽¹⁾ هل المراد الله حاكم على الذين آمنوا وأن الكافرين لاحكام لهم؟؟!. ومثله قول الله: (... مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ) ⁽²⁾ قال (النار

1 - [محمد : 11].

2 - [الحديد 15].

مولاكم) يعني صاحبكم .. كيف تكون حاكمة عليكم؟ وقال: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) فهذا معنى الولاء أي موالاتهم ومحبتهم ونصرتهم.

وقال الله: (... فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهَوَّ وَليَهُمْ ...) (1) الشيطان وليهم يعني ناصرهم وصاحبهم لا أقل ولا أكثر .. وقد تأتي لمعان أخرى.

وإنما وصى النبي بنصرة علي وموالاته وبر أهل بيته لأنه يعلم ألا ولاية لهم من الله على الناس .. فلو كان لهم ولاية من الله على الناس ما وصى المسلمين بهم، بل لوصى عليا بالمسلمين لأنهم سيكونون تحت حكمه وليس العكس هذا هو الفهم الموافق لهذه الوصية .. فالمرء يوصي صاحب السلطة والكفاية وهم هنا المسلمون على من يتولونهم.

يقولون لكن الله قال: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (2) ما الذي يمنع أن ينزل الله النص قطعي الدلالة في علي ويقول: إنما وليكم علي الذي آمن وأقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راعك لكن الخطاب جاء للجمع لا للمفرد .. وما معنى أن يكون الله حاكما والرسول حاكما وعلي حاكما في نفس الوقت؟

يقولون لماذا ذكر الركوع بعد الصلاة إلا لأنه زكى فيه بخاتمه كان يكفي أن يقول وأقيموا الصلاة؟ .. والجواب: من باب ذكر الخاص بعد العام كقوله: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) (3) وذلك أن إقامة الصلاة غير الصلاة .. قد يقيمها الفرد في أهله أو مؤسسته لكنه لا يصلحها، فجاء الركوع للتأكيد على الصلاة الحسية للجميع .. ناهيك عن أن المراد بالزكاة الركن الثالث وليس المراد التصدق بالخاتم فهذا تطوع بل المراد الزكاة المفروضة فالخطاب تكليفي عام للمؤمنين بالصلاة والزكاة، ولا يصح أن يكون عمل التطوع سببا في إبطال واجب وهو الحركة الزائدة في الصلاة.

ثانيا- ما علاقة سيدنا علي وولايته بأناس يعيشون في القرون التالية؟ .. يقولون هي حقنا لأن النبي ولي عليا ونحن من نرية علي الجواب: إذا ولي عليا ما علاقتكم بهذه الولاية؟ ونجيب: لماذا لم يقل النبي صلوات الله وسلامه عليه الحكم فيك يا علي وفي ذريتك إلى يوم القيامة .. سمي عليا فقط .. فأين نحن وأين الإمام علي؟

1 - [النحل 63].

2 - [المائدة : 55].

3 - [البقرة : 43].

على أن الصحيح أن كل ذرية منقطة بالتناسب واختلاط الأعراق إلا ذرية آدم ونوح لأن جميع الناس منبثون عنهما قال الله في نوح (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) (1) فقط هم الباقون .. وإذا احتفظت الذرية بالنسب مثل بني شيبه الذين يتوارثون مفتاح الكعبة فهم لا يتجاوزون الستة ألف فرد، فيما المدعون الهاشمية بعشرات الملايين وهذا الرقم مخالف لنسبة ذرية نحو 30 جدا وهو ما يعني ضياع هذا النسب واختلاطه بأدعياء من أعراق شتى، وأما ذرية النبي الوارد ذكرهن في بعض الأدعية فالمراد بناته رقية، وأم كلثوم، وزينب، وفاطمة، وأبناء علي ذرية علي لا ذرية النبي قال الشاعر:

بنونا بنو أبائنا وبناتنا* بنوهن أبناء الرجال الأباعد

كذلك الذرية تأتي من البنين لا من البنات قال الله تعالى: (... وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَالِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ...) (2) قال بنين ولم يقل بنات، ولفظ البنين لايشمل البنات قال تعالى: (... وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ ...) (3) وقال: (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ) (4) دليل على أن أحدهما لا يطلق على الآخر، لكن لفظ الولد هو الذي يشمل الجنسين، من هنا فرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له أحفاد من البنين بل أسباط من فاطمة رضي الله عنها وعندهم تتوقف الصفة الانتمايية لا النسبية، يجلي ذلك أن الله تعالى لم يذكر أنه أرسل عيسى عليه السلام إلى قومه كما ذكر ذلك مع بقية الأنبياء؛ بل إلى بني إسرائيل (وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ...) (5) ولم يقل إلى قومه؛ لأن ابن البنت ينسب إلى قوم أبيه وعيسى لا أب له، وليس قوم أمه قومه، (فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ...) (6) ولم يقل قومه، فنسبه إلى قوم أمه منقطع كما أن نسب ابن البنت إلى أجداده من أمه أيضا منقطع شرعا وعرفا، وإلا سيكون هناك نسبان من جهة الأب ومن جهة الأم وهذا ما لم يأت به أحد من العالمين.

ثالثا - علي بن أبي طالب لم يوص بها للحسن نفسه؟؟ ثم لماذا الحسن سلمها لمعاوية وهي فرض من الله كما يقولون؟ وقد أيد النبي هذا الصلح بقوله في الحسن: "إن هذا ابني سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" رواه البخاري .. فكيف يشيد بالتفريط

1 - [الصفات : 77].

2 - [النحل : 72].

3 - [الأنعام : 100].

4 - [الطور : 39].

5 - [آل عمران : 49].

6 - [مريم : 27].

بحق إلهي من الله؟ (والمراد بابني في الحديث المجاز وليس الحقيقية كما يقال لأي ولد تعال يا ابني).

رابعاً- إن الحكم لا يكون بالقرب من نبي بالضرورة ولا حتى بالنبي نفسه فقد طلب بنو إسرائيل من نبي لهم أن يجعل لهم ملكا .. فإذا كان الحكم ليس إلا لنبي أو لابن نبي أو ابن بنت نبي لماذا يطلبون غير النبي ليكون عليهم ملكا (ابعث لنا ملكا) .. ثم إنه قال: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (1) قال: (إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) وأبعدها عن أبناء الأسباط الذي أثار استغرابهم واحتجاجهم وأعطاهم لرجل من عامة القوم قيل كان دباغا فلماذا لم يعطها لأوسطهم نسباً .. وختم الآية بقوله: (والله يؤتي ملكه من يشاء) يعني لا يقيد نفسه وملكه وتصرفه بأحد من الناس فملكه طلق غير مقيد.

وهذا يوسف عليه السلام احتج بقدرته على إدارة الحكم وليس بأنه نبي ولا أنه ابن نبي (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (2) ولسوء حظ المسلمين أن مصيبتهم مع الأدياء مصيبة مركبة، فهم يواجهون عقليات لا علم لديهم ولا خبرة، بقدر ما عندهم خرافات وشعوذات وجهل مطبق، حيث وضع في روعهم أنهم يولدون علماء فاستمروا جهلاء يفقدون من رؤوسهم فتاوى هي عمى في عمى، فنكبت بهم شعوب وانتشرت الخرافات والوثنيات فلا علم دين ولا علم دنيا، ولا يفهمون خصائص العصر الذي وجدوا فيه، فروؤسهم تعيش في القرون المظلمة، وأقدامهم تسير في العصر الحديث.

وأما عن الاستدلال بأحاديث قريش فالرد على ذلك أنها أحاديث خبرية مثلها مثل (الإيمان يمان والحكمة يمانية) فهل يعني ذلك أن الإيمان حق أهل اليمن والباقي لا إيمان لهم؟ فقولها (الحكم في قريش) ونحوه .. أي الأصل أن العرب كانت تدين لحى من العرب اسمه قريش .. انتهى هذا الحي كهيئة اجتماعية معروفة .. ولو بقي فلا يعني قصرها عليهم وإنما من باب التغليب.

خامساً- علي رضي الله عنه لم يكن يعلم طريقا للحكم غير الشورى وبالشورى احتج لا بالوصية ولا بالولاية قال في رسالة لمعاوية في نهج البلاغة ..

1 - [البقرة : 247].

2 - [يوسف : 55].

(إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضاً، فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى) (1).

ختاماً: لن يترك المسلمون دينهم سلعة للبيع والشراء من ذوي الأهواء والأطماع الدنيوية، فإله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ولم يرسله جابياً ولا ملكاً للتحكم في رقاب الخلق .. ولأن الدنيا مظنة للاستتار حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة في عهده على بني هاشم، وبالقياس لو كان الحكم محرماً على أحد لحرمه الله أيضاً على بني هاشم لكي يبعده عن المتاجرة وصرفه عن مقاصده العظيمة باسم القرابة، كما قطع نسله من البنين لنفس الغرض الرسالي العظيم (2).



1 - (نهج البلاغة : ج 3 ص 7).

2 - تم التوسع في مناقشة الموضوع في كتابنا تأملات سياسية.

الشبهة (63)

هل المسلمون أشرار والغرب أخیار؟

- ألیسما العرب والمسلمون یمارسون النفاق یشتمون الكفار ثم یتمسحون فیهم ویفتقدون أخلاق الغرب؟

الجواب:

أرسل لی زمیلی العزیز الدكتور عبد الغنی الأهجری مقالا بعنوان (النفـاق) لكاتب بتوقیع /المفكر المغربي سعید ناشید ویطلب الرد علیه .. ومن المولى دوما نستمد العون والتوفیق .. ولولا مصیبة الحیوش الالکترونیة المجددة التي تنشط لنشر الشبهات على أوسع نطاق عبر خدمة التواصل، لم نكن لنقتطع لشبهات كهذه جزءا من وقتنا المستنفد، فلا بد مما لیس منه بد.

صاحب المنشور و غیره یطلقون ولغیات على منوال واحد، و سیأتي بمثله مقال لمسمى أحمد الصراف .. فسعید ناشر هذا ضمن الفريق الهجائی یشتم العرب والمسلمین، ویصم تصرفات المسلمین تجاه الغرب بالنفاق الوقح .. وورد المقال مفخخا بكثير من المغالطات والتجني .. ولنسرد الشبهات ولنرد علیها بما نستطیع.

یقول: لیس هناك من نفاق أسوأ ولا أدنی من أن تطالب بتطبیق الشریعة فی بلدك ثم تهاجر للعیش فی بلد علمانی.

** الرد: من یطالب بتطبیق الشریعة هم المسلمون فی بلادهم وهم فی بلادهم أغلیبة وأحرار فیما یرغبون فیہ .. فقد جربوا وساخات الحكم العلمانی والحكم التقلیدی المرتهن للغرب .. أما من یهاجر للغرب سواء كان ملتزما أو علمانیاً فكل فرد له ظرفه الخاص، فالنفاق یا من سمیت نفسك مفكرا هو أن تلوم أفرادا سحقتهم حروب الغرب والکیان الصهیونی واضطرتهم الظروف لمغادرة بلادهم، ولا تلوم اليهود ودولا غریبة احتلت أرضهم وتعربد فی أجوائهم وتمتص ثروتهم وتكبلهم بالدیون الربویة المشروطة فی مجالات غیر نهضویة وتسببوا فی الهجرات الجماعیة؟ سواء من العرب أو من غیر العرب كشعوب أفریقیا وأمیریکا اللاتینیة .. النفاق هو منهجك الازدواجی فی ادعاء أن الغرب بلد الحریة فی حین هی تحارب استقلال الشعوب، وتحارب حریة الناس فی أن تختار ما یناسبها من الأنظمة .. وها أنت أیها

المسمي نفسه الناشيد المطبلاطي تهجو الشريعة وتردد ما يريده الغرب من عزلها عن شعوبها .. وهذه هي حريتك التي تؤمنون بها أي القتل من ورائكم والقمع من أمامكم.

ثم يقول: " من النفاق أن يطالب المسلمون بأسلمة المناهج ثم يسجل أحدهم اسم ابنه في مدارس غربية".

** لعلك تتحدث عن جارك أو صهرك أو نفسك فهذه مسائل فردية .. فكم من الناس يا ترى يدرسون أبناءهم في مدارس غربية؟ على أنه لا يمنع أن يعرف المسلمون ثقافة الآخر مثلما أن في الغرب أقساما للفكر الإسلامي واللغة العربية، فكذلك ندرس ونفهم ما عند الغرب من ثقافة ونمط تفكير ولغة لنتعدد مصادر فهمه وليس نفاقا من أين أتيت بهذا الاستنتاج المنهزم؟ .. وإلا فسادة النفاق هم أسيادك الذين يملكون مراكز بحثية يعرفون منها كل صغيرة وكبيرة عن المسلمين والعالم. وإن قلت: بل يدرسون فيها انبهارا بالغرب وثقافته فهذا شغل الليبراليين وليس الملتزم المعتز بذاته ودينه، ثم ليت أن الغرب جاءوا إلينا للاستشراق ونقلوا ما عندنا من تراث علمي كان أساس نهضتهم ولم يقولوا علينا متخلفين وبرابرة فسألهم عن ازدواجيتهم هذه أيضا.

ثم يقول: "ليس هناك من نفاق أسخف ولا أقرف من أن تطلب من "بائعة الهوى" أن تقول لك زوجتك نفسي على سنة الله ورسوله وفي الصباح تمنحها بعض المال وتقول لها أنت طالق".

** الجواب: ثقافة الحانات والمراقص يعرفها الليبراليون الأمريكيون ولن تعرف الجماهير الملتزمة عما يتحدث هذا الناشيد، الذي يريد أن يطلق حكما سوقيا مريضا بأن المسلمين هم من رواد الملاهي ويتلاعبون بعواطف النساء فهذا محض هراء وافتراء، وإذا وجد من شاذين فهم إخوانه في الغي والغواية .. وأما المتعة فيعمل بها فريق وليسوا على سائر المسلمين حجة.

يقول: "ليس هناك من نفاق أبشع ولا أشنع من أن تدخل المسجد لتدعو على الكفار بالويل والثبور وعظائم الأمور ثم تخرج منه لتطلب المعونات من الكنيسة".

** الرد: إن كان المسلمون يدعون على الكفار فإن الكفار يقتلونهم في بلادهم في فلسطين، والعراق، وسوريا، والصومال، والبوسنة والشيشيان، وأفغانستان .. فهل تستكثر على الضحايا أن ياكلوا أمر عدوهم إلى الله؟. فمن هو بوق النفاق وخازوق الارتزاق الذي يشكل

ستارا حاجبا لجرائم الغرب ويحرم على المظلومين إظهار مظلمتهم لخالقهم؟. أما أنهم يذهبون للكنيسة فلعلك تقصد استقبالها للاجئين؟ ولا حكم للاجئين في بلاد لا يملكون فيها أمرهم .. أكان من يستقبلهم جمعيات خيرية أو صليب أحمر أو كنائس فمكرة أخاك لا بطل .. هذا أولا، وثانيا، تعدها منقبة للغرب أن بعضهم يقوم بالتهجير والبعض الآخر يستقبل بالتنصير .. فعلا محامدهم التي يمجدهم عليها الليبراليون كثيرة وأفضالهم في هذا لا تحد ولا تعد.

يقول: "ليس هناك من نفاق أصغر ولا أحقر من أن تشتم أميركا وتحرق العلم الأميركي في كل مناسبة أو دون مناسبة ثم تقف في طابور سفارتها أو قنصليتها لأجل الحصول على التأشيرة".

** لو كان في اليد لكان على المسلمين وكل الشعوب الحرة أن يذهبوا وراء ترليوناتهم المنهوبة إلى الأرض المغتصبة من سكانها الأصليين الهنود الحمر، فليست أمريكا إرثا من أجداد المحتلين .. بل على المسلمين أن يكون لهم تواجد في هذه الأرض المشاعة والمستباحة ويشكلوا لوبيا إسلاميا مقابل اللوبي الصهيوني ويدافعوا عن أمة الإسلام .. فاللعنة على السياسة الأمريكية ويجب أن نغزوها بالفكر كما تغزونا بالحديد والنار .. ولو تركت بلداننا ولم تتدخل في غرس حكام عملاء ودس طلائع الاستعمار من مثل سعيد ناشيد لما أحوجت الشعوب إلى ترك أرضها وأهلها وأوطانها، فاسأل أيها البورزان عن المقدمات بدل مناقشة النتائج.

يقول: "النفاق هو أن تبتهج بوجود مساجد كبرى وفاخرة في قلب نيويورك ولندن وباريس، أو تبتهج بمشهد شاب عربي يردد الشهادتين ولو بصعوبة خلف شيخ في مسجد من عواصم الغرب، لكنك في الأول وفي الأخير تعتبر ذلك انتصارا للإسلام ! ولا تراه انتصارا لقيم حقوق الإنسان وللحريات الفردية والحريات الدينية داخل الحضارة الغربية .. بل تقيم الدنيا إذا علمت أن قسا قام بتعميد مسلم واحد ولو داخل الفاتكان، وتظن ذلك مؤامرة ضد الإسلام والمسلمين".

** أن يدخل كافر الإسلام فذلك عند المسلمين يعني دخوله الجنة والدين الحق، ومعرفته خالقه وليس ذلك تهمة ولا شتيمة بل لهم أن يفرحوا أن أخذوا بحجزه من أن يسقط في النار .. أما أن يخرج مسلم من دين التوحيد إلى دين الثلاثة آلهة، ومن دين الكتاب الواحد إلى دين الأربعة أناجيل فذلك يجعل الناس يحزنون لترك الحق واتباع الضلال .. ثم لماذا تستكثر على المسلمين ما يفعله غيرهم، فلو دخل المسلم في دين النصراني لوجدتهم يفرحون

ويصفقون ويعمدونه بماء المسيح فأين النفاق في هذا؟ .. أما أن هناك حرية دينية فلعله يبلغك يوماً إن كنت تعيش في غير عالمنا عن حرية المسلمين في فرنسا وحرية الزي الإسلامي وإغلاق المساجد، والذنمك والتطاول على رموز المسلمين، والسويد واختطاف أطفال المسلمين، واليونان ومنع بناء معابد للمسلمين، وألمانيا وعدم اعترافها بالإسلام كدين رغم ملايين المسلمين فيها .. إلخ بينما أصحاب الديانات في البلاد الإسلامية يمارسون طقوسهم في حرية تامة من خمسة عشر قرناً بحماية الشريعة الإسلامية.

يتابع: إن هناك إرهاباً في بلاد المسلمين دليل على فساد الشعوب المتدنية.

** ونقول أما أن في المسلمين إرهاباً فهل نحمل الإسلام ذلك؟ .. إذن تعال نحمل المسيحية جرائم الاستعمار وجرائم إبادة الشعوب .. وجرائم قتل أكثر من 100 مليون إنسان في حربين عالميتين .. تعال نحمل المسيحية إفناء مدن بأكملها .. تعال نحمل النصرانية واليهودية جرائم الأسلحة النووية والكيميائية والجرثومية ووالخ تعال نحمل المسيحية صنع جبال من الأسلحة القادرة على إبادة العالم لعشر مرات .. تعال نحمل المسيحية جرائم تدمير البيئة وإفساد الحياة.

ثم يقول: النفاق هو أن لا تكثرث لفساد الرشوة، وفساد جهاز القضاء، وفساد التهريب الضريبي، وفساد تبييض الأموال، وفساد الغش في السلع، وفساد مافيات المخدرات والميليشيات الجهادية وتهريب الأسلحة، ثم ترى الفساد — كل الفساد — في مجرد تنورة أو سروال قصير أو قبلة في لوحة إشهارية .. !

** يبقى الخلط المتعمد والرخيص منهجية ليبرالية مأجورة .. أفضل بين الأمراض .. فأن يكون هناك فساد مالي في بلاد المسلمين ووالخ فهو مرفوض دينياً، ولكن هلا سألت نفسك عن فساد كوني على مستوى تدمير الأرض لا يحتاجون إلى تهريب، فهم لا يخافون من أحد هم يمارسون إفساد الحياة كلها، من عوادم المصانع الغربية التي عملت على تلويث البيئة وتآكل طبقة الأوزون .. ودفن النفايات النووية المدمرة للعالم .. وجعل البحار والمحيطات مكب نفايات مخلفات حضارتهم، وتدمير مكونات الحياة برمتها من غابات وحيوانات تحفظ التوازن، وتعريض العالم إلى اختلال بيئي مخيف، وإطلاق الأسلحة البيولوجية كأمرض فتاكة لتدمير البشر كل ذلك وغيره من أجل النفوذ وجني الأرباح، أيها الناظر بعين عوراء ادرس الحالات وأجر المقارنة العلمية العادلة .. وأن يكون ثم فساد مالي في الدول الفقيرة فذلك لا يبرر الفساد الأخلاقي الذي أزعجك الاعتراض على السروال القصير .. فالسروال القصير

أتى بزواج المثليين وزواج المحارم، وأوجد شعوبا أغلبيتها أبناء لقطاع .. ووراء السروال القصير المتاجرة بالجنس الأبيض للدعارة، والاتجار بالنساء والأطفال لمواخير جرائم الجنس .. ووراء السروال القصير قصة طويلة من ممارسة الغواية في الحداثق العامة، والمنترهات، والمشاعية المقننة .. إذن قارن بعلمية واشمل جميع الجوانب وليس بطريقة اكتب ما يملى عليك.

وتتحدث عن المليشيات المسلحة وتهريب الأسلحة، وغالب تلك الجماعات صناعة استخرابية استخباراتية لملشنة البلدان المسلمة وتركها رخوة غير متماسكة وهشة تسمح بالإملاءات والتدخلات الخارجية، ويمكن القول إن (داعش) عنوان مزيف وشبح لا يمكن توصيف هويته، وغطاء تم إنشاؤه ليختبئ تحته (الاستعمار) الأمريكي والفرنسي والبريطاني في أفغانستان واليمن والصومال والعراق وتونس وكل دولة يريدون إيذاءها ولي ذراعها، فهي لا تتحرك إلا ضد المسلمين وحين تتهدد مصالحهم، وقل مثل ذلك على المليشيات الشيعية التي تمثل أعلى درجات التخادم بين أحفاد فارس والروم ضد المسلمين، ومعلومة لك وأمثالك فإن أمريكا العظمى فيها ما يصل إلى 199 فصيل مسلح خارج إطار الدولة تعجز عن السيطرة عليهم، وعندهم أمراض العنصرية التي سيصلك دخنها ليكنتم أنفاسك وتذكر أن أمك ولدتك عربيا ملونا.

أما فساد حكومات المسلمين فقد جاء من زملائك الليبراليين العملاء وتربية الغرب الذين لا يريدون للشعوب تطويرا ولا استقرارا، وأما المسلمون الملتزمون فمغيبون ومحاربون أيضا من زملائك طلائع الهزيمة.

ثم تتحدث عن الفتن الطائفية التي ذكرت أنها تعصف بالمسلمين باسم الإسلام.

فالجواب: أن الأيام دول راجع ملف حروب الكنائس الغربية بين الكاثوليك، والبروتستانت، والأرثوذكس، التي كانت تطحن الشعوب الغربية طحنا .. خمسون سنة فقط هي كل استراحة حروب الغرب وكان كله باسم الرب .. أليسا أسيادك أيها السعيد كانوا أيضا منافقين ووقحين بهذا المعيار!!؟

وهاهم قد انخرطوا من جديد في إعادة سنة أبيهم من قبل في قتال روسيا وأوكرانيا ولا ندري ولا العالم يدري ما تخبئه الأيام، فالعالم ميدان حروبهم منذ الإسكندر المقدوني وحتى اليوم .. وليست طلائع الإنهزام وأبواق الإرجاف إلا ظاهرة حربية في سياق الحروب الغربية المختلفة.

ودوما نؤكد أن حديثنا عن الغرب يتجه نحو السياسات والمؤسسات الرسمية وليس نحو الشعوب المسالمة الذين وصفهم الله بأن منهم قسيسين وأنهم لا يستكبرون وأنهم إذا قرؤوا ما أنزل الله تفيض أعينهم من الدمع لما عرفوا من الحق، فهؤلاء هم الذي أمر الله أن نبرهم ونقسط إليهم.



الشبهة (64)

هل الإسلام دين سلام أم دين عنف؟

- يدعي دعاة التغريب أن الإسلام ليس دين سلام بل دين عنف ويحرض على سفك الدماء .. فما قولكم؟

الجواب:

السلام تحية المسلمين في الدنيا والآخرة، وينصرف المسلمون من صلاتهم بالسلام، والله هو السلام، والإسلام دين السلام: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ...)⁽¹⁾ وسمى الآخرة دار السلام: (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ...)⁽²⁾ والسلام كلمة اتصال وتطمين توجه للكافرين: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ...)⁽³⁾ وللجاهلين: (... وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)⁽⁴⁾ فالسلام ثقافة تخلقية وصلة تعبدية في الإسلام فأين منه الشدة والعنف؟.

ولم يحرم الإسلام شيئاً كما حرم قتل النفس التي حرم الله بغير الحق، قال تعالى: (مَنْ أَجَلٍ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ...)⁽⁵⁾ والقتال في الإسلام اضطرار لا اختيار، والله تعالى يمتن على المؤمنين بنعمة السلم، فقال: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا)⁽⁶⁾ فهذه الآية الكريمة تقول إن الله كف الكافرين عن قتال المؤمنين، وكف المؤمنين عن قتال الكافرين بتقاهم سلمية وهو صلح الحديبية، ثم قال: (من بعد أن أظفركم عليهم) أي من بعد أن كتب لكم عليهم الغلبة .. فقد روى القرطبي في تفسير الجامع عن ثابت عن أنس: أن ثمانين هبطوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الصبح وهم يريدون

1 - [المائدة : 16].

2 - [الأنعام : 127].

3 - [الزخرف : 89].

4 - [الفرقان : 63].

5 - [المائدة : 32].

6 - [الفتح : 24].

أن يقتلوه، فأخذوا أخذاً فأعتقهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ...) (1).

لقد حجزت إرادة الرحمة الإلهية بين الصفيين من أن يقتتلوا رغم ظفر فئة المؤمنين على عصابة أهل الكفر، لكن الله كفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْكَافِرِينَ وَحَبَسَ الْقَصُوفَ عَنْ أَنْ تَتَعَدَى (الثنية) إلى مكة كما حبس عنها الفيل من قبل؛ لجامع الشبه في النتيجة وهي منع القتال والإحداث في الحرم بإسالة الدماء.

ولقد كان دخول المؤمنين مكة وانتصارهم على الكفار مُمكنًا دون الاضطرار إلى إجراء الصلح .. فلهم الظفر والغلبة كما توحى بذلك الآية .. ولكن الله لم يرد ذلك لسببين رئيسين: أولاً- والله أعلم، لأن الكُفَّةَ كانت ستكون كبيرة .. فلا يزال ثم تكافؤ في ميزان القوى بين الطرفين .. وليس الأمر كذلك بعد سنتين التي ستشهد تنامي قوة الإسلام وتهوي قوة أهل الكفر مما يتيح فرصة استسلامهم للدين بدون كبير قتال .. إذن فليتأخر الفتح سنتين إضافيتين .. بما أن في ذلك مطمعا للاستسلام دون مقاومة فتحقن الدماء ويترك فرصة للكفار ليموتوا مسلمين من أن يموتوا كافرين.

ثانياً- الآية التي بعدها تتحدث عن استحقاق أهل مكة للنار على أيدي المسلمين .. لجرائم ارتكبوها في حق الله وحق بيته الحرام .. وهو كفرهم بالله (أي رفض الإيمان) وصددهم للمؤمنين عن أداء شعيرة من شعائر الله وهي أداء العمرة سلمياً، وليس ذلك من حقهم أي منعهم العمرة وإدخال العيادي في العدائي .. وآيات أخرى تحدثت عن إخراجهم للنبي من مكة واستضعافهم للفئة المؤمنة، كل هذا يُخْلِ ذِمَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْ يَلْتَمِسُوا لِأَعْدَائِهِمْ شَيْئًا مِنَ الرَّحْمَةِ .. غير أن هناك أناساً أبرياء مسلمين في مكة، لا يعلمهم المؤمنون قد يضعون فيهم السيف عن غير قصد .. فليتأخر الفتح خير من أن يتم ويصاب بسببه أولئك الأبرياء بالأذى .. هكذا يقول مضمون الآية.

إنها معانٍ جلييلة في أخلاق الحروب .. وقواعد سامية في فلسفة الصراع بين الحق والباطل تتحري الحذر من إيذاء الأبرياء .. وتتلتمس مسالك السلم بكل الوجوه الممكنة .. وإنما نتحدث عن أهل كفر مجرمين .. كفروا بالله وحاربوا دين الله بأشد ما تكون الحروب .. وذاق المسلمون على أيديهم الويلات .. وأعلنوا الحرب على المسلمين وغزوهم إلى عقر دارهم غي

غزوة الأحزاب (الخدق) .. وهم بعد يلوثون بدنس رجسهم ورجس أصنامهم أول وأفضل بيت وضع للناس، وهي الكعبة المشرفة وأكرم بلاد وهي مكة المكرمة .. ومع ذلك حرم الله على المؤمنين الاعتداء عليهم دون أن يكونوا هم البادئين فقال: (... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۗ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...) (1) لقد جعل الاعتداء قرين الإثم.

والذي نأخذه من هذه الآية الكريمة وآيات أخرى كثيرة هي قاعدة منهجية في طبيعة التعامل مع غير المسلمين .. وهو أن قتال غير المخالفين هو في الإسلام اضطرار لا اختيار، وأن دعوتهم إلى الله هي الأصل، فلقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم 13 عاما وهو يدعو قومهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .. ولم يدخل مكة عنوة حتى بادرت قريش بنقض عهد الحديبية بوضع السيف فيمن دخل في حلف المسلمين من بني خزاعة التي نصت المعاهدة على عدم الاعتداء على من يحالف أي طرف في قصة مشهورة ومعروفة.

قال تعالى في حكم عام: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (2) ثم إن القرآن جاء يتحدث عن القتال وليس عن القتل، ويقول (قاتلوا) وليس اقتلوا³، والمقاتلة والقتال يكون بين فريقين كل طرف حريص على قتل الآخر والتغلب على الآخر، وهذا القتال قانون بشري مستمر فيما أنه لا معدى عن وجود تصادم وتعارض مصالح فلا معدى عن القتال متى احتاج المسلمون إليه فلا يخلو أن يكون فيه حق وباطل ومتى كان المسلمون على حق فقد حق لهم الدفاع عن أنفسهم، أما القتال لذات القتال فهو عبث، علما أن جهاد الطلب غير قتال الطالب، فجهاد الطلب يمكن بالدعوة، وبالمال، والإعلام وبالمؤسسات المدنية، فالجهاد أعم من القتال الذي هو جزء منه وكثيرا ما تبدأ آيات الجهاد بالمال قبل النفس.

1 - [المائدة 2].

2 - [البقرة 190].

3 - إلا بعد الإعدار والإنذار وانتهاء العهد وهذه حالة متعلقة ببيت الله الحرام تحديدا : (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة : 5]. ولم يكن هذا سوى تهديد رادع لأهل مكة بعد الفتح حيث صاروا أضعف من أن يقاتلوا .. ومن سماحة هذا الدين بعد تغلبه عليهم أن عمل معهم بمبدأ الإمهال، فأعطاهم أربعة أشهر لكي يسلموا لأنه لا يحل لكافر السكن في مكة ولا زيارتها.

ولا ينقض عجي ممن يجنح إلى القول بأن آيات الأسياف كما سميت قد نسخت كل معاني التصالح والتسامح والرفق بالمخالفين والتعامل معهم بالتالي هي أحسن .. ونسخت آيات النهي عن الاعتداء على المسالم .. وهكذا بضربة سيف واحدة تنتهي عشرات النصوص .. وتلغى سيرة المصطفى وعظيم خلقه وتسامحه مع غير أهل الملة .. وتلغى سيرة جميع الأنبياء والمرسلين .. نحو ثلاث آيات تتحدث عن قتال الكافرين والمنافقين هي مخصصة لقاعدة النهي عن الاعتداء ابتداءً بسياقات معينة جبت عندهم كل شيء يتصل بالتسامح .. وانجرف الكثير من الشباب المتحمسين وراء هذا القول المرجوح الذي فيه تجاسر على أصل منهج الدين فحولوا الإسلام بذلك إلى مجرد سيف وخنجر وحزام ناسف .. ينسفون أنفسهم بالجهاد العدمي .. وينسفون الإسلام بتشويبه بمسمى جهاد الطلب (إن أريد به القتال) .. وينسفون المسلمين باستعداد كل ملة الكفر عليهم وهم مستضعفون لا يملكون حيلة ولا يهتدون سيلاً.

وصحيح أن الله تعالى قد أراد الظهور لهذا الدين العالمي على الدين كله .. وأراد الهيمنة لكتابه على كل ما عداه من الكتب .. وأن تكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .. وأن يكون الصغار لأعداء الدين وليس العكس كما هو حاصل اليوم .. ولكن الندب إلى تحصيل كل ذلك يكون بالدعوة ابتداءً، و 11 آية تقصر مهمة الرسول على البلاغ وحسب .. حتى وإن كذبوا وأعرضوا ولم يحاربوا فلا سلطان له عليهم حتى يحاربوا: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ إِنَّ عَلَيْكَ إِلًّا الْبَلَاغُ ...) (1).

فالإسلام يُحمل إلى الناس ولا يُحمل الناس عليه حملاً .. ويُؤخذ بأيديهم إليه ولا يُؤخذون على أيديهم إليه أخذاً .. ويُعرض ولا يفرض .. فإله غني عن إسلام أناس مكرهين، لله مبغضين .. ولم يجعل الابتلاء والجنة والنار عبثاً .. ويستطيع الدين الإسلامي بقوة حجته وسداد منطقته أن يهزم ويهدم كل الأفكار (فله الحجة البالغة) والجهاد الكبير هو بالقرآن يقول المولى: (فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) (2) والقتال جزء من الجهاد، فإذا بلغت الدعوة بآيات الله وبالمال وبالموعظة الحسنة فذلك هو الأصل.

ولكن إذا ما وجدت الدعوة ورجالها من يحاربهم ويريد استئصالهم بالاعتداء والمواجهة المسلحة كما فعلت قريش وفارس والروم وممالك الشر فمبدأ الدفاع عن النفس حق مكفول لكل

1 - [الشورى 48].

2 - [الفرقان 52].

مظلوم .. وعندئذ يصير جهاد الدفع فرضاً على كل قادر قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (1) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ) (2). وكان هذا بعد الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة التي لم يأذن الله بالقتال فيها ثم نزل الإذن: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ...) (3) فهذا إذنٌ وتخصيص بحرب من يُحارب المسلمين مع حيثياته وهو وقوع الظلم على المسلمين وتعليل مسوغات الدفاع عن النفس: (أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوْلَٰ مَرَّةٍ ...) هم المبتدئون بالظلم وهم بدؤوا المسلمين أول مرة .. ولقد حارب رسول الله من حاربه من الكفار .. ولم يحارب المنافقين ولم يقم عليهم محاكم التفتيش؛ لأنهم ببساطة لم يعلنوا حربهم العسكري على الدين، فما استمروا يدعون انتماءهم إلى الإسلام وجب القبول منهم ذلك؛ إذ لم يأمر الدين بالتفتيش عن نوايا الناس .. ولا بإكراههم على الدخول فيه .. فلا يقبل الله إسلام المكروه (إنما الأعمال بالنيات ...).

على أن قتال الكفار والمعاندين ليس شتيمة ولا بالشيء الذي يخجل منه المسلم، كما يحاول أصحاب الشبهات أن يجعلوه سبة في تاريخ المسلمين لكي ينكمشوا ويستخذوا، ويجعلوا منها رسائل سلبية تقمع أي تحرك للمسلمين لكي يكونوا أقوياء وليستمر الأعداء يتقدمون عتادا وعدة ويبقى المسلمون مستسلمين يعالجون عقدة الشعور بالخجل من تاريخهم والدفاع الخجول بتهمة العنف وهي كذبة كبيرة يرميها صانع العنف وأصل الشر ومنبعه.

إن المسلمين ليفخرون بتاريخهم وحق لهم ذلك وينظرون في الفتوحات كانطلاق تحرر من المستضعفين ضد المستكبرين، وستتكرر عندما يحتاج المسلمون للقوة اللاجئة للطغيان، كما تكررت في التحرر من نير الاحتلال التاريخي للغرب.



1 - [التوبة : 123].

2 - [التوبة 73].

3 - [الحج : 40].

الشبهة (65)

هل الفتوحات الإسلامية غزوا؟

- يقولون إن الفتوحات الإسلامية كانت غزوا واحتلالا طمعا في النهب والسبي والاحتلال .. فما مدى صحة ذلك؟

الجواب:

لم تكن الفتوحات الإسلامية غزوا بل فتحا وهناك فرق .. يوضحه ما يلي:
 جاء الإسلام وكانت سائر الشعوب العربية محتلة من قبل الفرس والروم عدا منطقة صحراء الجزيرة، بل لقد حاول الروم عبر أبرهة الحبشي غزو مكة أيضا .. فالذي حدث ابتداء - إلى جانب مبدأ حق الدفاع عن النفس - هو تحرير الشعوب العربية من المحتلين الذين اتخذوا عباد الله لهم خوفا وأرض الله بينهم دولا، وعاش الناس تحت ظل حكمهم لا أحرارا بل عبيدا حيث كان الغازي يملك الأرض والإنسان، قال ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس: "لقد ابتعثنا الله لنخرج البعاد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام" وأكثر من يوجه شتائم للفتوحات الإسلامية اليوم ويصمها بالغزو هم أحفاد الروم والفرس ومواليهم من العرب الذين يتكلمون بلغة العرب إلا أن يكونوا من طابور القواد، ونسى هؤلاء الأحفاد أنهم كانوا أساسا غزاة محتلين لأرض ليست لهم، فالمسلمون في خط الدفاع عن النفس ولو كان الهدف من الفتوحات هو إدخال الناس في الإسلام بالقوة لهدمت الكنائس، وقُتل الخنزير، وكُسرت الصلبان، وقتل الرهبان، إلا أن الجميع كان في موضع الرعاية والحفظ، لذلك سميت فتحا لا غزوا والمراد فتح الطريق للدعوة إلى الله لا أكثر بعد أن كانت مغلقة، وفتحا من الله على المتعطين لنور الإسلام ثم فتح أبواب تلك الأقطار من قبل أهلها لعدالة الإسلام، وما فتح من قبل المستهدفين أكثر مما فتح من قبل المجاهدين، ودول شرق آسيا شاهد على ذلك.

على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يقدم نفسه لهاتين الإمبراطوريتين كغازٍ بل كهادٍ بشعار (اسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين ويبقى لك ملكك) .. ومعنى (تسلم) ليس تهديدا بالزوال، بل السلامة الحقة في الدين هو النجاة من النار، أي أسلم فذلك خير لك دنيا وآخرة، أما قوله: (ويبقى لك ملكك) فيحمل معنى لسنا طلاب دنيا ولا وراء ملك بل حملة دين، فملكك سيبقى قائما تقود به أمتك، وتتعلم بخيرات أرضك .. ويلحظ من لفظ (ملكك) إخراج ما ليس بملكه من الأرض المحتلة، ولكن إذا أسلم يصير في نظر الإسلام أخا لمن يحكمهم ما أقام فيهم

الشرع، حيث تنتهي العنصرية، وتذوب الفوارق، ويخضع الكل لعدالة الإسلام، مثل باذان عامل الفرس على منطقة صنعاء حيث أبقاه رسول الله على عمله بعد أن أسلم ولم يعزله، وإن كان من أصل فارسي إلا أن الانتماء الأكبر صار للدين العالمي .. والذين يحتجون بالقرآن على فتح الفاتحين بآيات الجهاد، فإن معنى الجهاد بذل الجهد والوسع يدخل فيه جهاد اللسان، والمال، والقتال، فالقتال جزء من الجهاد كما بات معلوما .. ووقائع التاريخ تؤكد أن المسلمين قاتلوا في غزواتهم دفاعا عن النفس وبقاعدة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) .. بغير هذا سنضع القرآن في تعارض بين، وليس كذلك بل القاعدة القرآنية الثابتة: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)⁽¹⁾ و(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)⁽²⁾ فكان الجهاد باللسان هو الأول والأولى ثم جاء الإذن بالقتال بالسيف، بعد أن كان محظورا ثم أذن الله به بسبب الظلم.

ولنتتبع غزوات النبي وما تلاها ولنبدأ بغزوة بدر (2هـ) فقد وقعت بسبب مطلب عادل وهو تعويض الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وعذبوا وشردوا وقتلوا بقافلة قريش، فنجت القافلة وأبت قريش بعد نجاة القافلة إلا القتال.

غزوة أحد (3هـ) جاء الكفار لغزو المدينة طلبا للثأر من المسلمين الذين قتلوا سادتهم في غزوة بدر.

غزوة الخندق (5هـ) لدفع اعتداء 12 ألف محارب من أكبر القبائل العربية على المدينة.

فتح مكة (8هـ) بسبب نقض قريش وبنو بكر لصالح الحديبية.

غزوة حنين (8هـ) بسبب جمع مالك بن عوف النصرى قبيلة هوازن وثقيف ونزوله بالقرب من مكة لمحاربة المسلمين بعد بلوغه خبر فتح مكة.

فتح حصون خيبر، وبنو قريظة، وبنو قينقاع، قبائل يهود المدينة الثلاث، بسبب نقضهم للعهد وتكرار غدرهم وتحالفهم مع الكفار لغزو المدينة.

وأما الفرس والروم ففوق أنهم محتلون لأرض غيرهم، فإن كسرى قد أعلن الحرب بتمزيق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حمله إليه الصحابي عبد الله بن حذافة السهمي، وأرسل إلى باذان أن ابعث إلى هذا الرجل الذي ظهر بالحجاز رجلين جليدين من عندك ومرهما أن يأتياني به" وتم ذلك، وتحققت العداوة وتبييت الشر.

1 - [البقرة : 190].

2 - [الحج : 39].

وبدأت الروم اعتداءاتها بقتل رسول الله (الحارث بن عمير الأزدي) حيث أوثقه عامل قيصر على اللقاء شرحبيل بن عمر الغساني إلى شجرة وضرب عنقه، فجاءت غزوة مؤتة في (8هـ) ، بناء على هذا الاعتداء الشنيع في قتل الرسل مع أن الرسل لا تقتل .. ثم تلا ذلك تجهيز جيش من نحو 200 ألف مقاتل لغزو المدينة فكان أن ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك عام (9هـ) لصد الاعتداء وملاقاتهم بنفسه، فتفرقوا قبل وصوله إليهم، ثم أقام فيها عشرين يوماً وعاد.

وتأسيساً على ما سبق فإن الروم الذين احتلوا من بلاد العرب الشام (الغساسنة) واليمن بواسطة الأحباش قبل الفرس أضف إليها شمال أفريقيا ومصر .. والفرس الذين احتلوا الأهواز والعراق (المناذرة) وساحل الجزيرة على الخليج العربي ما كان يسمى بالبحرين، واستولوا على الحكم في اليمن بعد مقتل سيف بن ذي يزن، هاتان الإمبراطوريتان صارتا محتلتين ومعتديتين موقفاً وممارسة وعدوتين للإسلام والمسلمين، وقابلتا أسلوب الدعوة السلمية بالاعتداء .. فصار من حق المسلمين أن يقاتلوا دولتي الفرس والروم في أي مكان شرقاً وغرباً وحيثما وجدتا.

فأما الروم فكل ممالك النصارى روم، أعلنوا حربهم للإسلام وأبوا أي موادة معه، وقد استمر التدافع بين المسلمين والروم بالفتح والحملات المضادة حتى آخر حملة استعمارية لهم على المنطقة التي تحررت من آخر مستعمر في ستينات القرن العشرين.

كذلك دخول الأندلس كان مسبباً بطلب من ملكها، فقد استجار (يوليان) ملك سبته بموسى بن نصيره ومولاه طارق بن زياد من لذريق ملك طليطلة الذي اغتصب ابنته وهي في حرمة أرسلها لتعلم أصول الملك عنده، وطلب منهما الدخول إلى شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس) لما لحق به من الضيم ليستقوي بهما على عدوه الذي لم يكن على دين أهل ملته، ورغبهما في البلاد وشرح فضلها وما تحويه من الخيرات ووصف قوة عدوه بالضعف، فاستجابا لطلبة عملاً بقوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ...) (1) وصارت إمبراطورية فارس التي كانت تمتد إلى كابل وبلاد ما وراء النهر صارت أرض حرب أمام الفاتحين .. يمليه حق الدفاع عن النفس، وهكذا وجب جهاد المعتدين الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، حتى ينتهي تهديدهم، وتتحقق الغلبة للدين، ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .. ولقد تم للمسلمين فتح كامل بلاد فارس حتى وصلوا إلى أسوار الصين

ولم يدخلوها؛ لأن ملكها لم يعتد على المسلمين بل أرسل بالهدايا لقتية بن مسلم كإعلان السلم والموادعة فكفوا عنه ولو كان قتال كل بلد كافر وإن كان مسالماً واجبا لما جاز لقتية أن يترك الصين وشأنها، ولوجب قتال الحبشة التي كانت تدين بالنصرانية، لكنها أثبتت سلميتها واحترامها للدين الإسلامي وآوت من هاجر إليها من مكة قال تعالى: (... فَإِنِ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُفَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) (1) "ذلك لأن الإسلام يرحب - دائماً - بكل بادرة تدعو إلى السلام، ما دام غير المسلمين لا يعتدون" (2).

على أن الفتوحات الإسلامية قد أسست لضوابط الحروب العادلة فإلى جانب وجوب رعاية العهود والمواثيق وعدم الغدر، ووجوب إكرام الأسرى والعناية بهم كما قال تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (3) وكما حرم الاعتداء على غير المحارب كالمراة، والطفل، والكاهن حبس نفسه في صومعته، فقد حرم البغي والعدوان على حريات الناس وممتلكاتهم الخاصة .. لم يدخل المسلمون ليغيروا دين الناس بالقوة، ولا ليهدموا معابدهم، ولا ليستولوا على بيوتهم وأماكنهم، ولا ليستعبدوا رجالهم ولا ليسبوا نساءهم، فهذا فعل الغزاة لا الفاتحين .. وما يثيره أحفاد الفرس والروم اليوم من مسألة سبايا الحرب، فإن السبيّة هي تلك التي تشارك في الحرب، فالسبايا أسارى الحرب من النساء، وليس من وجدوا في الأرض المفتوحة تسترق كما يروج له المبطلون، ولم تكن الغنائم إلا ما يؤخذ من أيدي العدو بأرض المعركة، ولا يؤخذ من الأرض الخراجية التي أخذت عنوة بالحرب أو استصلحها المسلمون، أو جلا عنها أهلها لا يؤخذ منها سوى الخراج وهو عشر غلاتها، ولا زكاة في أرض خراجية ليس لصاحبها سواها كذا قال العلماء، وأما أموال الناس وممتلكاتهم فهي ملكهم لا يؤخذ منها شيء، إلا بالبيع العادل ورضا البائع وإذا رفض ولو فيها مصلحة بناء مسجد فلا تصدر عنوة. من هنا وبسبب العدالة والتسامح والحرية وحفظ الحقوق بقيت الأديان على اختلافها في أرض الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ولو كان غزوا واحتلالا لنتمت مقاومته، ولأخرج المسلمون بالقوة كما فعلت بقية شعوب الأرض، فالفتح في أساسه هو إزالة عوائق الحرية أمام الشعوب المسيح عليها بالحكم القهري، لتختار ما تريد إما الإسلام أو بقاءها على دينها، ويرفع عنها تسلط الأقوياء على الضعفاء، وإزالة جور السلاطين عن كاهل

1 - [النساء : 90].

2 - لتفسير الوسيط للقرآن الكريم

المؤلف : مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ناشر : المطابع الأميرية ط1

(1393 هـ = 1973 م) - (1414 هـ = 1993 م) ..

3 - [الإنسان : 8].

المستضعفين بتخفيف أعباء الضرائب والمكوس، مقابل اليسير من الزكاة، وهو ربع العشر وبقدر أقل من الجزية على من لا يدخل في الإسلام، مقابل حماية الناس وحفظ أموالهم وأعراضهم .. ولقد دخل نحو ثلث المسلمين الإسلام في شرق آسيا لم يصلهم الفاتحون، بادروا هم بالدخول في الإسلام طواعية بلا فتح ولا جيوش، وذلك لما وجدوا من عدالة الإسلام ومنظومة قيمه وتسامحه، وهذا يرد على من يقول إن من دخلوا في الإسلام دخلوا بالسيف، فقد كانت الإمبراطوريات استعبادية، وكان أكثرها علما وحضارة وهم الروم ومن قبلهم اليونان يشرعون للتطبيقية واسترقاق الشعوب واحتلالهم، وكان تعد الأسرة الساسانية في درجة الآلهة وملكها كسرى إليها يجري في دمه دم الآلهة، والشعب من دونه مقسم إلى طبقات حتى ينتهي بطبقة العامة وأفراد الجيش وهي أشبه بطبقة العبيد .. كل ما تحت أيديهم مسخر للإمبراطور مالك كل شيء .. وقد وجدنا كيف أن أبا عبيدة عامر بن الجراح عندما أخذ الجزية من أهل دمشق ردها إليهم حين أمره عمر رضي الله عنهما وجيشه بالانسحاب منها قبل معركة اليرموك؛ لأن الروم أعدت جيشا عظيما لا يستطيع المسلمون مواجهته إلا أن يفئوا إلى من خلفهم .. وعندما جاء جيش الروم بعد انسحابهم نكلوا بأهل دمشق وغيرها من الحواضر التي سقطت بأيدي المسلمين أشد التتكيل، فقال أهل تلك الديار: لقد كان المسلمون وهم على غير ديننا أرأف بنا وأرحم منكم وأنتم على ملتنا .. اقرعوا التاريخ بعيون عقولكم وضائركم لا بمنظار قلوبكم وثاراكم، لم يُذكر السيف في القرآن الكريم ولو لمرة واحدة، في حين ذكر في الإنجيل نحو 200 مرة، يا من تدعون أن الإسلام انتشر بالسيف .. وينسب إلى عيسى عليه السلام الذي يقولون إنه نبي الكلمة أنه قال: " ما جئت لألقي سلاما بل سيفا" (1)، "من ليس له سيف فليبع ثوبا وليشتر له سيفا" (2).

وتزيد التوراة على الإنجيل بمسألة إبادة الخصوم وحرقتهم وما يملكون، ففي سفر التثنية جاء " فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتُحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبنى بعد" (3) .. وفي سفر يوشع " حرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها" (4) ونفذ يشوع وشعبه كما يقولون الأمر الإلهي " ضربوا كل نفس بها بحد

1 - (إنجيل متى 10 : 34).

2 - (لوقا 22 : 35-37).

3 - (تثنية 13 : 15، 16).

4 - (يوشع 6 : 21، 24).

السيف. حرّموهم. ولم تبقَ نسمة. وأحرق حاصور بالنار. فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحد السيف. حرّموهم كما أمر موسى عبد الرب" (1) وتتكرر لغة الإبادة في أكثر من سفر وأكثر من أية وبشكل مثير وملفت.

ويالها من لغة تسامح ومساواة ولطف حين تقول التوراة: " هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواربيهم وتحرقون تماثيلهم بالنار. لأنك أنت شعب مقدّس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخصاً من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" (2).



1 - (يوشع 11 : 11، 12).

2 - (تثنية 7 : 5، 6).

الشبهة (66)

هل نفتت العرب ثقافة الدين؟

- ليس لدى الكفار صلاة ولا صيام ولا قرآن غير أنهم أفضل من المسلمين .. أليس هذا هو الواقع؟

الجواب:

هذا هو السؤال الذي نزل كثيرا ضمن منشورات تبث سموم شبهاتها لدى القارئ العربي منشورات معنونة بعناوين من نحو: تقدموا مع أنهم كفار وتخلقوا وليس عندهم صلاة ولاصيام، وأدوا الحقوق وليس عندهم جنة ولا نار .. تنزلها منظمات ومراكز معادية ودولة عربية شريرة متصهينة بالتساند مع مؤسسة (راند) التي يديرها نخبة من المحافظين الأمريكيين وصهاينة معروفين بعدائهم للإسلام، هذه المؤسسات وما تملك من أذرع عبر المنظمات ومراكز منتشرة في الوطن العربي تعمل جاهدة على جعل تأخر المسلمين التكنولوجي وغياب العدالة مرتبطة بدينهم وثقافتهم وأحيانا بلغتهم ونظام تفكيرهم، ولا تناقش صحة هذا الربط وتلازمه، وإنما تقوم بمقارنات بين واقع الغرب المتقدم بلاد الكفر وبين الشرق المتخلف بلاد الإسلام هكذا تتعمد وضع كلمة الكفار والإسلام أيضا، لتعزيز مفهوم الدين المعيق للنهوض الحضاري .. ليخلصوا إلى نتيجة وهي إفلاس ما أسموه بالإسلام السياسي الذي يريد أن يحكم بأيدولوجيا غير ذات فاعلية حياتية .. وصار عندهم التقدم كله مختزلا في الذكاء الإلكتروني والاتصالات ودقة المواعيد، دون الالتفات إلى منهج حياة الإنسان.

وهنا جملة من التساؤلات؟

أولا- إذا كان الإسلام لا يحكم فلماذا يُحاكم؟ الذين يحكمون واقعا هو نفسه الاحتلال الغربي عن طريق أدواته، هم الذين عمدوا إلى سياسة احتواء الحكم منذ مائة عام ولا يزالون يحكمون وبالقوانين الغربية غالبا حتى تطبع بالثقافة الغربية، فلا علاقة لقوانين الإسلام بفشل حكمهم ولا بضعف الأمة وتمزيق وحدتها العضوية؟ بل بسبب التدخلات الأجنبية وبسبب خلل في توازن القوى استمرت الأمة تتخبط جسدا بلا رأس .. وحضارة بلا مركز .. وسيرا بلا اتجاه منذ سقوط الخلافة عام 1924م.

إنهم إنما يضلون وعي المتلقين بحرف البوصلة عن المعركة الحقيقية ويوهمون الناس أن المشكلة في بنية الفكر الديني وفي الإسلام السياسي .. فمتى حكم الإسلام بتجربة خالصة

عن طريق التنظيمات المعتدلة المدركة لخصائص العصر حتى يجعلوا الإسلام مشجبا للتراجع الحضاري؟ .. بل لقد حاول وكلاء الحكم المعتمدون الحؤول وبكل السبل الجهنمية دون وصول التجربة الإسلامية إلى سدة الحكم، مثل جبهة الإنقاذ في الجزائر، والنهضة في تونس، والإخوان في مصر، والإصلاح في اليمن .. الخ وحاولوا إجهاضها في تركيا .. وشنوا على الثورات العربية التي يفترض أن تفرز قيادات وطنية مستقلة ونفذوا حفلات حرق وأحكام بالقتل الجماعي وسلسلة من الاغتيالات البربرية الجبانة وملؤوا السجون بالمعتقلات .. دون أن يترك لهم فرصة حقيقية للحكم حتى تجربة حكم جبهة الإنقاذ في السودان على امتداد سيطرة عمر البشير الذي لم يكن ملتزما بعدالة الإسلام خنقوه بحصار كوني عدواني قدر لأنه مثل ضربا من التمرد على الإملاءات الخارجي.

على أننا لا نقول إن تيار الهوية الوطنية إذا تآتى له أن يحكم دون حرب ولا حصار أنه سيمطر بالضرورة عسلا وسمنا فقد يصدم بعضها آمال الجماهير .. ولكننا نتساءل عن هذا التجني في اتهام هذا الدين بجريمة فشل لم يقترفها وبحكم واقع لم يعد في يده .. لقد أزاحت بعض الأنظمة الهوية الدينية من قنوات التواصل عن القاعدة وحرضت على الفجور وشرب الخمر والاستهتار بالمحددات الدينية وخرجت النساء كاسيات عاريات وأصبح ارتياد الشواطئ والمواخير المظلمة حقوقا مكفولة فها قد عزلوا الدين وطبقت القوانين الغربية فلماذا لم يقدم ذلك إلى زيادة الانتاج ورفع معدلات الدخل والتحول من مجتمعات مستهلكة إلى مجتمعات منتجة؟!؟

الجواب: يكمن في أن الحاكم الذي يحكم هو أجنبي والإدارة استعمارية وليس للعرب سوى الألسنة والقوالب الفارغة .. ووصول تنظيمات ملتزمة سيعقد عليهم الوضع وربما خرجت المنطقة عن واقع السيطرة .. وقوة العرب كأمة ضاربة ومؤثرة سيكون على حساب وجود إسرائيل .. وعلى حساب واقع الاحتواء الحضاري الصليبي للحضارة الإسلامية في إطار التدافع التاريخي المستمر .. واكتفاء العرب سيكون على حساب إدارة عجلة مصانع الغرب وعلى حساب تحكمهم في العالم العربي .. فلتبق هذه الدولة ذيلية مستهلكة .. ولتشعل فيها بؤر صراع لا تتوقف .. ولتستمر هشة فيسهل التدخل فيها والتحكم في مسارها.

وعندما تظهر في أي دول عربية نزاعات كثيرا ما يكون وراءها أصابع خارجية خبيثة فإنه يتم تدويل قضيتها ويستلم الغرب ملفها، فهم العرض وهم المرض، ويرسل مبعوثه الأممي ليتحكم في مساراتها، فيؤسس لمستقبل مفخخ بالصراعات، والحروب مستدامة ونشر الكراهية عن طريق السماح بملثنتها وممارسة جرائم الحروب التي يهيئون المناخ لتنفيذها بغض

الطرف وصرف النظر عنها، فيتركون الأوضاع متماوجة بلا حسم وتسير من سيء إلى أسوأ (الصومال واليمن وليبيا والعراق نماذج حية) يتم هذا عملا بتوصيات مؤتمر كامبل بانرمان عام 1907م الإجرامية .. في حين إذا انهار أي نظام حكم في أي بلاد غربية فإنه يتم احتواؤها سريعا، وتنظيم انتخابات دقيقة في زمن قياسي وبإشراف مكثف ويبادرون إلى الاعتراف بها وتعزيز وسائل الاستقرار فيها.

قد يقال حسنا! فلتفعلوا فعلهم بدلا من نصب حوائط مبكى ضدهم فمن حقهم أن يحاربوا من أجل نفوذهم وتقدرهم .. والجواب: أن هذا حق ينتزع وليس خيارا متاحا، فالعرب والمسلمون تلزمهم ثورات استقلال كبرى من التدخل الأجنبي البغيض، والعمل على تشكيل قطبهم الدولي الشاغر فمن حق المسلمين أن يكون لهم قيادة موحدة كحلف الناتو وكتحاد الدول الأوربية وإنهاء لعبة التابع والمتبوع.

إنها مسألة إعادة ترتيبات ولا علاقة لها بالإسلام ولا بالصلاة والصيام ولا الثقافة تمنع المسلمين من تقدمهم بل هي تدعو إلى العمل والانتاج، فكفى ممارسة جلد الذات من تلك التي تتأفف من دينها .. وتدعو إلى محاكمته .. وهدم رموزه .. وترك مرجعيته التشريعية .. لا مشكلة في الإسلام الطقوسي مشكلتهم في ما أسموه بالإسلام السياسي الذي يزاحم الإسلام الأمريكي .. وفي الشريعة الإسلامية التي تعارض القوانين الغربية .. وفي الثقافة القومية التي تواجه الثقافة الأجنبية.

ونفس هذه الدوائر التي ترفع عقيرتها على قافلة التقدم التي أعاققتها الهوية المجتمعية تحشر المجتمعات في معارك مفتعلة، إلهائية، جدلية، عقيمة .. تدور رحاها النهضوية عند قضية ختان الإناث .. ومنع زواج القاصرات .. ومسألة حجاب المرأة .. وإمامة المرأة في الصلاة .. ومساواة الجنسين في الميراث .. وحرية الجندرة التي تعني تفكيك نظام الأسرة وأخيرا تأمين حقوق الشاذين جنسيا في إفراغ شهواتهم بين بعضهم البعض .. الخ

حسنا أيها القوى الفائضة، سفاه الأحلام، رموز الإجرام لماذا لا تركزون أيضا على الانتاج الزراعي والصناعي؟! وقضية انتشار الفقر .. وشيوع الظلم .. وانتشار الجريمة .. وتدني مستوى التعليم .. وهدر الثروات الوطنية .. لا نراكم توسعون للحكم الجبري حيزا من عويلكم واستفحال وباء العمالة والخيانة؟! .. إنكم مشغولون بسلخ الأمة عن هويتها وكفى به شغلا .. فالخزي والعار على الأبواق المأجورة الذين سماهم الممول (تنويريين) وإنما هم معاول هدم وطلائع هزيمة.



الشبهة (67)

هل الإسلام سبب تخلف المسلمين؟

- لقد ترك الغرب الدين فتقدموا فلماذا لا يترك العرب دينهم ويتأسوا بتجربة الغرب ليتقدموا كما تقدموا؟

الجواب:

أرسل لي أحد الزملاء منشورا موقَّع باسم/ أحمد الصراف بعنوان (نريد وطننا كبلاد الكفار) ويطلب مني الرد عليه، يقول فيه الصراف: " يكرر الكثيرون، عقلاء وبسطاء، مقولة إن سبب تخلفنا يعود إلى ابتعادنا عن الإسلام، ولكن هل سبب تقدم اليابان وأميركا وأوروبا، وحتى الصين وروسيا، هو قربها من الإسلام أو من أي دين آخر أصلاً؟ وهل تمسكها بالشرعية هو سر استقرارها؟ وما علاقة الدين بمصانع الطائرات، وإنتاج الصواريخ العابرة للقارات، وتجارب المختبرات، وتطوير المكتشفات؟ ولماذا تسمح حكوماتنا لعشرات آلاف خطباء المساجد بلعن الكفار والدعاء عليهم، ووصفهم بأحفاد القردة والخنازير، وأن يكون مآلهم النار، ولكن ما أن يشعر أحد هؤلاء «بوعكة» حتى يطير على طائرات الكفار لتلقي العلاج لديهم؟"

وقد استمرت تساؤلات أحمد الصراف هذا على هذا المنوال الذي يجسد الفرق بين الموقف الفكري والسياسي الشعبوي، والموقف الرسمي والنخبوي من (حضارة الكفار) كما يسميها .. وسيأتي بعض تناولاته ضمناً.

الجواب:

نريد الإسلام وبلاد الإسلام وليس الكفر وبلاد الكفار .. فإذا كان الكفار قد تقدموا بغير الإسلام فبدونه تأخروا وتسفلوا وصنعوا لكل خير شراً؟ ولكل فضيلة رذيلة .. فليس تطور الإنسانية فيما تمتلك بل فيما هي فيه من ملكات وكمالات إنسانية. فلئن صنعوا الطائرة المدنية فقد صنعوا لها طائرة عسكرية تسقطها .. ولئن صنعوا الباخرة العملاقة فقد صنعوا لها غواصة نووية تدمرها .. ولئن بنوا ناطحات السحاب فقد صنعوا لها قنابل فراغية تهدها في لحظات .. ولئن بنوا المدن الجميلة والنظيفة والعملاقة فقد صنعوا لها قنابل نووية تبنيها بجمالها ورونقها وإنسانها وحجرها وشجرها، وراجعوا ملايين البشر من ضحايا الحضارة المعاصرة.

ولئن اخترعوا وسائل الطب فقد أطلقوا لها الأمراض والأوبئة والأسلحة البيولوجية من أجل إدارة مصانعهم، وحقنوا الحشرات بالأمراض الفتاكة وأطلقوها على بعض الدول التي تعاديها .. فمنهم جاء جنون البقر، وافلونزا الخنازير، وافلونزا الطيور، والايبولا، وجذري القروء، وغيره من أمراض العصر.

ولئن كان لديهم الصروح العلمية فعندهم مراكز التآمر ووكالات التجسس الاستعمارية، التي تستعبد الشعوب، وتصنع القلاقل، وتتهب ثروات المستضعفين.

نريد حضارة الإسلام ولا نريد بلاد الكفار، إذ لو كان الإسلام موجودا هناك لما قبل بالعبثية والفوضى التي تجتاح مجتمعهم وتهدد الأمن العالمي، فلئن صنعوا حياة مدنية فقد قايسوا بها الإنسانية .. فتزوج الرجل بالرجل .. والمرأة بالمرأة .. والإنسان بالحيوان .. ويشيع الآن زواج المحارم، وتبادل الزوجات .. و50% منهم أبناء شوارع ولقطاء ما تركوا للشيطان غواية .. يأكلون الكلاب، والخنازير، والزواحف، والحشرات. يتسافدون في الأسواق تسافد الحمر لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا.

لانريد حياة الكفار فلئن جاء في عصر نهوضهم رفاة الإنسانية، فعلى أيديهم صنعت الأسلحة التي تبيد وتسحق وتنتهي البشرية بأكملها لعشر مرات على التوالي، وصنعوا من الأسلحة بحيث صار فوق كل فرد ما زنته خمسة طن .. ولست يا بائع الهوى السياسي تدافع إلا عن حضارة السباق على الضربة الأولى لإنهاء خرافة الحضارة المعاصرة والبشرية بأكملها.

أيها الناظر إلى هناك من ثقب ضيق واحد، وسّع مجال الرؤية، وارثق برؤيتك من حضارة البطن وما تحت السرة إلى حضارة منظومة القيم الإنسانية، وأحسن المقارنة جيدا، فالإسلام الذي نطالب به يرفض هذا الانقسام الحضاري النكد.

نعم. ولا تقدم للمسلمين إلا بالإسلام؛ وإذا تقدم غير المسلمين بدون الإسلام فذلك لأن لهم ماضيا حضاريا يتكئون عليه، أما المسلمون فلا ماضي حضاري لهم يجمعهم سوى الإسلام، فهو مكون ضميرهم الأول، به توحدوا وكانوا في الوجود كيانا غير موجود .. وأخرجهم من بطون الصحراء من أمة تعيش على هامش دنيا الناس إلى أمة تقود العالم، واليوم يأمرنا بالوحدة فتركناه وتشتتنا وتناحرنا.

لا تقدم للمسلمين بغير الإسلام؛ لأنه يأمرهم بالعزة فتركوه وذلوا .. وعزّ بذلهم أذل خلق الله .. يسوّمون المسلمين سوء العذاب.

لا تقدم للمسلمين بغير الإسلام لأنه رابط وحدتهم، فلو عاد كل إلى قوميته لم يعد هناك عرب حتى العربية الجنوبية ستنادي بحضارة سبأ وحمير فيتطير العرب كالعن المنفوش .. وهذا ما يسعى إليه أسياذ التغريبيين بكل جهدهم.

لا تقدم للمسلمين بغير الإسلام؛ لأنه يأمرهم بمواساة بعضهم بعضاً، فتركناه ووضعنا ترليوناتنا في بنوك أعدائنا، ليقتلوا المسلمين بها، ويمزقوا كل أمل في بناء أمتهم ونهضة عمرانهم.

لا تقدم للمسلمين بغير الإسلام؛ لأنه يقول لهم إن من احتل أرضكم ونهب ثرواتكم وهدم مدنكم بطائراتهم هم لكم أعداء .. في حين يروج غير الملترمين بالإسلام مثل كاتب المقال بأن أعداء المسلمين ليسوا لنا أعداء بل هم أصدقاؤنا، وأحبابنا، وأسيادنا، وأولياء نعمتنا، وولاؤهم واجب .. وحبهم فرض .. والتسليم لهم قدر محتوم .. سواء قالوه تصريحاً أو تلميحاً .. وهاهو مقال/ أحمد الصراف يؤسس للتبعية ويحمل في عيوننا الارتهان ويناقش العرض ولا يبحث عن الجوهر .. يقول إننا نضع أموالنا في بنوك الغرب لأنها آمنة، وأنا نستغيث بهم للتدخل عند كل مُلْمَة، لأنهم أهل لإغاثة الملهوف .. وإننا عالة على الكفار في كل شيء من تلقي التعليم إلى استيراد المساحيق، إلى استخدام آلات كي الملابس.

إنه أي هذا الصراف يتحدث بلغة الواقع المرتهن، وليس كذلك الإسلام الذي يناقش الوضع من زاوية الاستقلال والحرية والاكتفاء الذاتي .. فإذا قال الصراف إذن لماذا نجري وراء بلاد الكفار الذين نلعنهم في صلاتنا إذا كانوا أعداءنا؟ والجواب: نجري وراءهم لأننا تركنا منهج حياتنا المنظم وهو الإسلام الذي ترفضه أنت ويتغنى به المسلمون؛ لأنه يرفض هذا العجز والتبعية، في حين يكرس أمثال الصراف جعل الغرب بمثابة نعمة على الإسلام والمسلمين، وفضلاً يجب أن يُشكروا عليه لا أن يُكفروا .. يرفض الإسلام التدخل باسم حقوق الأقليات، وفض النزاعات؛ لأن الغرب أصل الشر ودأؤه وليس دواءه .. يرفض الاعتماد على الكفار في كل شيء .. فأين واجب العمل وفرضية الاكتفاء الذاتي؟ فإذا كانت الإبرة مفقودة وجب على كل مسلم صنعها، هذا هو الإسلام الذي لا يعرفه الصراف ويروج لواقع مرفوض وملفوظ .. يتحدث عن النتائج المؤسفة ولا يناقش المقدمات التي هي مجال حرب مبادئنا ودعوة لاتتقطع لتركها.

ثم يقول/ أحمد الصراف نريد وطناً لا يفرق بين هندوسي، ومسيحي، وشيوعي، وسني .. والذي يبحث عنه الصراف هو الذي يهجو، وهل إلا الإسلام الذي أسس للتعايش السلمي بين الديانات، فبقي في دولة الإسلام السيخي، والهندوسي، والبوذي، والمسيحي، واليهودي، والشيعي، والإسماعيلي والدرزي؟ .. وهل سأل نفسه الصراف عن فضيحة محاكم التفتيش في الغرب، ولئن أبدوا قبولهم بالآخر اليوم فلأن بلادهم فتحت أذرعها للعقول المهاجرة ..

والأموال المتدفقة .. والعمالة الماهرة .. التي تدير مصانعهم، بعد أن أكلهم التفسُّخ، وقطع نسلهم المشاعية .. وانهدَّ نظام الأسرة .. وصارت حاجتهم للغير أحوج من حاجة الغير إليهم. ثم كيف فات هذا الصراف أن الذين سمحوا بالهجرات إليهم هم بأساطيلهم وقواعدهم وشركاتهم يحتلون ويستنزفون ثروات بلادهم؟ ففروا منهم إليهم فهم أساس المشكلة لا جزء من حلها.

أخيرا .. ما كان في الحضارة المعاصرة من خير، فهو ملك البشرية كلها، لم يعد ملكا لأحد، وهي نتاج خلاصة حضارات متعاقبة، فاطرح جانبا فضل الكفار على المسلمين أيها الصراف (هذه بضاعتنا ردت إلينا).



الشبهة (68)

سبب تخلف العرب وتقدم الغرب

- لماذا تتقدم الشعوب والعرب متخلفون في كل المجالات .. هل يعود إلى نظام التفكير عندهم؟

آخر منشور هجومي تهجمي ضد العرب من منشورات منظمة لكاتب اسمه عربي (أكرم عطا الله) يقول:

*ماذا لو اختفى العرب جميعاً؟ ماذا لو أفاق العالم فجأة واكتشف أننا لم نعد موجودين؟ ثم يجيب:

بالتأكيد لن يخشى من خسارة أي شيء، فلن ينقطع الإنترنت ولن تتوقف الأقمار الصناعية .. الخ

وينسق متسق تستمر المقالات الازدرائية المفخخة ضد أمة بأكملها، منطلقاً من فكرة محاكمة بنية التفكير العربي التي تستدعي تساؤلات متسخطة ظاهرها التوبيخ .. لماذا تقدم الآخرون وتأخرنا؟ .. لماذا العالم ينعم بالاستقرار ونحن ننعم بالفوضى؟

تساؤلات معادية من أقلام مأجورة ظاهرها البحث عن مصلحة العرب وباطنها اكتساح النفوس الضعيفة بالتشكك اليائس والتنقيص والإزدراء، حتى يصل التسخط حدا بحيث يسمح بتمرير مقالات فاشية كهذه لإبادة أمة [وهذا على الغرب ميسور كما أبادوا الهنود الحمر في أمريكا وشعوب في الاتحاد السوفيتي وأستراليا].

ومنشورات كهذه صار ينشرها أبناء العرب أنفسهم بعد أن أوصلتهم المواعظ الحضارية المتهكمة إلى الاعتقاد أننا حقاً أمة شريرة لا خير فيها .. ولسنا خير أمة كما يقول القرآن .. وأننا أمة غزو وقتال لا أمة تتعرض للغزو والاحتلال .. وأمة جلادة لا أمة ضحية .. أمة مستهلكة لا أمة منهوبة .. أمة غير مبدعة لا أمة قدمت مئات العلماء الطبيعيين كانوا نواة الحضارة الغربية والآن يغتال الأعداء علماءها في الطرقات، وتمنع بكل السبل من الترقى الحضاري .. أمة نائمة جبانة لا أمة تُقمع حركاتها التحررية بكل شراسة .. حيث دمروا الشعوب الثائرة بأيديهم أو بأيدي أذناهم حتى لا تقوم لها قائمة .. أمة ديكتاتورية لا أمة محتلة من قبل حكام عملاء تم دعمهم بكل السبل من دول الاستكبار ومن تمرد منهم سقوه السم كهواري بومدين، وياسر عرفات .. أو قتلوه كفيصل بن عبد العزيز، وإبراهيم الحمدي .. أو

انقلبوا عليه كعباسي مدني، ومحمد مرسي أو أسقطوه بالقوة كصدام حسين .. أو طالبوا بإلقاء القبض عليه كعمر البشير .. ومن ليس ضدهم فهو إما ربيب في حجرهم أو من أصل مشبوهِه دسوه من وقت مبكر.

ويتم تصميم من يفضح حربهم المستمرة ضد العرب والمسلمين، باتهامه بعقدة المؤامرات وهاجس الكيد الخارجي .. وثمَّ فرّق بين من يستسلم لهذا الهاجس ومن يقاوم المؤامرات .. وإنها حقيقة لانظرية .. وإن أمام هذه الأمة لحرب استقلال ثانية تتعلق بانتزاع القرار السيادي المستلب .. حرب تواجه فيها مجلس الحصار الدولي .. والبند السابع الجهنمي .. ومحكمة لاهي القمعية .. التي صُممت لإرهاب الميولات التحررية لدى زعماء العالم الثالث .. وسياسات منع العالم العربي والإسلامي من التكنولوجيا المنافسة.

هذا النادي الاحتلالي الذي يقول إن العرب قوم غزاة هو الذي احتل جميع البلاد العربية قبل الإسلام عدا الصحراء، وعندما تحرر العرب بمجيء الإسلام سُمى العرب غزاة ومحتلين .. ثم تقاسم هذا العدو الحضاري الوطن العربي في العصر الحديث باتفاقيات سايكس بيكو ولم يتقاسم العرب أوروبا وعندما تحرر العرب قالوا عنهم جهاديون يؤمنون بالسيف.

هذا النادي الذي يسمي العرب إرهابيين هو الذي زرع في قلب العرب دولة إرهابية محتلة، وهو نفسه الذي تحالف لتدمير جماعات تريد أن تقيم دولة إرهابية في بلاد العرب أنفسهم، فإسرائيل دولة سلام وغيرها إرهاب في معاييرهم، مع أن العرب ضد (الإرهاب) الذي يراد به ترويع الأمنين وقطع السبيل وقتل الأبرياء بكل صورته.

هذا النادي الذي يزهو باختراعاته ويحرم على العرب صناعة الأسلحة المتطورة (لأنهم برابرة) كما يقولون هو الذي أباد في معركتين نحو 120 مليون إنسان وأحرق الشجر والبشر وليس من فعل ذلك العرب .. وهو الذي يعيش ويأكل من أعلى منتج يتم بيعه لقتل البشرية وهو الأسلحة الفتاكة التي لا تفرق بين عدو وصديق .. وهو الذي صنع عشرات الآلاف من أسلحة الدمار الشامل الذي يمكن أن تبيد البشرية لعشر مرات وقيل أكثر من ذلك، وصار لكل فرد منها خمسة أطنان من المتفجرات.

هذا النادي الذي يتحدث عن الحرية وحقوق الإنسان هو الذي يبيع ويصدر آلات التعذيب لمن يعارض عملاءه، وهو الذي صنع لكل منتج حضاري ما يهدمه. فإذا كان قد علمنا بناء المدن الجميلة فقد صنع لها قنابل نووية تدمرها في لحظات. ولئن علمنا بناء ناطحات السحاب والجسور فقد صنع لها قنابل فراغية تدمرها في طرفة عين.

وإذا كان هو من صنع الطائرات والسفن المدنية فهو من صنع لها الصواريخ التي تسقطها والغواصات التي تغرقها.

هو الذي صنع الأدوية وهو الذي أطلق لها الأسلحة البيولوجية التي تنتشر الأمراض الفتاكة وتبيد البشر والشجر.

صنع الحاسوب وأطلق ملايين المواقع الإباحية التي تهدم منظومة القيم الأخلاقية. أدار آلة المصانع المختلفة وخلف للعالم مناخا ملوثا بعوامل الدمار، فبسببهم يعم الفقراء الجفاف ويطحنهم الفقر ويتجرعون كؤوس الأمراض المختلفة .. وبسببهم تأتي الفيضانات المدمرة وتترك الشعوب الفقيرة في العراق ليتجرعوا أيضا مخلفات تقدمهم الذي يصنع للبشرية يومها الأخير، وهم الذي يتسابقون على التهيئة لمعركة هرمجدون معركة القيامة كما أسموها التي تبيد البشر وتبقيهم وحدهم .. فلا يهمهم ذهاب ستة أعشار العالم فهم الذي أطلقوا نظرية المليار الذهبي، أي مليار سعيد خير من سبعة مليار غير سعيد، وبنظرية البقاء للأقوى يرون أن أنهم الأقوى.

فيا أيها الكاتب المأجور أو المقنع لئن أصبح الصباح وليس في الدنيا العالم الغربي فسنصبح أيضا عالما بلا 15 ألف قنبلة نووية تبيد العالم .. وبلا ثقب أوزون وتلوث المناخ .. وبلا حروب الفناء وبسط نفوذ كوني .. وبلا ملايين المواقع الإباحية .. وجيش اللواطيين الزاحف على الفطرة السليمة .. سنصبح عالما خاليا من نادي الاحتلال .. واسترقاق الشعوب .. ونهب ثرواتها .. وفرض ثقافة الدعارة .. والانسلاخ عن كمال الإنسانية .. وترسيخ واقع الحيوانية المادية .. فعلامَ التعالي من ناد شرير بيده إبادة البشرية وليس العرب؟ .. بيده التناقضات الأخلاقية كلها وليس العرب .. يملك قوانين الرق اليوناني لغيره من البشر وليس العرب الذين حرروا الأرقاء بأمر من دينهم .. يملك رصيد من التاريخ العدمي ومنهم عرف العالم الإرهاب الدولي خرجت منه الفاشية، والنازية، والبلشفية، والمافيا، والماسونية العالمية وليس العرب.

ليس بعيدا هذا المنطق الفاشي في هذه المقالات المسربة أن يكون تمهيدا لحفلات من الإبادات الجماعية الجديدة التي يبشرون بها البشرية، وعبر معركة هرمجدون أغنيتهم المفضلة؟ (استكباراً في الأرضِ ومكرَ السيئِ ولما يحيقُ المكرُ السيئُ إلا بأهله ...) (1).



الشبهة (69)

نظام التفكير العربي

- يبدو أن نظام العقل العربي قاصر عن التفكير الحضاري والدليل هذا الواقع المتخلف الغارقون فيه.

والجواب على ذلك بما يلي:

أولاً- لم تتل الأمة العربية استقلالها بعد، ولقد أثبتت الأحداث أن الحكام الذين يحكمون العرب وولدوا عربا ويتكلمون العربية ليسوا إلى أمتهم ينتمون شعوريا وتفانيا وإخلاصا، بل إن بعضهم بات ممسوسا بحب اليهود بدرجة لا يفوقه إلا كرههم للشعوب التي يحكمونها .. فهامهم يمزقون العرب لتوفير أمن (إسرائيل) .. ويودعون ثروات العرب في بنوك الأعداء على حساب فقر العرب .. فالعرب أمة محتلة يحكمها الأذرع الذين تربوا على الهوية الأجنبية والثقافة الأجنبية ولا يعرفون عن الهوية العربية والإسلامية إلا ما يعرف عنه الغرب المسكون بهاجس إسلام فوبيا.

وإذا وجد من العرب من يستعصي على دوائر الاحتلال وظهرت فيه نزعة وطنية تحريرية ويمكن أن يحقق نهضة لبلده أهدقوا به تأمرا وكيدا، فليس نظام التفكير العربي قاصرا بل العرب لم ينالوا استقلالهم من الهيمنة الأجنبية التي تحارب من أجل بقاء العرب أمة تابعة وضعيفة، ومعنية بعملية تحرر من جديد.

ثانيا - هاهي الدول الغربية تحتل أرض العرب بقواعدها .. وتحتل بحارهم بأساطيلها وغواصاتها .. وتدير من سفارتها شؤون العرب السياسية .. وإن الحكام المحسوبين على الشعوب العربية ليجتمعون بأوامر على طاولة واحدة لا لحل قضايا العرب بل لحل قضايا اليهود على حساب قضايا العرب .. فتتسيقهم عال لما أسموه بمحاربة الإرهاب الذي يأتي من ضمنه اجتثاث التيارات المعادية لليهود .. ويعقدون المؤتمرات لمحو كلمة جهاد وكلمة احتلال .. وأغلقت هذه الأنظمة الكثير من القنوات التي تمثل هوية العرب وتتبع من واقع ثقافتهم كل ذلك باسم محاربة الإرهاب فكل صوت يناهض الوصاية الأجنبية يوصم بالإرهاب.

وتختلف هذه الأنظمة في كل شيء إلا في التنسيق الإعلامي أيضا ليبقى صوت المحتلين وعملائهم هو الأقوى في حين تعج مناهج اليهود وإعلام اليهود بالتحريض على قتل العرب ويصور الإعلام الغربي العرب كأمة شريرة وفي صورة أكلة لحوم البشر .. فهل هذا واقع استقلال أم واقع احتلال حتى يقال العرب أمة متخلفة!؟!

ثالثاً- هاهو ذا (المستعمر) يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في شؤون العرب فلئن تخلف العرب فبفرضهم التخلف ورفضهم التطور .. وإنهم ليتدخلون في صياغة الهوية العربية وخصائص شخصيتهم .. يتدخلون في مناهجهم .. في ثقافتهم .. في عقيدتهم مقابل إحياء ثقافة الغرب وهاهم يملون على العرب كيفية ممارسة الجنس وحدوده وفئاته العمرية وأطرافه .. فأنى للعرب أن يتقدموا والاستعمار يحشر أنفه حتى في إدارة ملف أجهزتهم التناسلية؟؟

ومتلما يتدخلون في تحديد الثقافة الخاصة فإن قضايا العرب العليا أيضا هم الذين يديرونها فملف فلسطين كان ولا يزال بيدهم، فالذي سلمها لليهود بريطانيا وتدير ملفها اليوم أمريكا (راعية السلام) .. وملف ملثنة اليمن وتدميره وتقسيمه اليوم إلى شمال وجنوب بيد أمريكا وبريطانيا رسميا .. وملف ملثنة ليبيا وتقسيما إلى شرق وغرب بيد فرنسا .. وملف قتل وتهجير شعب سوريا والحفاظ على الديكتاتور بشار بيد روسيا .. وملف إضعاف مصر وإفقاره وشغله بمعركة رغيف الخبز ودعم النظام المستبد بيد أمريكا، هم حاضرون في مؤتمراتنا، وحروبنا، وفعالياتنا السياسية بات من المؤلف أن تجد الرجل الأبيض حاضرا كمبعوث أو وسيط أو سفير أو مراقب، هل يمكن أن تجد الشيء نفسه من اليابان أو الصين أو كوريا؟

وبيد الغرب أجمع ملف تفرغ المنطقة من التواجد العربي السني الفاتح، وإحلاله بالتيار الباطني الذي لاتقل ثقافة تأره من العرب عن الغرب، والصدى تاريخيا لأعداء العرب والمسلمين .. يتم ذلك تحت تغطية من الشعارات المضللة والحركات البهلوانية التي توهم أنه يحمل قضايا الأمة، وإنما هو يثخن في المسلمين قتلا وتدميرا ويطوق حياة دولة الكيان الغاصب من الشمال والشرق لحماية أمنها وضمان بقائها⁽¹⁾ وقد قالها وزير الداخلية الفرنسي جيرالد دارمانان صراحة أن حربهم موجه للإسلام السني تحديدا ففي تصريح له نقله موقع قناة فرنسا 24 العربية وقناة الجزيرة في 20/5/2023م قال أثناء زيارته لأمريكا: "أتينا إلى أمريكا لنذكرهم أنه بالنسبة للأوروبيين وفرنسا، الخطر الأول هو الإرهاب الإسلامي السني، والتعاون لمكافحة الإرهاب بين أجهزة الاستخبارات هو ضروري للغاية" وقد وصلوا في تحديد معنى الإرهاب إلى الإسلام نفسه، بما يعني أن الحرب الصليبية ضد الإسلام لم تتوقف.

1 - راجع سلسلة مقالات فلسفة الرؤية الغربية لمواجهة الإسلام من كتابنا تأملات سياسية.

رابعاً- عندما انتفضت الشعوب العربية ضد أدوات الغرب الحاكمة واجه الغرب هذه الثورات بالحديد والنار والسجن والاعتقالات .. وهل يعقل أن دولة عربية بحجم الكف يمكن أن تتدخل مباشرة بقواتها لتستولي على دول ومواقع استراتيجية في بلد كاليمن وتلمشن حياته بلفيف من الصعاليك والمجرمين وتعزز واقع إضعافه واحتلاله ببذور الكراهية والاحتراب .. وتذهب إلى ليبيا وتدعم الجنرال الاستباحي أمريكي التربية .. وتسقط تجربة مصر (الديمقراطية) وتفعل به الأفاعيل كل هذا يمكن أن تفعله بدون أوامر مباشرة وخطط استراتيجية عربية مدروسة لإجهاض أحلام الشعوب العربية وتطلعاتها؟؟ .. لقد التزموا الصمت إزاءها ولم يلتزموا الصمت عندما استولت حركة طالبان على كابل عام 1996م أو عندما غزا قبلها صدام حسين الكويت عام 1990م لقد جاؤوا في ستين دولة لتدمير العراق وتركه دولة فاشلة غارقة في الفوضى .. وسلم بريمر الحكم للصمص والمليشيات الطائفية العميلة غير الوطنية ولا المخلصة لأن العراق شعب قوي بسكانه وموارده، فإذا نهض استقل عن الاحتلال الأجنبي كما أن في تدمير اليمن وسوريا ومصر تفويت فرصة نمو هذه الدول الكبيرة ومن ثم استقلالها، فمن سياسة الاستعمار عدم السماح بالجمع بين القوة البشرية العربية والقوة الاقتصادية .. فمتى اجتمعا تم تدمير البلد مهما كلف الأمر .. فإما شعب عربي كبير متخم بالفقر مليء بالحروب أو شعب صغير متخم بالغناء يمكن ابتزازه ومحوه بسهولة، ولذلك سنوا قوانين التجنيس في دول الخليج بحيث تجعل تجنيس أي عربي شبه محرم حتى لا تقوى تلك الدول بشريا مع قوتها اقتصاديا.

خامساً- الاقتصاد العربي كله محتل وموجه من نادي الاحتلال الغربي البغيض فلقد فرضت أمريكا ربط الثروة العربية بالدولار الأمريكي فصارت أمريكا بذلك أمريكا، واستمرت إمبراطورية الدولار تحكم العالم بفضل المال العربي، ولو حل هذا الربط لانتهدت الأسطورة وتبخرت.

ويمكن لقطر والإمارات والسعودية والكويت أن تستثمر في تشيلي أو ميانمار أو صربيا بمئات المليارات وتودع في البنوك اليهودية مآت المليارات لكنها لاتفعل ذلك مع أشقائها العرب وهم إلى جوارها آياد رخيصة، وشعوب فقيرة بل وأرض يمكن أن تواجه كل احتياج دول الخليج من الأمن الغذائي ولكن دعم إخوانهم لم ولن يحدث .. إن هذا الواقع الغريب الذي يخالف العقل والمنطق وحتى الحسابات الاقتصادية ليس وراءه إلا دول الاستعمار الجاهزة برفع كروت حمراء وفتح ملفات تتحاشاها هذه الحكومات الذيلية التابعة.

سادسا- تتلهى الأنظمة الدمي بالصناعات الاستهلاكية التافهة وتخلو صناعاتها من الصناعات النهضوية الاستراتيجية في شتى المجالات؟ تخلو من مراكز الأبحاث ومن العناية بالعلماء والعباقرة وتسطح عقول أبنائها بشغلهم بالتفاهات هل كل هذا جاء صدفة؟ قطعاً لا. بل هكذا تملي عليهم إرادة الدول المحتلة ولأنها حكومات دمي وخادمة لأسيادها فقد نفذت إرادة الحاكم المتحكم .. ولكم قتلت من ناحية أخرى الاستخبارات اليهودية والغربية الغادرة من علماء عرب مبدعين ومخترعين كانوا يحملون مشاريع نهوضية للأمة واستقلالها .. علماء في الذرة وفي التكنولوجيا وفي الرياضيات وغيرها رفضوا التجنيس الغربي ورفضوا بيع مشاريعهم .. ولا حاجة لذكر أسمائهم هنا فقد اهتمت بذكر سيرهم وظروف اغتيالهم الكثير من منصات التواصل الاجتماعي.

وما يدلك على أن إضعاف العرب استراتيجية مستمرة وثابتة حتى العصر الحديث ضمن الصراع الحضاري مع أهل الكتاب وجود أدلة متضافرة ليس أبرزها شأنها مقررات مؤتمر (بانرمان) ففي عام 1907م توصلت اللجنة المنعقدة في بريطانيا، والتي انبثقت عن مؤتمر كامبل عام 1905، الذي دعا إليه (هنري كامبل بانرمان) بدعوة سرية من حزب المحافظين البريطانيين الذي يرأس حكومته هنري هذا، واستمرت جلساته حتى 1907، توصلت هذه اللجنة إلى نتيجة مفادها: "إن البحر الأبيض المتوسط هو الشريان الحيوي للاستعمار! لأنه الجسر الذي يصل الشرق بالغرب والممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية والأفريقية وملنقى طرق العالم، وأيضا هو مهد الأديان والحضارات". والإشكالية في هذا الشريان هو أنه كما ذكر في الوثيقة: " ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوفر له وحدة التاريخ والدين واللسان".

وأبرز ما جاء في توصيات المؤتمر في هذا المؤتمر:

1- إبقاء شعوب هذه المنطقة مفككة جاهلة متأخرة:

وعلى هذا الأساس قاموا بتقسيم دول العالم بالنسبة إليهم إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: دول الحضارة الغربية المسيحية (دول أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا)

والواجب تجاه هذه الدول هو دعم هذه الدول ماديا وتقنيا لتصل إلى مستوى تلك الدول.

الفئة الثانية: دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية ولكن لا يوجد تصادم حضاري معها ولا تشكل تهديدا عليها) كدول أمريكا الجنوبية واليابان وكوريا وغيرها) والواجب تجاه هذه الدول هو احتوائها وإمكانية دعمها بالقدر الذي لا يشكل تهديدا عليها وعلى تفوقها.

الفئة الثالثة: دول لا تقع ضمن الحضارة الغربية المسيحية ويوجد تصادم حضاري معها وتشكل تهديدا لتفوقها (وهي بالتحديد الدول العربية بشكل خاص والإسلامية بشكل عام) والواجب تجاه تلك الدول هو حرمانها من الدعم ومن اكتساب العلوم والمعارف التقنية وعدم دعمها في هذا المجال ومحاربة أي اتجاه من هذه الدول لامتلاك العلوم التقنية.

2- ومحاربة أي توجه وحدوي فيها:

ولتحقيق ذلك دعا المؤتمر إلى إقامة دولة في فلسطين تكون بمثابة حاجز بشري قوي وغريب ومعادي يفصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن القسم الآسيوي والذي يحول دون تحقيق وحدة هذه الشعوب الا وهي دولة إسرائيل واعتبار قناة السويس قوة صديقة للتدخل الأجنبي وأداة معادية لسكان المنطقة فصل عرب آسيا عن عرب أفريقيا ليس فقط فصلاً مادياً عبر الدولة الإسرائيلية، وإنما اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، مما أبقى العرب في حالة من الضعف⁽¹⁾.

ثم يأتي سخرة الغرب يسخرون من أمة كرمها الله ليقولوا العرب متخلفون لأنهم عرب لا يحسنون النهوض والتطور!!.

نعم سيقال: ولكن هذا الاختراق الغربي الكبير دليل تخلف نظام تفكير العرب ولو عرفوا مصلحتهم ما تحكم فيهم عدوهم؟! والرد عليه أن الشعوب العربية قد ثارت وستثور حتى تنال استقلالها .. على أن الأيام دول بين الناس .. فقد حكم العرب الغرب لقرون ولئن صارت الكرة لهذا العدو الحضاري فسيعيد العرب كرتهم ولهم دين ممتد إلى السماء، فلئن تولى حكاهم فهم الأبدال الذين يغزون به الغرب في عقر دارهم ولو أعادوا عليه محاكم التفتيش فلن يزيد الإقوة .. فله جدلية خاصة إذا حاربوه اشدت وإذا تركوه امتد.



(1) ينظر موسوعة الويكيبيديا كلمة مفتاحية (كامبل بانيرمان).

الشبهة (70)

حكم المسلمين بالعلمانية

قال لي أحدهم:

الأفضل أن تحكم الشعوب الإسلامية بالعلمانية .. فبأي دين نأخذ إن لم يجنب الناس الدين عن الحكم، وبأي نسخة سنحكم، هل بنسخة داعش أو القاعدة أو حركات العنف الباطنية .. أو .. ؟ فالحركات العنيفة كلها تتكلم باسم الدين، أضف إلى ذلك التعصب المذهبي .. لماذا لا نترك الدين جانبا ونطبق العلمانية ونبني حياتنا وندع ما لله الله وما لقيصر؟

قلت: أولا - العلمانية ليست وضعا سياسيا محايدا فهي دين متعصب بدل الدين فهي تقول: تزي بأي زي تحب .. وعش بأي لون ترغب لكن لن تفكر بغير التفكير العلماني .. فسيظل الإلحاد في حكم العلمانية حادثة والإيمان رجعية .. التهجم على الدين تسامحا والتهجم على الانحلال تشددا وإرهابا .. العري والتمرد على الأسرة حرية شخصية والحجاب ولباس مايوه سائر استبدادا وظلامية .. وبالتالي الدين في العلمانية عدوها الأول لأنه ضد الحادثة، وضد التسامح، وضد الحرية الشخصية (!؟) .. والعلمانية وحدها هي القيم الإنسانية المثلى .. وقد وجدنا قبلة العلمانية الأولى فرنسا كيف صادرت بعض الحقوق المدنية والعبادية للمسلمين وألزمتهم بالطريقة العلمانية الإقصائية في التفكير .. بمعنى العلمانية هي نشر الإلحاد والفجور بدرجة من الديكتاتورية المتوحشة التي لا ديمقراطية حقيقية فيها.

ثانيا- من قال أننا دول لا تحكم بالعلمانية عموما؟ فحكام العرب والمسلمين لسوء طالعنا ورثوا حكم المستعمر العلماني من نحو 100 عام والذي حكم ويحكم العالم العربي اليوم هم علمانيون .. إما اشتراكيون، أو بعثيون، أو ليبراليون، أو عسكريون لا دينيون تربوا في كليات الغرب أو بحثوا عن قوى عظمى تدعم استبدادهم مقابل الارتهان، ثم إن القوانين الغربية هي التي تطبق في الأغلب في العالم العربي، لذلك ساد العري والمخدرات في الدول ذات الإرث (الاستعماري) ، وغلب التغريب على التعريب .. ودرس أبناء المسؤولين في الجامعات والكليات الغربية .. وظل التعامل بالربا هو الحاكم للأنظمة المصرفية .. فهل أمطرت العلمانية ذهباً وفضة؟ أم أننا وجدنا في العلمانية توحشا واستبدادا وجبروتا ولم يذق أي بلد مسلم طعم الحرية والاستقرار؟ وصار ما لله (إلى قيصر) وما لقيصر لقيصر .. فلماذا تحملون الدين جريرة النظريات الوضعية؟ الشعوب يا صاحبي تطالبكم بتسديد فاتورة التخلف

السحق، والحروب المدمرة التي خلفتها همجية الحكم العلماني، حتى علمانية الغرب أسفرت عن قتل نحو 100 مليون إنسان في قرن واحد، واحتلال أمم وشعوب بأسرها فهذه علمانيتكم فيماذا تبشروننا؟ ولا تزال بضاعتكم تحكم وتتحكم والمطلوب هو البحث عن موال جديد .. بعد أن استنفدت العلمانية أغراضها.

ثالثا- كم عمر الحرية الدينية في الغرب؟ بالكثير قرن من الزمان، وكم عمر الحرية الدينية في الإسلام؟ 14 قرنا ولم يتعلم الغرب التسامح الديني إلا من الإسلام، فقد كانت تقام في الدول الغربية نفسها مهرجانات إبادة للمخالفين بين بعضهم البعض وسلوا عن حرب الثلاثين عاما الدينية التي استمرت من عام 1918 إلى 1948م وذهب ضحيتها نحو 12 مليون أوربي من أتباع الكنائس المختلفة، فإذا تركوا تعاليم الكنيسة فهم معذورون، أما في ظل حكم الإسلام فقد كانت أجراس الكنائس ولا تزال تقررع إلى جانب تكبير الصوامع، فبقي اليهودي يهوديا والنصراني نصرانيا والهندوسي هندوسيا؛ لأن الله قال للمؤمنين: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) فمتى ما أقيمت على الناس الحجة، وتبين الرشد من الغي، ومتى ما أوصل المسلمون دينهم للناس وقالوا الحق من ربهم بعدها تدخل الجنة والنار في مبدأ حق الاختيار (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا ...). .. تريدون إقصاء الإسلام الذي حفظ للعالم معالم إنسانيتهم، وعلمهم حضارة التسامح، وثقافة حقوق الأقليات، وبر المخالف المسالم، وأخلاق الحروب، واحترام العهود والمبادئ؟ عجيب أمركم!

رابعا- لا يعني حاكمية الدين حاكمية مذهب متسلط، كما لا يعني أن الدولة ستصبح دينية، بل دولة ملتزمة بعدم معارضة ما هو أصل في الشرع، وقد علمنا نبينا الكريم صلوات الله عليه مبدأ التخصص فكان يوكل المهام إلى الأكثر فهما لا إلى الأكثر تدينا، فوزير الصحة يلزم أن يكون متخصصا في الطب لا رجل دين متخصصا في الشرع، ولكن عليه أن يلتزم بمرجعية أمته التي لا تقر الإجهاض مثلا، ويكون وزير الخارجية متخصصا في العلوم السياسية وله أن يتقن في إدارة سياسة بلده حسب المصلحة، فالمصالح المرسله غير متناهية بينما حدود الشرع متناهية، وما يهمنا منه أن يكون وزيرا لبلده ومصالحها، محاميا عنها وعن خصائصها، ومحاربا ذكيا عن هويته في الدوائر المختلفة، لا وزيرا للدوائر المعادية فينفذ توجيهاتهم، فالإسلام يحرم موالاته غير المسلمين هذا كل ما في الأمر .. هل في الأمر صعوبة؟ .. إنكم تجعلون من الجماعات الفكرية والمذهبية بعبعا مخيفا، والواقع أن التعدد في جزئيات الفكر لايعني إقصاء وإلغاء بل إثراء وتلاقح أفكار، وقد تعايشت المذاهب عبر القرون

بلا خوف .. والذي مزقنا هم السياسيون اللادينيون لا الدين نفسه، أما الحركات العدمية التي ترفع كشماعة في وجه الإسلام فإنها لاتمثل الأمة بل هي أقلية محكومة بالأغلبية، كما أنها حركات صناعية، تم صناعتها لتشويه الدين وعندما يرفع الكفيل يده عنها ستنتهي.

خامسا- لقد وجد اليهود أن الدين كان هو القاسم المشترك الذي لم شتاتهم على نصوص دينية محرقة وجعل منهم دولة مؤثرة وهم الآن يطالبون الاعتراف بهم كدولة دينية، والغرب الذين يحاربون الإسلام لا يجدون غضاضة في الاعتراف باليهود كدولة دينية عنصرية .. والعلمانيون في البلاد العربية والإسلامية يتأففون من ركيزة وحدتهم الأولى وهو الإسلام، وبدون الإسلام والهوية الإسلامية يصبح العالم العربي والإسلامي صفرا كبيرا، لأنه لا مكوّن لشخصيتهم سوى الإسلام، أما الغرب وإن تركوا الكنيسة فمكونهم الإثني هي القوانين الرومانية القديمة التي استمرت حاكمة لواقعهم إلى اليوم، فمتى ما تركنا هويتنا نصير نقطة فراغ فكري لهويتهم، والنتيجة ترسيخ واقع التبعية والاستلحاق للغير، وهذا ما يسعى إليه الأعداء وأذئابهم.

إن حاكمية الإسلام تعني ترتيب حياتنا بمقتضى التوجيهات الربانية التي تأمرنا بالإعداد وعمارة الأرض كما قال الله: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) وبما من شأنه أن يحقق للأمة عزتها وكرامتها واستقلالها، ولنا في تجربة حزب العدالة والتنمية التركي مثال يحتذى، كيف كانت تركيا العلمانية الاستبدادية قبله، وكيف صارت بعد إنهاء تغولها وحكمها الشرس التي ألغت الآخر وأسست للتبعية التي يأبأها الشرع؟



الشبهة (71)

أرض فلسطين ملك من؟

- يتساءل بعضهم ألم يملك الله بني إسرائيل الأرض المقدسة (فلسطين) في كتابه العزيز فما وجه اعتراضكم على دولة اليهود في أرضهم؟

الجواب:

هذا طرح سطحي لتفسير سطحي للآيات، ومحاولة التشكيك في عدالة قضية المسلمين الأولى، وهذا التشكيك تطلقه الدوائر الصهيونية التي تدرس القرآن جيدا، فللم أن في دولة الكيان الغاصب (إسرائيل) جامعة للغة العربية والدراسات الإسلامية، يكون طلابها أعضاء في الموساد، فليست الدراسة لمعرفة ما في الإسلام من إيجابيات، بل لتتبع ما يرونها ثغرات يمكن من خلالها تحسين مهاراتهم في الاختراق والتجسس⁽¹⁾ وتقوية مهارتهم الجدلية حول مشروعية دولة إسرائيل في فلسطين.

ولذلك ستجد من يلفت اهتمامك منهم وهو يستشهد بآيات من القرآن وأحاديث نبوية اشتهر منهم ناطق الجيش بالعربية المقدم أفخاي أدرعي، إنهم يحاولون أن يؤصلوا وجودهم ويثبتوا أحقيتهم في فلسطين، ويحشدون لذلك الأدلة الظنية والمتشابهة .. وربما وجدت أعضاء في الموساد من أصل عربي على قنوات عربية متصهينة ليجادل عن هذا الكيان فيظن الظان أنه عربي مسلم.

ولعل من أبرز ما يستدلون به من القرآن الكريم لإفحام الطرف المجادل نصوص منها قول الله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ...) ⁽²⁾ يقولون لماذا تناقضوا كتابكم .. الله كتب لنا هذه الأرض فإما أن القرآن صحيح ويجب عليكم التسليم بما قال، وإما أنه غير صحيح فأعلنوا تخليكم عنه؟ .. والآية الثانية ربما استدلوها بقراءة الوصل: قال تعالى: (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ). ⁽³⁾

يقولون إذا كانت فلسطين قد حرمت علينا بسبب العصيان وترك جهاد الكنعانيين، فهو تحريم مؤقت بزمن انتهى وهو أربعون سنة، وبعد ذلك أحلت لنا أبدا.

1 وقد ضبط الكثير من ضباط جهاز الموساد الإسرائيلي متقمصين دور الوعاظ وخطباء مساجد وأئمة وجهاديين أعضاء في حركة داعش ينفذون أبشع الجرائم باسم الإسلام.

2 - [المائدة 21].

3 - [المائدة : 26].

ومنه ما جاء في سورة الحشر من أن الله حشر بني إسرائيل (جمعهم) إلى الشام في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو جلاؤهم من المدينة، قال الله: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ...) (1) ومعنى الحشر الجمع .. فهذا أول الحشر، وكان الجلاء إلى فلسطين.

والحشر الثاني: وهو الحاصل الآن في سورة الإسراء: (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) (2) .. يقولون: جاء بنا الرب في الجمع الثاني لفيفا بإرادة الله وباعتراف كتابكم القرآن.

طبعاً هذه الشبهات ظهرت بعضها في شكل مناظرات على الشاشة، وبعضها في شكل كتابات، وبعضها عبر التداول الشفهي.

الجواب:

- كتب الله لهم الأرض المقدسة في عهد موسى .. ثم طردهم منها وقطعهم في الأرض أما .. فلماذا كتب الله لهم فلسطين؟ ولماذا قطعهم في الأرض أمماً؟ ثم لماذا جمعهم اليوم؟

- كتبها الله لهم لأنهم كانوا موحدين، وبهذا التوحيد فضلهم على العالمين، فكانوا أثر عند الله من الكنعانيين الوثنيين، رغم أنهم أصحاب الأرض الأصليين، أي أن الله لم يكتب الأرض لبني إسرائيل لجنسهم ولا لعرقهم، يقول المولى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (3) .. إذن أورثهم الأرض لأنهم كانوا حينها الأصالح، فانه يورث الأرض لعباده الصالحين، وكانوا هم الأولى من غيرهم، ولا يمنح الله أحداً صكاً مفتوحاً بشيء من ملكه لغير هذا السبب، وقال الله على لسان سيدنا موسى: (... إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (4) قال (يورثها من يشاء من عباده) والعاقبة لمن؟ للمتقين .. فهل بقي لليهود كأصحاب عرق وجنسية خاصة انتهى ارتباطها الشرطي بالصلاح والتقوى، هل بقي لهم استحقاق بالأرض المقدسة فلسطين؟ ويكمن الجواب في تبينك للأدلة العقلية والنقلية التالية:

إن الله تعالى بعد أن تكرر عصيانهم وقتلهم الأنبياء بغير الحق .. ونقضهم المواثيق .. ووقاحتهم مع الذات الإلهية بقولهم: (أرنا الله جهرة) (أذهب أنت وربك فقاتلا ...) (إن الله فقير ونحن أغنياء) (يد الله مغلولة) (ادع لنا ربك) بدل ربنا، وبعد أن اتخذوا آيات الله هزوا

1 - [الحشر 2].

2 - [الإسراء 104].

3 - [الأنبياء 105].

4 - [الأعراف 128].

.. يحرفون الكلم عن مواضعه .. ويشترون بآت الله ثمنا قليلا .. وينقضون العهود والمواثيق .. ويشعلون الحروب والمكائد: (... كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (1).

بسبب كل ما سبق ذكره وغيره غضب الله عليهم .. ولعنهم .. وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت .. وضرب عليهم الذلة والمسكنة .. وباؤوا بغضب من الله .. وبهذا التكتيل والغضب والطرده سلب الله منهم صفة التفضيل على العالمين .. إذ كيف يبقى قوم نقضوا مواثيقهم مع الله وصار هذا حالهم أفضل من غيرهم وأصحاب أرض لم يستحقوها فالله قال: (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) لم يوفوا عهودهم مع الله ولم يرعوا دينهم حق رعايته فسلب الله منهم ما كان أعطاهم كانوا أفضل العالمين فصاروا أذل العالمين كتب الله لهم الأرض ثم أخذها منهم وشتتهم في بقاع الدنيا قال تعالى: (وَقَطَعْنَا لَهُمُ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا ...) (2).

قال الفخر الرازي في تفسير الآية: "قطعناهم أي فرقناهم تفريقا شديدا، فلذلك قال بعده (في الأرض أُمَّمًا) وظاهر ذلك أنه لا أرض مسكونة إلا ومنهم فيها أمة، وهذا هو الغالب من حال اليهود، ومعنى قطعناهم، فإنه قلما يوجد بلد إلا وفيه طائفة منهم" (تفسير مفاتيح الغيب انظر تفسير الآية) .. فإذا كان الله قد كتب لهم فلسطين فلماذا قطعهم في الأرض أُمَّمًا؟ لماذا حلوا جزرا معزولة في جميع الأمم .. العراق .. المدينة قبل الجلاء .. اليمن .. مصر .. المغرب .. روسيا .. الخزر .. ألمانيا .. تركيا .. إيران .. وبريطانيا .. أمريكا؟ ووالخ .. هل يوجد أمة حل عليها هذا التشتت والتفريق في القارات الثلاث ومن قديم الزمان؟ بل لماذا تركوا فلسطين وكانوا ينعمون في ظل الخلافة الإسلامية بالأمان؟

الجواب: كما سبق لقد شنت الله شملهم لبغيهم .. وقطع أوصالهم لعدم استحقاقهم الأرض التي أورثهم .. وساعد على ذلك الاضطهاد الذي مارسه عليهم الدولة الرومانية قبل الإسلام، بالنظر إلى أن النصارى يحملون اليهود مسؤولية صلب المسيح عليه السلام بظنهم، ثم تركت فلسطين لأهلها الكنعانيين بعد أن نالوا استحقاق إرثها بكونهم صاروا من عباد الله الصالحين وهو دخولهم الإسلام ومن أسلم من اليهود والنصارى ولا يزالون يعيشون عليها حتى اليوم .. وإذا كانت فلسطين مجمعا رمزيا للديانات السماوية فإن الأمة الوحيدة التي تؤمن بجميع الرسالات والكتب السماوية هي أمة النبي الخاتم، فهي جديرة أن تكون حامية لجميع مقدسات الديانات السماوية، وأبرز ما يجسد هذا المعنى أن تجد مفاتيح أقدس كنيسة لدى

1 - [المائدة 64].

2 - [الأعراف 168].

النصارى وهي كنيسة القيامة في بيت لحم بيد أسرة مسلمة، ويحملها اليوم أديب جودة الذي صرح أكثر من مناسبة أنه لا يأخذ ولن يأخذ على حراسة هذا المعبد أي مقابل مادي.

لذا فإن واقع اليهود العنصري اليوم يحرمهم هذه الميزة، فوق أن اليهودية هي في الحقيقة قومية أكثر منها ديانة، أي أن اليهودي هو الذي ولد من بطن يهودية وليس من يدخل اليهودية، ولذلك لا يرحبون بمن يتهود من غير اليهود، فتركيزهم على العرق القومي اليهودي .. والدين هو أساس الانتساب وليس الطين، وصحيح أننا نجد في بعض الأسفار القديمة ما ينص على نسل إبراهيم عليه السلام، جاء في سفر التكوين "أعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان..." (1) .. إلا أن هذا النسل المراد به ذلك الذي اضطلع بالرسالات واتصف بصفة الصلاح، على أن العرب يشاركون اليهود في نسل إبراهيم عن طريق إسماعيل عليهما السلام، أضف إلى ذلك اتصاف العرب والمسلمين بالاتباع، فالعرب والمسلمون أولى الناس نسبا بإبراهيم دينا حيث قال: (... مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ...) (2) قال (أبيكم) .. وأولى الناس به هديا واتباعا .. قال المولى تعالى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) (3) .. وقال الله على لسانه: (فمن تبعني فإنه مني) (4) .. فلم يعد اليهود منه لعدم اتباعهم إياه، وما عادوا من أهله لانحرافهم عن طريقه (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح).

ولقد وعد الله هذه الأمة بالاستخلاف والتمكين في الأرض كما وعد بني إسرائيل بالتمكين في زمانهم فقال: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ...) (5) ولقد تحقق وعد الله، لأن الأرض لله ولم يقيد طلق تصرفه بصك مفتوح لأحد من خلقه كما قال: (إن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين).

• وأما الاحتجاج بقول الله: (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض). فلها توجيهان؛ إما أنها على قراءة من يقطع فتكون القراءة هكذا (فإنها محرمة عليهم) أي نهائيا ويستأنف كلاما جديدا (أربعين سنة يتيهون في الأرض) .. وعلى قراءة الوصل (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة) فيكون المراد بذلك في زمانهم .. فحرمها عليهم أربعين سنة ثم أحلها لهم بدخول يوشع بن نون .. ثم حرمها عليهم أخيرا، بتقطيعهم في الأرض أمما.

1 - (سفر التكوين 8 : 17)

2 - [الحج 78].

3 - [آل عمران 68].

4 - [إبراهيم 36].

5 - [النور 55].

- نعم. الله جمعهم مرة ثانية وهو جمع هذا الزمان إلى فلسطين، ولكن هل ليتملكوها ويتمتعوا بالعيش عليها، الجواب: لا. إنما الله جمعهم ليأخذ منهم شأفته، بعد أن ملؤوا الأرض فسادا .. وما هو الدليل من القرآن ومن التوراة على ذلك؟

الجواب: قال الله في سبب جمعهم لفيثا في وعد الآخرة: (. فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) (1).

أي أن وعد الآخرة الذي جاء بهم فيها لفيثا ليس للاستقرار، بل ليلسط عليهم عباده لتكون نهايتهم .. وكما عززته الأحاديث الصحيحة لدينا، بل وكما جاء في كتبهم التي ربما آمنوا ببعضها وكفروا ببعض .. فقد جاء في سفر حزقيال، ما يتطابق مع المقدمات القرآنية ونتائجها وبشكل مدهش، ففي مسألة جمعهم قبل إنزال الرب سخطه عليهم يقول: "إني أجمعكم من بين الشعوب وأحشركم من الأراضي التي تبددتم فيها وأعطيكم أرض إسرائيل" (2).

وفي نفس سفر النبي حزقيال يفسر لماذا يمكنهم الله من فلسطين مرة ثانية، بنفس النتائج القرآنية إنه لتعذيبهم يقول: " هذه هي أورشليم التي أقمته في وسط الشعوب .. فخالفتم أحكامي بأشراً مما خالفتمها الأمم .. لذلك من حيث أنكم تمردتم أكثر من الأمم المحيطة بكم .. ها أنا أنقلب عليك يا أورشليم، وأجري عليك قضاء على مشهد من الأمم، فأصنع بك ما لم أصنعه من قبل، وما لم أصنع مثله من بعد، عقاباً لك على جميع أرجاسك .. فأنا أيضاً أستأصل، ولا تتزأف عليك عيني ولا أعفو .. ثلث سكاكك يموتون بالوباء والجوع في وسطك، وثلث ثانٍ يُقتل حولك بالسيف، وثلث أخير أُشنته بين الأمم، وأتعقبه بسيف مسلول، وهكذا أنفس عن غضبي، ويخمد سخطي، إذ أكون قد انتقمتم .. وأجعلك خراباً وعاراً بين الأمم .. أنا الرب قد قضيت" (3).

وبالتالي على اليهود وقد جاؤوا إلى فلسطين بنبوءات تتحدث عن جمعهم أن يستخدموا جزءاً من ذكائهم، ويفهموا أن جمعهم ليس لكي ينعموا بأرض ليست لهم، بل ليأخذوا الدرس التأديبي على كفرهم بالله، وعلى بغيهم وجرائمهم في العالم، فإن انتهوا وإلا كما قال الله بعد آية العذاب: (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ...) (4).



1 - [الإسراء 7].

2 - (حزقيال : 11-17)

3 - (حزقيال : 5 : 5)

4 - [الإسراء 8].

سابعا - شبهات وردود في:

قضايا فقهية

الشبهة (72)

هل الضم يبطل الصلاة وهل التأمين بمعنى آمن؟

- يقولون إن الضم⁽¹⁾ مخالف للأصل ويبطل الصلاة والتأمين معناه آمن وليس من الدين؟.

الجواب:

من اللافت في إطار الفتوى العبادية أن تطفوا مسائل الفروع في جدليتها أكثر من الأصول، وبخاصة في الهيئات مثل وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة .. وقول أمين بعد قول الإمام في الصلاة الجهرية (ولا الضالين) .. وزيادة حي على خير العمل في الأذان .. وطريقة تحريك أصبع السبابة عند التشهد .. وجلسة الاستراحة بين السجدة الثانية والانتقال إلى القيام .. وفي رمضان جدلية بداية الصوم والفطر .. الخ.

وما ذلك إلا لأن هذه الهيئات تتحول أحيانا إلى علامات مذهبية مسجلة ب(المصطلح التجاري) ، فإذا التزم بها هذا المذهب فإن مبدأ المخالفة يقتضي ردها في المذهب المقابل، ولسان حال كل طرف يقول ما الذي سيبقى من المذهب إذا وافقنا المخالفين في كل شيء، على أن لكل مذهب سدنة وحراس يمنعون اختلاط المسارات المذهبية التي قد توحد المسلمين، تماما كما يفعل أصحاب السياسة أحيانا، فمتى كانت العلاقة بين دولتين متوترة لزم توخي عدم التوافق معها في صيام أو فطر حتى وإن كان في ذلك مخالفة لأدلة ظاهرة.

والواقع أن وضع اليمنى على اليسرى والتأمين صحيح الورود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وبطرق مختلفة كما سيأتي، والانشغال في تشكيك الناس فيهما في بعض الأقطار متعددة المذاهب ليس وراءه فتوى شرعية بقدر ما هي فتوى مذهبية (وسوف نناقش أدلتهم في ذلك).

والحقيقة أنه لا يوجد دليل نقلي واحد على الإرسال في الصلاة، ولا دليل واحد يعارض أدلة قول أمين بعد فراغ الإمام في سورة الفاتحة من قول ولا الضالين .. بعكس أدلة ثبوت سنيتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي من الصحة والكثرة بحيث لا يمكن دفعها

1 - في بلاد اليمن يسمون وضع اليمنى على اليسرى ضما وفي العراق تكتيفا والمغرب تقريبا قبضا .. وفي اليمن يسمون الإرسال وهو ترك الضم سريلة وقد تسمى إسبالا.

.. فكيف يرد كلام رسول الله لمجرد التعصب المذهبي والله يقول: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (1) وقال: (... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (2).

والناظر في اختيار بعض المالكية لا يجد في ترك الأدلة مقابل الرأي مسوغا مقبولا .. وإليك فقط بعض ما ورد من أدلة في المسألتين:

أولاً- أدلة وضع اليد اليمنى على اليسرى:

1- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "أنه كان يصلي فوضع يده اليسرى على اليمنى، فرآه النبي - صلى الله عليه وسلم - فوضع يده اليمنى على اليسرى" رواه أحمد وأبو داود قال الذهبي رواه ثقافت.

عن سهل بن سعد الساعدي: " كانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ الْيَمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ " (3).

وَعَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَفَعَ يَدَيْهِ حِينَ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ. كَثِيرًا (وَصَفَّ هَمَامًا حِيَالَ أُذُنَيْهِ) ثُمَّ التَّحَفَّ بِثَوْبِهِ. ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْيَمْنَى عَلَى الْيُسْرَى ... (4) الحديث.

2- قال الله تعالى: (... وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ...) (5) ضم الجناحين اللذين هما اليدان وقيل اليدان والذراعان إلى (العضدين وهما ما علا المرفقين) هو علامة على السكون وزوال الخوف، قال ابن كثير رحمه الله: "أمر عليه السلام (أي موسى) إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب، وهي يده، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف .. وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يديه على فؤاده، فإنه يزول عنه ما يجد".

ومتى وقف العبد بين يدي ربه ضم إليه جناحيه إيذانا بفراغ العبد من الدنيا ووقوفه مستسلما بين يدي ربه .. وهذا البعد نجده في قول الله تعالى في حق الوالدين على الولد:

1 - [الأحزاب : ٣٦].

2 - [النور : ٦٣].

3 - رواه البخاري.

4 - رواه مسلم

5 - [القصص : ٣٢].

(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ...) وجناح الإنسان ذراعه والطير، إذا أراد أن يعلو خفق بجناحية منشورين، وإذا أراد أن يهبط ضم جناحيه .. فشبه الله تواضع الولد للوالدين بهذا الطير القابض جناحيه منخفضا .. فإذا كان ذلك هذا التذلل مع الوالدين فأحرى به أن يكون مع الله عز وجل .. وليس هناك هيئة أوفك للتفريق بين دخول المصلي في صلاته ووقوفه خارج الصلاة من هذه الهيئة الخاضعة .. والتي تتكرر بتلقائية حين الوقوف أمام العظمة .. إنه تعبير عن الاستسلام في مقام المهابة والتوقير .. لذلك كان الضم صفة صلاة الأنبياء .. قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : "إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نُؤخّر سحورنا، ونُعجّل فطرنا، وأن نمسك بأيماننا على شمائلنا في صلاتنا" رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه ومالك بلفظ .. إذ كانت صلاة من قبلنا كصلاتنا قال الله تعالى: (يا مريمِ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسْجُدي وارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) ⁽¹⁾ كذلك كان وضوؤهم كوضوئنا كما ورد في الأحاديث.

ومع أن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى صاحب المذهب أوردتها في كتابه (الموطأ) إلا أن بعض المالكية لا يضمنون قيل خوفا من الاعتقاد بجوبه، وقيل بل مرده إلى أن مالكا لما عذّب في القضاء شلت يده فلم يقدر على قبضها، لكن يظل اختيار المالكية هذا مما يسترعي الانتباه لاسيما أن النصوص فيها بحيث لم يخل منها الموطأ نفسه، فهو خلاف السنة ورأي غريب، أما المذاهب الشيعية فلعل في مقتضى المخالفة مسوغا كافيا في هذه المسألة وغيرها.

ثانيا- أدلة التأمين:

1-الأدلة الحديثية في سنية التأمين أكثر تضافرا وتواترا من الضم، ولايتسع المقام لسردها ونكتفي بحديثين للبخاري.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا آمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه". وقال ابن شهاب : وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : آمين" رواه البخاري

وعنه قال عليه الصلاة والسلام: " إذا قال الإمام : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقولوا: آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه" ⁽²⁾.

2- يقول أصحاب الشبهة إن (آمين) أصلها يهودية ونصرانية.

1 - [آل عمران : ٤٣].

2 - رواه البخاري.

والجواب: إن أشياء كثيرة من شريعتنا كانت موجودة في شريعة من سبق، مثل الختان عند اليهود، والتذكية، ويؤمن أهل الكتاب بالله مثلنا وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، فهل إذا توافق المسلمون مع اليهود والنصارى في شعائر عبادية ما يصيرون يهودا ونصارى مثلهم؟ هذا استنتاج عقول القصار لا الراشدين.

ثم إن هناك ألفاظا كثيرة أصلها غير عربي فجميع أسماء الأنبياء في القرآن الكريم عدا صالح وهود ومحمد غير عربي .. منهم جميع أنبياء بني إسرائيل مثل إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وعيسى .. الخ فهل يقال إن القرآن أصبح بذلك يهوديا؟ أيضا وهناك ألفاظ أخرى أصلها غير عربي مثل المشكاة، والقسطاس، والإستبرق وسجيل .. الخ لكنها تعرّبت وصارت جزءا من المعجم العربي .. ومثلها يقال في لفظ (أمين) الذي معناه اسم فعل أمر بمعنى استجب.

جاء في معجم لسان العرب: "أمين وأمين كلمة تقال في إثر الدعاء قال الفارسي معناه اللهم استجب لي"⁽¹⁾.

وجاء في القاموس المحيط (أمين) عن الواحدي في البسيط اسم من أسماء الله تعالى ومعناه اللهم استجب"⁽²⁾.

قال قيس بن الملوّح المتوفي عام 68 هجرية:

يا رَبُّ لا تَسْلُبْنِي حُبَّها أَبَدًا * وَيَرْحَمُ اللّهُ عَبْدًا قال آمينا

وقال محمد الحسن بن صالح سنة 1292 هـ

أمين أمين لا أرضى بواحدة * * حتى أضيف إليها ألف آمينا

وقال الزمخشري في تفسير سورة الفاتحة (أمين): هو صوت سُمِّي به الفعل الذي هو استجب".

قال القرطبي في التفسير: روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما معنى أمين؟ قال: (رب افعل). وقال مقاتل: هو قوة للدعاء، واستنزال للبركة. وقال الترمذي: معناه لا تخيب رجاءنا".

3- يقول أصحاب الشبهة أيضا إن أصل (أمين) (آمون).

1 - (13/26).

2 - (1176/1).

والجواب: إن أمين لا علاقة لها بآمون لفظاً ومعنى، فأمون إله الشمس في دين الوثنية الفرعونية، فهل يعقل أن يهتف أهل الديانات السماوية باسم صنم؟ .. وإنما هو من باب تلبيس الحق بالباطل لتفجير الناس من سنة واردة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم.

*الضم والتأمين في المذهب الزيدي:

وأما الزيدية في اليمن فكان الضم والتأمين سنة العلماء الكبار منهم زيد بن علي نفسه صاحب المذهب رضي الله عنه فقد جاء في كتاب المجموع لزيد بن علي عن أبيه، عن جده، عن علي رضي الله عنه قال: (ثلاث من أخلاق الأنبياء صلاة الله وسلامه عليهم: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع الكف على الكف تحت السرة) (1).

وممن سار على مذهب زيد العلامة محمد بن المطهر بن يحيى بن المرتضى .. قال في كتابه (الروض الندية في نبذة عن أقوال المهديّة) إن رواية التأمين جم غفير .. وهو مذهب زيد بن علي وأحمد بن عيسى ومن شعره رحمه الله:

الضم والرفع والتأمين مذهبنا * * ومذهب الآل والأصحاب والخلفاء

ما كان تركي له والله عن ملل * * لكن خشيت على نفسي من السفهاء (2).

ومنهم إبراهيم بن الوزير رحمه الله قال في كتابه العواصم والقواصم: "والأحاديث في التأمين كثيرة الذي حضرني منها الآن خمسة عشر حديثاً" (3) ناهيك عن علماء مجتهدين رجحت اختياراتهم مذهب أهل السنة مثل محمد بن الأمير الصنعاني ومحمد بن علي الشوكاني وغيرهم من العلماء كثير رحمهم الله رحمة واسعة.



1 - مسند زيد بن علي (ص 205).

2 - (3/17).

3 - نظر المنار في المختار من جواهر البحر الزخار للعلامة صالح بن مهدي (1/181).

الشبهة (73)

وقت الإفطار عند الصيام

- الله تعالى يقول : (... ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ...) (1) فلماذا يفطر الناس ولا يزال للضوء النهار بقية؟

الجواب:

أن يكون مبدأ المخالفة في المتشابه فيه فهذا معقول ووارد إنما أن يكون في كشف البدهيات كالاختلاف في بدء الليل والنهار متى يكون؟؟ فذلك أمر يطول.
فقد سرت شبهة طالعة من المذهب الجعفري تقول بوجوب الإمساك عن الأكل والشرب في نهار رمضان حتى حلول الظلام وليس مجرد دخول الليل مستدلين بقوله تعالى: (... ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ...) (2) ويريدون بالليل تحديدا الظلام وليس دخوله بغروب الشمس، كما استدلوا بآيات أخرى مثل (فلما جن عليه الليل) وقوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ) (3).
وعلى كل لا أظن ثم حاجة في البدهيات للتأصيل اللغوي وفي كتاب الله وسنة رسوله وأدلة الواقع غنى .. ويكون الرد كالتالي:

أولاً- جاء في الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَأَدْبَرَ النَّهَارُ، وَغَابَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ " (4) نص الحديث على غروب الشمس، ثم إنه قال (فقد أفطر الصائم) بمعنى أنه صار في حكم المفطر وإن لم يفطر .. وقد كان في هذا الكفاية لمسلم يؤمن بهدي الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولكننا سنعزز الحديث بأدلة أخرى.

ثانياً- قال تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ حَمَلَ الْبُرْهَانَ) (5) فآية النهار الشمس فإذا غربت الشمس انتهى مع الغروب النهار وجاء بعدها الليل هذا كلام الله .. وكان هذا وحده يكفي على تحديد بداية الليل وبداية النهار.

1 - [البقرة : 187]

2 - [البقرة : ١٨٧].

3 - [القصص : ٧١].

4 - (صحيح مسلم ١١٠٠).

5 - [الإسراء 12].

ثالثاً- أما قول الله تعالى: (ثم أتموا الصيام إلى الليل) وقوله تعالى: (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا) فإن الليل منازل والنهار كذلك .. فالليل يبدأ مع غروب الشمس يليه الشفق ثم الغسق ولا يزال الوقت مسفرا إلى أن تأتي العتمة .. وقد شبه الله تدرج خروج النهار بسلخ الجلد من الذبيحة قال الله تعالى: (وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) ⁽¹⁾ يبدأ النهار بالانسلاخ من وقت الليل رويدا رويدا ولا يزال له بقية إلى أن يأتي وقت الإظلام (فإذا هم مظلوم) ..

وقال تعالى: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي أن الليل يدخل في النهار والدخول لا يأتي هجمة وإنما متدرجا يبدأ ولا يزال للنهار بقية، ومثل ذلك دخول النهار صباحا في الليل يولج إيلاجا ولا يهجم عليه فجأة ويمحوه .. يجلي هذا أكثر قول الله : (والليل إذا عسعس* والصبح إذا تنفس) يبدأ الليل يعس من الضوء إلى الظلام ويأتي منه الليل الغاشي ... ويأتي من النهار الذي يبدأ بالتنفس النهار المتجلي قال تعالى: (والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى) ومنه (فلما جن عليه الليل) أي أظلم وهذه الآية دليل عليهم لا لهم فقوله جن عليه الليل يدل على أنه موجود قبل أن يجن ثم جن، وصار ظلاما بعد أن كانت الأشياء ترى.

واستدلوا بقول تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لُجًا تَسْمَعُونَ...) ² الآية فقالوا أطلق الله الليل وأراد به الظلام ..

والجواب: أن هذا من باب إطلاق الجزء على الكل، ولاريب أن الله هاهنا أراد الظلام الذي لا ضوء فيه، وهذا في الارتباط الذهني هو الأصل ولكن لا يعني أن الليل معناه الظلام وحسب، بل كل ظلام بعد غروب الشمس ليل وليس كل ليل ظلام فمثلا قد يكون مقمرا يكون في بدايته مضيئا، مثال ذلك نحن نقول دخل العام الدراسي وإضافة الدراسة إلى العام يراد به تدريس المقرر تحديدا لأنه هو الأصل، لكن قد يكون بدأ العام الدراسي ليس بالدراسة بل بالتسجيل وبحفل تكريم المتفوقين وبإعطاء توجيهات تربوية وإدارية وهذا في اللغة سائد لا لبس فيه .. كما يقال في 22 ديسمبر دخل فصل الشتاء، غير أن حرارة الصيف لا يزال لها حضور ولن ينتهي فجأة كما لن يأتي البرد فجأة من أول يوم فمثلا يبقى للنور أثر في الليل فإنه يبقى أثر في تعاقب الزمان فهو كما قال الله: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في

1 - [يس 37].

2 - [القصص : 71].

الليل) ونحن نقول في الفجر وهو ظلام دخل النهار، وإنما يكون وضوح النهار بطلوع الشمس.

رابعاً- نسأل صاحب هذا المذهب المخالف هل هو وكل أصحاب هذا الرأي يصلون المغرب بالليل أم بالنهار؟؟؟ فإذا قالوا بالليل فالعبرة إذا بغروب الشمس صلاة وصياما لا بطلوع النجوم كما يوقتون؛ لأن طلوع النجوم مطالع على أناس ولا تظهر لأناس إلا في وقت متأخر .. ثم على أي أنجم يريدون أن يوقتوا فمنها ما يظهر قبيل غروب الشمس فلا ينضب؟ فوق أنه فيه مخالفة للقرآن والسنة والإجماع والعرف واللغة .. أما لو قال إنهم يصلون المغرب في النهار فليت شعري ونثري هذه من تخاريف لا نسمع بها من سوى مذاهب الهرطقات.

خامساً- العالم كله والمعاجم العربية والأجنبية تعرف الليل أنه يبدأ بغروب الشمس والنهار بطلوعها فكيف جعل هؤلاء وحدهم الليل من بعد العشاء .. هل مبدأ المخالفة لا يتورع حتى في معارضة العالم؟

سادساً- إذا صار الظلام هو التوقيت المعتمد عند هؤلاء فنسألهم عن مناطق لا تغيب عنها الشمس فالنرويج الواقعة في الدائرة القطبية الشمالية، لا تعرف الغروب أبداً، بدءاً من شهر مايو وحتى أواخر يوليو من كل عام، أي لمدة 76 يوماً تقريباً. وفي منطقة سفالبارد النرويجية، تشرق الشمس باستمرار من 10 أبريل حتى 23 أغسطس .. وغيرها من البلدان المحاذية .. فماذا نقول لمثل هؤلاء هل يسقط عنهم التكليف إذا وافى الشهر وهم في نهار دائم بما أن الليل صار شرطاً فرضياً؟!!

سابعاً- إن الإفطار عند غروب الشمس ثابت بالتواتر جمعا عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب مثل الصلاة والحج وبقية العبادات مع أنهم يقولون لانؤمن إلا بالسنة المتواترة فهذه هي السنة المتواترة إن كان لها شيء من قيمة عندهم .. وهل تجمع الأمة على خطأ ويأتي الاستثناء ليكتشف ما غفلت عنه أمة بأسرها؟



الشبهة (74)

حوار حول مشروعية صلاة التراويح جماعة

سألني زميلي الزيدي:

- من أين جعلتم للنافلة صلاة جماعة وما دليلكم على مشروعية صلاة التراويح في رمضان؟

- دعنا أولاً نتفق على أن كل المذاهب مجمعة على مشروعية قيام الليل في سائر أيام السنة وأنه في رمضان أكد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه»⁽¹⁾ وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه ...»⁽²⁾ الحديث.

ثانياً- إذا ما استثنينا الشيعة فكل المذاهب أيضاً متفقة على مشروعية قيام رمضان جماعة وسنة واردة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فيقام الليل في ذلك كمشروعية صلاة الكسوف والاستسقاء والعديد، من النوافل التي شرع فيها الصلاة جماعة، فليست الجماعة خاصة بالفروض .. وإليك الأدلة الصحيحة:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنها- صمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم بنا حتى بقي سبع من الشهر، فقام بنا (أي في الثالث والعشرين) حتى ذهب ثلث الليل، ثم لم يقم بنا في السادسة (وهي الليلة الرابعة والعشرون) ثم قام بنا في الخامسة (وهي الليلة الخامسة والعشرين) حتى ذهب شطر الليل أي: نصفه، فقلنا: يا رسول الله لو نفلتنا بقية ليلتنا هذه؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة"⁽³⁾

وفي البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس، ثم صلى الثانية فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أصبح قال:

1 - متفق عليه.

2 - متفق عليه.

3 - أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير قال شعيب الأرنؤوط تخريج صحيح ابن حبان (٢٥٤٧) إسناده صحيح على شرط مسلم.

«رأيت الذي صنعتكم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تفرض عليكم ذلك في رمضان» (1).

وبهذه الأحاديث ذهب الشافعية على أن صلاة التراويح (القيام) جماعة سنة، وعند الحنفية سنة كفاية، والإجماع هنا على أن كل صلاة كانت الجماعة فيها سنة، فصلاتها في المسجد أفضل حتى يكونوا قدوة لغيرهم، وفيه تعظيم لشعائر الله والله يقول: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (2) فإذا كان وكلاء الشيطان أكثر حضوراً في رمضان لإغواء الناس وجرهم إلى مواطن الشهوات والشبهات فأحرى بالمسلمين أن يزاحموا إشهار المعاصي بإشهار الطاعات، وإضفاء روحانية العبادة والقرب من الله في هذا الشهر الفضيل.

- أنا لم استوعب كيف يخشى النبي أن تفرض عليهم، إن كان قد فرضت فالله يقول: (ما يبديل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وإن لم تكن قد فرضت ويريد الله فرضها سيفرضها؟

- لم تفرض ولكن ستفرض إذا اختار الناس التشديد، مثل أداء فريضة الحج حين سأل أحدهم النبي أفي كل عام؟" قال صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم" (3) قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (4) انظر قول ربنا (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدل لكم)، على أن استدلالك بالآية خطأ، فالآية في قضاء الله بين العباد يوم القيامة الذي لا استئناف فيه، أما في الدنيا فقد يبديل الله آية مكان آية تخفيفاً أو تشديداً قال تعالى: (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (5) وقال: (الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنْكُمْ مَّنَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِنبِتِينَ وَإِن

1 - متفق عليه.

2 - [الحج : 32].

3 - رواه مسلم وأحمد.

4 - [المائدة : 101].

5 - [النحل : 101].

يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَعْلَمُونَ الْفَيْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ⁽¹⁾ فقد خفف الله الحكم من عشرين صابرون مقابل مائتين ومائة مقابل ألف إلى نسبة واحد إلى اثنين وقال النبي صلوات الله عليه : «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات»⁽²⁾ : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ...) ⁽³⁾. إذا قد يختار العباد لأنفسهم من العزيمة والتشديد ما يقبلها الله منهم ويكتبه عليهم: (فمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً).

وقولك لو أرد الله أن يفرضها سيفرضها، فالله تعالى قد شرع صلاتها كجماعة بهدي النبي كسنة لا كفرض، ولذلك مستنده من القرآن الكريم إلى جانب نصوص الأحاديث وهو قول الله: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَيَصِفُّهُ وَتُثْلِثُهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ...) ⁽⁴⁾ قوله وطائفة من الذين معك المعية تقتضي مصاحبة النبي في صلاة قيام الليل.

- إذا فنقل إن النبي صلاها جماعة ثم ترك أن يصليها جماعة وتركها لها يعني انتهاء مشروعيتها.. أليس كذلك.

- العلة واضحة في الحديث وهو خشية أن تفرض ومتى انتهت العلة بانتهاء التشريع بقي الحكم، ومما يدل على أن الجماعة مشروعة بأي عدد أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى قيام الليل فلما بات ابن عباس عنده صلى معه، وليلة أخرى صلى معه حذيفة، وليلة أخرى صلى معه ابن مسعود، وكذلك صلى عند عتبان بن مالك الأنصاري في مكان يتخذه مصلى صلى معه، وكذلك صلى بأنس وأمه واليتيم. ولذلك أحيائها بعد النبي الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه فيما رواه عبد الرحمن بن عبد القاري في البخاري قال: «خرجت مع عمر بن الخطاب في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون

1 - [الأنفال : 66].

2 - مسند أبي يعلى الموصلي.

3 - [الحديد: 27].

4 - [المزمل : 20].

بصلاة قارئهم، فقال عمر: نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يعني آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله»⁽¹⁾.
قوله نعمت البدعة هذه لا يعني أنها محدثة، بل المراد بدعة الطريقة التي صاروا إليها.

- لكن ألا ترى أن الصلاة منفردا أفضل، وأخشع للقلب، وأتقى للرب وأبعد عن الرياء؟

- إذا كانت الصلاة منفردا لمن يريد قيام الليل هي أخشع له كونه أحفظ للقرآن وأهدأ لنفسه في عملية التأمل والتذكر فهي في حقه أفضل، وهذا ما ذهبت إليه المالكية لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "صلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"⁽²⁾ ولا ينافي هذا السنة العملية فهو تشريع للأحوال المختلفة، فمن كان يرى أن صلاته منفردا يغشاها الملل والشروء لعدم حفظ السور التأملية الكبيرة أو ليس عنده القدرة على التلاوة الخاشعة، وأن الصلاة جماعة هي أنشط له وأحضر للذهن، وأخشع للقلب مع جو القيام الجماعي ووجود مقرئين أتقن لكتاب الله فلا شك أن الجماعة بالنسبة له أفضل وهي أكد له كما سبق.
أما قولك بعدا عن الرياء فهذا الكلام نسمعه كثيرا وهذا من تلبيس إبليس إذ إن ترك الصلاة جماعة بحجة البعد عن الرياء تجميل إبليسي وتسويغ يريح النفس عند ترك الفضيلة، وإلا سنقول في صلاة الجماعة أنها مظنة للرياء، ولقد ذهب بعض الفقهاء أن ترك الخير خوفا من الرياء هو بحد ذاته رياء، فكثيرا ما يترك البعض صلاة التراويح ليقول للآخرين أنني لا أرائي بعبادتي الناس .. وأن أولئك يراؤون الناس كيف عرف هذا وهو من علم الغيب؟ .. ولكن لو افترضنا تحقق ذلك مع حالات خاصة فنقول نعم فليصل من يخشى الرياء والسمعة في بيته خير له من صلاة يشرك بها مع الله غيره.

- أحسن الله إليكم.



1 - رواه البخاري.

2 - رواه البخاري.

الشبهة (75)

الحجاب بدون تغطية الوجه هل هو الأصل؟

- يتساءل العلمانيون عن أن النقاب الذي يخمر الوجه مصادرة لإنسانية المرأة فما هو الأرجح الحجاب مع تغطية الوجه أم بدون تغطية الوجه والكفين؟

الجواب:

الحجاب مع إظهار الوجه والكفين رسالة عفة والتزام.. أما المبالغة في التحوط والتنقب فرسالة قمع وتعويق.

إن الإسلام لا ينظر إلى المرأة كمصدر للخطيئة فيغفرها تغفيرا يغيب حضور شخصيتها، لذلك منع النقاب والبرقع في الحج والسنة في الصلاة نزعه ولو كان الوجه عورة لم تصح عبادة مع كشف عورة.

أما الحجاب الذي يظهر الوجه والكفين فقد أراد الدين حمايتها به وتحديد مظاهر الإغراء الغريزي بمفاتها التي لا حاجة تقتضي لظهورها إلا أن تريد بها الاستعراض الغريزي الذي يفهم منه دعوة الرجل أن يستمتع بمفاتها وتزين له بذلك سبل الغواية.

ويبقى وجهها كواجهة لإنسانيتها وعنوان وجودها وجانبها الرسمي في التعامل مع الناس .. وإلغاء هذا الجانب مصادرة لها كيف يتفق مع وسطية الإسلام أن ترى المرأة قد تحولت إلى خيمة فلا يدري الرائي شيئا عن جهاتها الأربع بحجة الحشمة والستر؟! .. هب أن الرجال طمعوا في جمال ذات الوجوه الجميلة فهل نعاقب المرأة بسبب غواية الرجل وتطفله بتغيبها؟. إن جمال وجه المرأة الجميلة مثلما هو ابتلاء للمرأة في أن لا تجعله محط تهافت الذباب بالمساحيق وأدوات التجميل ووسائل لفت الأنظار هو أيضا ابتلاء للرجل الأجنبي في أن يتق الله بغض بصره عنها ولهذا أمره الشرع بغض البصر، فلو كان النقاب هو الأصل لما احتج الأمر إلى طلب غض بصر الرجال فماذا بقي بعد النقاب حتى يغضوا البصر عنه؟ وأما أن جمال المرأة سيجعل الرجل يحمل ألم الحسرة وهم الاحتياج إليها في ظل الشعور بالعجز عنها فذلك تماما كما يرى سيارة جميلة، أو فيلة فخمة، أو تجارة عامرة، أو بستانا جميلا ويحمل ألم الحسرة في أنها ليست له وهو يتمنى مثلها فهل يوجب هذا الخاطر ستر جمال الأشياء وسمو قيمتها حتى لا تترك في نفوس الآخرين ألم الشعور بالحرمان؟ ثم إن قاعدة الإغواء تلتزم تنقيب كل رجل صاحب وجه جميل وفاتن قد يتسبب في إغواء النساء ويلتزم مراعاة شعور المرأة بالرغبة فيه والحرمان منه لو كانت غواية الوجه هي القصة؟.

إن الرغبة في تنشيط فاعلية المرأة المسلمة كداعية ومربية وموجهة واقتحام ميادين دعوة أوسع لن يكون بالنسخة الشبح منها بل بالنسخة الحقيقية التي يمكن للآخرين التعامل الرسمي معها فوجهها هوية تقتضيها ميادين عدة.. ويمنحها كشف الوجه حضوراً وجرأة أدبية لاسيما في بلاد الغرب الذي قد يعطي النقاب مفهوم تعسف واضطهاد من الصعب عقلمته وتعليه بالمنطق، وحسن الظن، وبراءة القصد، واعتدال الفكر.

وإن قيل كم من النساء كن محجبات ولهن أدوار كثيرة .. فالجواب نعم. ولكن في أضيق الحدود ولن تكون مذيعة ولا محاوررة ولا منتقلة عبر منافذ ولا محاضرة في جامعات.. الخ من وراء النقاب ولا بد كداعية من ارتياد ميادين كهذه.

نعم قد يكون النقاب في حق زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته وتكليم الناس من وراء حجاب عزيمة في حقهن لأن للنبي وأهل بيته خصوصيات فأبي مظنة لتأويل سفور وجوههن أمام الناس ورغبة الناس في تفحص نساء بيت النبوة عدم صيانة للرسالة من أي حالة للذين في قلوبهم مرض.. أما غيرهن فليس بعزيمة يدل عليه ما سبق من نزعه في الحج والصلاة وكذلك ما ورد من حديث (سفاء الخدين) الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة، بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم، ثم مضى حتى أتى النساء، فوعظهن وذكرهن، فقال: تصدقن، فإن أكثركن حطب جهنم، فقامت امرأة من سطة النساء سفاء الخدين، فقالت: لم؟ يا رسول الله، قال: لأنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير، قال: فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن".

فكيف رآها الراوي سفاء الخدين، وكيف عرف سلمان الفارسي زوجة أخيه أبي الدرداء ورآها متبذلة أي غير مهتمة بلبس الثياب الحسن لزوجها أبي الدرداء وكلمها في ذلك فقالت أخوك أبو الدرداء لاجابة له في الدنيا.. الخ الحديث المعروف.

على أن هناك تواردا للنصوص الحديثية في أن كشف الوجه هو الأصل ومنه في صحيح البخاري برقم (1442) وفي صحيح مسلم برقم (3230) وعند أصحاب السنن وغيرهم عن ابن عباس قال: كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتتنظر إليه، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يثبت على الرحلة، فأحج عنه؟ قال: "نعم" وذلك في حجة الوداع.

الشاهد في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام غير المنكر وأزاله باليد، بتحويل وجه الفضل إلى الشق الآخر، لأن النظر محرم، ولم يلزم النبي صلى الله عليه وسلم المرأة الخثمية بتغطية وجهها أمام الأجانب صحيح أنها محرمة ولكن الحديث يعارض حديث أمنا عائشة رضي الله عنها أنها وهي محرمة كانت تسدل الحجاب على وجهها إذا مر بهن الأجانب .. وذلك لأن ذلك في حق نساء النبي وبنات النبي واجب، وليس كذلك في حق غيرهن .. وقد قال ابن باز رحمه الله في حديث: " يا أسماء، إذا بلغت المرأة المحيض لا يظهر منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى الوجه والكفين " قال أنه متنازع في صحته (ينظر موقع ابن باز) وليس أنه لا يصح كما ذهب إليه البعض.

ثم إن السؤال الأهم إذا كان الإمام الطبري يقول إن الاختلاف هو في قوله تعالى: (يدنين عليهن من جلابيهن) فكل معتمد الذين قالوا بحجب الوجه هو ذهابهم لمعنى يسدلن ثيابهن على وجوههن وآخرون أولوها بـيرخين جلابيهن على نحرهن وصدورهن .. وفي المعجم اللغوي (يدنين عليهن من جلابيهن) يسدلن ويرخين، جاء في المختصر في تفسير القرآن الكريم لمجموعة من المفسرين: "يرخين عليهن من الجلابيب التي يلبسناها؛ حتى لا تتكشف منهن عورة أمام الأجانب من الرجال، ذلك أقرب أن يُعرفنَ أنهم حرائر، فلا يتعرض لهنَّ أحدٌ بالإيذاء، كما يتعرض به للإماء (1)".

الملاحظ في علة المفسر للجلابيب هو عدم انكشاف عورة أمام الأجانب، والوجه والكفان ليسا بعورة ولو كانا كذلك ما صح كشفهما في العبادة.. فكيف صار وجه من وجوه التفسير مقدا على الأحاديث التي يقوي بعضها بعضاً؟.

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لاتعلم " رواه أحمد . قال صاحب مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح .. فكيف سينظر إلى المرأة وهي مغطية وجهها وماذا سيرى منها وكل شيء وراء حجاب؟.. علما أن المترتب العقلي على توجيه النبي صلى الله عليه وسلم أن الخاطب سيرى ما هو عادة مجال قبول أو رفض وهو الوجه .. وبالتالي أدلة القائلين بالنقاب استنتاجية تحوطية تتعارض مع أدلة راجحة واضحة لا يمكن دفعها ولا منعها والله تعالى أعلم.



الشبهة (76)

نقاب المرأة المسلمة في بلاد الغرب

- لماذا يلزم الإسلام المرأة بالحجاب في البلاد غير المسلمة؟ أليس الأوفق مخاطبة الناس هناك على قدر ثقافتهم؟

الجواب:

من خلال تتبعي لقصص المسلمين الجدد في أنحاء العالم وجدت أن أبرز تحد يواجه المسلم حديث الإسلام يتصل بالمرأة وهو حجابها، فتقع بين الفريضة الشرعية وإرضاء ربه وبين ثقافة مجتمع رافض لمظاهر الستر في لباس المرأة تحديداً، وقد ينظر إليه هناك كحالة قمع أسري أو ديني ضد المرأة. وفي ظلال الآية الكريمة أ طرح خمس مسائل مهمة لكل أخت مسلمة تواجه هذا الوضع.

المسألة الأولى:

من الواضح أن المرأة بلحجاب ستكون أكثر إغراء وجاذبية من إخفاء جمال شعرها وجمال عنقها، أليست المرأة في العالم تنفق المليارات على الكوافير والاستنشورات لتجديد جمال شعرها؟ ففي ظهورهما زيادة في الإثارة وزيادة في تعلق الأنظار المفتونة والنفوس الجائعة .. هل هذه حقيقة؟ نعم إنها حقيقة، ولو لم تكن كذلك لم يفرض الإسلام الحجاب، صحيح أن الحجاب يكسبها جمالا آخر يتصل بحسن السمات الذي يفرض الاحترام، إلا أن خطاب الغريزة يكون بإظهار مفاتها (وحديثي هنا عما يثير الغريزة ويلفت عيون الفضوليين).

وهنا توضيح: وهو إذا كانت القضية متعلقة بما يرضي أذواق الرجال الأجانب ونهم عيونهم فكل جسد المرأة صمم على أساس الإغراء .. فهل هذا الواقع الغريزي سيحوج المرأة أيضا إلى عرض باقي جسدها المخفي لتسلي وتشهي الرجال وإرضاء أذواقهم .. إن هذا للأسف هو ما دفع بالكثير من النساء في الغرب إلى ترك كامل جسدها للعرض المبتذل عدا موضع العفة أحيانا، فما هو العائد الإنساني لكرامة المرأة من ذلك؟ لاشيء سوى أنها تقول

مفاتيحي هي رأس مالي في الحياة ولا أملك سوى مؤهلات جسدي ولا شيء غيرها .. لذلك الحجاب رسالة مهمة تعيد المفاهيم إلى أصلها وهو أن المرأة إنسانة بعقل وفكر أكثر منها لحم سلعي معروض للتسوق.

المسألة الثانية:

قد يقال إن الإسلام ظلم المرأة الجميلة بأن أمر بحجب جمالها عن الآخرين وإلا لماذا خلق الله الجمال؟

والجواب: من ذلك الذي هو أحق بأن يستأثر بجمال جسدها غير شريك حياتها وأحب الناس إليها زوجها وعائلها ورب أسرتها؟ فإذا حفظت أئمن ما تملك لأقرب من تحب أحبها كما أحبته، وأخلص لها كما أخلصت له، فتدوم بينهما حياة قائمة على تبادل الثقة والمودة. وثانياً، إذا كان الله قد ابتلى المرأة الجميلة بفريضة الحجاب لحجب ما تملك من الجمال على غير المحارم، فقد ابتلى الملايين من النساء بأن حرمن من الجمال، فهل يقال إن الله قد ظلمهن أيضاً؟ بل إنه ابتلى المرأة الجميلة بالامتثال والشكر، وابتلى المرأة غير الجميل بالامتثال والصبر.

المسألة الثالثة:

قد تقول المرأة المسلمة إنني وحيدة في مدينة كل النساء فيها سافرات؟

والجواب: ليس المهم أنها الوحيدة بل المهم أنها الأولى التي حملت راية المعادلة السليمة لوضع المرأة الطبيعي بعد أن حولوها إلى مجرد كائن غريزي، وبطلة النسخ والعري، تنازلت عن كرامتها لأسواق النخاسة وملايين المواقع الإباحية .. فالمرأة المسلمة بحجابها تقود ثورة مضادة تشدد به على الالتزام الخلقي في وجه مجتمع متشدد في مبدأ الانحلال والنسخ.

وإذا كانت المرأة المتحررة من القيم تحلّت بالجرأة الأدبية وقالت إنها حرة بجسدها تكشفه لمن تشاء وتبيعه لمن يشاء، فإن المرأة الملتزمة هي أيضاً حرة بجسدها تحفظه كما تشاء ولا تهبه إلا لمن تشاء وفق مشيئة من خلقه وصوره.

المسألة الرابعة:

مع التأكيد على أن الحجاب فريضة وتركه معصية كما تؤكد عليه الآية الكريمة عنوان حلقتنا، ومع التأكيد أيضاً على أن ارتدائه لا ينبغي أن يكون مبعث خجل إلا أن الواقع قد يفرض التدرج، فإذا كانت ردة الفعل من أهل المرأة المسلمة حديثة العهد بالإسلام أو المجتمع

المحيط قد تقود إلى فتنة لا تحتملها كأن تتعرض للطرد والتشرد، أو تتعرض لخيارات أسوأ من ترك الحجاب وهو ترك دينها فإن لها أن تتخير الوقت المناسب في لبس حجابها، فإله يقول (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وعليها ملازمة الاستغفار على ترك ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وتعد النية على لبس حجابها متى وابتها الفرصة، وأما إن كان الأمر لا يتعدى المضايقات أو التهكم والسخرية وقطع التواصل الاجتماعي، فهذا متوقع واحتماله من عزائم الأمور.

المسألة الخامسة والأخيرة:

إذا كان الحجاب مجمعا على وجوبه مع إظهار الوجه والكفين فإن النقاب (البرقع) غير مجمع على وجوبه، بل إن علماء كالألباني يرجح الحجاب على النقاب، إذ لو كان الوجه عورة لما أمرت المرأة بكشف وجهها في فريضة الحج، ولا يعقل أن تمارس شعيرة دينية وجزء من عورتها ظاهرة؟ .. أما في الغرب فإن ترك النقاب أولى من لبسه، طبقا لهذا المقياس لأن النقاب سيكون رسالة شكلانية خاطئة على جوهر دين الإسلام ورسالته، وحكما غير حقيقي على موقفه من هوية المرأة التي يغيب معه جانبها الرسمي الذي يفرضه المطابقة القانونية في الوظائف ومؤسسات التعليم والمطارات .. الخ فلا يتعاملون مع ما يرونها أشباحا وفي الحديث: "ما خير رسول الله بين شيء إلا اختار أيسرهما".

كما أن النقاب هناك نقلة مجتمعية ضدية من العري الكامل إلى التخفي الكامل، وفي ثقافة كهذه منحلة تجعل العري خيارا اجتماعيا أكثر من النقاب، لذلك جاء في الأثر: "خاطبوا الناس على قدر عقولهم" وفي ثقافة كالطوارق التي يتنقب الرجال مع النساء قد يكون في الحجاب فتنة عليهن أكثر من النقاب فلا بد من فقه الواقع .. ولما أمّ معاذ رضي الله عنه - نوعا من المصلين لا يطيقون التطويل جعله النبي صلى الله عليه وسلم في حقهم فتنة وقال: "يا معاذ أفتان أنت؟" والمعنى هل تريد بالتشدد أن تفتن الناس عن دينهم؟ .. وإذا كان لا يزال في الغرب من الصعب القبول المجتمعي بالتزام الوسطية وهو الحجاب فكيف يمكن القبول بما هو في ثقافتهم تطرفا وإهانة للمرأة وبعدا دينيا قمعيا؟!، فالنقاب ضرره هناك برأيي أكثر من نفعه، وبالتالي إذا تعرضت المرأة للإيذاء بسبب النقاب فيعود السبب إلى المرأة المسلمة نفسها التي اختارت الضيق على السعة وحجرت واسعا.



الشبهة (77)

مسألة علاج نشوز الزوجة بضربها

- كيف يعطى الزوج حق ضرب زوجته وما هو الغاية من جعل مثل هذا واردا وفيه إهانة لكرامة المرأة؟

الجواب:

من خصائص هذا الدين صفة الواقعية والشمولية في الأحكام ومعالجة الوقائع الواقعة أو المتوقعة، ومثلما يتحدث عن الأصل يتحدث عن الفرع، ومثلما يذكر القاعدة ينطرق إلى الاستثناء.

وإنه أحيانا ليتناول جزئيات الحياة الصغيرة إلى جانب فلسفات عليا على حد سواء، ففي سورة الماعون -كمثال- نجد سياق الآيات قد ارتبط فيه التكذيب بيوم الدين والعبادة بمسألة منع تبادل الأواني الطبخية وكل ما ينتفع به (الماعون) كرسالة أن الإسلام منهج حياة، معني بمعالجة منظومة الحياة كلها .. ومن ذلك ما نجده من حديث ضرب الرجل لزوجته، الذي هو استثناء من قاعدة إذ الأصل المودة، والرحمة، والسكن، والستر، العلاقات الأساسية الضابطة للحياة الزوجية التي تحدثت عنها الآيات، (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) ⁽¹⁾ أي ستر (وجعل بينكم مودة ورحمة) ⁽²⁾ وتحدث عن أن المرأة هي من نفس الرجل (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) وقال (بعضكم من بعض) .. وتحدث عن وقوع التفاهم بينهما في القضايا الزوجية (عن تراض منهما وتشاور) وأوصى بعدم نسيان الفضل بين الزوجين حتى بعد انفصالهما (ولا تنسوا الفضل بينكم) ⁽³⁾ ولم يؤثر عن مجتمع النبوة أن النساء كن يعاملن بقسوة بل كان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه ويتظاهرن عليه في النفقة، حتى نزل القرآن يخيرهن في تسريحهن سراحا جميلا (تطلقهن) أو يصبرن على حياة النبي المتواضعة ويكنن زوجاته في الدنيا والآخرة .. وليس فيه إلزام، ولا إرغام، ولا ضرب،

1- [البقرة : 187].

2- [الروم : 21].

3- [البقرة : 237].

ولا تعنيف بل حرية وتخيير ذلك أن الله يقول: (... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (1) لكن لما كان الأمر متعلقا بنظام أسرة وشراكة وعشرة وإنجاب، فإن معالجة استمرارها تتعدد ليكون أقل مسمى الضرب منكرا اضطراريا، وإن كان منكرا فأنكر منه تفكيك عرى أسرة قد يترتب عليها تشريد الأبناء واضطراب مستقبل أعضائها .. فكالعادة ثمة خروج عن السياق العام نجد فيه اضطرار مد يد الزوج في حالة استثنائية على زوجة استثنائية، وعلاج لا يتكرر كثيرا على نوع من النساء لا تتكرر كثيرا .. وذلك بعد تدابير تشي بالتعودة وطول النفس، فيها مخاطبة العقل بـ(الموعظة) ، ومخاطبة العاطفة بـ(الهجرج في المضاجع) ، حتى لم يبق إلا مخاطبة الجسد اضطر إليه فقيل بالسواك وما هو في حكمه، دون التقيح ولا الضرب المبرح أو الضرب في الوجه كإجراء أخير قد يحول عما قد يكون أشد منه وهو الطلاق، قال الله: (... فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) (2).

لا شك أن أمامنا نصا واضحا لا مجال لتأويله بغير المعنى الحقيقي للضرب .. ولكن ما ليس واضحا للكثير هي سياقات المقام التي أوصلت الرجل إلى هذه الدرجة من الاضطرار الاستثنائي لامرأة استثنائية كما سبق .. وما ليس واضحا عند أصحاب الشبهة هو مفهوم مفردة الضرب، وأي نوع من الضرب وقدره الذي ترمي إليه الآية .. وما ليس واضحا لديهم أيضا هو ذلك المسوغ الذي جعل ما هو متناقض مع مفاهيم الرحمة والسكن والستر في حكم الممكن .. فما الذي سوغ ضرب الزوج زوجته؟ الواقع أن هذا السقف العالي من الاضطرار سنجد فيه العدل لا الاضطهاد من غير مبالغة في الحكم ولا خداع للمنطق .. وسنعرف هذا أكثر من التالي:

قال الإمام البغوي في تفسيره: "وحمل الخوف في قوله واللاتي تخافون نشوزهن، على العلم كقوله تعالى: (فمن خاف من موص جنفا) أي: علم" (3) لأنه لا عقوبة بغير عمل، وقال الحافظ بن كثير: "النشوز هو الارتفاع، فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها، التاركة

1- [النساء : 19].

2- [النساء 34].

3 - تفسير البغوي طيبة للنشر والتوزيع (208/2).

لأمره، والمعرضة عنه، المبغضة له⁽¹⁾ فمادة نشز أي ارتفع، والمرتفعة على بعلمها يعني إهدار حقه في القوامة، فتفعل ما تشاء بغير إذنه، وبلا وازع من دين أو خلق والدليل الوعظ، مما يشير إلى أن الوضع بات مقلوبا في العلاقة بين الزوج والزوجة، مؤداه النهائي العصيان نتيجة حالة استضعاف، قد يكون ناتجا عن تقدير خاطئ لقدرته على السيطرة الأسرية .. وأرى أن من المهم لمن يريد تفسير سبب الضرب في الآية من فهم الحديث الشارح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سجد المسألة تتعلق (بفاحشة مبينة) وهي على أشهر الأقوال الاستطالة على الغير وتجاوز الحد إما بقبيح القول أو قبيح العمل أو كليهما، ففي ابن ماجة وأبي داود في خطبة الوداع قوله صلى الله عليه وسلم: " استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك .. إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أظعن لكم فلا تبغوا عليهن سبيلا .. " الحديث.

أغلب أهل العلم والمفسرين على أن المراد بـ(الفاحشة المبينة) هي البذاءة وتجاوز الحد من قبيح القول والعمل كما سبق، وليس منه الزنا، وذهب القاضي أبو إسحاق المالكي أن المراد به الزنا بظاهر اللفظ الذي يغلب على معنى الفاحشة (الزنا) .. ولكن سنتوقف عند رأي الجمهور في أن المراد بالفاحشة التي فسرت (النشوز) المذكور في الآية هو ما تجاوز الحد من رديء القول والعمل، وقد مثل بعضهم لمظاهر الفحش هذا فقال كالاستطالة باللسان .. والبذاءة بقول فاحش على زوجها أو غير زوجها .. قد يكون منه الاستطالة بالضرب على أهله وأقربائه أو أحد من الناس .. فالملاحظ أن ضربها من الزوج إنما هو بمثابة عقوبة مماثلة .. (وهذه نقطة في غاية الأهمية) فليس الضرب وسيلة تأديبية ابتداء .. لأن هذا متناقض مع الآيات التي تؤكد على الرحمة والسكن وتؤكد على الشورى بينهما كما نجد في مدة الإرضاع كأبرز ركائز الخصائص الزوجية، ومع أحاديث تنهى عن ضرب الرجل زوجته، حتى إن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى فاطمة بنت قيس أن تتزوج أبا جهم لأنه لا يضع العصا عن عاتقه" أي أنه يضرب النساء .. وهو حديث مروى في صحيح مسلم وغيره.

على أن الضرب كوسيلة رادعة لسلوك شاذ ومتهور إنما يكون بعد أن تُستنفد معالجات لا تنثر عن نتيجة كما سبق .. فقد ذكرت الآية الكريمة:

- الوعظ (وذلك للتذكير بما غاب عنها من معرفة وجوب صون واحترام حقوق زوجها، وغير زوجها والتذكير بعقوبة الله لأهل البذاءة والفحش في الآخرة ونحو ذلك).

- عقاب الهجر في المضاجع.

وفيه عدم تحقق السكن النفسي وإشباع العاطفة .. فبعد الزوج يعني حصول القلق والتوتر كون الوضع الطبيعي لحياة الكمال يتحقق باجتماع الثنائية الزوجية لا بعزلها .. والمرأة وهي الأكثر عاطفة وأقل تحملاً لوضع كهذا.

فإذا لم ينفع ذلك فإما أن يلجأ الزوج إلى طلاقها ليسترخ من أذاها، ولكن هل الطلاق أهون الشرين؟ لاسيما أن تصبح العائلة ذا خلفه؟ أم يضربها ليريحها إذ إن امرأة استثنائية كهذه لا تنتهي بالوعظ ولا بالهجر، وعدم تأثير الوعظ فيها والالتزام بضوابط الشرع يعد تمرداً، ويمثل ظاهرة لا يستطيع تفسيرها سوى علم النفس وهو أن نسبة من النساء نحو 16.5% لا تطيب نفسها إلا بالضرب .. نوع مصابات بمرض حب الإيذاء الجسدي، والتعنيف وهي عند النساء تزيد 15 ضعفاً عن الرجال .. فهذه النسبة من النساء تتلذذ بالإحساس بالآلام .. وإيقاع القسوة على الذات متصلة بالرغبة في الإحساس بالعبودية واللذة من الإهانة والاستهزاء، وتجريح الكبرياء، والاسم العلمي لهذه الظاهرة (الماسوكية) Masochism واشتق الاسم من (ليوبولد ساشر ماسوك 1836-1785) النمساوي.

وهذا النوع مخالف لغالب النساء اللاتي لا يقبلن بمد اليد نهائياً ولا يجدن فيه معادلاً لأي جزاء وأيسر منه التفريق (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) وصنف خاص سواء من الرجال أو النساء تخرج المعاملة الكريمة معهم بنتائج أسوأ، وتؤدي سياسة الاسترضاء إلى انفلات أكثر .. يقول الباحثون في هذه الظاهرة أن الشعور بالافتقار إلى رجل أكثر حزماً قد تجعل امرأة كهذه تستفز زوجها لكي يتناول عليها ويهينها، وهو ما لا سبيل معها إلى غير وسيلتين كما سبق.

1- أن يطلقها وهذا حق مشروع للطرفين (وإن يتفرقا يغني الله كلا من سعته) على ما فيه من تعريض الأسرة للهدم وتشتيت أفرادها في مجاهيل أوضاع جديدة، قد يكون التشرذم وحالة الضعة هو المآل الذي ينتظرها ذلك.

2- أن يهينها لكي يكسب قلبها وحبها وطاعتها واحترامها له!!! فالضرب هاهنا نفعه أكثر من ضرره، فلاضير إذن أن يكون هذا خيارا اضطراريا متاحا .. إذ ليس الإيذاء النفسي بالطلاق أفضل من الإيذاء الجسدي عند هذا النوع من الزوجات، وقد تستعظم الطلاق وترى الضرب معادلا موضوعيا لدوام العشرة.

على أن الضرب المراد به هو ما نص عليه الحديث الشريف .. ضرب غير مبرح، وهو الذي لا يترك أثرا ولا يلطم خدا، وإنما هو بالسواك ونحوه، أو بلكر اليد. ثم ليس دقيقا أن يوضع خشونة طارئة للرجل المحب لزوجته في خانة الاضطهاد ومساواته بدرجة استتالة أي إنسان آخر، فما بين الزوج وزوجته أعلى من أن ينسحق بخشونة عارضة .. إن الطفل الصغير وهو يتعرض لنوع من الإيذاء الجسدي من قبل أحب الناس إليه (أمه) إنما يزيده ذلك تشبثا بها لأنه يدرك أن لا أحد أحنَّ عليه من أمه، وهي حين تضربه ضربها اللطيف فهي إنما تفعل ذلك لمصلحته وفي مساق تأديبه فهل يسمى ذلك اضطهادا؟ .. وربما هذا من ذاك؟

ولكن ينبغي التشديد على أن ذلك يمثل نسبة ضئيلة لا تذكر في المجتمع الإسلامي وأن الضرب حالة اضطرارية ولمرة واحدة في العمر كآخر علاج، وربما تمر عشرات السنين ولا يتناهى إلى سمع أحد بوقوع عمل مؤسف كهذا، فليس الرجل طلق التصرف بشريكة حياته فالضرب جريمة خادشة لمعنى الرحمة، وللمرأة أن تطلب الخلع وتفقد نفسها وتغادر عش رجل لا تحب أن يطالها بأذى كان .. بل هي معالجة خاصة، كما أن هناك من الرجال من لا يستقيم إلا بالموعظة الجسدية إن صح التعبير.

ختاما:

قد يقال وإذا كان الرجل ظالماً لها فمن يردعه بدوره؟ الجواب يردعه من هو أقوى منه .. ومن له سلطة عليه وهو القاضي، فإذا وجدت من زوجها ضرراً أو طبيعة عنف لا تعالج بالصبر مرة ولا مرتين فلترفع بأمره إلى قاضي الشرع، ولتطلب بين يديه إنصافها أو التفريق بينهما (فلا ضرر ولا ضرار في الإسلام).



الشبهة (78)

الصوم في المناطق التي لا تغيب عنها الشمس

كيف ترك الإسلام شعوباً لا تغيب عنها الشمس دون أن يضع لها حكماً خاصاً في الصوم والعبادات؟

الجواب:

أولاً- وضع الإسلام أسساً عامة وترك القياس لما استجد من أشباه ونظائر .. فمثلاً تكلم عن الخمر وأطلق قاعدة "ما أسكر قليله فكثيره حرام" وبالتالي بقية المخدرات مثل الهيروين، والكوكائين، والخشخاش، والحشيش، ومئات الأنواع المذهبة للعقل حرام قياساً على الحكم العام، ولو انتظرنا نصاً خاصاً بكل نوع لطالت الأحكام وتضخمت .. وضبط نوع اللباس الشرعي بعبارة عامة وهو كل ما كان ساتراً للعرضة من الثياب ولم يصف أو يشف، بعد ذلك للإنسان أن يلبس ما يشاء عدا الحرير للرجال فهل كل لباس وكل موضة وكل تقليعة يلزم وجود نص فيها فأحكام الشرع متناهية وقضايا الحياة غير متناهية .. ومثل ذلك القوانين الوضعية لا يمكن أن تضع لكل حالة خاصة قانوناً خاصاً.

كذلك في باب الصوم هناك دول تصوم 12 ساعة وبعضها 18 ساعة وبعضها 22 ساعة كدول الاسكندنافية وبعضها لا يأتيها الليل وتظل الشمس مشرقة كبعض المناطق القطبية فلزم من ذلك حكم عام، إذ لو وضع لكل حالة حكم قد تستجد أوضاع أخرى فتطول الحالات والأحكام، فكان الحكم القياسي في الصوم من حيث المبدأ هو الصوم حتى غروب الشمس فالذي يصوم 22 ساعة سوف يصوم بعض شهور الصوم ساعتين والذي يصوم 18 ساعة سيصومه بعض الأعوام 6 ساعات فيكون قد تحقق له عدالة التوزيع.. وهذا سر ربط العبادات بالتوقيت القمري.

أما الذي لا تغرب عنده الشمس فعليه أن يقيس بأقرب دولة أو بأوسط البلدان وهي مكة الواقعة وسط اليابسة، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث أصحابه عن المسيح الدجال، فقالوا: ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم فقل: يا رسول الله ! اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا،

اقدروا له قدره" (1) فلم يعتبر اليوم الذي كسنة يوماً واحداً يكفي فيه خمس صلوات، بل أوجب فيه خمس صلوات كل أربع وعشرين ساعة، وأمرهم أن يوزعوها على أوقاتها اعتباراً بالأبعاد الزمنية التي بين أوقاتها في اليوم العادي في بلادهم.

وكانت فتوى في هذا الشأن قد خرجت من مؤسسة الأزهر في مصر عام 1982م رأت أنه في الدول التي يطول فيها اليوم بشكل غير طبيعي، كما هو الحال في دول شمال أوروبا، يجوز للمسلمين الاختيار بين أمرين: الصوم حسب مواقيت البلاد المعتدلة التي نزل فيها التشريع الإسلامي، مثل مكة والمدينة، أو أن يحسبوا وقت الصوم باعتبار زمنه في أقرب البلاد اعتدالاً إليهم. ومالت الفتوى إلى أن يصوم المسلمون في البلاد التي يطول نهارها نفس عدد الساعات التي يصومها المسلمون في مكة أو المدينة، لكن هذا الرأي لم يطمئن إليه الكثير كون الآية في شأن وقت الإمساك والإفطار واضحة.

ثانياً- القاعدة الثانية المهمة أن المشقة تجلب التيسير فمتى وجد من لا يقدر على صوم كل هذه المدة فقد رفع عنه الحرج ببدائل لا تلحق به الضرر نعم قد ثبت من مسلمين مقيمين في دول البلطيق أنهم يصومون نحو 18 ساعة وقالوا أنه لافرق كبير بين الصوم باختلاف المدد من حيث القدرة على المواصلة وهذا النوع من الصوم الطويل يوصي به بعض الأطباء وهناك مستشفيات تعالج بالصوم وبمدد طويلة، لكن من لم يستطع فله حكمه وله بابه فقد أفتى في شأن أصحاب الأعذار أهل العلم، وهو أن "من عجز عن إتمام صوم يوم لطوله، أو علم بالأمارات أو التجربة، أو إخبار طبيب أمين حاذق أو غلب على ظنه أن الصوم يفضي إلى إهلاكه أو مرضه مرضاً شديداً، أو يفضي إلى زيادة مرضه أو بقاء برئه أفطر، ويقضي الأيام التي أفطرها في أي شهر تمكن فيه من القضاء. قال الله تعالى: **فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** (2)، وقال الله تعالى: **(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** (3) وقال: **(وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)** (4) (5).



¹ - رواه مسلم في (الفتن وأشرط الساعة) باب ذكر الدجال وصفته برقم 2937.

2 - [البقرة:185].

3 - [البقرة:286].

4 - [الحج:78].

5 - موقع إسلام أون لاين.

الشبهة (79)

في حد شارب الخمر والزاني والمرتكب

أ- جلد شارب الخمر.

كم أوتينا من جهة اللغة وفهم معناها، وكم خلف المفسرون بالرأي المجرد عن المرجعية اللغوية من قواصم وتركوا من شبهات .. في أحد مكاتب البريد وجدت جنديا يغلي ويصيح من أحله لك؟ قال الخمر حلال؟ .. بينما الموظفون يصمتونه لأنه يتكلم مع المدير العام وكان في حالة زيارة لهم.

قال المدير: إن الله تعالى لم يصرح بتحريم الخمر وإنما قال (فاجتنبوه).

فقلت له اسمع يا مدير الآية واعطني شيئا من وقتك لأشرحها قال الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (1) ..

سمع المدير الآية وخرج مسرعا.

قلت مهلا أسرد لك النقاط، فشرحتها للبقية:

أولاً- أيهما أبلغ لا تجلس مع فلان أم لا تقترب منه؟ لا تدخل هذا المكان أو تجنب المرور به؟ لاشك أن قوله تجنبه ولا تمر به أبلغ، ولماذا تجنب الاقتراب منه؟ لأنه كما قالت الآية (رجس من عمل الشيطان) أي قدر وقبيح من عمل الشيطان وأنت تبتعد من القدر مسافة .. فإذا كان ممنوع الاقتراب منه فمن باب أولى ممنوع تعاطيه، ومثل ذلك قول الله تعالى: (ولا تقربوا الزنا) فهل يكون المراد: نهى الله عن عدم اقتراب الزنا ولم ينه عن الزنا؟! .. بل اجتنبوا كل أسباب الزنا وما يؤدي إليه .. لذلك لم يقل المولى تعالى فلا تشربوه؛ لأن الاجتناب يشمل الاقتراب منه شرباً، وبيعاً، وعصراً، وحملاً، وكل ما يقرب إليه، ولو قال فقط لا تشربوه لكان بقية ما ذكر حلالاً .. ثم وهو الأهم .. هل تعلم أن الله تعالى قرن اجتناب الخمر مع اجتناب الأوثان (الأنصاب) وهي كل ما عبد من دون الله وأعظم معصية على وجه الأرض الشرك بالله.. فهل الله لم يحرم عبادة الأنصاب لأنه لم يقل نصاً في الآية (لا تعبدوها) وقال اجتنبوها؟ والسبب نفس الشيء فليس المطلوب فقط عدم عبادتها بل ونحتها، وبيعها، وبناء معابد لها، هذا كله حرام، فهما هذا من قوله (فاجتنبوه).. فانظروا إلى بلاغة القرآن.

أما إذا أردنا مزيداً من النصوص الثابتة والواضحة البيّنة فلا يزال لنا مرجع وهو السنة المطهرة التي بينت ذلك وفصلته عن ابن عمر: قال رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا وَمَعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ" (1).

عندها أخذ العسكري يصيح: كلمهم أصحاب (صحيح البخيتي) (2) المرتد كبيرهم الذي علمهم السحر لعن الله شاربه، وحامله، وبائعه، ثم قال والله وبالله هميت اضربه قال لك هو مدير عام؟! قلت في نفسي سبحان الله كيف غلبت فطرة العسكري فلسفة المدير.

ب - في حد جلد الزاني وقتل المرتد:

قال لي أحد السائلين: في واحد ممن أعرفهم يسألني ويقول:
قال الله (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ...) (3) .. قال لماذا الذي هو متزوج يرجم حتى الموت .. فذكرت له حديث لا يحل دم مرء مسلم... الخ... فلم يقتنع قال يريد كلاماً صريحاً من القرآن... وذكر أيضاً لماذا المرتد يقتل فذكرت الحديث السابق.. بمختصر القول كأنه يشكك في الأحاديث ويقول رواة الأحاديث ليسوا معصومين من الخطأ ربما نقلوا غلط .. فقلت له فسأل أهل العلم. قال لي اسأل أنت ورد لي الخبر .. بارك الله فيكم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

لست من ذوي الاختصاص في هذا الشأن ولا عالماً في الفتوى الشرعية ولكني أجيّب في حدود علمي وحسب توجيهي الفكري قد أصيب وقد أخطيء، ولك أن تستأنس به أو تدع راجياً من الله السداد والتوفيق.

1 - رواه أبو داود وأحمد.

2 - البخيتي كان نطاقاً باسم (أنصار الله) الحوثي يتكلم باسم الله، وفجأة يعلن أنه يكفر بالله وترك الجماعة وأعلن أنه مرتد، وهذا يدل على أن الرجل كان طالب منصب أكبر من خلال وظيفته وإلا كيف يتقمص دور الناطق باسم الدين ثم يكفر بالدين .. لكن لما لم يجد مصلحته في التحدث باسم الله بحث عنها في الكفر بالله، وذهب يتاجر بنسخته الجديدة في العواصم الغربية .. وهو مجرد مدلس وملبس وصانع شبهات حيث تركت بلبلّة على منصات التواصل .. وأي إنسان اتبع هواه يستطيع أن يشكك في كل شيء ويلبس على كل شيء، ومثل هذا الكتاب (شبهات) ألف للبخيتي وأمثاله، وحقيقة وحتى كتابة هذا لم أنفرغ لسماع هرطقات علي البخيتي وأرجو ألا تخرج عن هذه الشبهات التي أوردناها.

3 - [النور : 2].

* جلد الزاني:

إن من أهم ما يميز أحكام معصية الزنا أنها أحكام تكاد تكون نظرية لا عملية، لأن توفر شروط إقامة الحد بالشهود شبه مستحيلة، وهي أن يأتي أربعة شهود عدول ثم يعاينوا الجريمة ويرون العملية بحيث يبدو لهم الايلاج كالميل في المكحلة، وإذا اختل شرط فإن الشهود قد يقام عليهم حد القذف، وبالتالي إقامة الحد بالجلد أو بالرجم هو غير قائم عمليا فلا ينبغي جعل هذه الأحكام مثار شبهات وجدل حتى عندما يقع الإنسان في مثل هذه المعاصي فإن الإسلام لا يتشوف إلى إظهارها بل أمرنا بالإسلام بسترها وعدم إظهار الصفحة، ومن أصر على إظهارها بالاعتراف أقيم عليه الحد .. وبهذا يكاد إقامة الحد يكون اختياريا من الشخص نفسه .. ولا يعني هذا الاستهانة بأحكام الشرع فالزنا من أعظم الكبائر لكن هذه هي الحقيقة.

ثم إن أحكام الزنا أيضا على فرضية أن المجتمع قد بلغ حد المشاعية الجنسية بحيث يتساقدون تسافد الحمر في الأماكن العامة لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا في هذه الحالة يمكن يقع هذا النوع من الإشهاد، وبالتالي فنوع الحد المنصوص عليه هو لردع المجتمع من الوقوع في هذه الظاهرة الإباحية المكشوفة، فحجم العقوبة من حجم المعصية ومن حجم عدد الشهود ومن حجم الاستهتار بمسألة العفة.

أما إذا افترضنا اعتراف الطرفين بالزنا أو أحدهما فلماذا يرمج المحصن ويجلد البكر الجواب أن الرجم أولا هو شرعنا بالإجماع وشرع من قبلنا وثانيا جاءت علة التفريق عند بعض الفقهاء لأن أسباب الاستعفاف قد توفرت وباب الاستطاعة قد تيسرت، لكن يمارس الزنا بلسان حال يقول الحلال وحده لا يكفي، وليس البحث عن تعديد سبل الغواية إلا نزوعا إلى التجاوب لا مع الغريزة المجردة بل مع سعي الشيطان إلى إشاعة الفاحشة في المجتمع واسترخاض الأعراض، التي قد عرف الجاني معنى تلويث الأعراض ومعنى خلط الأنساب بينما لم يمر البكر بهذه التجارب النفسية فالسلوك إذا يتجاوز حدود الغواية الشهوية التي قد تيسرت له بالحلال إلى معصية الرضا بتجديد سبل المخادنة الآثمة، ونحن نجد في بعض الدول التي لا يكتفي الزوج والزوجة بالحلال أن إطلاق مصادر الغواية وتيسير سبل المشاعية قد أسفر عن نسبة ما يقرب من نصف المجتمع من الأبناء غير الشرعيين، والإسلام يضع روادع زاجرة للوصول إلى وضع كهذا من التفسخ والانحدار .. وربما كان ثمة علل أخرى غير هذا.

• قتل المرتد:

مسألة المرتد عن الإسلام اعلم يقينا أن من يرتد عن الإسلام لا يكون ابتداء بسبب شبهات إذ كيف يترك دين التوحيد إلى دين كالنصرانية مثلا الذي يقول إلههم ثلاثة، وكتابهم أربعة ولا إلى دين عنصري كاليهودية ولا إلى دين وثني يعبد الأصنام، ولا إلى إنكار وجود خالق فهذا يرفضه العقل، إذ كيف يكون كل شيء في الوجود بدرجة من الحكمة والإتقان بحيث يستحيل عقلا أن تكون جاءت بدون صانع حكيم .. ومن يقو إن دارا محكم البناء قد بنى نفسه أو أن سيارة قد صنعت نفسها فهو مجنون، فالملحد أقرب إلى وضع المجنون منه إلى وضع الإنسان العاقل .. فما بالك بخلق الإنسان والشجر والماء والهواء والأفلاك وتوفير ملايين الآيات الإعجازية التي تضافرت على وجود حياة آمنة، لذلك قالوا لا يوجد ملحد على وجه الحقيقة بل ضحية هوى وزيف.

وعليه فكل هؤلاء من مرتد إلى دين من الأديان، أو إلى الإلحاد ليس تركهم للإسلام عن جهل لا سيما أن يكونوا وسط علماء الذين وجه الشرع بسؤالهم فقال: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ولا عن عجز في حجج إثبات الدين (فله الحجة البالغة)، ولكن عن هوى وزيف أو انحياز لأمة أخرى كأن يصير المرتد ظهيرا للمجرمين ضد أمته إذ لن يكون مرتدا في حكم الشرع إلا بالإعلان عن رده، وإذا لم يعلن فإن أحدا لن يفتش عما في قلبه، وإن كانت له أفكار شاذة قد يكون من باب البحث عن الحقيقة وليس تركا للدين.

وقد ورد في صحيح البخاري وغيره روايتان في هذا الشأن إحداهما مطلقة وهي: "من بدل دينه فاقتلوه" وأخرى أراها مقيدة له وهي قوله صلى الله عليه وسلم: "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ" تأمل في قوله (التارك لدينه المفارق للجماعة) وليس فقط التارك لدينه، بل و(المفارق للجماعة) وإلى أين سترك جماعة المسلمين؟ لا بد إلى جماعة أخرى ربما أقوى لكي يستقوي بها فهذه خيانة، ولا نكاد نجد مرتدا إلا وينحاز لدول معادية تدعّمه وتأويه .. وقتل الخائن لأمته ووطنه موجود في جميع الدول إذا ثبتت وتحقق منها.. من هنا لا تعارض مع قوله تعالى: (لا إكراه في الدين) (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) فهذا الحكم لأهل الديانات الأخرى فقد اختاروا دينهم ابتداء، فالمسألة مسألة اختيار انتماء، وتحيز إلى فئة، فمن بات في جماعة المؤمنين فحكمه حكمهم، ومن فارقه دون سؤال أهل العلم والتثبت والبحث عن الحقيقة، وأعلن ارتداده فقد أعلن منابذته لها.. والله تعالى أعلم.



الشبهة (80)

هل فروض الصلاة ثلاث صلوات في اليوم لا غير؟

جاعني سؤال يذكر أن قرآنيا كما يسمي نفسه ينكر الصلوات الخمس وأنه ليس موجودا في القرآن سوى صلاة الفجر المغرب والعشاء .. ومدى صحة ذلك؟

وهذا الرد في حدود علمنا المتواضع:

الصلوات الخمس المذكورة في القرآن الكريم كما سيأتي ولكن على فرض أنها لم توجد إلا في السنة فليس كل شيء موجود في القرآن مفصلا من الواجبات والمحرمات والسنن فكثير من مناسك الإسلام تولتها السنة المحمدية.. فمن ذا الذي يقبل إذا مات أن يدفن على أي طريقة كانت وأن يزوج ابنته على أي طريقة وأن يصلي الفجر أربعاً والظهر اثنتين .. إلخ وأن يأكل الذبيحة بدون تذكية وأن لا يختن ابنه وأن وأن .. إلخ فكل هذه الأحكام غير مذكورة في القرآن الكريم فالله ألزمننا بما قال رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)¹ فإذا هو يؤمن بالقرآن فإن الأخذ بسنة النبي موجود في القرآن فلماذا لا يتبع القرآن إذا هو قرآني؟ قال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال: (ربنا آما بما أنزلت إلينا واتبعنا الرسول) كان يكفي يقول أمانا بما أنزلت إلينا ويكفي أن يقول (أطيعوا الله) بدون (وأطيعوا الرسول) فكيف يقرأ هذا القرآني القرآن وكيف يفهمه هو وأمثاله؟ هذا ولو كانوا يعلمون لوجدوا أن كل الصلوات ذكرت في القرآن انظر ماذا قال صاحب الجوهرة النيرة في على متن القدوري كما تناول ذلك غيره .. قال: "قد ذكر الله تعالى أوقات الصلاة كلها في القرآن مجملة (2) فقال:

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ) يعني العصر والفجر (وَزُلْفَا مِّنَ اللَّيْلِ)⁽³⁾ يعني المغرب

والعشاء.

وقال تعالى (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)⁽¹⁾ أي من وقت زوال الشمس عند الظهر إلى وقت الغسق وهو ظلمة الليل

1- [الجمعة : 2].

2 - (42 / 1).

3 - [هود: 113- 114].

ويدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، (وقرآن الفجر) أي صلاة الفجر حيث أطلق الجزء وهي القراءة وأراد الصلاة وإنما خص القراءة لما في قراءة القرآن في الفجر من الفضل حيث تشهدها الملائكة قال (إن قرآن الفجر كان مشهودا). وقال في موضع آخر (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ) أي فصلوا لله (حين تمسون) يعني المغرب والعشاء (وحين تصبحون) يعني الفجر (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) (2) يعني العصر (وحين تظهرون) يعني الظهر.

وقوله تعالى: (... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) (3) قال الزمخشري: (قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) "قبل طلوع الشمس يعني الفجر، وقبل غروبها يعني الظهر والعصر (ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار) قال: آناء الليل صلاة العتمة، وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار، إرادة الاختصاص" (4) وسميت الصلاة تسبيحا لما فيها من التسبيح سبحانه ربي العظيم وسبحان ربي الأعلى سبحانك اللهم، وهذا من المجاز وهو إطلاق الجزء ويراد به الكل كما يقال: فلان يده نديه أي هو كريم ونحو هذه الآية (... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) (5) نفس التفسير السابق .. وقيل في (أدبار السجود) و(إدبار النجوم) هما ركعات النوافل وختلفوا في أيها المراد قيل الركعتان قبل الصبح، والركعتان بعد المغرب.



1 - [الإسراء : 78].

2 - [الروم: 17-18].

3 - [طه: 130].

4 - الكشاف (3/ 97).

5 - [ق: 39-40].

*صدر للمؤلف:

- تحفة الأحباب في شرح ملحّة الإعراب مكتبة الإرشاد ودار ابن حزم - لبنان
- دليل المعلم الناجح عن مكتبة الإرشاد - صنعاء
- رحلة قبل الرحيل عن مكتبة الإرشاد ودار ابن حزم - لبنان
- لغة الخطاب الدعوي ضمن سلسلة الأمة القطرية رقم (143) - قطر.

*جاهز للطبع:

- كتاب علم المعاني طبع طباعات شعبية منهجية.
- كتاب الحرية من منظور إسلامي.
- كتاب الفروق الدلالية للمواقع الإعرابية.
- شر البلية - مجموعة مقالات ساخرة في بعض الصحف.
- النحو الدلالي.
- دراسات نحوية.
- تأملات سياسية.
- تأملات فكرية.
- شبهات وردود.
- قصة إشراق الروح (قصة حج).
- الخيط الأبيض - ديوان شعر.